لا تحزن وابتسم للحياة

جمع وترتيب

محمود المصري
أبو عمار

مكتبة الصفا

لا تحزن
وابتسم للحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٧٦٨٠/ ٢٠٠٧

مكتبة الصفا

مطابع دار البيان الحديثة
تليفاكس: ٢٢٩٩٩٥٦٦

١٢٧ ميدان الأزهر القاهرة ت: ٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٥١٤٧٩٧٤/ ٠١٠١٤٣١١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

فما زال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب الدينية المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالَى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز سواء كان كاملاً أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو الموضوع، كآيات الأحكام وغيْر ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله - عز وجل - لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنة، قولاً وفعلاً، نصًّا وفَهمًا وعملاً.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطإ الإمام مالك وصحيح الإمام البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيْرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله ﷺ رواية ودراية وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة بشتى

الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله - عز وجل- فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر، رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب «**لا تحزن وابتسم للحياة**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجوا من الله - عز وجل- أن يتقبلها منا قبولاً حسنًا وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين. إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارآ لخدمة العلم والدين

إهداء واعتراف لأصحاب الفضل

وكما تعودت دائمًا أن أقدم هذا الإهداء والاعتراف لأصحاب الفضل فوالله أنا لا أستطيع أن أنساهم أبدًا وذلك من باب قول الحبيب ﷺ: «من لم يشكر الناس، لم يشكر الله»(١).

وفي مقدمة هؤلاء الناس جميعًا أقدم هذا الإهداء.

● **إلى أمي الحبيبة (رحمة الله عليها):**

وكيف أنساكِ يا أمي الحبيبة.. يا مَنْ ضحيتِ من أجلي بكل شيء كيف أنسى أيامك العامرة بالعطاء والتضحية والرحمة والحنان.. والله أنا لا أستطيع أن أوفيك حقك ولو كتبت ألف كتاب ولذلك أقول لك: جزاك الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء - فهو سبحانه القادر على أن يجزل لك العطاء في الدارين - فأسأله سبحانه أن يرحمك رحمة واسعة وأن يجعل قبرك روضة من رياض الجنة وأن يجعل أعمالي كلها في ميزان حسناتك وأن يجمع بيني وبينك في الجنة.

● **إلى أبي الحبيب (حفظه الله):**

أسأل الله - تعالى - أن يُعجِّل لك بالشفاء وأن يبارك في عمرك وأن يرزقني وإياك - وسائر المسلمين - حُسن الخاتمة.. فجزاك الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد كنت ومازلت نِعم الأب الرحيم.

● **إلى أختي الحبيبة الغالية / هدى المصري - حفظها الله ورعاها -:**

إلى رفيقة العمر وشقيقتي في رحلة الكفاح.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (١٩٥٥) كتاب البر والصلة، وأحمد (١٠٨٨٧)، من حديث أبي سعيد، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في «صحيح الجامع» (٦٥٤١).

إلى مَنْ تألمت فصبرت وابتُليت فرضيت وتكالبت عليها كتائب الأحزان، فابتسمت للحياة.. وسكنت الهموم قلبها، فازدادت حبًّا لله -جل وعلا-.

* أهدى إليك - أختى الحبيبة - هذا الكتاب لتزدادى رضًا فوق الرضا وبسمة فوق البسمة ولتعلمى أن فجر العافية قريب وأن ليل البلاء سينجلى وسوف ننسى جميعًا كل شقاء وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن -جلَّ وعلا-.

* جزاكِ الله عنى وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء فلقد تعلمت منك الصبر والرضا... فأسأل الله -جل وعلا- أن يشفيك وأن يجعل هذا الكتاب فى ميزان حسناتك يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم.

• إلى كل أخٍ مسلم وكل أختٍ مسلمة:

أسأل الله - جلَّ وعلا - أن يُخرج الأحزان من قلوبكم وأن يملأها فرحًا وسعادة وسرورًا وأن يُسعدكم فى الدنيا بطاعته، وفى الآخرة بصُحبة النبى ﷺ فى الفردوس الأعلى... وأن يجمعنا جميعًا فى الجنة إخوانًا على سُرُرٍ متقابلين.

* * *

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٣).

أما بعد:

لا تحزن وابتسم للحياة... إنه شعار أريد أن يرفعه كل مُبتلى لنغرس الأمل فى صحراء اليأس.... ولماذا اليأس؟

إن الدنيا ساعة وسوف تمر بحلوها ومُرها... والأحزان كلها إلى زوال.

إما أن ترحل عنك برفع البلاء وإما أن ترحل أنت عنها بالموت.

- وهناك... وما أدراك ما هناك!!!... هناك جنة عرضها السماوات والأرض أعدَّها الله - عزَّ وجلَّ- لأهل الإيمان... فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(١) سورة آل عمران: آية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: آية (١).

(٣) سورة الأحزاب: آية (٧٠، ٧١).

* أيها المحزون: أنا أعلم أنك تعانى.. بل وتصرخ فى كل لحظة وتقول:

أين الفرحة؟ أين السعادة؟ متى ترحل الأحزان؟ متى ننسى الهموم والغموم؟... نداء نسمعه فى كل يوم بل وفى كل لحظة.

- إنه نداء النفس الإنسانية التى عاشت فى عصر الفتن... عصر الهموم والغموم والأحزان... إنه نداء مَنْ يبحث عن السعادة ويشتاق إليها... إنه نداء مَنْ يتمنى أن ترحل الهموم والأحزان من قلبه فى غمضة عين.

* فالكل يبحث عن السعادة ويبذل كل ما يملك ليشعر بها ولم يعلم أكثر الناس أن السعادة أقرب إلى أحدهم من الهواء الذى يستنشقه.

ولذا جاء هذا الكتاب ليخاطب القلوب الحائرة والعقول التائهة ويقول بلسان الحال: قد سمعت هذا النداء وعلمت الدَّاء ومِنْ ثَمَّ فإليكم الدواء... إنه الإيمان بالله والرضا بقضائه... إنه الطريق الوحيد الذى يفتح باب الأمل ويشرح الصدر ويُسعد القلب ويطرد الهموم والغموم والأحزان.

* لا تحزن وابتسم للحياة.. وإذا هجمت عليك كتائب الهموم والأحزان فلا تقل: يا ربِّ عندى همٌ كبير ولكن قل يا هَم عندى ربٌّ كبير... ربٌّ عظيم، ربٌّ رحيم.. يجيب المضطر ويكشف البلوى ويُغنى المحتاج ويشفى المريض ويفرج الهموم.

* إنه أرحم بنا من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

- كيف تحزن وأنت عبدٌ لهذا الإله الرحيم الغفور التواب الذى وسعت رحمته كل شىء... إنه لا يبتليك ليعذبك وإنما ليطهرك ويُقربك فلماذا تحزن؟... إنه يبتليك لأنه يحبك فهل تخيلت يومًا أن الله يحبك؟

* أبشر واسعد وتفاءل... لا تحزن وابتسم للحياة وعِش حياتك طيبة

جميلةً رضيَّــةً ولا تنشغل بالبلاء عن طاعة رب الأرض والسمــاء. . . . فهيا لنغرس الأمل فى صحراء اليأس.

* هيا لننسى الأحزان كلها مع كتاب «لا تحزن وابتسم للحياة».

* ومن باب الوفاء فلقد استفدت كثيراً من كتاب الشيخ الحبيب/ عائض القرنى - حفظه الله - وأسأل الله أن يجمعنــى به وبكم جميعًا فى الفردوس الأعلى. . . إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلَّى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

لا تحــزن

إن الحيـاة لا تخلو أبدًا من الشدائد والأحزان والابتـلاءات فإذا أردت أن تستمر فى رحلتك فلابد أن تركب مركب الأمل والرضا.

* إن الأمل والأمن، والرضا والحب، والسكينة النفسية، ثمار شهية لغراس العـقيـدة فى نفس المؤمن، وذخائر لا تنفـد لإمداده فى معـركة الحياة، وإنها لمعـركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف، مـحفوفة بالأخطار والمشقات.

ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البَشر فيها، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيـها من كوارث تُصـيبه، وشـدائد تحلُّ بساحتـه، فكم يخفق له عمل أو يخيب لـه أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض لـه بدن، أو يُفقَد منه مال.. أو.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحـياة.. حتى قال الشاعر يصف الدنيا:

جُـبِـلَتْ على كـدرٍ وأنت تُريـدها
صـفـواً مـن الآلام والأكـدار!
ومُكَلّـفُ الأيامَ ضـد طبـاعـهـا
مـتطـلبٌ فى الماء جَـذوة نارِ

وإذا كان هذا سُنَّة الله فى الحياة عامـة، وفى الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشدُّ تعرضًا لنكبات الدنيا وويلاتها (١).

* لا تحزن فالصبر مفتاح الفرج.
* لا تحزن فإن أشد ساعات الليل سواداً هى الساعة التى تسبق طلوع الفجر.

(١) الإيمان والحياة (ص: ١٨٤).

* لا تحزن فمع العُسر يكون اليسر ومع الشدة يكون الفرج.

* لا تحزن ففى المحن والمصائب تكفير للذنوب والهفوات ورفعة للدرجات وتنبيه من الغفلات.

* لا تحزن فإن الله لا يختار لك إلا الخير.

* لا تحزن فالله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

* لا تحزن ففرحة الظالم لا تدوم... وسينصرك الله عليه لا محالة فى الدنيا والآخرة.

* لا تحزن فالحزن لا يرد غائبًا ولا يشفى مريضًا ولا يُحيى ميتًا.

* لا تحزن فالحزن سحابة ولابد أن تنقشع وتزول.

* لا تحزن وأَحسِن الظن بالله - جلَّ وعلا.

* لا تحزن فالجنة تشتاق إليك.

* لا تحزن فإن المرض يزول، والمصاب يحول، والذنب يُغفر والدَّيْن يُقضى، والمحبوس يُفكُّ، والغائب يَقْدم، والعاصى يتوب، والفقير يغتنى.

* لا تحزن أما ترى السحاب الأسود كيف ينقشع، والليل البهيم كيف ينجلى، والريح الصرصر كيف تسكن، والعاصفة كيف تهدأ؟! إذًا فشدائدك إلى رخاء، وعيشك إلى هَناء، ومستقبلك إلى نَعْماء.

* لا تحزن.. لهيبُ الشمس يطفئه وارفُ الظّل، وظمأُ الهاجرة يُبرده الماء النمير، وعَضَّة الجوع يُسكنها الخبز الدافئ، ومعاناة السهر يعقبه نوم لذيذ، وآلام المرض يُزيلها لذيذ العافية، فما عليك إلا الصبر قليلاً والانتظار لحظة(١).

* * *

(١) لا تحزن/ للشيخ الحبيب عائض القرنى - حفظه الله- (ص:١٠١).

جدد حياتك

إن التجديد فى حياة المسلم شىء مطلوب حتى لا يملَّ ولا يفتر ولا تصيبه السآمة طالما أنه لا يفعل شيئًا يخالف الكتاب والسُّنَّة.

* فيوزع وقته ما بين صلاة وقراءة قرآن وأذكار وطلب علم ودعوة إلى الله وصلة رحم ونُزهة ليس فيها مخالفات شرعية وزيارة أخ حبيب واستقبال إنسان عزيز وتناوُلِ بعض المباحات وممارسة أى نوع من أنواع الرياضة التى لا تتعارض مع شريعتنا... إلى غير ذلك حتى لا تملَّ النفس.

* ولذلك نجد أن الله - عزَّ وجلَّ - وهو العالِمُ بمكنونات النفوس البشرية قد نوَّع حتى فى العبادات: فهناك عبادات قلبية وعملية وقولية ومالية... هناك صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد... وحتى فى العبادة الواحدة نرى فيها التنوع: فالصلاة فيها القيام والقراءة والركوع والسجود والتسبيح.... والذكر فيه أنواع كثيرة بل وتستطيع أن تذكر الله فى كل أحوالك: قيامًا وقعودًا وعلى جنبك و﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾(١).

* وعند طلب العلم تجد التنوع حتى لا تمل: فهناك التفسير والفقه والحديث والسِّير والتاريخ والأدب والثقافة العامة.

* بل إننا نرى حتى فى حياتنا هذا التنوع حتى لا تمل النفوس:

فهناك صيف وشتاء، وخريف وربيع، وليل ونهار، وبردٌ وحرٌّ ونور وظلام... ونرى هذا التنوع فى أنواع المطعومات والمشروبات والمخلوقات... بل حتى فى الألوان. فهذا أبيض وذاك أحمر أو أصفر أو أخضر... والحياة نفسها تتجدد ما بين غِنًى وفقر، وفرح وحزن، وولادة وموت، ورخاء وشدة

(١) سورة آل عمران: آية (١٩١).

وسِلْمٍ وحرب ومحنة ومنحة، وصحة ومرض.

- وما أجمل الحديقة حين تتنوع فيها الورود والأزهار والفواكه والخضروات.

* فالشاهد من كل هذا: أنه ينبغى أن تجدد حياتك كل يوم حتى لا تمل ولتصبح نشيطًا فى عبادة الله، فتصل إلى الجنة من أقرب الطرق وأيسرها.

ادخل جنة الدنيا حتى لا تحزن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها، فلن يدخل جنة الآخرة.. قالوا: ما هى؟. قال: إنها جنة الإيمان.

وقال مرة: ما يصنع أعدائى بى؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى، إنِّى رحت فهى معى لا تفارقنى، إن حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان يقول فى محبسه فى القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبًا، ما عَدلَ عندى شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير.

وقال مرة: المحبوس مَنْ حُبس قلبه عن ربه - تعالى -، والمأسور من أسره هواه.

ولَمَّا دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾[1].

قال ابن القيم: وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدّها، ومع كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا،

---

(١) سورة الحديد: آية (١٣).

وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم فى وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه، فما هو إلاَّ أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كلّه، وينقلب انشراحًا، وقوةً، ويقينًا، وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها»[١].

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢].

* كان بعض العارفين يقول: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه: لجالدونا عليه بالسيوف».

وقال آخر: «مساكين أهل الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره والأُنس به سبحانه وتعالى».

وقال آخر: «إنه لتمرّ بالقلب أوقات يرقص فيها طربًا حتى أقول إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب».

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته، هو جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحبين، وحياة العارفين. وإنما تقرُّ عيون الناس

(١) انظر «صحيح الوابل الصيب» ص (٩١ - ٩٥).

(٢) سورة النحل: آية (٩٧).

به على حسب قرة أعينهم بالله - عزَّ وجلَّ -، من قرَّت عينه بالله، قرَّت به كل عين، ومَنْ لم تقر عينه بالله، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات(١) .

الحياة الحقيقية

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢) .

إن المؤمن يعيش فى جنة حقيقية بإيمانه بالله - جلَّ وعلا - ورضاه عن قضائه.. فهو يغمره شعور فياض بنعم الله عليه فى كل وقت وفى كل حين مهما حدث له ومهما أصابه من البأساء والضراء.

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال:

«عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَهُ كلهُ له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمُؤمن، إن أصابتهُ سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابتهُ ضرَّاءُ صبر فكان خيْرًا له»(٣) .

* إنه يعلم يقينًا أن جنة الدنيا لا تكون ولن تكون إلاَّ فى ظلِّ الإيمان بالله والرضا عن الله... وهو يعلم أن الله أرحم به من رحمة الأم بطفلها الرضيع وأنه - سبحانه - يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العُسر... وأنه لا يفعل شيئًا على وجه العبث - حاشا لله - فلماذا يعترض المسلم على قضاء الله وقدره؟ ولماذا يحرم نفسه من الدخول إلى جنة الرضا التى ما دخلها أحد إلا سعدَ فى الدنيا والآخرة.

* إن الغربيين يحسدوننا على نعمة الرضا التى نعيشها ونسعد بها فلقد لمسوا هذه النعمة العظيمة عندما خالط بعضهم المسلمين فوجدوا أن المسلم يستقبل الكوارث والمصائب بصدرٍ رحب، وقلبٍ راضٍ، ولسانٍ ذاكرٍ يردد

---

(١) «الوابل الصيب»: ٦٩ - ٧١.

(٢) سورة النحل : آية (٩٧).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق.

دومًا وأبدًا كلمة: الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أجرني فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها.

* وأسوق هنا قصة لتظهر سعادة مَنْ رضى بالقضاء، وحيرةُ وتكدُّر وشكُّ مَنْ سَخِط من القضاء:

فهذا كاتب أمريكى لامع، اسمه «بودلى»، مؤلّف كتاب «رياح على الصحراء»، و«الرسول ﷺ» وأربعة عشر كتابًا أخرى، وقد استوطن عام ١٩١٨م أفريقيا الشمالية الغربية، حيث عاش مع قوم من الرُّحَّل البدو المسلمين، يصلُّون ويصومون ويذكرون الله. يقول عن بعض مشاهده وهو معهم: هبَّت ذات يوم عاصفة عاتية، حملت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمَتْ بها وادى الرون فى فرنسا، وكانت العاصفة حارة شديدة الحرارة، حتى أحسستُ كأنَّ شعْر رأسى يتزعزع من منابته لفرط وطأة الحرّ، فأحسستُ من فرط الغيظ كأننى مدفوع إلى الجنون، ولكنَّ العرب لم يشكوا إطلاقًا، فقد هزُّوا أكتافهم وقالوا: قضاء مكتوب. واندفعوا إلى العمل بنشاط، وقال رئيس القبيلة الشيخ: لم نفقد الشىء الكثير، فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شىء، ولكن الحمد لله وشكرًا، فإن لدينا نحو أربعين فى المائة من ماشيتنا، وفى استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد.

وثمَّة حادثة أخرى.. فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يومًا فانفجر أحد الإطارات، وكان السائق قد نسى استحضار إطار احتياطى، وتولاَّنى الغضب، وانتابنى القلق والهمُّ، وسألتُ صاحبى من الأعراب: ماذا عسى أن نفعل؟ فذكَّرونى بأن الاندفاع إلى الغضب لن يُجدى فتيلاً، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق، ومَنْ ثمَّ درجتْ بنا السيارة وهى تجرى على ثلاثة إطارات ليس إلا لكنها ما لبثت أن كفَّت عن السير، وعلمت أن

البنزين قد نفد، وهناك أيضًا لم تثر ثائرة أحد من رفاقى الأعراب، ولا فارقهم هدوؤهم، بل مضوا يذرعون الطريق سيرًا على الأقدام، وهم يترنمون بالغناء!

قد أقنعتنى الأعوام السبعة التى قضيتُها فى الصحراء بين الأعراب الرُّحَّل، أن الملتاثين، ومرضى النفوس، والسكيرين، الذين تحفل بهم أمريكا وأوربا، ما هم إلا ضحايا المدنية التى تتخذ السرعة أساسًا لها.

إننى لم أعانِ شيئًا من القلق قطُّ، وأنا أعيش فى الصحراء، بل هنالك فى جنة الله - جنة الإيمان-، وجدتُ السكينة والقناعة والرضا، وكثيرون من الناس يهزءون بجنة الرضا التى يعيشها الأعراب، ويسخرون من امتثالهم للقضاء والقدَر.

ولكن من يدرى؟ فلعلَّ الأعراب أصابوا كبد الحقيقة، فإنى إذ أعود بذاكرتى إلى الوراء... وأستعرض حياتى، أرى جليًّا أنها كانت تتشكَّل فى فترات متباعدة تبعًا لحوادث تطرأ عليها، ولم تكن قطُّ فى الحسبان أو مما أستطيع له دفعًا، والعرب يطلقون على هذا اللون من الحوادث اسم: «قدَر» أو «قِسْمة»، أو «قضاء الله»، وسمِّه أنت ما شئتَ.

وخلاصة القول: إننى بعد انقضاء سبعة عشر عامًا على مغادرتى الصحراء، مازلتُ أتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التى لا حيلة لى فيها بالهدوء والامتثال والسكينة، ولقد أفلحتْ هذه الطباع التى اكتسبتُها من العرب فى تهدءة أعصابى أكثر مما تفلح آلاف المسكِّنات والعقاقير!...- اهـ.

أقول: إن أعراب الصحراء تلقَّنوا هذا الحق من مشكاةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وإن خلاصة رسالة المعصوم هى إنقاذ الناس من التِّيه، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ونفْض التراب عن رؤوسهم، ووضع الآصار والأغلال عنهم. إنّ الوثيقة التى بُعِث بها رسول الهدى ﷺ فيها أسرار الهدوء والأمن، وبها

معالم النجاة من الفشل، فهى اعتراف بالقضاء وعمل بالدليل، ووصول إلى غاية، وسعى إلى نجاة، وكدح بنتيجة.. إن الرسالة الربانية جاءت؛ لتحدد لك موقعك فى الكون المأنوس؛ ليسكن خاطرك، ويطمئن قلبك، ويزول همك، ويزكو عملك، ويجمُل خلقك؛ لتكون العبدَ المثالى الذى عرَف سرَّ وجوده، وأدرك القصد من نشأته.

* هكذا ينبغى أن تكون حياة المؤمن.. راضيًا بما قسم الله له، وراضيًا عن الله إذا حلَّ البلاء بساحته.

* نعم - أيها الأخ الحبيب -: لا تحزن فأنت قد أنعم الله عليك بنعمة الإيمان... وغيرك مازال يرتع فى أوحال الكفر والعصيان.

- لا تحزن: فالله فتح لك باب التوبة إن أذنبت فرحمته وسعت كل شىء.

- لا تحزن إذا كنت فقيرًا، فغيرك محبوس منذ سنوات بسبب الدَّين.

- لا تحزن إذا كنت لا تمتلك سيارة، فغيرك مبتور القدمين.

- لا تحزن إذا فقدت ولدك، فغيرك فَقَدَ كل أولاده فى حادث واحد.

- لا تحزن إذا كنت تعانى من المرض، فغيرك راقد على سرير المرض منذ سنوات لا يستطيع أن يحرك رجِلاً ولا يدًا.

أيها الأخ الحبيب: إذا علمت قدر الدنيا بالنسبة للآخرة، فلن تحزن أبدًا على فوات الدنيا كلها... فهى دار الغرور... لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت تساوى جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء.

- فإياك أن تحزن على ما أصابك فيها فتترك لتفكيرك العنان فيعيد عليك ملف الأحزان الذى أُغلق منذ سنوات.

- وإياك أن تجزع عند كل أزمة ولو كانت صغيرة.. بل تجلَّد واصبر، حتى تخفَّ عليك الأزمات... واعلم أنه لا راحة إلا مع أول قدم تضعها فى الجنة.

اعرف معنى السعادة

* **السعادة:** شيء معنوى لا يُرى بالعين، ولا يُقاس بالكم، لا تحتويه الخزائن، ولا يُشترى بالدينار أو الدولار.

* **السعادة:** شيءٌ يشعر به الإنسان بين جوانحه.. صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

* **السعادة:** شيء ينبع من داخل الإنسان، ولا يستورد من خارجه.

* **السعادة:** بذل وتضحية وعطاء.

* **السعادة:** سرورٌ داخلى عندما نقوم بعمل نبيل.

* **السعادة:** مدد إلهى يُضفى على النفس بهجة وأريحيّة.

* **السعادة:** هبة ربانية، ومنحة إلهية يهبها الله مَنْ شاء مِنْ عباده جزاءً لهم على أعمال جليلة قاموا بها.

* **السعادة:** شعور عميقٌ بالرضا والقناعة.

* **السعادة:** ليست سلعة معروضة فى الأسواق تُباع وتُشترى، فيشتريها الأغنياء، ويُحرمها الفقراء.. ولكنها سلعة ربانية تبذل فيها النفوس والمُهج لتحصيلها والظفر بها.

* **السعادة:** راحة نفسية.

* **السعادة:** فى أن تُدخل السرور على قلوب الآخرين، وترسم البسمة على وجوههم، وتشعر بالارتياح عند تقديم العون لهم، وتستمتع باللذة عند الإحسان إليهم.

* **السعادة:** فى تعديل الفكر السلبى إلى فكر إيجابى مثمر.

* **السعادة:** فى حُسن تربية الأبناء وتنشئتهم على ما يحب الله ورسوله.

* **السعادة:** فى العلم النافع والعمل الصالح.

* **السعادة:** فى ترك الغلِّ والحسـد والحقد والبغضـاء وترك النظر إلى ما فى أيدى الآخرين.

* **السعادة:** فى ذكر الله وشُكره وحُسن عبادته.

* **السعادة:** فى الفوز بالجنة والنجاة من النار، والتـمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم(١) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(٢).

حوار مع السعادة

قيل للسعادة: أين تَسكُنين؟

قالت: فى قلوب الراضين.

قيل: فبِمَ تتغذين؟

قالت: من قوة إيمانهم.

قيل: فبِمَ تدومين؟

قالت: بحُسن تدبيرهم.

قيل: فبِمَ تُستَجْلبين؟

قالت: أن تعلم النفس أن لن يصيبها إلاَّ ما كَتَبَ الله لها.

قيل: فبم ترحلين؟

قالت: بالطمع بعـد القناعة، وبـالحرص بعـد السمـاحة، وبالهمِّ بعـد السرور، وبالشكِّ بعد اليقين(٣).

* * *

(١) انظر : دليلك إلى السعادة النفسية ص (٥ - ٨).

(٢) سورة القيامة: آية (٢٢، ٢٣).

(٣) من أقوال دكتور/ مصطفى السباعى.

سعادتك فى أهدافك

إن سبب شقاء كثير من الناس هو عدم وجود أهداف يسعون إلى تحقيقها، وقد تكون لهم أهداف، ولكنها ليست نبيلة أو سامية، ولذلك فإنهم لا يشعرون بالسعادة فى تحقيقها.

أما الذى يحقق السعادة فهو الهدف النبيل والغاية السامية.

إن الأهداف العظيمة تتيح للفرد أن يتجاوز العقبات التى تعترض طريقه، ويستطيع من خلال ذلك أن ينتج فى وقت قصير ما ينتجه غيره في وقت كبير جداً.

فالمرء بلا هدف إنسان ضائع. فهل نتصور قائد طائرة يقلع، وليس عنده مكان يريد الوصول إليه، ولا خارطة توصله إلى ذلك المكان؟!!

ربما ينفد وقوده، وتهوى طائرته، وهو يفكّر إلى أين يذهب، وأين المخطط الذى يوصله إلى وجهته[١].

سر السعادة

إن سرَّ السعادة هو سكينة واطمئنان القلب، مما يؤدى إلى استمتاع الإنسان بحياته رغم مروره بالشدائد والنكبات.

إنه السرُّ الذى باح به الإمام ابن القيم، فقال: «فى القلب شعثٌ لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأُنس بالله، وفيه حُزن لا يُذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يُسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسراتٌ لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدّها إلا

(١) دروس نفسية للنجاح والتفوق / د. أحمد البراء الأميرى.

محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أُعطى الدنيا وما فيها، لم تُسدّ تلك الفاقة أبدًا».

إنها الصلة الربانية، صلة الأرض بالسماء، تجعل الإنسان يعيش سعيدًا ومطمئنًا.

إنه السرُّ الذى جعل الإمام أحمد بن حنبلٍ يعيش سعيدًا ومطمئنًا، مع أن ثوبه مرقّع، ويخيطه بيده، ويسكن فى ثلاث غرفٍ من طين، ولا يجد إلا كسرات الخبز مع الزيت، وبقى حذاؤه - كما قال المترجمون - عنده سبع عشرة سنة، يرقعه ويخيطه، ويأكل اللحم فى الشهر مرة.. إنه بمقياس أهل الدنيا الآن: مسكين وحزين وتعيس. ولكن لا يعلم هؤلاء أن السعادة الداخلية والرضا الداخلى لا يشعر به أحد غير صاحبه؛ لأنه بالداخل فى الأعماق، ولأنه موصول بالله، فهى الروح التى تنبض للحياة بالحركة، والنور الذى يشع للإنسان طريقه، إنه السرُّ فى صناعة النجاح.. وفى الحديث: **«إذا أحبّ الله تعالى العبد، نادى جبريل: إن الله تعالى يحبّ فلانًا فأحبّه، فيحبّه جبريل، فينادى فى أهل السماء: إن الله تعالى يحبّ فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»**(١).

ومضة

قديمًا: حينما فقد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما نور عينيه، وعرف أنه سيقضى ما بقى من عمره مكفوف البصر، محبوسًا وراء الظلمة عن رؤية الحياة والأحياء، لم يندب حظه العاثر، بل صرخ صرخة الرضا الداخلى قائلاً:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما
ففى لسانى وقلبى منهما نورُ

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب بدء الخلق، من حديث أبى هريرة.

قلبي ذكيٌّ وعقلي غير ذي دَخَلٍ
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

فهم أصحاب الابتسامات الصادقة الخارجة من القلب، الباعثة لرضا داخلي عميق[١].

* هكذا الدنيا:

طُبعتْ على كدرٍ، وأنت تريدُها
صَفْواً من الأقذارِ والأكدار
ومكلِّفُ الأيَّام ضِدَّ طباعها
مُتطلِّبٌ في الماء جذوةَ نارِ
وإذا رجوت المستحيلَ فإنَّما
تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ
والعيش نومٌ والمنيّةُ يقظةٌ
والمرءُ بينهما خَيالٌ ساري
فاقضوا مآربكم عجالاً إنَّما
أعمارُكم سِفْرٌ من الأسفارِ
وتركَّضوا خيلَ الشبابِ وبادروا
أنْ تُستردَّ فإنَّهنَّ عَوارِ
ليس الزمانُ وإن حَرَصتَ مسالمًا
طَبعُ الزمان عداوةُ الأحرار

* فلا تحزن على فوات الدنيا وارض بما قسم الله لك، وكن راضيًا عن الله إذا حلَّ البلاء بساحتك واعرف قدر الدنيا بالنسبة للآخرة واجعل الجنة ورضوان رب الجنة - جلَّ وعلا - غايتك. . . فهذا هو سر السعادة.

---

(١) انظر: صناعة النجاح ص (٤٠، ٤١).

قد تكون السعادة قريبة وأنت لا تراها

أحيانًا تكون السعادة قريبة منك وأنت لا تراها.. وتضيع عمرك كله فى البحث عنها وهى قريبة منك.

- فمن الناس مَنْ يبحث عن المال ظنًّا منه أنه سيُسعده.. ومنهم من يبحث عن الجاه ظنًّا منه أنه سيُسعده..، ومنهم...،.... ومنهم...

- ولا يدرى أحدهم أن السعادة تكمن فى الإقبال على الله والسير على هدى رسول الله ﷺ.

* ومما يُحكى فى بطون الكتب: حكاية حقل الألماس:

هى حكاية مشهورة عن مزارع ناجح عمل فى مزرعته بجدّ ونشاط إلى أن تقدم به العمر، وذات يوم سمع هذا المزارع أن بعض الناس يسافرون بحثًا عن الألماس، والذى يجده منهم يصبح غنيًّا جدًّا، فتحمس للفكرة، وباع حقله وانطلق باحثًا عن الألماس.

ظلَّ الرجل ثلاثة عشر عامًا يبحث عن الألماس فلم يجد شيئًا؛ حتى أدركه اليأس ولم يحقّق حلمه، فما كان منه إلاَّ أن ألقى نفسه فى البحر؛ ليكون طعامًا للأسماك.

غير أن المزارع الجديد الذى كان قد اشترى حقل صاحبنا، بينما كان يعمل فى الحقل وجد شيئًا يلمع، ولما التقطه فإذا هو قطعة صغيرة من الألماس، فتحمس وبدأ يحفر وينقب بجدٍّ واجتهاد، فوجد ثانية وثالثة، وياللمفاجأة! فقد كان تحت هذا الحقل منجم ألماس.

ومغزى هذه القصة أن السعادة قد تكون قريبة منك، ومع ذلك فأنت لا تراها، وتذهب تبحث عنها بعيدًا، بعيدًا !!

* * *

ماذا استفدت من الحـُزن؟[١]

يا من ملأت صفـحة حياتك بالأحزان قل لى بربك: ماذا اسـتفدت من الحُزن؟ هل أعاد إليك البـسمة المفقودة؟ هل أعـاد إليك مالك المسلوب؟ هل أحيـا لك ميـتك؟ هل صرف عنك الحـاقدين والحـاسدين؟ هل أعـاد إليك صحتك وعافيتك؟ إذًا فلماذا الحزن؟!!!

لا تحزن: لأن القـضاء مـفروغٌ منه، والمقـدور واقع، والأقلام جـفَّت، والصحف طُويتْ، وكلُّ أمرٍ مـستقر، فحزنك لا يقدِّم فـى الواقع شيئًا ولا يؤخر، ولا يزيد ولا يُنقِص.

لا تحزن: لأنك بحـزنك تريد إيقاف الزمن، وحـبسَ الشمـس، وإعادة عقارب الساعة، والمشىَ إلى الخلف، وردَّ النهر إلى مصبِّه.

لا تحزن: لأن الحزن كالريح الهـوْجاء تُفسد الهواء، وتُبعثـر الماء، وتغيِّر السماء، وتكسر الورود اليانعة فى الحديقة الغَنَّاء.

لا تحزن: لأن المحـزون كنهر الأحـمق، ينحـدر من البحـر ويصبُّ فى البحر، وكالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، وكالنافخ فى قربة مثقوبة، والكاتب بإصبعه على الماء.

لا تحزن: فإن عمرك الحقيـقى سعادتك وراحة بالك، فلا تُنفقْ أيامك فى الحُزن، وتبذِّر لياليَك فى الهم، وتوزِّع ساعاتك على الغموم، ولا تسرفْ فى إضاعة حياتك، فإن الله لا يحبُّ المسرفين.

لا تحزن: فإنَّ أمـوالك التى فى خزانتك وقصـورك السامقـة، وبساتينك الخضراء، مع الحُزن والأسى واليأس: زيادة فى أسفك وهمِّك وغمِّك.

لا تحزن: فإن عـقاقـير الأطبـاء، ودواء الصيـادلة، ووصفـة الحكيم لا

(١) هذا العنصر بتصرف من كتاب (لا تحزن) للشيخ الحبيب/ عائض القرنى -حفظه الله-.

تسـعـدك، وقـد أسكنتَ الحـزنَ قلبَكَ، وفـرشتَ لـه عيـنَك، وبسطتَ له جوانحك، وألحفتَه جلدَك.

لا تحزن: وأنت تملك الدعـاء، وتُجيد الانطراح على عَـتَبـات الربوبية، وتُحسن المسكنـة على أبواب ملك الملوك، ومعك الثلث الأخـير من الليل، ولديك ساعة تمريغ الجَبين في السجود.

لا تحزن: فإن الله خلق لك الأرض ومـا فيهـا، وأنبت لك حدائق ذات بهجة، وبساتين فـيها من كل زوج بهيج، ونخلاً باسقـاتٍ لها طلع نضيد، ونجومًا لامعات، وخمائلَ وجداولَ، ولكنَّك تحزن!!

لا تحزن: فأنت تشرب الماء الزُّلال، وتستنشق الهواء الطَّلْق، وتمشى على قدميْك معافىً، وتنام ليلك آمنًا.

لا تحزن: لأن الحزن يضعفك فى العبادة، ويعطِّلك عن الجهاد، ويُورثك الإحباط، ويدعوك إلى سوء الظن، ويُوقعك فى التشاؤم.

لا تحزن: فإنَّ الحـزن والقلق أساس الأمراض النفـسية، ومـصدر الآلام العصبية، ومادة الانهيار والوسواس والاضطراب.

لا تحزن: ومعك القرآن، والذكر، والدعـاء، والصلاة، والصدقة، وفعل المعروف، والعمل النافع المثمر.

لا تحـزن: ولا تسـتـسلم للحـزن عن طريـق الفـراغ والعطالة، صلِّ.. سبِّحْ.. اقرأْ.. اكتبْ.. اعملْ.. استقبلْ.. زُرْ.. تأمَّلْ.

لا تحزن: لأن الحـزن يُزعجـك من الماضى، ويخـوِّفك من المستـقـبل، ويُذهب عليك يومك.

لا تحزن: لأن الحزن ينقـبض له القلب، ويعبس له الوجـه، وتنطفئ منه الروح، ويتلاشى معه الأمل.

لا تحزن: لأن الحزن يسرُّ العدو، ويغيظ الصديق، ويشمِت بك الحاسد، ويغيِّر عليك الحقائق.

لا تحزن: لأن الحزن مخاصمة للقضاء، وتبرُّم بالمحتوم، وخروج على الأنس، ونقْمة على النعمة.

لا تحزن: لأن الحزن لا يردُّ مفقودًا وذاهبًا، ولا يبعث ميِّتًا، ولا يردُّ قدَرًا، ولا يجلب نفعًا.

لا تحزن: فالحزن من الشيطان، والحزن يأس جاثم، وفقر حاضر، وقنوط دائم، وإحباط محققٌ، وفشل ذريع.

لا تحزن... فالشدائد لن تدوم

الأيام دُولٌ... ودوام الحال من المحال فلا تحزن، فالشدائد مهما تعاظمت فإنها لا تدوم أبدًا... فلئن كنت اليوم تعانى من الشدة فغدًا سوف تنهل من ينابيع السعادة... واعلم أن أشد ساعات الليل سوادًا هى أقرب لحظة لطلوع الفجر وإن أشد لحظات اليأس هى أقرب لحظة لبزوغ فجر الأمل، وإن الشدائد إذا وصلت إلى ذروتها ومنتهاها، فإنها تكون أقرب لحظة لانفراج الشدة وانقشاعها وولادة فجر جديد لحياة مليئة بالسرور والسعادة والنور والرخاء فلا تحزن.. فالشدائد لن تدوم.

لا تحزن ما دمت فاضلاً

إن الماء إذا بلغ قُلتين لم يحمل الخَبَث.. وإن البحر لا يزيده كوب ماء ولا يُنقصه كوب ماء.

- والمعنى: أنك ما دمت إنسانًا فاضلاً عابدًا لله - جلَّ وعلا - مُحسنًا للناس من حولك فلا يضرك حقد الحاقدين ولا ذمُّ الحاسدين؛ لأن الناس لن

تقبل فيك ذمًّا ولو كان صحيحًا. . . فاطمئن ونَم قرير العين.

- ولقد قرأت كثيرًا عن ذمٍّ بعض الحاقدين والحاسدين فى الأئمة الأعلام ولكن هذا الذمُّ لا يُحفظ ولم يُنقل ولم يصدقه أحد؛ لأنه سقط فى بحار محاسنهم فغرق.

- وعلى النقيض من ذلك قرأت مدحًا وثناءً فى بعض الظالمين والفُجَّار ولكنه أيضًا لم يُحفظ ولم يُنقل ولم يحفظه أحد؛ لأنه تَاهَ فى رُكام زيفهم وضلالهم.

* فالشاهد أنه ينبغى عليك ألا تغتم ولا تحزن مما يقال فى حقك فإن الناس لن يُصدقوا ما يقال عنك ما دمت فاضلاً. . ومادام قلبك موصولاً بالله - جلَّ وعلا.

سعادتك فى داخلك

سعادتك فى داخلك فلماذا تبحث عنها بعيدًا وتسافر فى طلبها.

سعادتك فى إيمانك بالله - جلَّ وعلا-.

سعادتك فى رضاك بالله ورضاك عن الله - جلَّ وعلا-.

- سعادتك فى صُحبة الأخيار والتعايش مع كل حرف من حروف كتاب العزيز الغفار، وفى التَّلذذ بذكر الواحد القهار.

سعادتك فى إدخال البسمة والفرحة على اليتيم والمسكين والمريض والمُبتلى والمحزون.

سعادتك فى الزهد فى الدنيا والتطلع لنعيم الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

* * *

لا تحزن.. فمشوار الألف ميل يبدأ بخطوة

قديمًا قالوا: مَنْ طلب العُلا، سهر الليالى.

فما عليك إلا أن تبدأ وتفعل وسعك وطاقتك فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.. وعليك ألا تنظر إلى طول الطريق فمشوار الألف ميل يبدأ بخطوة ولكن ابدأ وأخلص النية لله - جلَّ وعلا - وستصل إن شاء الله بل وستنسى كل شقاء وتعب وبلاء مع أول غمسة فى جنة الرحمن - جلَّ وعلا-.

إن لم يأت الفرج، فإنك ستترك الأحزان

لا تحزن: فإنه إذا نزلت بك فاقة أو مصيبة، فعليك أن تصبر وتحتسب وترضى بقضاء الله - جلَّ وعلا- .. فإذا طالت المدة ولم يأتِ الفرج فلا تجدد الأحزان؛ لأننا جميعًا سنموت وسنترك الدنيا بجراحها وأفراحها.. فإن لم تذهب الأحزان، فأنت ستغادر الدنيا وتودع الأحزان؛ لتلقى الرحيم الرحمن بصبرك وإيمانك ورضاك بقضائه فيعوضك الخير كله فى جنته التى أعدَّها لعباده الصالحين.

لا تحزن فإنما هو يوم واحد

اسمع قول أبى حازم، إذ يقول: «إنما بينى وبين الملوك يوم واحد، أما أمس فلا يجدون لذَته، وأنا وَهُمْ من غدٍ على وَجَلٍ، وإنما هو اليوم، فما عسى أن يكون اليوم؟!».

* نعم - أخى الحبيب - إن الإنسان لا يشعر الآن بأى لذة مضت.. ولا يشعر بآلام الماضى... وأما المستقبل فهو من الغيب الذى لا يعلمه إلا

الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١) . . . إذًا فلم يبق إلاَّ اليوم فلماذا تحزن؟

* بل إنك إن عشت يومك فى طاعة الله - جل وعلا- فأنت الفائز إن شاء الله-، فلقد أخبر الحق - جَلَّ وعلا- عن حال المجرمين الذين عاشوا من أجل دُنياهم ونسوا خالقهم ومولاهم أنهم سيعترفون يوم القيامة أن حياتهم من أولها لآخرها ما كانت سوى بضع ساعات ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣) قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢) . . . أما أنت فكل لحظة عشتها فى طاعة الله - جلَّ وعلا - أغلى من أعمار هؤلاء جميعًا. . فاحمد الله ولا تحزن.

لا تذبح نفسك كل يوم بسكين الأوهام

فمن الناس من يذبح نفسه كل يوم بسكين الأوهام. . فتراه حزينًا كاسف البالِ لأنه يتوقع أنه سيرسب فى امتحان الدكتوراة، أو أن بيته سينهار بعد عشر سنوات، أو أن الأسعار ستزيد، أو أن المشروع سيبوء بالفشل. . . فهو يحمل همَّ الكرة الأرضية فوق رأسه. . . ولا يكتفى بذلك فحسب بل إن قلبه كالإسفنجة يتشرب كل الأوهام والأراجيف والشائعات؛ حتى يكاد أن تتحطم حياته وتنتهى آماله وأحلامه.

* إن هذا الرجل يعيش حياته وكأنه فى حربٍ عالمية لا تكاد تنتهى أو تهدأ لحظة واحدة. . فإذا وضعت الحرب أوزارها فإذا به يرى زحفًا مخيفًا من الأمراض والأسقام تهجم على جسده فلا يجد ما يدفع به تلك الأمراض؛ لأنه جعل قلبه سكنة عسكرية لأمراض الضغط والسكر وغيرها.

* أخى الحبيب: عشْ حياتك يومًا بيوم ولا تحمل هموم الكرة الأرضية

---

(١) سورة الرحمن: آية (٢٩).

(٢) سورة المؤمنون: آية (١١٢-١١٤).

فوق رأسك وأحسن الظن بالله واعلم أن الله أرحم بعباده من رحمة الأم بطفلها الرضيع وأنه لن يُضيع عباده الموحدين.

* وبدلاً من أن تحمل همَّ الدنيا فعليك أن تحمل همَّ هذا الدِّين وأن تسعى لتعليم الكون كله سنة النبى محمد ﷺ . . . فهذا هو الهمُّ الذى يجب على كل مسلم أن يحمله.

لست وحدك أيها المُبتلى

إذا تعرضت للابتلاء فلا تحزن بل اصبر واحتسب واعلم أنك لست وحدك. . . فكم من مُبتلى فى هذا الكون؟!

- ولك فى رسول الله ﷺ القدوة والأسوة وهو مَنْ هو؟ هو رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وهو صاحب المقام المحمود والحوض المورود ومع ذلك ضُرب النبى ﷺ وشُجَّ وجهه، ووُضع سلى الجزور على ظهره، وحوصر فى الشِّعب حتى أكل ورق الشجر، وطُرِدَ من مكةَ وهو يبكى ويقول: والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ﷺ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت. . بل ورُمى النبى ﷺ فى عِرض زوجته الشريفة عائشة ﵂. . ومات أكثر أولاده وبناته فى حياته. . وقُتِلَ سبعون من أصحابه. . واتُهم بأنه شاعر وساحر وكاهن ومجنون. . وجاع حتى ربط الحجر على بطنه، ونام على الحصير حتى أثَّرَ فى جنبه. . . وليس هو فحسب بل كل الأنبياء تعرضوا للابتلاءات الشديدة.

قال ﷺ: «أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان فى دينه صُلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة ابتُلى على قدر دينه، فمايبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة»[1].

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «يا مُخنَّثَ العزم أين أنت والطريقُ

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٦٥٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٣).

طريقٌ: ! تعبَ فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِى فى النار الخليل، وأُضْجِعَ للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخسٍ، ولَبِثَ فى السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ»(١).

* وسار على نفس الطريق أصحاب النبى ﷺ فتعرض للإيذاء: أبوبكر وقُتل عمر، واغتيل عثمان وطُعن على.... بل وتعرض للإيذاء الشديد الأئمة الكبار الذين جاءوا بعد أصحاب النبى ﷺ.

قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾(٢).

* إذًا فلا تحزن!! إذا طَرَقَ البلاء بابك فلست وحدك.. فكم من فقير يعانى من الفقر سنوات طويلة.. وكم من مريض يئن من الألم الذى لا تتحمله أنت؟!.. وكم من محبوس لم ير الشمس منذ سنوات طويلة..؟! وكم من رجل فَقَدَ أولاده وهم فى ريعان الشباب؟!.. وكم..؟! وكم..؟! فاصبر واحتسب وارضَ بقضاء الله فلست وحدك.

اصبر واحتسب.. والعِوضُ فى الجنة

أيها الأخ الحبيب: لا تنظر تحت قدميك فالدنيا عمرها قصير وشأنها حقير فإن فاتك شىء من الدنيا فلا تحزن، فإن الله لا يحرمك من شىء إلا ويعوضك بخير منه إذا صبرت واحتسبت.

* وأنا أذكر لك بعض الأشياء على سبيل المثال:

* فمن صبر على موت صفيه وحبيبه من أهل الدنيا - كأمه وأبيه وولده وأخيه - فإن الله يعوضه فى الجنة.

---

(١) «الفوائد» للإمام ابن القيم (ص:٦٧).

(٢) سورة البقرة: آية (٢١٤).

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلاَّ الجنة»(١).

* ومن صبر على موت ابنه واحتسبه عند الله - جلَّ وعلا-، بُنى له بيت الحمد فى الجنة.

عن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا ماتَ ولدُ العبد؛ قال الله تعالى لملائكته:

قَبَضتُم ولَدَ عبدى؟

فيقولون: نعم. فيقولُ: قبضتُم ثمرةَ فؤاده؟

فيقولون: نعم. فيقول: فماذا قال عبدى؟

فيقولون: حَمدَكَ واسترجَعَ.

فيقولُ الله تعالَى: ابنُوا لعبدى بيتًا فى الجنَّة وسَمُّوهُ بيتَ الحمد»(٢).

* ومن صبر على فقد عينيه فإن الله - جلَّ وعلا - يعوضه فى الجنة، قال تعالى فى الحديث القدسى: «مَنْ أذهبتُ حبيبتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة»(٣).

* وإذا كنت فقيراً محرومًا فإن الله - عزَّ وجلَّ- يعوضك فى الجنة بأن يُدخلك الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

قال ﷺ: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»(٤).

* وإذا عشت فى شدة وبؤس وحرمان وابتلاء فإن الله - جلَّ وعلا -

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة.

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وأحمد (١٩٢٢٦)، من حديث أبى موسى الأشعرى، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٤٠١) كتاب الزهد، وأحمد (٧٥٤٣)، من حديث أبى هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨١٤٠).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٣٥٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٨٦)، من حديث أبى هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٧٦).

يجعلك تنسى كل ذلك مع أول غمسة فى الجنة.

– روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «... ويُؤتى بأشدِّ الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبَغُ فى الجنة صبغةً، فيُقالُ له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا ربِّ! ما مرَّ بى بؤسٌ قطُّ، ولا رأيت شدَّةً قطُّ»(١).

* وإذا حُرمت من الزوجة الصالحة فى الدنيا وعشت على الإيمان ومُت على ذلك فإن الله يعوضك فى الجنة بالحور العين.

* وهكذا لا يمنع الله عنك شيئًا من الدنيا، إلا عوضك أضعافه فى جنته التى أعدَّها لعباده الصالحين... فلا تأس على ما فاتك من حُطام الدنيا.

* أما أهل الدنيا الذين ينظرون تحت أقدامهم ولا يرون غير الدنيا فإن الواحد منهم إذا فقد شيئًا من لذاتها، فإنه يعيش فى حُزن وكآبة وألم وحسرة على فوات هذا الشيء؛ لأنه لا يرى إلا هذه الدنيا.

قد تستفيد من عدوك فلا تحزن

قد تستفيد من العدو أكثر من الصديق، فالعدو يكاسرك بالنقد ولا يجاملك كالصديق، فتطلع على عيوبك، والعدو ينافسك فيشحذ همتك على طلب الكمال، والمبادرة إلى أشرف الخصال، والعدو يتشفى بعثرتك فتصبر وتتجلد، فتحصل على ثواب الصابرين، والعدو يدلك على سيئتك فتستغفر منها، ويخبر بنقصك فتتلافاه، والعدو يخبر الناس بخطئك، فيذيع لك شهرة وأجرًا وذكرًا، وكُلَّما خمل ذكرك، فتش عنك العدو وأعلن اسمك فى النوادى، والعدو يترصدك فيجعلك يقظان دائمًا، تتأمل العواقب وتعدُّ العُدَّة، والعدو ربما ضايقك فكفَّر من خطاياك، فهو مصيبة تُؤجر عليها إذا صبرت:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عَظُمْتَ
ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك.

والصديق في الغالب تنام إليه، وتثق به، وتسترسل إلى مودته، وتُفشى له سرك، وتذيع له مكنونك، ويطلع على خفايا عيوبك، ويُحصى زلاتك ليوم الحاجة، ويعد غلطاتك لساعة الانتقام، ويعرف مداخلك لوقت الغارة، ويدرك ضعفك وتقلباتك، ثمَّ هو المجامل وربما كتم النصيحة، وسكت عن الخطأ، وأيدك على الزلل، وحَسَّن لك الوقوع، وضيع عليك الوقت، وثبطك عن النجاح، فهو سُمٌّ في عسل(١).

لا تحزن... فشرف التجربة يكفيك

حاول وجرب واحرص على أن تكون ناجحًا فإذا فشلت مرة فلا تيأس بل قُم وجرب مرة أخرى... فإذا سألتني: إلى متى أظل أحاول وأُجرب؟... أقول لك: حتى ييأس الشيطان منك.

- نعم.. قم وحاول مرة بعد مرة، فإن لم تنجح، فيكفيك شرف التجربة فقد حاولت وجربت، وغيرك لم يحاول ولم يجرب.

لا تجعل لنفسك ثمنًا غير الجنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

ويقول الحسن البصري: لا تجعلْ لنفسك ثَمنًا غيرَ الجنة، فإن نفس المؤمن غاليةٌ، وبعضهم يبيعها برخُصٍ.

* فالدنيا بكنوزها ونعيمها لا تساوي دمعة واحدة تخرج من عينك من

---

(١) حدائق ذات بهجة للشيخ الحبيب عائض القرني - حفظه الله- (ص: ٢٠٠ - ٢٠١).

(٢) سورة التوبة: آية (١١١).

خشــية الله - جلَّ وعلا-. . . . فإذا جـعلت الدنيا كلها ثمنًا لنفــسك فإنك بذلك تكون قد بعت نفسك بأرخص الأثمان.

* أنت أغلى من أن تحـزن على ضيـاع مالٍ أو منصب أو غيـر ذلك من متـاع الدنيـا الزائل. . . وإنما يكون الحزن على التـقصـير فى طـاعة الله أو الوقوع فى معصية الله؛ لأن ذلك قد يؤخرك عن دخول الجنة أو يكون سبب حرمانك من الارتقاء فى درجاتها.

* ومن أجل ذلك أكرر الكلـمة مرة أخرى: لا تجـعل لنفسك ثمنًا غـير الجنة.

اُثبت أحد

إن كل إنسان يتمنى ويشـتهى من أعماق قلبه أن يكون محبـوبًا ومقبولاً عند جمـيع الخلق. . وهذا أمرٌ مستـحيل؛ لأن قلوب العباد لم تجـتمع على حب أى إنسان حـتى وإن كان سيـد الأولين والآخرين مـحمد بن عـبد الله ﷺ . . . فلقد دبر المشركون المؤامرات الـكثيرة لقتله وآذوه أشدَّ الإيذاء. . وهو مَن هو؟ إنه سـيد ولـد آدم ﷺ . . . بل إن مِن الناس مَن سَبَّ الإله الخـالق الرازق - جلَّ جلاله - فكيف تعـتـقد بعـد ذلك أنه من الممكن أن تجتمع القلوب على حب أحد من البشر؟!

والمعنى: أنك لابد أن تواجه حملات شرسة لا هوادة فيها من النقد الآثم والإشاعـات المُغرضـةِ والسب والتجـريح من الحاقـدين والحاسديـن مادمت ناجحًا ومؤثرًا.

ومن المعلوم أنك لن تسـتطيع أن تُغلق أفواه الحـاقدين والحاسـدين لكن تستطيع أن تغلق قلبك وأُذنيك عن سماع كلامهم ونقدهم الآثم وكأنهم ليس لهم وجود فى هذا الكون.

ولسان حالك ومقالك: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾(١).

* أيها الأخ الحبيب: إن الناس لا يُلقون الحجارة إلا على الشجرة المثمرة... وإن النقد الآثم والتجريح المستمر يُعتبر ترجمة واقعية لمكانتك وقدرك ووزنك الحقيقى فعلى قدر وزنك ومكانتك سيكون هذا النقد الآثم المستمر.

* واعلم أن هؤلاء الذين يحسدونك ويحقدون عليك لن يتركوك أبدًا؛ حتى تتخلى عن كل مواهبك ونعم الله عليك وتصبح فاشلاً مثلهم... فأنت عندهم مذنب لا توبة لك إلاَّ إذا تُبت من نجاحك فأصبحت تعيش على هامش الحياة لا قدر لك ولا قيمة.

* ونصيحتى لك ألا تلتفت إلى هؤلاء أبدًا واعتبر أنهم لا وجود لهم فى هذا الكون؛ لأنك إن أصغيت لكلامهم وتفاعلت معه، فسوف تتعكر حياتك ويتكدر عمرك.. وهذا ما يريدون.

* ومن أجل ذلك قلت لك فى عنوان هذه الفقرة: أُثبت أُحد. فطالما أنك تسير بدعوتك هذه فى طريق الأنبياء فلابد أن تعانى من مكر الماكرين وحقد الحاقدين وحسد الحاسدين، فكُن جبلاً أمام تلك الرياح العاتية ولا تعبأ بها.. واستمر فى دعوتك ولا تلتفت واعلم أن الجنة حُفت بالمكاره فاصبر حتى تصل إلى المنزل «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هى الجنة**»(٢).

* * *

(١) سورة آل عمران: آية (١١٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٥٠) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٣٥) من حديث أبى هريرة.

الإيمان سرُّ السعادة

السعادة هى جنة الأحلام التى ينشدها كل بشر، من الفيلسوف فى قمة تفكيره وتجريده، إلى العامى فى قاع سذاجته وبساطته. ومن الملك فى قصره المشيد، إلى الصعلوك فى كوخه الصغير. ولا نحسب أحدًا يبحث عن الشقاء لنفسه، أو يرضى بتعاستها.

• أين السعادة؟

ولكن السؤال الذى حير الناس من قديم هو: أين السعادة؟

لقد طلبها الأكثرون فى غير موضعها، فعادوا كما يعود طالب اللؤلؤ فى الصحراء، صِفر اليدين، مجهود البدن، كسير النفس، خائب الرجاء!

أجل.. جرب الناس فى شتَّى العصور ألوان المُتع المادية، وصنوف الشهوات الحسية، فما وجدوها - وحدها - تحقق السعادة أبدًا، وربما زادتهم - مع كل جديد منها - همًّا جديدًا.

• هل السعادة فى النعيم المادى؟

لقد ظن ذلك قوم، فحسبوا السعادة فى الغنى، وفى رخاء العيش، ووفرة النعيم، ورفاهية الحياة، لكن البلاد التى ارتفع فيها مستوى المعيشة، وتيسرت فيها لأبنائها مطالب الحياة المادية، من مأكل ومشرب، وملبس ومسكن ومركب، مع كماليات كثيرة، لا تزال تشكو من تعاسة الحياة، وتحسُّ بالضيق والانقباض، وتبحث عن طريق آخر للسعادة.

* نشر رئيس تحرير إحدى المجلات تحقيقًا صحفيًّا فى مقالين منذ سنوات جعل عنوانه: «أهل الجنة ليسوا سُعداء» وأهل الجنة الذين يعنيهم هم: سكان السويد الذين يعيشون فى مستوى اقتصادى يشبه الأحلام، ولا يكاد يوجد فى حياتهم خوف من فقر أو شيخوخة أو بطالة أو أى كارثة من

كوارث الحياة، فإن الدولة تضمن لكل فرد يُصيبه شىء من ذلك إعانات دورية ضخمة، بحيث لا يجد مواطن مجالاً للشكوى من العوز أو الحاجة الاقتصادية بحال من الأحوال.

«إن ثلث الضرائب التى يدفعها الشعب السويدى تُنفقها الدولة فى التأمينات الاجتماعية وتدفع الدولة ٨٠٪ منها فى مساعدات نقدية، إن أضخم ميزانية هى ميزانية وزارة الشئون الاجتماعية، ثم تليها ميزانية وزارة التربية».

ومع هذه الضمانات التى لم تدع ثغرة إلا سدتها - فقد ذكر الصحفى أن الناس يحيون حياة قلقة مضطربة، كلها ضيق وتوتر، وشكوى وسخط، وتبرم ويأس، ونتيجة هذا أن يهرب الناس من هذه الحياة الشقية النكدة عن طريق «الانتحار» الذى يلجأ إليه الألوف من الناس، تخلصًا مما يعانونه من عذاب نفسى أليم.

وانتهى كاتب التحقيق إلى أن السر وراء هذا الشقاء يرجع إلى أمر واحد هو فقدان «الإيمان».

فكثرة المال ليست هى السعادة، ولا العنصر الأول فى تحقيقها، بل ربما كانت كثرة المال أحيانًا وبالاً على صاحبها فى الدنيا قبل الآخرة، لذا قال الله فى شأن قوم من المنافقين: ﴿ **فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[1]. والعذاب هنا هو المشقة والنَّصبُ والألم والهمُّ والسَّقْم، فهو عذاب دنيوى حاضر، على نحو ما ورد فى الحديث: «**السفر قطعة من العذاب**»[2] وهذا ما نشاهده بأعيننا فى كل من جعل المال والدنيا أكبر همِّه، ومَبْلغَ علمه، ومنتهى أمله، فهو دائمًا مُعذَّبُ النفس، مُتعَب القلب، مُثقَل الروح، لا يُغنيه قليل، ولا يُشبعه كثير.

وفى الحديث الذى رواه أنس عن النبى ﷺ تصوير لهذه النفسية

(١) سورة التوبة: آية (٥٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٨٠٤) كتاب الحج، ومسلم (١٩٢٧) كتاب الإمارة، من حديث أبى هريرة.

المعذّبة قال: **«مَنْ كانت الآخرة همُّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومَنْ كانت الدنيا همُّهُ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»**[١] .

ومن أبلغ العذاب في الدنيا - كما قال الإمام ابن القيم[٢]-: تشتيت الشمل وتفريق القلب، وكون الفقر نصب عينيه لا يفارقه، ولولا سكرة عشاق الدنيا بحبها؛ لاستغاثوا من هذا العذاب.. على أن أكثرهم لا يزال يشكو ويصرخ منه... ومن أنواع العذاب: عذاب القلب والبدن بتحمل أنكاد الدنيا ومحاربة أهلها إياه، ومقاساة معاداتهم، كما قال بعض السَّلف: «من أحب الدنيا، فليوطن نفسه على تحمل المصائب، ومُحب الدنيا لا ينفك عن ثلاث: هَمٌّ لازم، وتعب دائم، وحسرةٌ لا تنقضي، وذلك أن مُحبَّها لا ينال منها شيئًا إلا طمحت نفسه إلى ما فوقه كما في الحديث: **«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا»**[٣] . وقد مثَّل عيسى ابن مريم -عليه السلام- مُحب الدنيا بشارب الخمر، كلما ازداد شربًا، ازداد عطشًا.

● هل السعادة في الأولاد؟

حقيقة إن الأولاد زهرة الحياة، وزينة الدنيا، ولكن كم من أولاد جَرُّوا على آبائهم الويل وجازوهم بالعقوق والكفران بدل البر والإحسان، بل كم من آباءٍ ذاقوا حتفهم على يد أولادهم، طمعًا في ثرواتهم، أو لوقوفهم في سبيل شهواتهم.

لقد وجدنا من الآباء من يقول لولده آسفًا آسيًا:

غذوتُك مولودًا وعُلتك يافعًا

تُعَلُّ بما أُسدي إليك وتنهلُ

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث أنس بن مالك، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٤٩).

(٢) في كتابه «إغاثة اللهفان».

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٩) كتاب الزكاة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

إذا ليلة نابتك بالشجو لم أبت
لبلواك إلا ساهرًا أتململُ
فلما بلغتَ السن والغاية التى
إليها مدى ما كنتُ فيك أؤملِ
جعلتَ جزائى غِلظة وفظاظة
كأنك أنت المُنعم المتفضلُ

• السعادة فى داخل الإنسان:

السعادة إذًا ليست فى وفرة المال، ولا سطوة الجاه، ولا كثرة الولد، ولا نيل المنفعة، ولا فى العلم المادى.

السعادة شيء معنوى لا يُرى بالعين، ولا يُقاس بالكم، ولا تحتويه الخزائن، ولا يُشترى بالدينار، أو الجنيه أو الروبل أو الدولار.

السعادة شيء يشعر به الإنسان بين جوانحه.... صفاء نفس، وطمأنينة قلب، وانشراح صدر، وراحة ضمير.

السعادة شيء ينبع من داخل الإنسان ولا يُستورد من خارجه.

حدَّثوا أن زوجًا غاضَب زوجته، فقال لها متوعدًا: لأُشقينك، فقالت الزوجة فى هدوء: لا تستطيع أن تُشقينى، كما لا تملك أن تُسعدنى.

فقال الزوج فى حنق: وكيف لا أستطيع؟

فقالت الزوجة فى ثقة: لو كانت السعادة فى راتب لقطعته عنى، أو زينة من الحُلى والحُلَل لحرمتنى منها، ولكنها فى شيء لا تملكه أنت ولا الناس أجمعون!

فقال الزوج فى دهشة: وما هو؟

فقالت الزوجة فى يقين: إنى أجد سعادتى فى إيمانى، وإيمانى فى قلبى، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى!

هذه هى السعادة الحقَّةُ، السعادة التى لا يملك بشر أن يعطيها، ولا يملك

أن ينتزعها ممن أُوتيها، السعادة التى شعر بنشوتها أحد المؤمنين الصالحين فقال: إننا نعيش فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف!

وقال آخر وهو ثَملٌ بتلك اللَّذة الروحية التى تغمر جوانبه: إنه لتمر علىَّ ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه الآن ،لكانوا إذًا فى عيش طيب!

والذين رُزقوا هذه النعمة يسخرون من الأحداث وإن برقت ورعدت، ويبتسمون للحياة وإن هى كشَّرت عن نابها، ويُفلسفون الألم، فإذا هو يتحول عندهم إلى نعمة تستحق الشكر، على حين هو عند غيرهم مصيبة تستوجب الصراخ والشكوى(١) .

لا تتعلق بغير الله حتى لا تحزن

* إذا قرأت سير وتراجم المشاهير من العلماء والأمراء والخلفاء والملوك والوزراء والأثرياء سواءً كانوا من الصالحين أو من الطالحين لعلمت يقينًا أن مَنْ تعلَّق بالله واعتصم به وتقرب إليه بالعمل الصالح فإن الله - عزَّ وجلَّ- يرفع قدره ويجعله عزيزًا بلا نسب ولا مال ولا منصب ولا جاه. . . فها هو بلال رضي الله عنه بعد أن كان عبدًا حبشيًّا لا قدر له، أعزَّه الله بالإسلام، ورفع قدره فأصبح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . وها هو سلمان الفارسى رضي الله عنه بعد أن قاطن النار عند المجوس، يكرمه الله بنعمة الإسلام؛ حتى يقول عنه النبى صلى الله عليه وسلم : «**سلمان منا أهل البيت**»(٢). . . وهذا صهيب الرومى رضي الله عنه يكرمه الله بنعمة الإسلام ويبذل صهيب كل ما فى وسعه حتى إنه ترك ماله كله للمشركين؛ حتى يتركوه ليهاجر إلى المدينة المنورة، فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم : «**ربح البيع صهيب.. ربح البيع صهيب...**»(٣) والأمثلة كثيرة جداً.

---

(١) الإيمان والحياة (ص: ٧٦ : ٨٤) بتصرف.

(٢) ضعيف جدًّا: ضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٣٧٠٤) وقال: ضعيف جدًّا.

(٣) صحيح: صححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج فقه السيرة (١٥٢).

* **وفى المقابل**: فإن مَنْ تعلَّق بغيــر الله فإن الله - عزَّ وجلَّ- يجعل ذلك سبب عذابه وشقائه. . . فهذا فرعون تعلق بملكه، فكان سبب شقائه. . وهذا هامان تعلق بوزارته فكانت سبب شقائه. . وهذا قارون تعلَّق بماله ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ﴾(١) . . وهذا أمية بن خلف تعلَّق بتجارته، فلم يسلك طريق الهـداية. . وهذا أبو لهب تعلَّق بنسبه. . .، وهذا أبو جـهل تعلَّق بجـاهه ومكانته. . وهذا. . . وهذا. . . فالأمثلة كـثيرة وكلها تدل على أن مَنْ تعلق بالله، أعزَّه الله، ومَنْ تعلَّق بغير الله، جعل الله ذلك سبب عذابه وشقائه.

لا تحزن... والجأ إلى مَن يجيب المضطر إذا دعاه

إذا حلَّت بك شـدة من الشـدائد أو وقـع عليك ظلم من البـشـر فـلا تحزن. . . والجأ إلى مَنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء.

ذكر التنوخى: أن أحد الوزراء فى بـغداد - وقد سـمَّاه - اعـتدى على أموال امرأة عجوز هناك، فسلَبها حقـوقها وصادر أملاكها، ذهبتْ إليه تبكى وتشتكى من ظلمه وجوْره، فمـا ارتدع وما تاب وما أناب، قالت: لأَدعونَّ الله عليك. فأخذ يضـحك منها باستهزاء، وقـال: عليك بالثلث الأخير من الليل. . . . وهذا لجبـروته وفسْـقه يقول باسـتهزاء، فـذهبتْ وداومتْ على الثلث الأخير، فـما هو إلا وقتٌ قصير إذ عُـزل هذا الوزير وسُلبت أمواله، وأُخذ عَـقاره، ثم أُقـيم فى السوق، يُجلَد تعـزيرًا له على أفعـاله بالناس، فمرَّت به العجوز، فقـالت: له: أحسنتَ! لقد وصفت لى الثلث الأخير من الليل، فوجدتُه أحسن ما يكون.

* **يقول أحد الفـضلاء من العُـبَّاد**: إنه كان بأهله فى الصحـراء، فى جهة البادية، وكان عابدًا قـانتًا منيبًا ذاكرًا لله. قال: فـانقطعتِ المياه المجاورة لنا،

(١) سورة القصص: آية (٨١).

وذهبتُ ألتمس ماءً لأهلي، فوجدتُ أن الغـدير قد جفَّ، فعُدتُ إليهم، ثم التمسنا الماء يمنة ويسرة، فلم نجد ولو قطرة، وأدركنَا الظمأ، واحتاج أطفالى للماء فتـذكرتُ ربَّ العزة - سبحانه - الـقريب المجيب، فقمتُ فتـيمَّمتُ، واسـتقـبلتُ القـبلة وصلَّيتُ ركـعتـين، ثم رفـعتُ يدىَّ وبكيتُ، وسـالتْ دمـوعى، وسـألتُ الله بإلحاح، وتذكـرتُ قـوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(١) . . . ووالله ما هو إلا أن قمتُ من مقـامى، وليس فى السماء من سَحَـاب ولا غيْم، وإذا بسحـابة قد توسَّطت مكانى ومنزلى فى الصـحراء، واحتكمتْ على المكان، ثم أنزلَتْ ماءها، فامـتلأتِ الغُدران من حولنا وعن يميننا وعن يسارنا فشربنا واغتسلنا وتوضأنا، وحمدنا الله -سبحانه وتعالى-، ثم ارتحلتُ قليـلاً خلْف هذا المكان، وإذا الجـدْبُ والقحط، فـعلمتُ أن الله ساقهـا لى بدعائى، فحمـدتُ الله - عزَّ وجلَّ-: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٢) .

لا تحزن.. فإنها ليست النهاية

كم مرة وقعت فى بلاء وشدة. . وكم مـرة نزلت بك المصائب والشدائد فظننت أنها القاضية وأن فيها نهايتك. . وإذا بك تقوم مرة أخرى - بإذن الله - وترجع كما كنت بل أفضل مما كنت؟!.

- وكم مرة أحاط بك الأعداء من كل جانب فأظلمت الدنيا فى وجهك وتقطعت بك الحبال. . وإذا بالفتح والنصر يأتيك من حيث لا تحتسب؟!.

- وكم مرة ضاع مالك وضـاقت عليك الدنيا وظننت أنك لن تقوم لك قائمة. . وإذا بالخير الوفير يأتيك من عند الله - جلَّ وعلا-.

(١) سورة النمل: آية (٦٢).

(٢) سورة الشورى: آية (٢٨).

- وكم مرة تمكَّن فيها المرض من جسدك فظننت أن هذا هو مرض الموت.. وإذا بالحق - جلَّ وعلا - يُلبسك ثوب العافية مرة أخرى.

* فلا تحزن.. فإنها ليست النهاية.. ولكى يطمئن قلبك فانظر وتأمل حال أهل البلاء من قبلك.

* فقد ابن عباس بصرَه، فقال - مُعزِّيًا نفسه - :

إنْ يأخذِ اللهُ من عينىَّ نورَهما
ففى فؤادى وقلبى منهما نورُ
قلبى ذكىٌّ وعقلى غيرُ ذى عِوَجٍ
وفى فمى صارمٌ كالسيف مشهورُ

* ومات لأبى ذُؤيب الهذلى ثمانية من الأبناء بالطاعون فى عام واحد، فماذا عسى أن يقول؟ إنه آمن وسلَّم وأذعن لقضاء ربه، وقال:

وتجلُّدى للشامتين أُريهُمو
أنى لريبِ الدَّهرِ لا أتضعضعُ
وإذا المنيةُ أنشبتْ أظفارَها
ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(١).

* وبُترتْ رِجْل عُروة بن الزبير، ومات ابنه فى يوم واحد، فقال: اللَّهُمَّ لك الحمد، إن كنتَ أخذتَ فقد أعطيتَ، وإن كنتَ ابتليْتَ، فقد عافيتَ؛ منحتَنى أربعة أعضاء، وأخذت عضواً واحدًا، ومنحتَنى أربعة أبناء وأخذتَ ابنًا واحدًا.

* ويُروى عن الشافعى - واعظًا ومُعزِّيًا للمصابين-:

دع الأيامَ تفعلُ ما تشاءُ
وطِبْ نفسًا إذا حكمَ القضاءُ

---

(١) سورة التغابن: آية (١١).

إذا نزَل القضاءُ بأرضِ قومٍ
فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ

ومن الألم يأتى الأمل

لا شك أن الإنسان يحب الراحة والمتعة ويكره الألم والحرمان ومع ذلك فقد يأتى الخير كله من وراء هذا الألم ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(١) . . . فقد يتألم الإنسان، فيفرُّ إلى الله - جلَّ وعلا -؛ ليقف بين يديه مُصليًا خاشعًا باكيًا وهو الذى لم يسجد لله سجدة واحدة أيام الترف والدعة والراحة.

- وقد يتألم آخر فيتحرك فؤاده وتهتز مشاعره، فيرفع يديه؛ ليدعو من قلبه؛ حتى يفرج الله همه وحزنه.

- وقد يتألم ثالث فيُخرج شحنة الألم التى تعتصر قلبه فى خطبة مؤثرة أو قصيدة رائعة ينتفع بها الناس من حوله.

* إن أشد الناس تألمًا هم - فى الغالب - أكثر الناس إبداعًا وعطاءً ولذلك نرى أصحاب الرسول ﷺ الذين عاشوا أحلك لحظات الألم والمعاناة: . . . ألم الجوع والفقر والأذى والطرد والتشريد وهجر الأوطان وألم القتل والجراحات المؤلمة . . . كانوا أكثر الناس بذلاً وتضحية وكانوا أفضل الناس كرمًا وجودًا ودينًا وخُلقًا.

* نعم - أيها الأخ الحبيب - إن الإنسان الذى يتعب فى حياته كثيرًا ويتألم يكون مؤثرًا فيمن حوله؛ لأن كلامه يخرج من القلب وأفعاله تعبر عن صدقه وإحساسه بمن حوله.

* فلا تحزن ولا تجزع من الألم فلربما كان ذلك دافعًا لك إلى البذل والعطاء ونقطة انطلاقٍ إلى النجاح والنبوغ والتميز.

---

(١) سورة النور: آية (١١).

وأنا أقول عن نفسي[1]: لقد تألمت في حياتي كثيرًا كثيرًا، وكابدت المتاعب وعشت حياة كانت في غاية القسوة، فكان ذلك من أعظم الأسباب التي جعلتني أشعر بآلام الناس من حولي، وأكره الظلمَ أكثر من أي شيء وأحرص كل الحرص على أن أبذل دعوتي للناس بكل رحمة وحنان... بل لا أكون مبالغًا حينما أقول: إن الآلام التي اعتصرت قلبي تحولت إلى بسمة لا تفارق وجهي أبدًا، فلقد جعلت الألم والبسمة عُملة واحدة لها وجهان فجعلت الألم في قلبي وجعلت البسمة لمن حولي؛ لأن الناس ليس لهم أي ذنب في أن يشاركوني أحزاني... فكلما ابتسمت في وجه مسلم وكانت بسمتي سببًا في سعادته، زال الألم من قلبي بقدر إسعادي لغيري.

* بل إن الألم كان سببًا في أن أقف متحديًا نفسي أن أكون ناجحًا في حياتي، وفي دعوتي، وفي آخرتي... وهكذا يكون الألم دافعًا لنا جميعًا لأن ننجح في ديننا ودنيانا.

من ترك شيئًا لله عوَّضه الله خيرًا منه

يقول صاحب القصة:

كنت مجاورًا بمكة - حرسها الله تعالى - فأصابني يومًا من الأيام جوع شديد، لم أجد شيئًا أدفع به عني الجوع، فوجدتُ كيسًا مشدودًا بشرابة، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدًا من لؤلؤ -لم أرَ مثله-، فخرجت فإذا الشيخ ينادي عليه، ومعه خرقة فيها خمسمائة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ، فقلت: أنا محتاج، وأنا جائع، فآخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأردُّ عليه الكيس، فقلت له: تعال إليّ، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به، فأخرجته ودفعته إليه،

(١) العبد الفقير إلى الله (محمود المصري).

فسلم إلىَّ خمسمائة دينار، فما أخذتها، وقلت: يجب علىّ أنْ أعيده إليك ولا آخذ له جزاءً، فقال لى: لابد أن تأخذ. وألحَّ علىّ كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركنى ومضى.

وأما ما كان منى: فإنى خرجت من مكةَ وركبتُ البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب، فبقيت مدة فى البحر لا أدرى أين أذهب، فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت فى بعض المساجد، فسمعونى أقرأ، فلم يبقَ فى تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلىّ وقال: علمنى القرآن. فحصل لى من أولئك القوم شىء كثير من المال.

قال: ثم إنى رأيت فى ذلك المسجد أوراقًا من مصحف، فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لى: تحُسن تكتب؟ فقلت: نعم، فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب، فكنت أعلمهم، فحصل لى أيضًا من ذلك شىء كثير، فقالوا لى بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شىء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعت، فقالوا: لابد. وألزمونى فأجبتهم إلى ذلك. فلما زفُّوهَا إلىّ، مددت عينى أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقًا فى عنقها، فما كان لى حينئذٍ شغل إلا النظر إليه، فقالوا: يا شيخ، كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها. فقصصت عليهم قصة العُقد، فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة، فقلت: ما بكم؟ فقالوا: ذلك الشيخ الذى أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول: ما وجدتُ فى الدنيا مسلمًا أفضل من هذا الذى ردّ علىَّ هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللَّهُمَّ اجمع بينى وبينه حتى أُزوجه بابنتى، والآن قد حَصُلَتْ، .... فبقيت معها مدة ورُزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت، فورثت العقد أنا وولداى، ثم مات الولدان، فحصل العقد لى فبعته بمائة

ألف دينار، وهذا المال الذى ترون معى من بقايا ذلك المال[(١)].

• قصة زواج المبارك والد الإمام عبد الله بن المبارك:

يحكى الشيخ الطحّان فى شريط له عن اشتراط الدِّين فى الزواج:

إن المبارك كان عبدًا رقيقًا أعتقه سيده، ثم اشتغل أجيرًا عند صاحب بستان، وفى ذات يوم خرج صاحب البستان مع أصحاب له إلى البستان، وقال للمبارك: ائتنا برُمَّانٍ حلو، فقطف رماناتٍ، ثم قدَّمها إليهم فإذا هى حامضة، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟، قال: لم تأذن لى أن آكل؛ حتى أعرف الحلو من الحامض.

فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرس البستان وتقول هذا! وظن أنه يخدعه، فسأل الجيران عنه فقالوا: ما أكل رمانة واحدة، فقال له صاحب البستان: يا مبارك، ليس عندى إلا ابنة واحدة فلمَنْ أزوجها؟ فقال له: اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أى الأصناف أنت زوِّج ابنتك للصنف الذى أنت منه، فقال: وهل يوجد أتقى لله منك!... ثم زوَّجه ابنته.

سبحان الله عفّ المبارك عن رُمّانة من البستان فسيق إليه البستان وصاحبته، والجزاء من جنس العمل، ومَنْ ترك شيئًا لله، عوّضه الله خيرًا منه، ومن هذا البيت خرج عبد الله بن المبارك الذى كان يقول: لأن أردّ درهمًا من شبهة، خير لى من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف درهم... حتى عدَّ ستمائة ألف درهم ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾[(٢)] والد يتنزَّه عن الشبهات، وكذا ابنه الإمام.

---

(١) كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (١/١٩٦-١٩٨). وقد ذكر هذه القصة الشيخ الطحان فى شريط له بعنوان: الجزاء من جنس العمل، ثم ذكر نفس القصة عن أبى بكر الحيرى من تلامذة الخطيب البغدادى فى القرن الخامس الميلادى فى شريط: اشتراط الدِّين فى الزواج.

(٢) سورة الأعراف: الآية (٥٨).

مَنْ كان لله كما يريد، كان الله له كما يريد.

• طالب علم بالأزهر:

يقول الشيخ الطحان: مَنْ صبر على شيء لله عوّضه الله خيراً منه، يروى مشايخنا أن طالبًا من طلاب الأزهر قدم من بلاد الصعيد، فجلس فى حلقة شيخه، وتأخرت نفقته من الصعيد، ففارق حلقة الشيخ عساه يُحصّل كسيراتٍ من الخبز ولقيمات يقتات بها ويتقوّى عليها، فبينما هو يسير إذ دخل فى شارع ضيق، فوجد بابًا مفتوحًا، ووجد خزانة من طعام، فمدّ يده إلى الطعام، وكان من المحشى، ثم بعد أن تناول قطعة منه ووضعها فى فمه تذكر أنه جاء ليطلب العلم، والعلم نور، والأكل من هذا الطعام دون أن يستحلَّ صاحبه يظلم القلب، ولا يمكن أن يجتمع النور والظلمة، وسيطرد أحدهما الآخر، فترك هذا الطعام، وعاد لحلقة شيخه وبه من الجوع ما لا يعلمه إلا الله، وبعد أن انتهى الدرس إذا بامرأة تأتى، وتكلم الشيخ كلامًا لم يفهمه الحاضرون، ثم قال الشيخ لطالب العلم هذا: يا عبد الله، ألك رغبة فى الزواج؟ فقال: أتهزأ بى، والله من ثلاثة أيام ما دخل جوفى طعام، فكيف أتزوّج؟!!

قال الشيخ: إن هذه المرأة تذكر أن زوجها تُوفى، وترك بنتًا واحدة، وكان ذا ثروة ومال كثيرٍ، وتريد أن يتزوج ابنتها رجلٌ صالح، يعيش معها ومع ابنتها، وينمّى المال ويرعاه. فقال: إن كان كذلك فلا بأس. فخرج الشيخ والتلميذ والمرأة والحاضرون يسيرون حتى دخلوا البيت الذى دخله هذا الشاب من قبل، فلما وُضع الطعام بكى هذا الشاب، فقال له الشيخ: لِمَ تبكى؟ هل أكرهناك على الزواج؟ قال: لا، ولكنى قبل سُويعات دخلت هذا البيت؛ لآكل من هذا الطعام الذى وُضِعَ بين أيدينا، فتذكرت أنه حرام فتركته لله، فأعاده الله إلىّ، ومعه غيره عن طريق حلال. ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ**

مَخْرَجًا ② وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[١] . والجزاء من جنس العمل .

صنائع المعروف تقى مصارع السوء

قال ﷺ : «صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وصدقةُ السرِّ تُطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تُزيدُ فى العمر»[٢] .

- ما أجمل هذه الكلمات التى خرجت من فم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ . . . . والواقع يشهد بذلك وإليك تلك الأمثلة :

- فها هو نبى الله يونس - عليه السلام- يقول عنه الحق - جلَّ وعلا- حاكيًا قصته لما التقمه الحوت، ثم نَجَّاه - جلَّ وعلا-: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٣] .

- وهذه خديجة ﵂ . . لما نزل الوحى على النبى ﷺ لأول مرة فعاد إليها خائفًا فزعًا وقال لها: «والله، لقد خشيت على نفسى يا خديجةُ» فقالت له: كلا والله لا يُخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتُعين على نوائب الحق[٤] .

* وحُكى أن رجلاً جلس يومًا يأكل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوقف سائل ببابه فخرج إليه وانتهره وطرده. ودارت الأيام وافتقر هذا الرجل وزالت نعمته حتى إنه طلَّق زوجته، وتزوَّجت من بعده برجل آخر فجلس يأكل معها فى بعض الأيام وبين أيديهما دجاجة مشوية وإذا بسائل يطرق الباب، فقال الرجل لزوجته: «ادفعى إليه هذه الدجاجة،

---

(١) سورة الطلاق: آية (٢، ٣).

(٢) **حسن لغيره**: رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٦١) من حديث أبى أمامة ﵁، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٨٨٩) وقال: حسن لغيره.

(٣) سورة الصافات: آية (١٤٣، ١٤٤).

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٤) كتاب بدء الوحى، ومسلم (١٦٠) كتاب الإيمان، من حديث عائشة ﵂.

فخـرجت بها إليه فـإذا به زوجها الأول، فـأعطته الدجاجـة ورجعت وهى تبكى إلى زوجها، فسألها عن بكائها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قـصتهـا مع ذلك السـائل الذى انتهـره زوجهـا الأول وطرده، فقال لـها زوجها: ومِمَّ تعجبين وأنا والله السائل الأول.

فتـأمل معى - أخى الحبيب - كيف أن الرجل لما انتهـر السائل وطرده حدث له ما حـدث. . . ولو كان ردَّ السائل بلطف ورحمة، أو أعطاه شـيئًا يسيرًا فلربما كان الأمر على خلاف ذلك - والله أعلم.

أسباب الحياة السعيدة

١ - الهُدى والإيمـان، والاستـقامة على أمـر الرحمن، ومـخالفـة الهوى والشيطان، ومجانبة الكفر والفسوق والعصيان.

٢ - العلم النافع فإنه يشرح الصدر، ويعظم الأجر، ويرفع الذكر، ويحطُّ الوزر، وهو من أعظم الذخر، وبركتُهُ: العمل به فى التصديق والنهى والأمر.

٣ - كثرة الاستـغفار والتوبة من الذنوب، وإدمان قرع بـاب علاَّم الغيوب، وسؤاله الفتح على القلوب، فإنّه التواب على مَنْ يتوب.

٤ - دوام ذكره على كل حال، فى الحِلِّ والترحال، والثبات والانتقال، واللهج بـ«ياذا الجلال»، مع موافقة القلب للسان عند نطق هذه الأقوال.

٥ - الإحسان إلى العباد، ونفع الحاضر والـباد، وتفقد الفقراء، وأهل البؤس والإجهاد، وقضاء حوائجهم بالإمداد، وإدخال الفرح عليهم والإسعاد.

٦ - شجاعة القلب فى الأزمـات، وثباته فى الملمات، وقوته عند الكربات، وعدم انزعاجه للواردات، ومجانبة قلقه فى المصيبات.

٧ - تصفية القلب من الأحقاد، وتطهيره من الفساد، كالغلِّ وحسد الحُسّاد، وترك الانتقام من العباد، والحِلْم على أهل العناد.

٨ - اطِّراح فضول النظر والكلام، والخُلطة والمنام، والتوسط فى الأُمور على الدوام، ومجانبة الإسراف والتبذير فى كل أمر هام.

٩ - محاربة الفراغ، والقناعة من الدُّنيا بالبلاغ، وعدم الروغان مع من راغ، ومجافاة كل طاغٍ وباغٍ.

١٠- العيش فى حدود اليوم الحاضر، ونسيان أمس الدابر، وعدم الاشتغال بالغد؛ لأنّه فى حكم المسافر، فأمس ميت، واليوم مولود، وغداً للناظر.

١١- النظر إلى من هو دُونك فى المواهب، من الصحة والعلم والمكاسب، وكيف أنك فوقهم بفضل الواهب، وأن عندك ما ليس عندهم من المطالب.

١٢- نسيان ما مضى من الأكدار، والغفلة عما سبق من الأخطار، وتجاهل ما سبق فى الزمان وصار، فلا تفكر فيه ما تعاقب الليل والنهار، فهو كالزجاجة التى أصابها الانكسار.

١٣- وإن حَصُلَتْ نكبة، فقدر أسوأ ما يكون، ثم وطنْ نفسك على احتمالها فى سكون، واجعل التوكل على الله والركون، فإنّه كفاك ما كان وسيكفيك ما يكون.

١٤- ترك التوقع للأزمة، ولا تكن فيما يخاف منه فى غُمّة، فمن صدق مع ربه، كفاه ما أهمه، وما تدرى لعلَّ هذا اليوم لا تتمه.

١٥- واعلم أن الحياة قصيرة، فلا تقصرها بالأفكار الخطيرة، والهموم المثيرة، والأحزاب الكثيرة، فإن الحياة حياة الفرح والسرور ولله الخيرة.

١٦- وإن أصابك مكروه فقارن بين ما بقى وما فات؛ لتجد أنك فى نعم وخيرات، وأنّه بقيت لك مسرات، وأن ما عندك يزيد على ما فقدته مرات.

١٧- ولا تخف من كلام الحُسّاد، ولو كان غاية فى الخُبث والفساد، فما يُحْسَدُ إلاَّ مَنْ ساد، وليس عليك ضرر، إنّما الضرر على أُولئك الأوغاد، وسيكفيكهم الله إن الله بصير بالعباد.

١٨- واجعل أفكارك فيما يفيد، واجعل نصب عينيك كل أمر حميد. وإن حَسَنَتْ أفكارك فأنت سعيد؛ لأنك من صنعها كما يصنع الحديد.

١٩- ولا تُؤخِّر عمل اليوم إلى غدٍ، فتتراكم عليك الأعمال وتجهد، فلكل يوم عمل محدد، فكُنْ مع كل يوم مولود أمجد.

٢٠- وابدأ فى الأعمال بالأهم، وجوِّده حتى يتمَّ، وعليك بالكيف لا بالكم، واستخر الله قبل أن تهم، فإنّ العناية ثَمَّ.

٢١- وتخيّر من الأعمال ما يناسبك، وصاحب مَنْ على التقوى يُصاحبك، فإنّ صاحبك ساحبك، واعلم أن هناك رقيبًا يحاسبك.

٢٢- وتحدّث بالنعم الباطنة والظاهرة، والمواهب الباهرة، فإنّ التحدّث بها يطرد الهموم القاهرة، ويعيد السعادة النافرة.

٢٣- وعَاملِ الزوجة والولد والأقارب برؤية المناقب، ونسيان المثالب، فما من أحد إلا فيه معائب، ولو تركت كل ذى عيب، ما وجدت من تصاحب، يطيب جانب ويسوء جانب.

٢٤- عليك بكثرة الدُّعاء، والفأل وحسن الرجاء، ولا تيأس مهما عَظُمَ البلاء، واشتدت الظلماء، وكَثُرَ الأعداء، فإنَّ الأمر بيد رب الأرض والسماء.

٢٥- ولا تخف من الثقلين، ولو ملؤوا الخافقين، فإنّهم لن يضرونك إلاَّ بإذن رب العالمين، فنواصيهم فى قبضته وهو ذو الكيد المتين.

٢٦- وكل شىء بقضاء وقدر، فاصبر عند نزول المصاب أو فذر، فكل شىء فى أُمِّ الكتاب مسطر، وإذا وقع القضاء حار الفكر، وعمى البصر.

٢٧- ورُبَّ مكروه عندك نعـمة، نجاك الله به من نقـمة، وأحلَّك به صـهوة القمة، فلا تكره ما قدّره الله وأتمه.

٢٨- وتأسّ بالمصـابيـن، فـفى العـالم آلاف المنكوبين، والـناس بالكوارث مطلوبين، ومن النعم مسلوبين، وبالأقدار مغلوبين.

٢٩- وكل هذا الخلق يشكو دهره، ويبكى عصـره، ويندب أَمره، وقد أنهى بالهمٍّ عمره، فاعلم أَن مع كل تمرة جمرة.

٣٠- واعلم أن اليُسر مع العسر، ومع الصبـر النصر، وأن الغنى بعد الفقر، والعافية بعد الضُّرِّ، والدهر حلو ومر.

٣١- وعليك بالصبر الجمـيل، وتفويض الأمر إلى الجليل، والرضا بالقليل، والعمل بالتنزيل، والاستعداد ليوم الرحيل.

٣٢- واعلم أن فضـول العيش أشـغال، وكثـرة المال أغلال، وإقبـال الدنيا هموم وأثقال، وأن خير النعيم راحة البال.

٣٣- وكوز ماء ورغيف، على بساط نظـيف، مع كتاب شريف، أفضل من مُلك صنعاء إلى القطيف، وأهنأ من سُكنى القصر المنيف، وأين الملوك والدول يا لطيف!.

٣٤- ومَنْ وقع فى عِرضك وفجر، وأسمعك مـا يوجب الضَّجَر، فتجاهله ولا تجبه؛ حتى يندحر، والكلب لا يملأ فمه إلاَّ الحجر.

٣٥- وما رأيت مثل العـزلة، يملك فيها العبـد دينه وعقله، ويرتاح من كل سفيه وأَبله، فإن أكثر الناس لا يساوى بقلة، فالزم بيتك فلن تجد مثله.

٣٦- ولا يعجـبك إقبال الناس إليك، فإنـهم مع الدهر عليك، وما أتوا إلاَّ لمرادهم فيك، وما مضى من التجارب يكفيك.

٣٧- والبس الملابس البيض النقيّة، وعليك بالروائح الزكيّة، ومارس الرياضة البدنية، وَقَلِّلْ من شرب المنبهات الرديّة، وأدمن الأوراد الشرعية.

٣٨- وردِّد دعوة ذى النون، وأكثر ذكر المنون، وهوِّن الأمر يهون، ولا ترضى فى الدِّين الدنية، وارضَ من الدنيا بالدُّون، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون(١).

ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس

والمؤمن راضٍ بما قَسَمَ الله له من رزق، وما قُدر له من مواهب، وما وُهِبَ له من حظ؛ لأنه مؤمن بعدل الله فيما قَسمَ من أرزاق، وبحكمته فيما وَزَّعَ من مواهب، وبفضله ورحمته فيما وهب لعباده من حظوظ، وهذا هو معنى «القناعة» الذى حَثَّ عليه الدِّين، وأشاد به الحكماء والصالحون.

ولقد ظَلَم الناس - فيما ظلموا - كلمة «القناعة» فحسبوها الرضا بالدُّون، والحياة الهون، وضعف الهمة عن طلب معالى الأمور، وإماتة رغبة الطموح إلى الرُقى المادى والمعنوى، وتمجيد الجوع والفقر والحرمان.

وهذا كله خطأ واضح، وضلال بعيد. فالحق أن القناعة لا تعنى شيئًا من أوهام الكثيرين عنها. وإنما تعنى أول ما تعنى أمرين:

أولهما: إن الإنسان بطبيعته شديد الطمع والحرص على الدنيا لا يكاد يشبع منها أو يرتوى، وقد صوَّر ذلك الحديث النبوى: «**لو كان لابن آدم واديان من ذهب، لابتغى ثالثًا، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب**»(٢).

وكان لابد للدين أن يهديه إلى الاعتدال فى السعى للغنى، والإجمال فى طلب الرزق، وبذلك يضمن التوازن فى نفسه وفى حياته، ويمنحه السكينة التى هى سرُّ السعادة، ويجنبه الإفراط والغلو الذى يُرهق النفس والبدن معًا، ومن ثمَّ قال ﷺ : «**إنَّ رُوحَ القُدسِ نَفَثَ فى روعُى، أن نَفْسًا**

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٥٠-٥٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٣٦) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٩) كتاب الزكاة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

لنْ تَموتَ حتى تَستَكْملَ أجَلها، وتَستوعْبَ رزقَها، فاتقوا الله، وأجملوا فى الطَّلب، ولا يَحملنَّ أحدكُم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلُبَهُ بمعصيةِ الله، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته»(١).

ولو تُرِك الإنسان يستسلم لنزعات حرصه وطمعه، لأصبح خطرًا على نفسه وجماعته، فكان لابد من توجيه طموحه إلى قِيَمٍ أرفع، ومعان أخلد، ورزق أبقى، وذلك هو وظيفة الدين معه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٢) ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾(٣).

وظيفة الإيمان هنا أن يَحدَّ من ثورة الحرص والطمع، وطغيان الشراهة والجشع على النفس البشرية فلا تستبد بها وتجعلها تحيا فى قلق دائم، لا تكتفى بقليل، ولا تشبع من كثير، لا يطفىء غلة ظمئها ما عندها فتمتد عينها إلى ما عند غيرها، ولا يُشبعها الحلال فيسيل لعابها إلى الحرام، مثل هذه النفس لا ترضى ولا تستريح، إنها كجهنم - أعاذنا الله منها - تلتهم الملايين فى جوفها، ثم يُقال لها: ﴿هَلِ امْتَلَأْتِ﴾؟!.. ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟!(٤).

وظيفة الإيمان أن يُوجِّه النفوس إلى القِيَم المعنوية الخالدة، وإلى الدار الآخرة الباقية، وإلى الله الحى الذى لا يموت، ويعلم المؤمن أن الغنى - إن

(١) **صحيح**: رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/٢٧)، من حديث أبى أمامة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).

(٢) سورة طه: آية (١٣١).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٤، ١٥).

(٤) سورة ق: آية (٣٠).

كان ينشد الغنى- ليس فى وفرة المال وكثرة المتاع الأدنى، وإنما هو فى داخل النفس أولاً، وبذلك ورد فى الحديث: «ليس الغِنى عن كثرة العَرض، إنما الغِنَى غَنى النفس»(١).

وثانى ما تعنيه القناعة. أن يرضى الإنسان بما وهب الله له مما لا يستطيع تغييره، وفى حدود ما قُدِّر له يجب أن يكون نشاطه وطموحه، فلا يعيش متمنيًا ما لا يتيسر له، متطلعًا إلى ما وُهِبَ لغيره ولم يُوهَب له، وذلك كتمنى الشيخ أن يكون له قوة الشباب، وتطلع المرأة الدميمة إلى الحسناء فى غيرة وحسد. ونظرة الشاب القصير إلى الرجل الطويل فى حسرة وتلهف، وطموح البدوى الذى يعيش فى أرض قفراء بطبيعتها إلى رفاهية الحياة وأسباب النعيم، وكما حدث فى عهد الرسول حين تمنى النساء أن يكُنَّ لهن ما للرجال، فأنزل الله: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾(٢)(٣).

* فالشاهد أنه ينبغى عليك أن ترضى بما قسم الله لك من المال والجمال والذكاء والصحة والزوجة والأولاد والمسكن... حتى تعيش سعيدًا راضيًا عن الله - جلَّ وعلا-.

* ولعلنا نعلم جميعًا أن الأنبياء والمرسلين - صلوات ربى وسلامه عليهم- كلٌّ منهم رعى الغنم بل كان زكريًّا نجارًا وإدريس خياطًا، وداود حدَّادًا.. وما نقص ذلك من قدرهم ومكانتهم عند الله - جل وعلا-.

* وهناك قائمة رائعة من العظماء الذين بخسوا حظوظهم الدنيوية:

عطاء بن رباح عالم الدنيا فى عهده، مولى أسود، أفطس، أشل، مفلفل الشعر.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٤٦) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥١) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة النساء: آية (٣٢).

(٣) الإيمان والحياة (ص: ١٣٧-١٣٩) بتصرف.

الأحنف بن قيس، حليم العرب قاطبة، نحيف الجسم، أحدب الظهر، أحنى الساقين، ضعيف البنية.

الأعمش مُحدِّث الدنيا، من الموالى، ضعيف البصر، فقير ذات اليد، ممزق الثياب، رثَّ الهيئة والمنزل.

* فقيمة المرء ما يُحسن... قيمتك فى عملك الصالح وما تقدمه لخدمة دينك وبلدك وأسرتك.. وليست قيمتك فى المال والجاه والقوة والجمال.. فارض بما قسم الله لك، تكن أغنى الناس.

بإمكانك أن تكون مؤثرًا ولو لم تحصل على شهادة علمية

لا تحزن ولا تهتم ولا تغتم لأنك لم توفق فى الحصول على أعلى الشهادات الجامعية فإنها ليست دليلاً على نجابتك وإبداعك وتفوقك... فأنت تستطيع - بإذن الله - أن تكون مؤثرًا وأن تقدم للأمة الإسلامية الخير الكثير والكثير ولو لم تكن صاحب شهادة علمية.

* وأنا أذكر لك على سبيل المثال عددًا من العباقرة الذين قدَّموا الخير الكثير للأمة مع أنهم لم يكونوا من أصحاب الشهادات العلمية.

* فها هو قتادة وعطاء وسعيد بن جبير والبخارى والترمذى وأبو حنيفة كانوا من الموالى... بل ومن العلماء والعباقرة مَنْ أُصيب بالعمى فصار بحرًا من بحور الشريعة كابن عباس وابن أمِّ مكتوم، وقتادة، ويزيد بن هارون، والأعمش وغيرهم... بل ومن العصر الحاضر من أُصيب بالعمى وكان بحرًا من بحور العلم مثل الشيخ: ابن باز، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبد الله بن حُميد وغيرهم.

* إذًا فلا تحزن إن لم يكن لك حظ ولا نصيب من الشهادات الجامعية

وابدأ من الآن فى طلب العلم الشرعى أو حتى العلم الدنيوى الذى تستطيع من خلاله أن تقدم الخير الكثير لدينك ولبلدك... واعلم أنك إذا أخلصت النية لله فسيجعل الله لكلامك بركة وتأثيرًا فى قلوب الناس.. فلا تحزن.

ابدأ يومك بالحُب

إذا أردت السعادة والراحة والأمن والطمأنينة، فابدأ يومك بالحب، ولا تعكّر صفو يومك بالكراهية والأحقاد..

* انشر محبتك للناس جميعًا، ولا تبخل بمحبتك على أحد من أهل الإيمان.

* إذا أحببت الناس، فإنك بذلك تخدم نفسك، وتقدم لها الحياة والأمن والسعادة.

* أنت المستفيد الأول من محبتك للناس.

* عندما تستيقظ من نومك، اعزم على أن تبدأ يومك بالحُب، وذكّر نفسك بعزمك على أن تكون ودودًا فى كل الأمور.

* اجعل تصرفاتك واختياراتك نابعة من قرارك بأن تكون ودودًا وصبورًا وعطوفًا ورقيقًا.

* ابذل جهدك فى أن تكون كريمًا ومجاملاً ومتواضعًا.

* لا تكثر من نقد الآخرين فى الأمور التى يسع فيها الخلاف، وتختلف فيها وجهات النظر.

* أكثِر من التأمل فى الأشياء.

* راجع نفسك.

* أخبر من حولك بحُبِّك لهم.

* إذا كان لابد من الانتقاد، فأشعر مَنْ تنتقده بحُبِّك له أولاً.

* الخلاف ليس معناه العداوة.

* كن معتدلاً فى محبتك.

* إذا بدأت يومك بالحُب، فسوف تعيش يومك بالحب وسوف تختمه بالحُبّ(١).

السفر يُذهب الهموم

* إن الحياة الروتينية تجلب للعبد الملل والسآمة ولذلك فإن الإنسان يحتاج بين الحين والحين إلى أن ينطلق فى أرض الله الواسعة؛ ليستمتع بالمناظر الطبيعية الخلابة بعيدًا عن أماكن المعصية؛ حتى يتجدد نشاطه ويسعد قلبه فيعود إلى عمله وعبادته كأنشط ما يكون.

قال أحدهم: السفرُ يُذهب الهموم.

قال الحافظ الرامهرمزى فى كتابه «المحدث الفاضل»، فى بيان فوائد الرحلة فى طلب العلم والمُتع الحاصلة بها، ردًّا على مَنْ كره الرحلة وعابها ما يلى:

«ولو عرف الطاعن على أهل الرحلة مقدار لذَّة الراحل فى رحلته ونشاطه عند فصوله من وطنه، واستلذاذ جميع جوارحه، عند تصرُّف لحظاته فى المناهل والمنازل، والبواطن والظواهر، والنظر إلى دساكر الأقطار وغياظها، وحدائقها، ورياضها، وتصفُّح الوجوه، ومشاهدة ما لم ير من عجائب البلدان، واختلاف الألسنة والألوان، والاستراحة فى أفياء الحيطان، وظلال الغيطان، والأكل فى المساجد، والشرب من الأودية، والنوم حيث يدركه الليل، واستصحاب مَن يحبُّهُ فى ذات الله بسقوط الحشمة، وترك التصنُّع، وكل ما يصل إلى قلبه من السرور عن ظفره ببغيته، ووصوله إلى مقصده وهجومه على المجلس الذى شمَّر له، وقطع الشُّقَّة إليه - لعلَّمه أنَّ

(١) لا تحزن وكُنْ مطمئنًا إعداد القسم العلمى بدار الوطن (ص: ٢٢٧ ، ٢٢٨).

لذَّات الدنيا مجموعة فى محاسن تلك المشاهد، وحلاوة تلك المناظر، واقتناص تلك الفوائد التى هى عند أهلها أبهى من زهر الربيع، وأنفسُ من ذخائر العِقيان، من حيث حُرِمها الطاعن وأشباهه».

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

والمعنى أن تذكر نعم الله عليك فإذا هى تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾(١) صحة فى بدن، أمنٌ فى وطن، غذاءٌ وكساء، وهواءٌ وماء، لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(٢) عندك عينان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان ﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(٣) هل هى مسألة سهلة أن تمشى على قدميك، وقد بُتِرَت أقدام، وأن تعتمد على ساقيك، وقد قُطعت سوق، أحقير أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألمُ نوم الكثير، وأن تملأ معدتك من الطعام الشهى، وأن تكرع من الماء البارد وهناك مَنْ عكّر عليه الطعام، ونُغّص عليه الشراب بأمراض وأسقام. تفكر فى سمعك وقد عوفيت من الصمم، وتأمل فى نظرك وقد سلمت من العمى، وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البَرص والجُذام، والمح عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تفجع بالجُنون والذُّهول.

أتريد فى بصرك وحده كجبل أُحد ذهبًا، أتحب بيع سمعك وزن ثهلان فضة، هل تشترى قصور الزهراء بلسانك فتكون أبكم، هل تُقايض بيديك مقابل عقود اللؤلؤ والياقوت؛ لتكون أقطع، إنك فى نعم عميمة وأفضال جسيمة، ولكنك لا تدرى، تعيش مهمومًا مغمومًا حزينًا كئيبًا وعندك الخبز

(١) سورة النحل: آية (١٨).
(٢) سورة لقمان: آية (٢٠).
(٣) سورة الرحمن: آية (١٦).

الدافئ، والماء البارد، والنوم الهانئ، والعافية الوارفة، تتفكر فى المفقود ولا تشكر الموجود، تنـزعج من خسارة مـالية وعندك مفـتاح السعـادة، وقناطير مقنطرة من الخير والمواهب والنِّعم والأشياء، فكّر واشكر، ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾(١) فكّر فى نفسك، وأهلك، وبيـتك، وعملك، وعـافيـتك، وأصدقائك، والدنيا من حولك ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(٢)(٣).

تخيل الجنة.. وسيهون عليك كل بلاء

لا ينبغى للمؤمن أن ينزعج من مرضٍ أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك ذلك، إلا أنه ينبغى التصبر مـهما أمكن؛ إما لطلب الأجر بما يُعانى، أو لبيان أثر الرضا بالقضاء، وما هى إلا لحظات ثم تنقضى.

وليتفكّر المُعافَى من المرض فى الساعات التى كان يقلق فيها: أين هى فى زمان العافية؟!

ذهب البلاء وحَصَلَ الثـواب، كما تذهب حلاوة اللذات المحـرمة ويبقى الوزر، ويمضى زمان السخط بالأقدار ويبقى العتَاب.

وهل الموت إلا آلام تزيد فتعجز النفس عن حملها فتذهب؟

فليتصور المريض وجود الراحة بعد رحـيل النفس وقدمان ما يلقى، كما يتصور العافية بعد شرب الشَّربة المُرّة.

ولا ينبغى أن يقع جزع بذكر البـلى، فإن ذلك شأن المركب، أما الراكب ففى الجنة أو النار.

وإنما ينبـغى أن يقع الاهتمـام الكلّى بما يزيد فى درجات الـفضائل قـبل نزول المعوّق عنهـا.. فالسعيـد مَنْ وُفّقَ لاغتنام العافـية، ثم يختار تحـصيل

(١) سورة الذاريات: آية (٢١).

(٢) سورة النحل: آية (٨٣).

(٣) ثلاثون سببًا للسعادة/ للشيخ عائض القرنى (ص: ٥، ٦).

الأفضل فالأفضل فى زمن الاغتنام.

وليعلم أن زيادة المنازل فى الجنة على قدر التزيّد من الفضائل هاهنا. والعمر قصير، والفضائل كثيرة، فليبالغ فى البدار، فيا طول راحة التَّعِب!، ويا فرحة المغمور، ويا سرور المحزون!.

ومتى تخايل دوام اللذة فى الجنة من غير منغّص ولا قاطع؛ هان عليه كل بلاء وشدة(١).

لا تحزن وابتسم للحياة

ما أجمل البسمة حين تخرج من القلب فتُنير الوجه وتجعله كالشمس الساطعة فى رابعة النهار.

* إن البسمة بلسمٌ للهموم والأحزان.. وحسنات تُوضع فى ميزان العبد بلا نُقصان.

- لقد كان النبى ﷺ يبتسم بل ويضحك أحيانًا حتى تبدو نواجذه.

- وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: إنى لأضحك حتى يكون إجمامًا لقلبى.

* قال ﷺ: «**تبسُّمُكَ فى وجه أخيك لك صدقة...**»(٢).

ما أكثر الصدقات التى نضيعها بسبب التجهم والعبوس وتقطيب الوجه..

إن بعض الناس يظن أنه إذا ابتسم للناس قلّت هيبته، وأنه إذا عبس فى وجوههم وتجهم، ازداد احترامهم له. وهذا خطأ فى الفهم والتصور؛ لأن الناس لا يحترمون مَنْ هذا حاله، بل يتجنبونه ويفرون منه.

والابتسامة تنفع صاحبها قبل غيره، فبسببها يشرق الوجه، ويتدفق الدم

---

(١) «صيد الخاطر» ص(٤٥٧ ، ٤٥٨).

(٢) حسن: رواه الترمذى (١٩٥٦) كتاب البر والصلة، من حديث أبى ذر، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٧٢).

إليه، ويظهر بريق العينين، وهى بمثابة تمرين لعضلات الوجه.

إن البسمة تسرى فى النفس، فتشيع فيها الأمن والفرح والسرور، وهى تُذهب الأحقاد، وتقضى على العداوات والبغضاء، فهى بمثابة هدية يهديها المبتسم إلى المبتسَم له، فلا تحرم نفسك أخى من فضيلة «الابتسام» تَسْعد وتُسعد الآخرين..

قال السماء كئيبة وتجّهما
قلت ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال الصبا ولّى فقلت له ابتسم
لن يُرجع الأسف الصِّبا المتصرما
قلت ابتسم واطرب فلو قارنتها
قضيت عمرك كلَّه متألما
قال الليالى جرّعتنى عَلْقما
قلت ابتسم ولئنْ جَرعَت العلقما
فلعلَّ غيرك إن رآك مُرنّمًا
طرح الكآبة جانبًا وترنَّما
أتراك تغنم بالتبرّم درهمًا
أم أنت تخسرُ بالبشاشة مغنما؟(١)

* ونحن نعلم أن الإسلام دين الوسطية والاعتدال فى كل شىء، فلا يعيش المسلم عبوسًا مخيفًا، ولا يقهقه دائمًا بلا انقطاع وإنما يتوسط بين هذا وذاك بلا إسراف ولا تقتير.

قال ﷺ: «لا تُكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تُميت القلب»(٢).

---

(١) لا تحزن وكُنْ مطمئنًا / دار الوطن (ص: ١٠٥ ، ١٠٦).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٩٣) كتاب الزهد، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٠٦).

– ونحن نعلم أن من نعيم أهل الجنة الضحك ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾[(١)].

يقول أحمد أمين فى «فيض الخاطر»: «ليس المتبسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط، بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التى تنفعهم وتنفع الناس.

لو خُيِّرتُ بين مال كثير أو منصب خطير، وبين نفسٍ راضية باسمة، لاخترت الثانية، فما المال مع العبوس؟! وما المنصب مع انقباض النفس؟! وما كل ما فى الحياة إذا كان صاحبه ضيِّقًا حرَجًا، كأنه عائد من جنازة حبيب؟! وما جمال الزوجة إذا عبست وقلَبت بيتها جحيمًا؟! لخَيرٌ منها – ألفَ مرة – زوجة لم تبلغ مبلغها فى الجمال وجعلت بيتها جنَّة.

ولا قيمة للبسمة الظاهرة إلا إذا كانت منبعثة مما يعترى طبيعة الإنسان من شُذوذ، فالزَّهر باسِم والغابات باسمة، والبحار والأنهار والسماء والنجوم والطيور كلها باسمة. وكان الإنسان بطبعه باسمًا، لولا ما يُعرض له من طمع وشرٍّ وأنانية تجعله عابسًا، فكان بذلك نشازًا فى نغمات الطبيعة المنسجمة. ومن أجل هذا لا يرى الجمالَ مَن عبست نفسه، ولا يرى الحقيقة مَنْ تدنَّس قلبه، فكل إنسان يرى الدنيا من خلال عمله وفكره وبواعثه. فإذا كان العمل طيبًا، والفكر نظيفًا، والبواعث طاهرة، كان منظاره الذى يرى به الدنيا نقيًّا، فرأى الدنيا جميلة كما خُلقت، وإلاَّ تغبَّش منظاره، واسودَّ زجاجُه، فرأى كل شىء أسود مغبشًا.

هناك نفوس تستطيع أن تصنع من كل شىء شقاء، ونفوس تستطيع أن تصنع من كل شىء سعادة... هناك المرأة فى البيت لا تقع عينها إلا على

---

(١) سورة المطففين: آية (٣٤).

الخطأ، فاليوم أسود؛ لأنَّ طبقًا كُسِر، ولأن نوعًا من الطعام زاد الطاهى فى مِلْحِه، أو لأنها عثرت على قطعة من الورق فى الحجرة، فتهيج وتسبُّ، ويتعدى السباب إلى كلٍّ من فى البيت، وإذا هو شعلة من نار، وهناك رجل ينغِّص على نفسه وعلى مَن حوله، مِن كلمة يسمعها أو يؤوِّلها تأويلاً سيِّئًا، أو من عملٍ تافه حدث له، أو حدث منه، أو من رِبْح خسره، أو مِنْ ربح كان ينتظره فلم يحدث، أو نحو ذلك، فإذا الدنيا كلها سوداء فى نظره، ثم هو يسوِّدها على مَن حوله، هؤلاء عندهم قدرة على المبالغة فى الشر، فيجعلون من الحبَّة قُبَّةً، ومن البذرة شجرة، وليس عندهم قدرة على الخير، فلا يفرحون بما أُوتوا ولو كان كثيراً، ولا ينعمون بما نالوا ولو كان عظيمًا.

الحياة فنٌّ، وفنٌّ يُتَعلَّم، ولَخيرٌ للإنسان أن يَجِدَّ فى وضع الأزهار والرياحين والحُبِّ فى حياته، من أن يجدَّ فى تكديس المال فى جيبه، أو فى مصرفه. ما الحياة إذا وُجِّهتْ كل الجهود فيها لجمع المال، ولم يُوجَّه أى جهد؛ لترقية جانب الجمال والرحمة والحُبِّ فيها؟!

أكثر الناس لا يفتحون أعينهم لمباهج الحياةَ، وإنما يفتحونها للدرهم والدينار، يمرُّون على الحديقة الغَنَّاء والأزهار الجميلة والماء المتدفِّق، والطيور المغرِّدة، فلا يأبهون لها، وإنما يأبهون لدينار يأتى ودينار يخرج. قد كان الدينار وسيلة للعيشة السعيدة، فقلَّبوا الوضع وباعوا العيشة السعيدة من أجل الدينار، وقد رُكِّبتْ فينا العيون لنظر الجمال، فعوَّدناها ألا تنظر إلاَّ إلى الدينار.

ليس يُعبِّس النفس والوجه كاليأس، فإنْ أردتَ الابتسام فحارب اليأس. إن الفرصة سانحة لك وللناس، والنجاح مفتوحٌ بابُه لك وللناس، فعوِّدْ عقلك تَفتُّح الأمل وتوقُّعَ الخير فى المستقبل.

إذا اعتقدتَ أنك مخلوق للصغير من الأمور، لم تبلغ فى الحياة إلا

الصغير، وإذا اعتقدتَ أنك مخلوقٌ لعظائم الأمور شعرتَ بهمَّةٍ تكسر الحدود والحواجز، وتنفذ منها إلى الساحة الفسيحة والغرض الأسمى، ومصداق ذلك حادث في الحياة المادية، فمَنْ دخل مسابقة مائة متر، شعر بالتعب إذا هو قطعها، ومَنْ دخل مسابقة أربعمائة متر، لم يشعر بالتعب من المائة والمائتين. فالنفس تعطيك من الهمَّة بقدر ما تحدِّد من الغرض. حدِّدْ غرضك، وليكنْ ساميًا صعب المنال، ولكن لا عليك فى ذلك مادمتَ كل يوم تخطو إليه خطوًا جديدًا. إنما يصدُّ النفس ويعبِّسها ويجعلها فى سجن مظلم: اليأسُ وفُقدان الأمل، والعيشة السيئة برؤية الشرور والبحث عن معايب الناس والتشدُّق بالحديث عن سيئات العالمَ لا غير.

وليس يُوفَّق الإنسانُ فى شىء كما يُوفَّقُ إلى مُرَبٍّ ينمّى ملكاته الطبيعية، ويعادل بينها ويوسِّع أُفقَهُ، ويعوِّده السماحة وسَعة الصدر، ويعلِّمه أن خير غرض يسعى إليه أن يكون مصدرَ خير للناس بقدر ما يستطيع، وأن تكون نفسه شمسًا مشعَّة للضوء والحُب والخير، وأن يكون قلبه مملوءًا عطفًا وبرًّا وإنسانية، وحبًّا لإيصال الخير لكل مَنْ اتصل به.

يقول إيليا أبو ماضى:

قال: «السماءُ كئيبةٌ!» وتجهَّما
قلتُ: ابتسمْ يكفى التجهُّمُ فى السماء!
قال: الصِّبا ولَّى! فقلتُ لهُ: ابتسم
لن يُرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرِّما!
قال: التى كانتْ سمائى فى الهوى
صارتْ لنفسى فى الغرام جَهنَّما
خانتْ عهودى بعدما ملَّكتُها
قلبى، فكيفَ أُطيقُ أن أتبسَّما!

قلتُ: ابتسمْ واطـرَبْ فلو قـارنْتهـا
قـضَـيْتَ عـمـرَكَ كلَّه مـتـألِّـمـا!
قـال: التِّـجـارةُ فـى صـراع هائل
مثـلُ المسافـرِ كـادَ يقـتلهُ الظَّـمَـا
أو غـادةٍ مـسْلولةٍ مـحـتـاجـة
لدمٍ، وتَّنفُث كلمـا لـهـثتْ دَمَـا!
قلتُ: ابتسمْ مـا أنتَ جـالبَ دائهـا
وشـفـائهـا، فإذا ابتـسـمتَ فربَّمـا...
أيكونُ غـيـرُكَ مجـرمًـا، وتبيتُ فى
وجَلٍ كـأنكَ أنتَ صـرتَ المُجْـرمـا؟
قال: العِـدى حولى عَلَتْ صيـحاتُهمْ
أَأُسَـرُّ والأعـداءُ حـولىَ فى الحـمَى؟
قلتُ: ابتــسمْ، لم يطلبـوك بـذمِّـهمْ
لو لـم تكُنْ منـهمْ أجلَّ وأعـظمـا!
قـال: المواسـمُ قـد بَدَتْ أعـلامُـهـا
وتعـرَّضـتْ لى فى الملابـس والدُّمى
وعلـىَّ للأحـبـاب فـرضٌ لازمٌ
لكـنَّ كـفِّى ليس تملكُ درهـمـا
قلتُ: ابتـسمْ، يكـفـيكَ أنَّك لم تزلْ
حـيًّـا، ولست من الأحبَّـةِ مُعـدمـا!
قـال: الـليـالى جـرَّعـتـنى علقـمًـا
قلتُ: ابتـسمْ ولئنْ جـرعتَ العلقمـا
فلـعلَّ غـيـرَكَ إنْ رآكَ مُـرنِّمًـا
طَرَحَ الـكآبةَ جـانبًـا وترنَّمـا

أَتُراكَ تـغنمُ بـالتـبـرم درهمًـا
أم أنتَ تخسـرُ بالبشاشـةِ مغنما؟
يا صـاح، لا خَطَرٌ على شـفتـيك أنْ
تتـثلَّـمـا، والـوجـهِ أنْ يتـحطَّمـا
فاضحكْ فإنَّ الشّهْبَ تضحكُ والدُّجَى
مـتـلاطِمٌ، ولذا نـحبُّ الأنجُـمـا!
قـال: البشـاشـةُ ليس تُسـعِـدُ كـائنًا
يأتى إلى الـدنيا ويذهـبُ مُـرْغَـمـا
قلت: ابـتـسم مـادامَ بينكَ والردى
شـبـرٌ، فـإنَك بعـدُ لـنْ تتبسَّـمـا

لا تحزن.. وأحسِن الظن بالله

إن من أعظم النعم أن يحسن العبد ظنه بالله - جلَّ وعلا-.

* ففى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ : **«يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى[1]، وأنا معه إذا ذكرنى[2]، فإن ذكرنى فى نفسه، ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملإ، ذكرته فى ملإ خير منهم. وإن تقرب إلىَّ شبرًا، تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إلىَّ ذراعًا، تقربت إليه باعًا[3]، وإن أتانى يمشى أتيته هرولةً»** [4].

* وعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ : أن الله - عزَّ وجلَّ- قال:

---

(١) معنى قوله: «أنا عند ظن عبدى بى»: المراد بالظن هنا: العلم. قاله ابن أبى جمرة، وقال القرطبى معنى: «ظن عبدى بى»: ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار.

(٢) وقوله: «وأنا معه إذا ذكرنى» قال الحافظ ابن حجر: بعلمى.

(٣) والباع: قدر مد اليدين وما بينهما من البدن.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى هريرة ﷺ.

«أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله»(١).

* وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتَن أحدُكم إلاَّ وهو يُحسن الظَّنَّ بالله -عزَّ وجلَّ-»(٢).

* ولذلك كان حسن ظن النبي ﷺ بالله - جلَّ وعلا- لا يستطيع أحد أن يصفه مهما أُوتي من جوامع الكلم... وحسبه أنه لما كان في الغار - كما في الصحيحين - قال له أبو بكر رضي الله عنه: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثُهُمَا»(٣).

* ذكر ابن الوزير في كتابه «العواصم والقواصم»: «إن الرجاء في رحمة الله - عزَّ وجلَّ- يفتح الأمل للعبد، ويقوِّيه على الطاعة، ويجعله نشيطًا في النوافل سابقًا إلى الخيرات».

* وعن سهل القطعي، قال: «رأيت مالك بن دينار - رحمه الله - في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري، ماذا قَدمت به على الله - عزَّ وجلَّ-؟ قال: قَدِمت بذنوب كثيرة فمحاها عني حُسن الظنِّ بالله»(٤). وأنشد محمود الورَّاق:

حُسن ظنِّي بحسن عفوك يا
ربِّ جميل وأنت مالكُ أمري
صُنت سري عن القرابة والأهـ
ـل جميعًا وكنت موضع سري
ثقة بالذي لديك من السـتـ
ـر فلا تُخزني يوم نشري

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٨٣٣)، وصححه العلاَّمة الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٤٣١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨١) كتاب فضائل الصحابة من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) حُسن الظن بالله (ص ٩٦).

يوم هتك الستور عن حجب الغيـ
ـب فلا تهتكنَّ للناس سترى
لقنىِّ حُجتى وإن لم تكن يا
ربِّ لى حجة ولا وجه عذر(١)

* وقال أحمد بن العباس النمرى:

وإنى لأرجو الله حتى كأننى
أرى بجميل الظنِّ ما الله صانعُ

إياك أن تسيء الظن بالله - جلَّ وعلا -

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: أكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم، فقَلَّ من يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته، وهو موجب حكمته وحمده، فليعتنِ اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله تعالى ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

* قال الشاعر:

فلا تُظننَّ بربك ظنَّ سوء
فإنَّ الله أولى بالجميل
ولا تظننَّ بنفسك قطُّ خيرًا
فكيف بظالم جانٍ خجول
وظُنَّ بنفسك السوء تجدها
كذلك خيرها كالمستحيل
وما بك مِنْ تُقَى فيها وخير
فتلك مواهب الربِّ الجليل

---

(١) حُسن الظن بالله (ص١١٦).

وليس لهـــا ولا منهـــا ولـكن

من الرحـــمن فـــاشكر للـدليل[١]

* **عن عبد الله بن المبارك قال:** «جئت إلى سُفيان عـشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان، فبكيت، فالتفت إليَّ، فقال: ما شأنك؟ فقلت: مَنْ أسوأ هذا الجـمع حالاً؟ قال: الذى يظن أن الله - عزَّ وجلَّ - لا يغـفر لهم»[٢].

لا تحزن.. وانتظر الفرج

إن من أفضل العبادات انتظار الفرج.

- قد يقع الإنسان فى معصيـة وينتظر متى يتوب الله عليه... وقد يُتهم تهمـة وهو برىء فينكسـر قلبه ويبكـى ويدعو ربه - جلَّ وعلا -؛ لـيُظهر براءته.. وقد يقع فى شدة وبلاء فـيُحسن الظنَّ بالله ويعلم يقينًا أنه سـيأتيه بالفرج.

* وسأذكر لكم أمثلة ترسم لنا تلك الصورة الوضيئة لانتظار الفرج.

ها هو أشدُّ بلاء تعرض له الحبيب ﷺ طُوال حياته.

هل تتـصور أيهـا الأخ الحبـيب.. وأيتـها الأخت الفـاضلة أن الحبـيب المصطفى ﷺ يُتهم فى عِرضه؟!!!

الحبيب ﷺ الذى فاضت طهارته على الكون كله يُتهم فى عرضه!!!

الحبيب الذى يحافظ على حُرمات المسلمين يُتهم فى حُرمته!!!

ومَنْ هى التى اتهمـوها؟ إنها عائشة رضي الله عنها تلكم الزهرة الطاهرة الصـافية التى نبتت فى حقل الإسلام، وسُقيت بماء الوحى.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص٦٧٥).

(٢) حُسن الظن بالله لابن أبى الدنيا (ص ٩٢).

يُتهم الحـبيب ﷺ فى زوجته وحبـيبته عـائشة رضي الله عنها وعلى الرغم من ذلك يصبر ويحتسب.

وتظل عائشة رضي الله عنها تبكى شـهرًا كاملاً؛ حتى كاد البكاء أن يمـزق كبدها لأنها طُعِنَتْ فى عـرضها وشرفـها وهى العفيـفة الطاهرة... وتجلس تنتظر الفـرج وإذا بالنبى ﷺ يأتى إليـهـا وهى عند والديهـا... ومـا هى إلا لحظات حتى ينزل الوحى على النبى ﷺ لـيخبره ببراءة أمنا عـائشة ويتلو النبى ﷺ على سمعها آيات البـراءة من سورة النور وتبكى أمنا عائشة من شدة الفرح، فقد جاء الفرج من عند الله - جلَّ وعلا-.

* وها هم الثـلاثة الذين تَـخلَّفُـوا عن غـزوة تبـوك وأمـر النبى ﷺ أصحابه ألاَّ يكلمـوهم خمسين ليلة؛ حتى ضـاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجـأ من الله إلا إليه، فجاء الفرج من عند الله - جلَّ وعلا-.

* فإذا كنت فى شدة.. أو ظلمك أحد من البـشر... أو اتهمت ظُلمًا وزورًا فاصبر واحـتسب وانتظر الفرج، فسوف يأتيك قـريبًا من عند الرحيم الرحمن - جلّ وعلا-... فلا تحزن.

لا تحزن فقدوتك
هو أسعد رجل فى العالم ﷺ

السعادة كل السعادة فى اتباع النبى ﷺ والشقاء كل الشقاء فى مفارقة هُداه وترك سُنته... فكيف تحزن وقدوتك هو أسعد رجل فى العالم كله ﷺ؟!

- نعم كان أسـعد الناس رغم حياة الزهد والـتقشف التى عاشـها النبى ﷺ... نام على الحصـير حتى أثَّر الحصـير فى جنبه الشـريف... جاع حتَّى ربط علـى بطنه حجرًا من الجُـوع.. مات أولاده وبناته فى حـياته إلاَّ فاطمة - عليها السـلام - ماتت بعده ﷺ ... أُوذى أشد الإيذاء، وقُتل

عدد كبير من أصحابه وعُذِّب أكثرهم عذابًا شديدًا... طُرِدَ من مكة... اتُهِمَ في عرضه...، عانى من الألم والمرض... دُبرت المؤامرات لقتله... ومع ذلك كان أسعد رجل في العالم ﷺ، لأنه كان أعرف الناس بالله وأخشى الناس لله وأعبد الناس لله... فلا تحزن مادُمت تسير على هديه ﷺ.

لا تحزن فإن الأيام دُولٌ

لا تحزن إذا كنت اليوم مهزومًا، فالأيام دُولٌ وقد يأتيك النصر في وقتٍ قريب.. فما بين غمضة عين وانتباهتها يبدل الله من حالٍ إلى حال.

– وتأمل معي ما حدث للنبي ﷺ وأصحابه في مكةَ وكيف خرج النبي ﷺ مطرودًا من مكة وهو يبكي ويقول: «**والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**»(١).

وما هي إلا سنوات معدودات؛ حتى يعود النبي ﷺ إلى مكةَ فاتحًا منتصرًا – في يوم فتح مكة.

– وفي هذا اليوم يأتي بلال الذي كانت الصخور العظيمة تُوضعُ على صدره ويُعذَّب.. وإذا به اليوم يصعد فوق الكعبة؛ ليؤذن أمام صناديد قريش ولا يستطيع واحد منهم أن يتكلم بكلمة واحدة.

* ولا تحزن إذا كنت اليوم فقيرًا.. فعسى الله أن يغنيك من فضله في الدنيا.. وإن لم يكن هذا فسوف تنسى كل فقر وبلاء مع أول غمسة في الجنة ثم يَجبر الله كسرك في جنته التي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

* ولا تحزن إذا كنت مريضًا.. فغدًا يأتيك الله بالشفاء.. وإن لم يأتك

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٩٢٥) كتاب المناقب، وابن ماجه (٣١٠٨) كتاب المناسك، وأحمد (١٨٢٤٠)، من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٠٨٩).

بالشفاء فلك الأجر والثواب الذى لا يخطر على قلب بشر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

يُروَى أنّ أحمد بن حنبل -رحمه الله- زار بقى بن مخلد فى مرض له، فقال له: «يا أبا عبد الرحمن، أبشر بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السَّقم لا صحَّة فيها..».

والمعنى: أن أيام الصحة لا يعرض المرض فيها بالبال، فتقوى عزائم الإنسان، وتكثر آماله، ويشتدُّ طموحه. وأيام المرض الشديد لا تعرض الصحة بالبال، فيُخيِّم على النفس ضعف الأمل، وانقباض الهمَّة وسلطان اليأس. وقول الإمام أحمد مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(٢).

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «يخبر الله تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلاَّ مَنْ رحم الله من عباده المؤمنين، أنه إذا أصابته شدَّة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفرٌ وجحودٌ لماضى الحال، كأنه لم يرَ خيرًا ولم يرجُ فرجًا.

وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة: ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾. أى يقول: ما ينالنى بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾. أى فرح بما فى يده، بطر فخور على غيره. قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(٣).

---

(١) سورة الزمر: آية (١٠).

(٢) سورة هود: آية (٩-١١).

(٣) لا تحزن (ص: ١٦٥ ، ١٦٦).

* قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله-:

اعلم أن الزمان لا يثبت على حال؛ كما قال عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(١) .

فتارة فقر، وتارة غِنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالى، وتارة يشمت الأعادى.

فالسعيد من لازم أصلاً واحدًا على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فُتِحَتْ له أبواب الصبر، وإن عوفى تمت النعمة عليه، وإن ابتُلى حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه.

لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير. والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة.

والمنكر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى؛ فإنها ستحول وتخليه خاسرًا.

ولَازِم التقوى فى كل حال؛ فإنك لا ترى فى الضيق إلا السعة، وفى المرض إلا العافية.

هذا نقده العاجل. والأجل معلوم(٢).

الحياة الطيبة

يقول أحد أذكياء الإنكليز: بإمكانك وأنت فى السجن من وراء القضبان الحديدية، أن تنظُر إلى الأُفُق، وأن تُخرج زهرةً من جيبك فتشُمَّها وتبتسم، وأنت مكانك، وبإمكانك وأنت فى القصر على الديباج والحرير، أن تحتدَّ وأن تغضب وأن تثورَ ساخطًا من بيتك وأسرتك وأموالك.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٤٠).

(٢) صيد الخاطر (ص: ١٣٤ -١٣٥).

إذًا السعادة ليستْ فى الزمـان، ولا فى المكان، ولكنَّها فى الإيمان، وفى طاعة الدَّيَّان، وفى القلب. والقلب محلُّ نظرِ الرَّبِّ، فإذا استـقرَّ اليقين فيه، انبعـثت السعادة، فأضـفَتْ على الروح وعلى النفس انشراحًا وارتيـاحًا، ثم فاضت على الآخرين، فصارت على الظِّراب وبطون الأودية ومنابت الشجر.

أحمد بن حنـبل عاش سعيدًا، وكـان ثوبه أبيض مرقَّعًا، يخـيطه بيده، وعنده ثلاث غُرَفٍ من طـين يسكنها، ولا يجد إلا كـسر الخـبز مع الزيت، وبقىَ حذاؤه - كما قال المترجمون عنه - سـبع عشرة سنة يرقِّعها ويخيطها، ويأكل اللحم فى كل شـهر مـرَّةً، ويصـوم غالبَ الأيام، يذرع الدنيـا ذهابًا وإيابًا فى طَـلَب الحـديث، ومع ذلـك وجـدَ الراحـــة والهـدوء والسـكينة والاطمئنان؛ لأنه ثابت القَدَم، مرفوع الهامة، عارفٌ بمصيره، طالبٌ لثوابٍ، ساعٍ لأجرٍ، عاملٌ لآخرةٍ، راغب فى جنَّةٍ.

وكـان الخلفاء فى عـهـده - الذين حكموا الـدنيا - المأمـون، والواثق، والمعـتصم، والمتـوكل، عندهم القـصور والدُّور والـذهب والفضـة والبنود والجنود، والأعلام والأوسـمة والشارات والعقـارات، ومعهم ما يشـتهون، ومع ذلك عـاشوا فـى كَدَر، وقَـضَـوْا حيـاتهم فى همٍّ وغمٍّ، وفى قـلاقلَ وحروبٍ وثورات وشغبٍ وضـجيجٍ، وبعضهم كـان يتأوَّه فى سكرات الموت نادمًا على ما فرَّط، وعلى ما فعلَ فى جنبِ الله.

ابن تيمية شيخ الإسلام، لا أهل ولا دار ولا أسرة ولا مال ولا منصب، عنده غرفةٌ بجانب جامع بنى أمـية يسكنها، وله رغيفٌ فى اليوم، وله ثوبان يغيِّر هذا بهذا، وينام أحيانًا فى المسـجد، ولكن كما وَصَف نفسه: جنَّتُه فى صدره، وقَتْله شهادة، وسجْنه خلوةٌ، وإخراجهُ من بلده سياحةٌ؛ لأن شجرة الإيمان فى قلبـه استقامتْ على سُـوقها، تُوتى أُكُلَها كلَّ حـين بإذن ربِّها، يمدُّها زيت العنـاية الربانية، ﴿ **يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ**

لنوره من يشاء﴾[(١)]، ﴿كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم﴾[(٢)]، ﴿والَّذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾[(٣)] ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾[(٤)].

خرج أبو ذرّ رضى الله عنه وأرضاه إلى الرَّبذة، فنصب خيمتَهُ هناك، وأتى بامرأته وبناته، فكان يصوم كثيراً من الأيام، يذكُر مولاه، ويسبِّح خالقه، ويتعبَّد ويقرأ ويتلو ويتأمَّل، لا يملك من الدنيا إلا شَمْلةً أو خيمة، وقطعةً من الغنم، مع صحفةٍ وقصعةٍ وعصا، زاره أصحابُه ذات يوم، فقالوا: أين الدنيا؟ قال: فى بيتى ما أحتاجه من الدنيا، وقد أخبرنا ﷺ أن أمامنا عقبة كئوداً لا يجيزها إلا المُخِفُّ.

كان منشرح الصدر، ومنثلج الخاطر، فعنده ما يحتاجه من الدنيا، أما ما زاد على حاجته، فأشغالٌ وتَبِعاتٌ وهمومٌ وغمومٌ.

إذن فما هى السعادة؟!

«كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل»، «فطوبى للغرباء».

ليست السعادة قصرَ عبدِ الملك بن مروان، ولا جيوشَ هارون الرشيد، ولا دُورَ ابن الجصّاص، ولا كنوزَ قارون، ولا فى كتاب الشفاء لابن سينا، ولا فى ديوان المتنبى، ولا فى حدائق قرطبة، أو بساتين الزهراء.

السعادة عند الصحابة مع قلّة ذات اليد، وشَظَفِ المعيشة، وزهادة الموارد، وشُحّ النَّفقة.

السعادة عند ابن المسيب فى تألُّهِه، وعند البخارى فى صحيحه، وعند الحسن البصرى فى صدْقه، ومع الشافعى فى استنباطاته، ومالك فى

(١) سورة النور: آية (٣٥).
(٢) سورة محمد: آية (٢).
(٣) سورة محمد: آية (١٧).
(٤) سورة المطففين: آية (٢٤).

مُراقَبته، وأحمد فى وَرَعه، وثابت البنانى فى عبادته؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾(١) .

ليست السعادة شيكًا يُصرف، ولا دابة تُشترَى، ولا وردة تُشَمّ، ولا بُرًّا يُكالُ، ولا بَزًّا يُنشَر.

السعادة سلوةُ خاطرٍ بحق يحمِلُه، وانشراح صدرٍ لمبدإٍ يعيشه، وراحة قلبٍ لخير يكْتَنفُه.

كَنّا نظُنُّ أننا إذا أكثرنا من التوسُّع فى الدُّور، وكثْرة الأشياء، وجمْع المسهِّلات والمرغِّبات والمشتَهَيات، أننا نسعد ونفرح ونمرح ونُسَرّ، فإذا هى سبب الهمِّ والكَدَر والتنغيض؛ لأن كلَّ شىء بهمِّه وغمِّه وضريبة كدِّه وكدْحه ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾(٢) .

إن أكبر مُصلِح فى العالم رسول الهدَى محمدٌ ﷺ ، عاش فقيرًا، يتلوَّى من الجوع، لا يجد دَقَل التمر يسدُّ جوعه، ومع ذلك عاش فى نعيم لا يعلمه إلا الله، وفى انشراح وارتياح، وانبساط واغتباط، وفى هدوء وسكينة، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾(٣) ، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٤)(٥) .

* إذن فالسعادة والحياة الطيبة لا تكون، ولن تكون إلا فى ظل الإيمان بالله - جل وعلا-.

* ومن أجل ذلك لابد أن نعلم أن من أراد الحياة الطيبة فليجعل الله

(١) سورة التوبة: آية (١٢٠).
(٢) سورة طه: آية (١٣١).
(٣) سورة الشرح: آية (٢، ٣).
(٤) سورة النساء: آية (١١٣).
(٥) لا تحزن: (ص: ٣٠٣: ٣٠٧) بتصرف.

نصب عينيه؛ فلا يتكلم ولا يُحرك ساكنًا إلا وفق شرعه وسنة نبيه ﷺ . . وأن العبد إذا أراد أن يصل إلى الحياة الطيبة من خلال الطرق الملتوية الصعبة التي يسلكها كثير من الناس؛ فإنه لن يصل إليها إلا من خلال طريق واحد. . ألا وهو طريق محمد بن عبد الله ﷺ : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه﴾[1] .

كان أحد الوزراء في لهوه وطَرَبه، فأصابه غمٌّ كاتِمٌ، وهمٌّ جاثِمٌ، فصرخَ:

ألا موتٌ يُباعُ فأشتريه
فهذا العيشُ ما لا خير فيهِ

إذا أبصرتُ قبرًا من بعيد
وددتُ لو أني مما يَليهِ

ألا رَحِمَ المهيمنُ نفسَ حُرٍّ
تَصدَّقَ بالوفاةِ على أخيهِ

لا تحزن.. فقد تأتيك المنافع من المصائب

قد تنزل المصيبة بالعبد فينشغل بها ولا يرى ما خلَّفته من المنح والعطايا التي جاءت من عند الخالق - جل وعلا-.

* فقد تفقد مالك كله، وإذا بك تجد صديقًا وفيًّا يقول لك: هذا مالي بين يديك يا أخي. . فخذ ما شئت ودع ما شئت.

* وقد تذهب صحتك بمرضٍ شديد فترى ينابيع الوفاء تتفجر من قلب زوجتك فترى شيئًا ما كان لك أن تراه إلا إذا وقع مثل هذا البلاء.

* وقد يتسلط عليك ظالم وإذا بك تجد إخوانك يدافعون عنك ويبذلون الغالي والنفيس لنصرتك.

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٥٣).

* وهكذا فإن الله لطيفٌ بعباده لا يبتلى أحدًا من عباده بمصيبة إلا ليغفر ذنوبه، أو ليرفع درجته فى الجنة أو ليهدى إليه منحة فى ثوب محنة. . . فلا تحزن وكن راضـيًا عن الله ولا تنشغل بالمحنة بل انظـر ماذا خلَّفت من المنح والعطايا.

اجعل حياتك كلها أعيادًا

فى حيـاتك أعياد، وأنـت لا تشعر بهـا. . بل وهناك أعياد تـستطيع أن تصنعها ولكنك غافك عنها.

* فكل يوم تطيع ربك فيه فهو عيد. . . إنما العيد لمن أطاع الله.
* وكل يوم تؤدى فيه الفرائض، وتسلم فيه من المعاصى فهو يوم عيد.
* وكل يوم تفرج فيه كرب مسلم، وتُدخل عليه السعادة فهو عيد.
* وكل يوم تتوب فيه من ذنوبك وتعود فيه إلى ربك فهو عيد.
* وأعظم عـيد يوم أن تلقى الله - عـز وجل- وأنت طائع له. . متـبعٌ لرسوله ﷺ : «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**».

لا تحزن.. وأقبل على الله

أخى:

كيف لا تحب من أنست به قلـوب العارفين، وولهت من مـحبته أفـئدة المشـتـاقـين؟! كـيف لا تحب من أنت به، وبقـاؤك منه، وتدبيـرك بيـده، ورجوعك إليه، وكل مستـحسن فى الوجود هو حسَّنه وصنعه وزيَّنه وعطف النفوس إليه؟!

كم كائد نصب لك المكايد فوقاك.

كم عدو حطّ منك بالذم فرقاك.

كم أعطش من شراب الأمانى خَلْقًا وسقاك.

كم أمات من لم يبلغ بعض مرادك وأبقاك.

لقد أعطاكِ أيتها النفس ما لم تأمُلى، وبلَّغك ما لم تطلبى.

وستر عليك من قبيحك ما لو فاح لضجَّت المشام.

أخى:

من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه.

- وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة.

- وأن تعرف قدر الربح فى معاملته ثم تعامل غيره.

- وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له.

- وأن تذوق ألم الوحشة فى معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته.

- وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض فى غير حديثه والحديث عنه، ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته.

- وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه، وأنك أحوج شىء إليه وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب.

- يا أخى عليك بحب من إذا ذكرته أفادك، وإذا أتيته شاكرًا زادك وإذا خدمته أصلح قلبك وفؤادك.

أخى:

إن الرجل لينقطع إلى ملوك الدنيا؛ فترى أثرهم عليه بيِّنًا، فكيف بمن ينقطع إليه ألا يُرى أثره عليه؟.

يا أخى:

من رغب عن التعب لله ابتُلى بالتعب فى خدمة الخلق ولابد.

غاب الهدهد عن سليمـان فتوعده بلفظ ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ﴾، فيامن يغيب عن محبة الله وطريقه أما تخاف من غضبه.

خالف موسى الخضر فى طريق الصحبة ثلاث مرات؛ فقال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، أمـا تخـاف - يا من لم يف لمولاه أبدًا - أن يقـول لك فى بعض خطاياك: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾(١).

أخى:

من تعلّق قلبه بمحبة الله يسلو به عن جـميع المخلوقات، وجميع المطالب سواه فلا يبقى فى قلبه شىء لغير مولاه، فمن كان هذا حاله عطف عليه ربّه فقربه واصطفاه وأخـذ بقلبه إليه وتولاه فى جميع أمـوره، فى معاشه، ودينه وتولى تربيته أحـسن وأبلغ مما يربى الوالد الشفيق ولده، فإنه سبحـانه القيوم المقيم لكل شىء من المخلوقات طائعـها وعاصيها، فكيف تكون قيـوميته بمن أحبـه وتولاه وآثره على ما سواه، ورضـى به من الناس حبيـبًا وربًّا ووكيلاً وناصرًا ومعينًا وهاديًا، فلو كُشف الغطاء عن ألطافه وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعـلم؛ لذاب قلبه محـبة له وشوقًـا إليه ويقع شكرًا له، ولكن حجب القلوب عن مشاهدة ذلك إخـلادها إلى عالم الشهوات والتعلق بالأسباب فصدت عن كمال نعيـمها. وإلا فأى قلب يذوق حلاوة معرفة الله ومحبته، ثم يركن إلى غيره ويسكن إلى ما سواه؟ هذا ما لا يكون أبدًا.

ومن ذاق شيئًا من ذلك، وعرف طريقًـا موصلة إلى الله ثم تركها وأقبل على راحـاته وشهـواته ولذاته؛ وقع فى آثار المعاطب، وأودع قـلبه سـجون المضايق، وعُذب فى حياته عذابًا لم يُعذَّب به أحد من العالمين، فحياته عجز وغم وحزن، وموته كدر وحسرة، ومعـاده أسف وندامة، قد فرق عليه أمره وشتت عليه شمله.

(١) الكهف: الآية (٧٨).

فهو قبر يمشى على وجه الأرض، وروحه فى وحشة من جسمه، وقلبه فى ملال من حياته، يتمنى الموت ويشتهيه ولو كان فيه ما فيه.

يا أخي: من أعرض عن الله بالكلية؛ أعرض الله عنه بالكلية، ومن أعرض الله عنه لزمه الشقاء والبؤس والنحس فى أحواله وأعماله، وقارنه سوء الحال وفساده فى دينه ومآله.

أعرضت عنه من أجل الذهب والدنيا، ولو علمت ما أعد لك فى الجنة لعلمت مدى خسارتك.. هذا الذهب الذى نسيت مولاك من أجله يجعله الله - عز وجل- مكان التراب التى تصنع منه لبنات دارك فى الدنيا، فقصور الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وليس من الدنيا فى الآخرة إلا الأسماء، فليس ذهب الدنيا كالآخرة. لو علمت من يبنى لك قصورك فى الجنة.. ملائكة الرحمن، لو علمت قدرك حين تلبس التاج فى الجنة، وتقول الملائكة لدارك «طوبى لك يا دار الملوك»، لو علمت قدرك حين تستأذن الملائكة قبل الدخول عليك.. لو علمت لذة النظر إلى مولاك لذبت شوقًا إليه.

أقبل على مولاك يا أخى؛ يُقبل الله عليك فإن الله سبحانه إذا أقبل على عبد استنارت جهاته وأشرقت ساحاته، وتنورت ظلماته، وظهرت عليه آثار إقباله، وتوجه إليه الملأ الأعلى بالمحبة والموالاة فإنهم تبع لمولاهم.

فهيا يا أخي: بادر طيّ صحيفتك.. واجعل الهم واحدًا واجعله فى الله، دع عنك غيره.. واجعل نبضات قلبك وقفًا على مولاك، ودع عنك الكسل والتوانى واسأله الإعانة والتوفيق.

فحى هلا إن كنت ذا همة فقد
حدا بك حادى الشوق فاطوِ المراحلا
وقل لمنادى حبهم ورضاهم
إذا ما دعا لبيك ألفًا كواملا

وخذ قبسًا من نورهم ثم سر به
فنورهم يهديك ليس المشاعلا(١)

كن قويًّا بإيمانك بالله

وإذا أردت أن تكون قويًّا فاعلم أن القوة ليس لها إلا مصدر واحد: ألا وهو الإيمان بالله - جل وعلا-.

إن إيمان المسلم بالله الذى لا يُغلب، وبالحق الذى لا يُخذل، وبالخلود الذى لا ينقطع، وبالقَدَر الذى لا يتحوّل، وبالأخوة الصادقة التى لا تهن؛ مصادر فيَّاضة بالقوة المعنوية التى لا يُقاس إليها قوة المادة أو السلاح.

وعلى قدر نصيب المرء من الإيمان يكون نصيبه من تلك القوة.

ومن ثمار هذه القوة التحرر من الخوف والحرص.

فلقد رأينا الناس لا يُضعف نفوسهم شىء كالحرص على الحياة وإن تكن ذليلة، والهرب من الموت وإن كان كريمًا، ولا يغرس فيهم القوة شيئًا كالاستهانة بالحياة، والإقبال على الموت فى سبيل الحق الذى يعتقدونه، ولا شىء كالإيمان بالله وبالخلود يهون على الإنسان لقاء الموت، وفراق الحياة.

والمرء إذا هانت عليه الدنيا، ولم يُبال بالموت... هان عليه جبابرة الأرض، وملوك الناس، ونظر إلى الذهب كما ينظر إلى الحجر، وإلى السيف كما ينظر إلى العصا أو هو أدنى.

الحرص والخوف هما اللّذان يُضعفان النفوس، ويحنيان الرؤوس، ويذلان الأعناق. وإذا لم يكن حرص ولا خوف فلا سبيل إلى الضعف بحال.

وقد رأينا سحرة فرعون حين آمنوا بالله والآخرة؛ استهانوا بالدنيا ولم

(١) بتصرف من (موارد الظمآن فى محبة الرحمن) د. سيد حسين العفانى.

يجزعوا من المـوت، يقولون لفرعون وهم فى ثبـات الجبال: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(١) . . إنهم لا يحرصون على شىء عنده، ولا يخافـونه على شىء عندهم، فلماذا يهنون أو يضـعفون؟ كـلا . . . لقد انقلبوا من أتباع له إلى دعاة له يبشرون وينذرون ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾(٢) . .

* لقد دخل حـبيب بن زيد إلى مـسيلمـة يدعوه إلى التوحـيد، فـأخذ مسيلمة يقطعة بالسيف قطعةً قطعةً، فما أَنَّ ولا صاحَ ولا اهتزَّ حتى لقى ربه شهيدًا، ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(٣) .

* ورُفع خُبيب بن عدى على مشنقة الموت، فأنشد:

ولستُ أبالـى حـينَ أُقـتـل مـسلـمًـا
على أىِّ جنب كـانَ فى الله مَصـرعى

* رأينا البطل الليبى «عـمر المختـار» الذى حارَب الاستعـمار الإيطالى، وجيوشه المجَهزة بأحدث أسلحة عصره بالقلة المؤمنة العزلاء، أو شبه العزلاء من جنده: وقف يحارب الطـائرة بالحصان، والمدفع بالسـيف. واستطاع أن يُنزل بأعدائه ضربات موجعة، ولم يرض بالتـسليم ساعة ما، رغم نفاذ قوته المادية كلها، ولكنه ظـل يقول للطليان: «لئن كـسر المدفع سيـفى فلن يكسر الباطل حقى».

وكان مريضًا بالحـمى، تهز رعدتها جسده، وترتعـد بها فرائصه، ورغم هذا قال لجنـوده: «اربطونى على ظهر جـوادى بالحبال حـتى لا أتخلف عن القتال معكم».

وحين ظفر به الجـيش المستعمر - وحكموا عليـه بالإعدام، تقبل الحكم

---

(١) سورة طه: (٧٢).

(٢) سورة طه: (٧٣) .

(٣) سورة الحديد: آية (١٩).

برحابة صدر، وابتسامة سخرية، وقال له بعضهم - قبل تنفيذ الحكم -: اطلب العفو ونحن نُطلق سراحك، فأجابهم بكل إباء وشمم: «لو أطلقتم سراحى لعدتُ لمحاربتكم من جديد»(١).

لا تحزن.. وتعلم الرضا من النبى ﷺ

من أراد أن يعلم حقيقة الرضا عن الله عزَّ وجلَّ فى أفعاله، وأن يدرى من أين ينشأ الرضا، فليتفكّر فى أحوال رسول الله ﷺ.

فإنه لَمَّا تكاملت معرفته بالخالق، رأى أن الخالق مالك، وللمالك التصرف فى مملوكه، ورآه حكيمًا لا يصنع شيئًا عبثًا، فسلَّم تسليم مملوكٍ لحكيم.

فكانت العجائب تجرى عليه، ولا يوجد منه تغير، ولا من الطَّبع تأفف، ولا يقول بلسان الحال: لو كان كذا! بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح.

هذا سيد الرسل، بُعث إلى الخلق وحده، والكفر قد ملأ الآفاق، فجعل يفرُّ من مكان إلى مكان، واستتر فى دار الأرقم، وهم يضربونه إذا خرج، ويدمون عَقِبَه.

وأُلقى السَّلا (٢) على ظهره وهو ساكت ساكن.

ويخرج كل موسم فيقول: «**من يؤوينى، من ينصرنى؟**» ثم خرج من مكة، فلم يقدر على العود إلا فى جوار كافر!، ولم يوجد من الطبع تأفف، ولا من الباطن اعتراض، إذ لو كان غيره لقال: يا ربّ! أنت مالك الخلق، وأقدرُ على النصر، فلم أُذلّ؟... كما قال عمر رضي الله عنه يوم صلح الحديبية: ألسنا على الحق؟! فلِمَ نُعطى الدنيَّة فى ديننا؟ ولما قال هذا قال له الرسول ﷺ: «**إنى عبد الله، ولن يضيعنى**»(٣).

(١) الإيمان والحياة (ص: ٢٧٣: ٢٧٥) بتصرف.

(٢) السَّلا: لفافة الولد من الدواب والإبل.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٨٢) كتاب الجزية، ومسلم (١٧٨٥) كتاب الجهاد والسير، من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه.

فجمعت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما: فقوله: «**إنى عبد الله**» إقرار بالملك. وكأنه قال: أنا مملوك يفعل بى ما يشاء. وقوله: «**لن يضيعنى**»: بيان حكمته، وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا.

ثم يُبتلى بالجوع، فيشدُّ الحجر، ولله خزائن السموات والأرض.

وتُقتل أصحابه، ويُشَجُّ وجهه، وتُكسر رباعيتُه، ويُمثَّل بعمّه حمزة وهو ساكت.

ثم يُرزق ابنًا ويُسلب منه فيتعلَّل بالحسن والحسين، فيخبر بما سيجرى عليهما!

ويسكن بالطبع إلى عائشة رضي الله عنها، فيُنَغَّص عيشُه بقذفها.

ويبالغ فى إظهار المعجزات، فيقام فى وجهه مسيلمة والعنسى وابن صياد..

ويقيم ناموس الأمانة والصدق، فيقال: كذاب! ساحر! ثم يعلقه المرض، كما يوعك رجلان وهو ساكن ساكت فإن أخبر بحاله فليُعَلِّم الصبر.

ثم يُشدّد عليه الموت، فيسلت روحَه الشريفة، وهو مضطجع فى كساء ملبّد، وإزار غليظ، وليس عندهم زيت يوقد به المصباح ليلتئذ.

هذا شىء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغى نبىٌّ مثله، ولو ابتُليت به الملائكة ما صبرت(١)!

* * *

(١) صيد الخاطر ص (٤٨٦- ٤٨٩).

لا تحزن.. وأدخل السعادة على مَن حولك

إن من أسعد اللحظات التى يعيشها الإنسان هى تلك اللحظة التى يستطيع فيها أن يُدخل السعادة على كل من حوله.

- فمن الناس من يجد السعادة فى الإحسان إلى طفل يتيم تجرع مرارة اليُتم وأنهكته الأحزان.

- ومن الناس من يجد السعادة فى قضاء حوائج الفقراء والمساكين.

- ومن الناس من يجد السعادة فى ستر مسلمٍ أو إطعام جائع أو تزويج شاب فقير أو بناء مسجد أو حفر بئر أو عيادة مريضٍ.

قال ﷺ : **«أحبُّ الناس إلى الله أنفعهم، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تُدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضى عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشى مع أخى المسلم فى حاجة أحب إلىَّ من أن أعتكف فى المسجد شهرًا، ومن كف غضبه، ستر الله عورته، ومن كظم غيظًا، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجته حتى يثبتها له، أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإنّ سوء الخلق ليفسد العمل، كما يفسد الخلُّ العسل»**(١).

وقال رسول الله ﷺ : **«إنَّ الله عزَّ وجل يقولُ يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعُدنى، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فُلانًا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى، قال: يا رب**

(١) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (١٢/ ٤٥٣)، وفى الأوسط (٦/ ١٤٠)، وفى الصغير (٢/ ١٠٦)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى؟»[١].

هنا لفتة وهى: وجدتنى عنده، ولم يقل كالسابقتين: وجدتَه عندى؛ لأن الله عند المنكسرَة قلوبهم، كالمريض

* قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله-: كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين فإن الله سبحانه وتعالى يكون عنده؛ لهذا قال: «**أما إنك لو عدته لوجدتنى عنده**»، ولم يقل: لوجدت ذلك عندى كما قال فى الطعام والشراب؛ بل قال: «**لوجدتنى عنده**» وهذا يدل على قرب المريض من الله عز وجل. ولهذا قال العلماء: إن المريض حَرِىٌّ بإجابة الدعاء إذا دعا لشخص أو دعا على شخص، وفى هذا دليل على استحباب عيادة المريض، وأن الله سبحانه وتعالى عند المريض وعند من عاده؛ لقوله: «**لوجدتنى عنده**»[٢].

* كان عمر بن الخطاب ﷺ يتعاهد الأرامل، يستقى لهنَّ الماء بالليل..

ورآه طلحةُ بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهارًا، فإذا هى عجوز عمياء مقعدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟

قالت: هذا منذ كذا وكذا يتعاهدنى، يأتينى بما يصلحنى، ويُخرج عنى الأذى!!

فقال طلحة: ثكلتك أمُّك يا طلحة! أعورات عمر تَتَّبع؟!

وكان ابن المبارك له جار يهودى، فكان يبدأ فيُطعم اليهودى قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه، فقالوا لليهودى: بعنا دارك. قال: دارى بألفى دينار، ألفٌ قيمتُها، وألفٌ جوارُ ابن المبارك!. فسمع ابن المبارك بذلك، فقال: اللهم اهدِهِ إلى الإسلام. فأسلم بإذن الله!

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٣٧).

ومرَّ ابن المبارك حاجًّا بقافلة، فرأى امرأة أخذتْ غـرابًا ميتًا من مزبلة، فأرسل فى أثرها غـلامه فسألهـا، فقالت: ما لـنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يُلقَى بها. فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القـافلة فى القرية، وعاد وترك حَجَّته تلك السنة، فـرأى فى منامه قـائلاً يقول: حجٌّ مـبرور، وسعى مـشكور، وذنب مغفور.

* وقد قـال حاتم فى أبيات له جـميلة، وهو يُوصِى خادمـه أن يلتمس ضيفًا يقول:

أوقـــدْ فـــإنَّ الـليـلَ ليلٌ قـــرٌّ
إذا أتى ضـــيفٌ فـــأنـتَ حُـــرٌّ

حُب الخير للناس يجلب السعادة

إن من دواعى السرور ومـن أسباب السـعادة أن يحب الإنسـان لإخوانه الخير ويتمنى لهم السعادة.

يقول ابن عـباس متـحدِّثًا بنعمـة الله عز وجل: فيَّ ثلاثُ خصالٍ: ما نزل غيثٌ بأرضٍ، إلاَّ حمدتُ الله وسُرِرت بذلك، وليس لى فيها شاةٌ ولا بعير. ولا سمـعتُ بقاضٍ عادلٍ، إلاَّ دعـوتُ الله له، وليس عنده لى قضـيَّة. ولا عَرَفتُ آيةً من كتابِ الله إلاَّ وَددتُ أن الناس يعرفون منها ما أعرف.

ولله در الإمام أحمد بن حنبل حين يقول: لو أن الدنيا جُمعت حتى تكون فى مقدار لقمـة، ثم أخذها امرؤ مسلم فوضعهـا فى فم أخيه المسلم لما كان مسرفًا(١).

وقضى ابن شبـرمة حاجة كبيـرة لبعض إخوانه فجاء بهـدية فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديته إلىَّ، فـقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سـألت أخاك حاجة

(١) طبقات الحنابلة (١/١٠٦).

فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبَّر عليه أربع تكبيرات وعُدَّه فى الموتى. . . وكان فى السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم، ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته.

لا تحزن ... وادخل من أقرب الأبواب

وإذا أردت بابًا أقرب إلى مولاك وأوسع ولا مزاحم فيه فادخل من باب الذل والافتقار، فإن لانكسار القلب تأثيرًا عجيبًا فى المحبة لا يعبر عنه.

والذل والانكسار، والخضوع، والافتقار للرب - جل جلاله- غاية شمر إليها السالكون، وأَمَّها القاصدون، ولحظ إليها العاملون. كيف لا والعبد يشهد فى كل ذرة من ذراته الباطنة والظاهرة ضرورة تامة، وافتقارًا تامًّا إلى ربه ووليه، ومن بيده صلاحه وفلاحه، وهداه وسعادته، وهذه الحال التى تحصل لقلبه لا تنال العبارة حقيقتها، وإنما تُدرَك بالحصول.

فيحصل لقلبه كسرة خاصة لا يشبهها شيء. بحيث يرى نفسه كالإناء المرضوض تحت الأرجل، الذى لا شيء فيه، ولا به، ولا منه، ولا فيه منفعة، ولا يُرغَبُ فى مثله. وأنه لا يصلح للانتفاع إلا بجبر جديد من صانعه وقيّمه. فحينئذ يستكثر فى هذا المشهد ما منّ ربه إليه من الخير، ويرى أنه لا يستحق قليلاً منه ولا كثيرًا.

فأىّ خير ناله من الله استكثره على نفسه. وعلم أن قَدْره دونه، وعلم أن رحمة ربه هى التى اقتضت ذكره به وسياقته إليه. واستقلّ ما من نفسه من الطاعات لربه، ورآها - ولو ساوت طاعات الثقلين - من أقل ما ينبغى لربه عليه. واستكثر قليل معاصيه وذنوبه.

فما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور، وما أدنى النصر والرحمة والرزق

منه، وما أنفع هذا الذل له وأجداه عليه!.. وذرة من هذا ونَفَسٌ منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم.

وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكنت منه هذه الكسرة. وملكته هذه الذلة، فهو ناكس الرأس بين يدى ربه. لا يرفع رأسه حياءً من الله.

قيل لبعض العارفين: أيسجد القلب؟ قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء. فهذا سجود القلب فقلب لا تباشره هذه الكسرة فهو غير ساجد السجود المراد منه.

وإذا سجد القلب لله - هذه السجدة العظمى - سجدت معه جميع الجوارح. وعَنَا الوجهُ حينئذ للحى القيوم. وخشعت الجوارح والأصوات كلها، وذل العبد واستكان، ووضع خده على عتبة العبودية، ناظرًا بقلبه إلى ربه ووليه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم. فلا يُرى إلا متملقًا لربه خاضعًا له، ذليلاً مستعطفًا له يقول: كيف أُغضبُ مَنْ حياتى فى رضاه؟ وكيف أعدل عمن سعادتى وفلاحى وفوزى فى قربه.

وما الظن بمن هو أرحم بعبده من الوالد بولده، ومن الوالدة بولدها؟ إذا فرّ عبده إليه، وهرب من عدوه إليه، وألقى بنفسه طريحًا ببابه. يمرِّغ خده فى ثرى أعتابه باكيًا بين يديه: يقول: يا رب، يا رب، ارحم من لا راحم له سواك، ولا ناصر له سواك، ولا مؤوى له سواك، ولا مغيث له سواك. مسكينك وفقيرك، وسائلك ومؤمِّلك ومُرجيك. لا ملجأ له ولا منجا له منك إلا إليك. أنت معاذه وملاذه.

يا من ألوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يَجبُر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

لا تجدد أحزان الماضى ولا تخف من المستقبل

وإن من أهم عـوامل القلق الذى يُفـقـد الإنسـان سكينة النفس وأمنهـا ورضاها هو تحسره على الماضى وسخطه على الحاضر، وخوفه من المستقبل.

إن بعض الناس تنزل به النازلة من مـصائب الدهر، فيظل فـيها شـهوراً وأعواماً، يجتر آلامها ويستعيد ذكرياتها القاتمة، متحسراً تارة، متمنياً أخرى. شعـاره: ليتنى فعلت، وليـتنى تركت، لو أنى فعلت كـذا لكان كذا، ولذا ينصح الأطباء النفسيون، والمرشدون الاجتـماعيون، ورجال التربية، ورجال العمل، أن ينـسى الإنسان آلام أمسـه، ويعيش فى واقع يومـه، فإن الماضى بعد أن ولَّى لا يعود.

مــا مــضى فــات، والمـؤمَلُ غـــيبٌ

ولك الســاعــة التى أنـت فـيــهــا

وقد صوَّر هذا أحـد المحاضرين بإحدى الجـامعات بأمريكا تصـويراً بديعًا لطلبتـه حين سـألهم: كم منكم مارس نشـر الخشب؟ فرفع كـثير مـن الطلبة أصابعهم، فعاد يسألهم: وكم منكم مارس نشر نشارة الخشب؟ فلم يرفع أحد منهم أصبـعه، وعندئذ قال المحـاضر: بالطبع لا يمكن لأحد أن ينشـر نشارة الخشب، فـهى منشورة فـعلاً.. وكذلك الحـال مع الماضى: فعندمـا يتتابكم القلق لأمور حدثت فى الماضى، فاعلموا أنكم تمارسون نشر النشارة!!

وقد نقل هذا التـصوير «ديل كارنيجى»، كـما نقل قول بعضـهم: «لقد وجدتُ أن القلق على الماضى لا يُجدى شيئًـا تمامًا كما لا يجديك أن تطحن الطحـين، ولا أن تنشر الـنشارة، وكل مـا يُجـديك إياه القلق هو أن يرسم التجاعيد على وجهك، أو يُصيبك بقرحة فى المعدة»(١).

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة، ص (١٧٣).

ولكن الضعف الإنسانى يغلب على الكثيرين، فيجعلهم يطحنون المطحون ويبكون على أمس الذاهب، ويعضون على أيديهم أسفًا على ما فات، ويُقلِّبون أكُفهم حسرة على ما مضى.

وأبعد الناس عن الاستسلام لمثل هذه المشاعر الأليمة، والأفكار الداجية هو المؤمن الذى قوى يقينه بربه، وآمن بقضائه وقَدَره، فلا يُسلم نفسه فريسة للماضى وأحداثه، بل يعتقد أنه أمرٌ قضاه الله كان لابد أن ينفذ، وما أصابه من قضاء الله لا يقابَل بغير الرضا والتسليم، ثم يقول ما قال الشاعر:

سبقت مقادير الإله وحكمه

فأرح فؤادك من «لعل» ومن «لو»

وقول الآخر:

ولست براجع ما فات منى

بلهف ولا بليت ولا لو أنى

إنه لا يقول: **«لو أنى فعلت كذا لكان كذا، ولكن يقول: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشيطان»**(١) كما علَّمه الرسول ﷺ.

إنه يُوقن أن قَدر الله نافذ لا محالة، فلِمَ السخط؟ ولِمَ الضيق والتبرم؟ والله تعالى يقول: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾(٢)..

وفى غزوة أُحد التى قُتِلَ فيها سبعون من المسلمين، نعى القرآن على طائفة من المنافقين ومرضى القلوب، وضعاف الإيمان، عاشوا بين «لو» المتندمة و«ليت» المتحسرة، فيقول: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الحديد: آية (٢٢- ٢٣).

أنفسهم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾(١) . .

ويرد على أولئك الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا: ﴿ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٢) . .

المؤمن لا يقف موقف هؤلاء المنافقين، ولا موقف إخوانهم من الكفار الذين نهى القرآن عن التشبه بهم في تحسراتهم الأسيفة، وتمنياتهم الحزينة. .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴾(٣) .

إن شعار المؤمن دائمًا: «قَدَّر الله وما شاءَ فعل. . الحمدُ لله على كل حال» وبهذا لا يأسى على ما فات، ولا يحيا في خضم اليوم من الذكريات، وحسبه أن يتلو قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٤)(٥) .

اذبح الفراغ بسكين العمل

كان السلف الصالحون يكرهون من الرجل أن يكون فارغًا، لا هو في أمر دينه، ولا هو في أمر دنياه، وهنا تنقلب نعمة الفراغ نقمة على صاحبها، رجلاً كان أو امرأة، ولهذا قيل: الفراغ للرجال غفلة وللنساء

(١) سورة آل عمران: آية (١٥٤).

(٢) سوة آل عمران: آية (١٦٨).

(٣) سورة آل عمران: آية: (١٥٦-١٥٨).

(٤) سورة التغابن: آية (١١).

(٥) الإيمان والحياة (ص: ١٢١ - ١٢٤) بتصرف.

غلمة، أى: محرك للغريزة، والتفكير فى أمر الشهوة. وهل كان تعلق امرأة العزيز بيوسف وشغفها به، وتدبيرها المكايد لإيقاعه فى شباكها، إلا نتيجة الفراغ الذى تعيش فيه ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع الفراغ الشباب الذى يتميز بقوة الغريزة.

الفارغون فى الحياة هم أهل الأراجيف والشائعات؛ لأن أذهانهم موزَّعة ﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾[1].

إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبه من العمل فيبقى كالسيارة المسرعة فى انحدار بلا سائق تجنح ذات اليمين وذات الشمال.

يوم تجد فى حياتك فراغًا فتهيأ حينها للهم والغم والفزع؛ لأن هذا الفراغ يسحب لك كل ملفات الماضى والحاضر والمستقبل من أدراج الحياة، فيجعلك فى أمر مريج، ونصيحتى لك ولنفسى: أن تقوم بأعمال مثمرة، بدلاً من هذا الاسترخاء القاتل؛ لأنه وأدٌ خفى، وانتحار بكبسول مسكِّن.

إنّ الفراغ أشبه بالتعذيب البطىء الذى يمارس فى سجون الصين، بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيقة قطرة، وفى فترات انتظار هذه القطرات يُصاب السجين بالجنون.

الراحة غفلة، والفراغ لص محترف، وعقلك هو فريسة ممزَّقة لهذه الحروب الوهميَّة.

إذًا قُم الآن صَلِّ أو اقرأ، أو سبِّح، أو طالع، أو اكتب، أو رتِّب مكتبتك، أو أصلح بيتك، أو انفع غيرك حتى تقضى على الفراغ وإنِّى لك من الناصحين.

اذبح الفراغ بسكين العمل، ويضمن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب، ... انظر إلى الفلاحين، والخبازين،

---

(١) سورة التوبة : آية (٨٧).

والبنائين يغردون بالأناشيد كالعصافير في سعادة وراحة وأنت على فراشك تمسح دموعك وتضطرب لأنك ملدوغ(١).

الزم خلوتك

قال الإمام ابن الجوزي: من أراد اجتماع همه وإصلاح قلبه، فليحذر من مخالطة الناس في هذا الزمان، فإنه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكره، فصار الاجتماع على ما يضر.

وقد جربت على نفسي مراراً أن أحصرها في بيت العزلة، فتجتمع هي، ويضاف إلى ذلك النظر في سير السلف، فأرى العزلة حمية، والنظر في سير القوم دواء، واستعمال الدواء مع الحمية عن التخليط نافع.

فإذا فسحت لنفسي في مجالسة الناس ولقائهم؛ تشتت القلب المجتمع، ووقع الذهول عما كنت أراعيه، وانتقش في القلب ما قد رأته العين، وفي الضمير ما تسمعه الأذن، وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا. وإذا جمهور المخالطين أرباب غفلة، والطبع بمجالستهم يسرق من طباعهم.

فإذا عدت أطلب القلب لم أجده، وأروم ذاك الحضور فأفقده، فيبقى فؤادي في غمار ذلك اللقاء للناس أيامًا حتى يسلوَ الهوى.

وما فائدة تعريض البناء للنقض؟

فإن دوام العزلة كالبناء، والنظر في سير السلف يرفعه، فإذا وقعت المخالطة انتقض ما بُنِيَ في مدة، في لحظة، وصعب التلاقي، وضعف القلب.

ومَن له فهم يعرف أمراض القلب، وإعراضه عن صاحبه، وخروج طائره من قفصه.

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٢٢).

ولا يؤمن على هذا المريض أن يكون مرضه هذا سبب التلف، ولا على هذا الطائر المحصور أن يقع فى الشبكة.

وسبب مرض القلب أنه كان محميًّا عن التخليط، مغزوًّا بالعلم وسير السلف، فخلط، فلم يحتمل مزاجه، فوقع المرض.

فالجد الجد فإنما هى أيام وما نرى مَن يلقى، ولا مَن يؤخذ منه، ولا مَن تنفع مجالسته، إلا أن يكون نادرًا ما أعرفه.

ما فى الصِّحَاب أخُو وَجْد نُطَارِحهُ
حَـديثَ نجْـد ولا خِلٌّ نُـجَـاريه

فالزم خلوتك، وراع - ما بقيت النفس - وإذا قلقت النفس مشتاقة إلى لقاء الخلق فاعلم أنها بعدُ كدرة، فرضّها ليصير لقاؤهم عندها مكروهًا.

ولو كان عندها شغل بالخالق لما أحبت الزحمة، كما أن الذى يخلو بحبيبه لا يؤثر حضور غيره.

ولو أنها عشقت طريق اليمن، لم تلتفت إلى الشام(١).

ابتسمى للحياة بحلوها ومُرها

أختاه.. يا من عَلَتْ بك السن، وتقدم بك العمر، وقلَّ الخُطّاب..

وزهد فيك الطُلاّب.. لا تحزنى فالفرج قريب..

أعرف - والله - من وصل سنها إلى الثلاثين، بل الخامسة والثلاثين، وجاءها نصيبها فتزوجت بمن تمنت..

وهب أنكِ لم تتزوجى فى الدنيا.. فسوف يزوجك الله بمن تشائين يوم القيامة.. إذا كنت من أهل الجنة الصالحات.. وما هى الدنيا بالنسبة للآخرة؟

وما هو نعيم الدنيا بالنسبة لنعيم الآخرة؟

(١) صيد الخاطر (ص:٣٦٩ ، ٣٧٠).

فلا تتركى نفسك للقلق والهموم والأحزان.. بل اشغلى نفسك بعباده الرحمن..

أين أنت من الصلاة فى جوف الليل؟

أين أنت من الدعاء بالزواج المبارك؟

أين أنت من الصدقة؟

أين أنت من تلاوة القرآن؟

أين أنت من حفظ كتاب الله تعالى؟

أين أنت من الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؟

أين أنت من برّ الوالدين وصلة الأرحام؟

إن الحزن والقلق والاكتئات موت قبل الموت، ثم إنه لا فائدة من ورائه، فلن يأتى الحزن بالزوج المرتقب، بل إن كثرة الأحـزان والتشكى من صفات المرأة الذميمة التى ينفر منها الرجال..

أعلم أن الزواج أمل كل فتاة ولكن.. ما الحيلة؟

فابتسمى أختاه، فإن ابتسامتك تخفف من آلامك..

ابتســمى للحياة بحلوها ومـرّها، واعلمى أن الأجر على قدر المشـقة.. ولا تيأسى من الفرج، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1].

قال ابن عباس: لن يغلب عُسر يسرين[2].

* * *

(١) سورة الشرح: آية (٥، ٦).

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص:١٠٣، ١٠٤).

يكفيك هذا

قال شقيق البلخي: - وقد كان من أطباء القلوب- يومًا لتلميذه، حاتم الأصم: ما الذى تعلمته منى منذ صُحبتى (٣٠ سنة) فقال حاتم الأصم: ستة أشياء:

الأول: رأيت الناس فى شك من أمر الرزق، وما منهم إلا وهو شحيح بما عنده حريص عليه، فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾(١) لأنى من جملة الدواب فَلَم أشغل قَلبى بما تكفل به القوى المتين... فقال له: أحسنت.

الثانى: رأيت لكل إنسان صديقًا يفشى إليه سره، ويشكو إليه أمره، ولكنهم لا يكتمون الأسرار، ولا يدفعون مصادمة الأقدار؛ فجعلت صديقى العمل الصالح ليكون لى عونًا عند الحساب، ويثبتنى بين يدى الله - عز وجل - ويرافقنى فى مرورى على الصراط... فقال له: أحسنت.

الثالث: رأيت لكل واحد من الناس عدوًّا فنظرت فإذا الذى اغتابنى ليس عدوى ولا من ظلمنى ولا من أساءنى؛ لأنه إنما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى سيئاتى، ولكن عدوى هو الذى إذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى بمعصيته فرأيت أن ذلك هو إبليس والنفس والدنيا والهوى فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم، فلا أدع واحداً منهم يقربنى. فقال: أحسنت.

الرابع: رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت - عليه السلام - هو الطالب ففرغت نفسى لملاقاته حتى إذا ما جاء بادرت معه بلا عائق... فقال له: أحسنت.

---

(١) سورة هود: آية (٦).

الخامس: نظرت إلى الناس متحابين ومتباغضين، ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئًا، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه، وهى الشهوات فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسى... فقال له: أحسنت.

السادس: رأيت أن كل ساكن لابد له من مفارقة سكنه، وأن مصير كل ساكن إلى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه إلا الجنة أو النار. فقال له شقيق البلخى: يكفيك ذلك واعمل عليه إلى الموت.

جميع لذات الدنيا سبع

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:

إخوانى، احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت. ذانك يفرقان بين المرء وزوجه، وهذه تفرق بين العبد وربه. وكيف لا، وهى التى سحرت سحرة بابل؟ إن أقبلتْ شغلت، وإن أدبرتْ قتلت[1].

● **إن جميع لذات الدنيا سبع:**

مأكل، ومشرب، ومنكح، وملبس، ومسكن، ومشموم، ومسموع، ومبصر، وهى بجملتها خسيسة... كما رُوى عن علىّ رضي الله عنه أنه قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه، وقد رآه يتنفس كالحزين: «يا عمار! إن كان تنفُّسك على الآخرة؛ فقد ربحَت تجارتك، وإن كان على الدنيا؛ فقد خسرت صفقتك».

فإنى وجدت لذاتها: المأكولات، والمشروبات، والمنكوحات، والملبوسات، والمسكونات، والمشمومات، والمسموعات، والمبصرات:

(١) المدهش (٥٣١).

فأما المأكولات: فأفضلها العسل، وهو صنعة ذباب!

والمشروبات: أفضلها الماء، وهو أهون موجود وأعز مفقود.

وأما المنكوحات: فَمَبَالٌ في مَبَالٍ.. وحسبك أن المرأة تُزيّن أحسن شيء منها، ويُراد أقبح شيء منها!.

وأما الملبوسات: فأفضلها الديباج وهو نسج دودة..

والمشمومات: فأفضلها المسك، وهو دم فأرة [١]..

والمسموعات: فريح هابة في الهواء..

والمبصرات: فخيالات صائرة إلى الفناء.

هذا كلامه. ومن آفاتها أن كلّ واحدة منها يتبرّم بها بعد استيفائها في لحظة.

فليعتبر حالة الفراغ عن الجماع والأكل بما قبله، ولينظر كيف ينقلب المطلوب مهروبًا منه في الحال؟! فأين يوازي هذا ما تدوم لذّته، ولا يفنى أبد الآباد راحته، وهو الابتهاج بكمال النفس بالفضائل النفسية، خصوصًا الاستيلاء على الكلّ بالعلم والعقل [٢]..

لا تحزن على فوات الدنيا

أيها الأخ الحبيب: لا تحزن على فوات الدنيا.. فالدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة... ولكن احزن على فوات الآخرة، واحزن على فوات كل لحظة لم تغتنمها في طاعة الله - جل وعلا -.

- فالمال لا ينفعك إلا إذا استعملته فيما يقربك من الله... والأهل لا ينفعوك إلا إذا أخذت بأيديهم وأخذوا بيديك إلى طاعة الله وإلى جنته - سبحانه وتعالى-.

---

(١) قال ابن منظور: «وربما سمى المسك فارًا، لأنه من الفار» لسان العرب (٥/ ٤٢) وفارة المسك ليست هى الفأرة التى نعرفها وإنما هو شيء يخرج من الغزال حال حياته. وسمى فارًا لشبهه بالفأر ولفورانه.

(٢) ميزان العمل للغزالى ص (١٣٦).

قال ﷺ: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقي عمله»(١).

* لقد كان سلفنا الصالح لا يخافون من فوات الدنيا وإنما يخافون من فوات الجنة وما يقرب إليها.. حتى كان الواحد منهم يحب من يُذكره بأن الدنيا هي دار الغرور وأن الآخرة هي دار السرور والحبور.

* فها هو هارون الرشيد - رحمه الله-:

قال له ابن السماك يومًا: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتُبعث منه وحدك، فاحذر المقام بين يدى الله عز وجل، والوقوف بين الجنة والنار، وحين يؤخذ بالكظم - أى: مخرج النفس من الحلق - وتزل القدم، ويقع الندم، فلا توبة تُقبل، ولا عثرة تُقال، ولا يقبل فداء بمال، فجعل الرشيد يبكى حتى علا صوته، فقال يحيى بن خالد له: يا ابن السماك، لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة، فقام فخرج من عنده وهى يبكى.

قال الفضيل: استدعانى الرشيد يومًا وقد زخرف منازله، وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها، ثم استدعى أبا العتاهية، فقال له: صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال:

عش ما بدا لك سالمًا
فى ظل شاهقة القصور
تسعى عليك بما اشتهيت
لدى الرواح إلى البكور
فإذا النفوس تقعقعت
عن ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنًا
ما كنت إلا فى غرور

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥١٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٠) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال: فبكى الرشيد بكاء كثيرًا شديدًا، فقال له الفضل بن يحيى: دعاك أمير المؤمنين تسره فأحزنته؟ فقال له الرشيد: دعه فإنه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا عمى. ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبى العتاهية: عظنى بأبيات من الشعر وأوجز فقال:

لا تأمن الموت فى طرفٍ ولا نفسٍ
ولو تمتعت بالحُجَّاب والحرسِ
واعلم بأن سهام الموت صائبة
لكل مدرّع منها ومترّسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبسِ

قال: فخر الرشيد مغشيًّا عليه[1].

* من أجل ذلك أقول لك:

* يا هذا عندك بضائع نفيسة: دموع ودماء، أنفاس وحركات، كلمات ونظرات، فلا تبذلها فيما لا قدر له.

أيصلح أن تبكى لفقد ما لا يبقى؟ أو تتنفس أسفًا على ما يفنى؟ أو تبذل مهجةً لصورة عن قليل تُمحى.

ويحك! دمعة منك تطفئ غضب ربك، وقطرة من دمٍ فى شهادة تمحو زلَلك. ونَفَسُ أسفٍ ينسف ما سلف، وخطوات فى مرضاته تغسل الخطيئات، وتسبيحة تغرس لك أشجار الخلد....[2].

* * *

(١) البداية والنهاية (١٠/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص:٢٠٣).

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر

ينبغي للعبد أن لا ينكر فى هذه الدنيا وقوع هذه المصائب، فكلٌّ ما يظن فى الدنيا أنه شراب فهو سراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجمعها فهو للذهاب.

قال أبو الفرج بن الجوزى: ولولا أن الدنيا دار ابتلاء لم تُعْتَوَرْ فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأنبياء والأخيار، فآدم يعانى المحن إلى أن خرج من الدنيا، ونوح بكى ثلاثمائة عام، وإبراهيم يكابد النار وذبح الولد، ويعقوب بكى حتى ذهب بصره، وموسى يقاسى فرعون ويلقى من قومه المحن، وعيسى ابن مريم لا مأوى له، إلا البرارى فى العيش الضنك، ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين يصابر الفقر، وقَتْل عمه حمزة وهو من أحب أقاربه إليه، ونفور قومه عنه. . . وقد قال النبى ﷺ : **«الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»**(١).

وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلانى - رحمه الله -: وهى أنه خرج يومًا بأُبهته - وكان رئيس القضاة بمصر - فإذا برجل يهودى، فى حالة رثة، فقال اليهودى: قف. فوقف ابن حجر. فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: **«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»** وها أنت ترانى فى حالةٍ رثة وأنا كافر، وأنت فى نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟! . . . . فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تُعد فى جنة، لما ينتظرك فى الآخرة من عذاب أليم - إن مت كافرًا -.

وأنا مع هذه الأبهة - إن أدخلنى الله الجنة - فهذا النعيم الدنيوى يُعد سجنًا بالمقارنة مع النعيم الذى ينتظرنى فى الجنات.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

فقال: أكذلك؟ قال: نعم. فقال: أشــهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «الدنيا سجن المؤمن» فيه تفسيران صحيحان:

أحدهما: أن المؤمن قَيَّده إيمانه عن المحظورات، والكافر مطلق التصرف.

الثانى: أن ذلك باعـتبـار العواقب، فـالمؤمن لو كان أنعم الناس فـذلك بالإضافـة إلى مآله فى الجنة كـالسجن، والكافر عكســه، فإنه لو كـان أشد الناس بؤسًا فذلك بالنسبة إلى النار جنته(٢).

الجنة دار الخلد والنعيم

عاش أحد الشعـراء معدمًا مُفلسًا، وهو فى عنفـوان شبابه، يريد درهمًا فلا يجده، يريد زوجـة فلا يحصُل عليها، فلمَّا كـبرَ سنُّه وشابَ رأسُه ورقَّ عَظْمُه، جـاءه المال من كلِّ مكان وسهُل أمر زواجه وسكَنُه، فـتأوَّهَ من هذه المتَضَادَات وأنشدَ:

ما كنـتُ أرجوه إذ كنتُ ابْن عشـرينا
ملكتُـه بعـد مـا جـاوزتُ سـبعـينَا
تطُوفُ بـى من بنات التُّـرْك أغْـزلَةٌ
مِلُ الظِّبـاءِ علـى كُـثـبـان يَبـرينا
قـالوا أنينُك طـولَ الليلِ يُسْـهِـرُنا
فـمـا الذى تشـتكى قلـتُ الثـمـانينا

* أيها الأخ الحـبيب: هل تريد أن تحيـا فلا تموت أبدًا؟.. وهل تريد أن تعيش سـليمًا مـُعافًا لا تمـرض أبدًا؟.. وهل تريد أن تظل شبـابًا ولا تهرم أبدًا؟.. وهل تريد أن تعيش مُنعَّمًا فلا تبأس أبدًا؟...

(١) إنها الجنة يا أختاه/ للمصنف (ص:٦٦).
(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١٧٧).

- إن كنت تريد ذلك فإنه لن يكون فى الدنيا بل هناك فى الجنة فالدنيا دار ابتلاء وامتحان وهى سجن المؤمن وجنة الكافر.

- أما النعيم الكامل الذى لا ينتهى أبدًا ولا ينقص بل يزيد سيكون هناك فى الجنة التى أعدها الله لعباده الصالحين... تلكم الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* وإذا أردت أن تستوثق من كلامى هذا فتأمل معى تلك النداءات التى يسمعها أهل الجنة عند دخول الجنة وبعد دخولها.

* عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «**ينادى مناد: إن لكم أن تصحّوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**»[1] ... فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

* **وعن صهيب أن النبى ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا، يريد أن ينجزكموه فيقولون: وما هو؟ ألم يثقِّلِ الله موازيننا ويبيض وجوهنا، ويُدخلنا الجنة، وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم»**[3].

* **وعن أبى سعيد الخدرى قال:** قال رسول الله ﷺ: «**إن الله - تبارك وتعالى- يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا؟**»[4].

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما.
(٢) سورة الأعراف: آية (٤٣).
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان، من حديث صهيب رضي الله عنه.
(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

دواء الأحزان

لا شك أن الإنسان مُعرّض للنكبات والمصائب، ولكن لا ينبغى أن يتصور أن ذلك هو نهاية الحياة، وأنه الوحيد الذى ابتُلى بتلك المصائب، بل عليه أن يخفّفها ويهوّنها على نفسه من خلال:

١- أن يعلم أن القدر قد سبق بذلك، وأن الذى قدّر ذلك ورضيه هو أحكم الحاكمين، فينبغى الرضا عن الله عزَّ وجلَّ فيما قدّره وقضاه.

٢- أن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وكرب، لا يُرجى منها راحة، كما قيل:

وما استغربتْ عينى فراقًا رأيتُه
ولا أعلمتنى غير ما القلب عالمه

٣- أن يعلم بأن الجزع لن يفيد، بل يضر المرء فى دينه ودنياه.

٤- أن يقدّر وجود ما هو أكبر من تلك المصيبة، كمن له ولدان ذهب أحدهما، فليقدّر كيف لو ذهب ولداه كلاهما!

٥- أن ينظر فى حال من ابتلى بمثل هذا البلاء فصبر، فإن التأسى راحة عظيمة. قالت الخنساء:

ولولا كثرة الباكين حولى
على إخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل أخى ولكن
أعزّى النفسَ عنه بالتأسى

٦- أن ينظر فى حال من ابتُلى بأكثر من هذا البلاء فيهون هذا.

٧- أن يرجو الخلف من الله تعالى... قيل للقمان: ماتت زوجتك. قال: تجدّد فراشى.

٨- أن يطلب الأجر بحمل أعباء الصبر، فلينظر فى فضائل الصبر، وثواب

الصابرين وسيرتهم فى صبرهم، وإن ترقَّى إلى مقام الرضا فهو الغاية[١].

٩- أن ينظر إلى ما هو فيه من نعم حُرِم منها الكثيرون.

١٠- ألاَّ يستسلم للإحباط الذى قد يصحب المصيبة.

١١- أن يعلم أنه كيف جرى القضاء فهو خير له.

١٢- أن يعلم أن تشديد البلاء يخصُّ الأخيار.

١٣- أن يعلم أنه مملوك، وليس للمملوك فى نفسه شىء.

١٤- أن يعاتب نفسه عند الجزع، مبينًا أن البلاء أمر لابد منه، فما وجه الجزع مما لابد منه.

١٥- أن يعلم أن المصائب تُذهب عن الإنسان كثيرًا من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب[٢].

ذكَر صاحب «الفرج بعد الشدة»: أن أحد الحكماء ابتُلى بمصيبة، فدخل عليه إخوانه يعزُّونه فى المصاب، فقال: إنى عملتُ دواءً من ستة أخلاط. قالوا: ما هى؟ قال: الخلط الأول: الثقة بالله.

والثانى: علمى بأن كل مقدور كائن.

والثالث: الصبر خير ما استعمله الممتَحنون.

والرابع: إن لم أصبر أنا فأىُّ شىء أعمل؟! ولم أكن أُعين على نفسى بالجزع.

والخامس: قد يمكن أن أكون فى شرٍّ مما أنا فيه.

والسادس: من ساعة إلى ساعة فرج.

* * *

---

(١) انظر: الثبات عند الممات ص (٢٩، ٣٠).

(٢) تسلية أهل المصائب ص(٣٠) وانظر ما بعدها.

سَلم تسْلَم

قديمًا قالوا: تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، وهذا صحيح، فليس كل ما يريده المرء يدركه، وليس كل ما يكرهه يخطئه، فالمرء يريد الصحة ويأتيه المرض، يريد الغنى ويأتيه الفقر، يريد النجاح ويأتيه الفشل، يريد الأمن ويأتيه الخوف والقلق، والواجب عليه فى كل ذلك أن يسلّم لله تعالى فى قضائه وقدره، وأن يسعى فى دفع أقدار الله تعالى بأقداره كالجائع الظمِئ يدفع جوعه وظمأه بالطعام والشراب، والعارى يدفع عُريه باللباس، والمحتاج يدفع حاجته بالعمل والكدّ والاجتهاد، والمريض يدفع مرضه بالدعاء والتداوى بالأدوية النافعة، وهو فى كل ذلك مُسلِّم لأمر الله تعالى راضٍ بقضائه، يعلم أن وراء ذلك حكمة بالغة قد لا يدركها عقله.

فيا أخى!

كن عن همومك معرضًا
وكِلِ الأمور إلى القضا
وانعم بطولِ سلامة
تسليكَ عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق
وربما ضاق الفَضَا
ولربّ أمرٍ مسخط
لك فىَ عواقبه الرضا
الله يفعل ما يشاءُ
فلا تكن متعرضا(١)

---

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٢٤، ٢٥).

لا تنظر إلى الوراء

تذكُّر الماضى والتفاعــل معه واستحضاره، والحــزن لمآسيه حمقٌ وجنون، وقتلٌ للإرادة وتبـديد للحياة الحـاضرة. إن ملف الماضى عند العـقلاء يُطوى ولا يُروى، يغلق عليه أبدًا فى زنزانة النسـيان، يقيد بحبـال قوية فى سجن الإهمال فلا يخــرج أبدًا، ويوصد عليه فلا يرى النور؛ لأنــه مضى وانتهى، لا الحزن يعيده، لا الهم يصلحه، لا الغم يصـححه، لا الكدر يحييه؛ لأنه عدم، لا تعش فى كابوس الماضى وتحت مظلة الفائت، أنقذ نفسك من شبح الماضى، أتريد أن تَرُدَّ النهر إلى مَصَبِّــه، والشمس إلى مطلعها، والطفل إلى بطن أمه، واللبن إلى الثدى، والدمعة إلى العين، إنك بتفاعلك مع الماضى، وقلقك منه واحتــراقك بناره، وانطراحك على أعتابه جعلت لنفـسك وضعًا مأساويًّا رهيبًا مخيفًا مفزعًا.

القراءة فى دفتــر الماضى ضياع للحاضر، وتمزيق للجهــد، ونسفٌ للساعة الراهنة، . . . ذكر الله الأمم وما فَعَلَت ثم قال: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾[١] انتهى الأمر وقضى، ولا طائل من تشريح جثة الزمان، وإعادة عجلة التاريخ.

إن الذى يعود لــلماضى، كالذى يطـحن الطحين وهو مطحـون أصلاً، وكالذى ينشر نشارة الخشب. وقديمًا قالوا لمن يبكى على الماضى: لا تُخرج الأموات من قـبورهم، وقد ذكر من يتـحدث على ألسنة البهـائم أنهم قالوا للحمار لم لا تجتر[٢]؟ قال: أكره الكذب.

إن بلاءَنا أننا نعـجز عن حـاضرنا ونـشتـغل بماضينا، ونهـمل قصـورنا الجميلة، ونندب الأطلال البالية، ولئن اجتمعت الإنس والجن على إعادة ما مضى لما استطاعوا؛ لأن هذا هو المحال بعينه.

---

(١) سورة البقرة: آية (١٣٤).

(٢) اجتر البعير: إذا أخرج ما فى بطنه ليمضغه ثم يبلعه.

إن الناس لا ينظرون إلى الوراء ولا يلتفتون إلى الخلف؛ لأن الريح تتجه إلى الأمام والماء ينحدر إلى الأمام والقافلة تسير إلى الأمام، فلا تخالف سنة الحياة[١].

خفف آلامك

لاشك أن الإنسان معرَّض للنكبات والمصائب، ولكنه لا ينبغى أن يتصور أن ذلك هو نهاية الحياة، وأنه الوحيد الذى ابُتلى بتلك المصائب.

لا تنظر إلى مصيبتك على أنها أعظم المصائب، بل انظر إلى ما أصيب به غيرك فستجد أن مصيبتك تمثل نقطة فى بحر بالنسبة إلى ما أصيب به هؤلاء..

فإذا ما كُسرت يدك، فانظر إلى من قُطعت يداه!

وإذا ما أُصبت بمالك؛ فانظر إلى من لا يجد طعامًا لنفسه أو لعياله.

وإذا مرضت شهرًا أو شهرين؛ فانظر إلى مَن مرضه مستمر لا ينقطع.

وإذا فقدت ابنًا من أبنائك؛ فانظر إلى من فقد جميع أبنائه وأهله فى حادث أو غيره..

إذا استشعرت ذلك؛ فسوف تعلم أن هناك من هو أكثر منك إيمانًا، وأعظم رضًا، وسوف يدعوك ذلك إلى اقتفاء أثرهم والسير على خطاهم، لتنال الأجر الذى نالوه، وتصل إلى المنزلة التى وصلوا إليها.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح

قال ابن الجوزى: «من نزلت به بلية فأراد تمحيقها[٢]، فليتصورها أكثر مما هى عليه تَهُن، وليتخايل ثوابها، وليتوهم نزول أعظم منها، ير الربحَ فى

(١) ثلاثون سببًا للسعادة ص (٧، ٨).

(٢) تمحيقها: إبطالها.

الاقتصار عليها. وليتلمح سرعة زوالها، فإنه لولا كربُ الشدة ما رُجيت ساعات الراحة، وليعلم أن مدةَ مقامها عنده، كمدة مقام الضيف، فليتفقَّد حوائجه فى كلّ لحظة، فيا سرعةَ انقضاء مقامه! ويا لذةَ مدائحه وبشره فى المحافل ووصف المضيف بالكرم.

فكذلك المؤمن فى الشدة، ينبغى أن يراعى الساعات، ويتفقّد فيها أحوال النفس، ويتلمَّحَ الجوارحَ؛ مخافة أن يبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخُّط، فكأن قد لاح فجرٌ الأجر، فانجاب[1] ليل البلاء، ومُدح السارى بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء، إلا وقد وصل إلى منزل السلامة»[2].

كن راضيًا عن الله

احرص على أن تكون دائمًا وأبدًا راضيًا عن الله.. راضيًا بقضائه وقدره.. واعلم علم اليقين أن الله لا يبتليك ليعذبك وإنما يبتليك ليطهرك ويُقربك.

ومن هنا كان بعض السلف لا يحزن إذا نزلت به مصيبة؛ لأنه يعلم ما وراءها من الأجر فهو يعدها نعمة من نعم الله تعالى عليه.

- عن عقبة أنه مات ابنٌ له يُقال له يحيى، فلما نزل فى قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه. فقال عقبة: وما يمنعنى أن أحتسبه، وكان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

- وعن سهيل بن الحنظلية الأنصارى - وكان لا يولد له - قال: لأن يولد لى ولد سقط فأحتسبه أحبّ إلىَّ من أن يكون لى الدنيا بأجمعها، وكان ابن الحنظلية ممن بايع تحت الشجرة.

---

(١) انجاب: انكشف.

(٢) صيد الخاطر ص(١٣٣ ، ١٣٤).

- وعن ثابت البنانى أن صلة بن أشيم كان فى غزاة له ومعه ابن له، فقال لابنه: أىْ بنىَّ: تقدم فقاتل حتى أحتسبك، فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقُتل، فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة العدوية فقالت للنساء: مرحبًا؛ إن كنتن جئتُنَّ لتُهَنّئننى مرحبًا بكنّ، وإن كنتنَّ جئتُنَّ لغير ذلك فارجعن.

ادفع الوساوس بالعمل الجاد

إن الفراغ نعمة عظيمة لمن استخدمها فى أى عمل يعود عليه بالخير فى أمر دينه أو دنياه... ولكن الفراغ عند أكثر الناس أصبح نقمة؛ لأنه يقوده إلى الخوض فى الخيالات والأراجيف والوساوس.

- روى البخارى أن النبى ﷺ قال: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»** (١).

* وعلاج هذه المشكلة - حتى لا تحزن - أن تدفع تلك الوساس والخيالات والأراجيف بالعمل الجاد المثمر النافع الذى يعود عليك بالخير فى دينك ودنياك.

يقول جورج برناردشو: «يكمن سرُّ التعاسة فى أنْ يتاح لك وقت لرفاهية التفكير، فيما إذا كنت سعيدًا أو لا، فلا تهتم بالتفكير فى ذلك، بل ابقَ منهمكًا فى العمل، عندئذ يبدأ دمك فى الدوران، وعقلك بالتفكير، وسرعان ما تُذهبُ الحياة الجديدة القلق من عقلك! اعمل وابقَ منهمكًا فى العمل، فإن هذا أرخص دواء موجود على وجه الأرض وأفضله».

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٥).

اطرح التوافه ولا تحزن

فمن النـاس من يهتم ويحزن إذا حـدث أى شىء ولو كان يسـيرًا فـتراه حزينًا كاسف البـال إذا فقد الحذاء، أو تعطلت سيارته، أو سـمع كلمة نابية من أحد أو حدث خـلاف بسيط بينه وبين زوجته، فمـثل هذا الإنسان يبذل أكثـر وقته وجهـده فى أشياء لا ينبغـى أن تأخذ من وقته كل هذه المسـاحة الكبيـرة.. بل ينبغى عليـه أن يتقـبل هذه الأمور العـادية بصدر رحب ولا يجعلهـا تكدر خاطره أبدًا... وهذا سـيساعـده كثيـرًا على أن يُفرغ نفـسه للاشتغال بمعالى الأمور.

اجعل لذة الدنيا موصلاً لك إلى لذة الآخرة

أخى الحبيب! إن الناس يختلفون فى تصورهم للذات وطلبهم لها. ولذة كلّ أحد على حسب قدره وهمته وشرف نفسه..

فأشرف الناس نفسًا، وأعلاهم همة، وأرفعهم قدرًا، مَن لذته فى معرفة الله ومحبته، والشوق إلى لقائه، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه.

ودون ذلك مـراتب لا يحصـيهـا إلا الله، حتى تنتـهى إلى مَن لذته فى أخس الأشيـاء من القاذوراتِ والفـواحش فى كل شىء من الكلام والفـعال والأشغال.

فلو عُرض عليـه ما يلتذ به الأول لم تسمح نفـسه بقبوله، ولا التـفتت إليه! وربما تألمت من ذلك!!

كمـا أن الأول إذا عُرض عليه مـا يلتذ به هذا لم تسمح نفـسه به، ولم تلتفت إليه، ونفرت نفسه منه.

وأكمل الناس لذة من جمع بين لذة القلب والروح ولذة البدن.

فهو يتناول لذاته المباحة على وجهٍ لا ينقصُ حظّه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس به.

فهذا ممن قال تعالى فيه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[1].

وأبخسهم حظًا من اللذة من تناولها على وجهٍ يحول بينه وبين لذات الآخرة، فيكون ممن يُقال لهم يوم استيفاء اللذات: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[2].

فهؤلاء تمتعوا بالطيبات، وأولئك تمتعوا بالطيبات، وافترقوا في وجه التمتع. فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذى أُذن لهم فيه، فجُمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة.

وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذى دعاهم إليه الهوى والشهوة، وسواء أُذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لذة الدنيا، وفاتتهم لذة الآخرة، فلا لذة الدنيا دامت لهم، ولا لذة الآخرة حصلت لهم.

فمن أحب اللذة ودوامها والعيش الطيب، فليجعل لذة الدنيا موصلاً له إلى لذة الآخرة، بأن يستعين بها على فراغ قلبه لله فى إرادته وعبادته، فيتناولها بحكم الاستعانة والقوة على طلبه، لا بحكم مجرد الشهوة والهوى[3].

* * *

---

(١) سورة الأعراف: آية (٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: آية (٢٠).

(٣) الفوائد ص (٢١٩، ٢٢٠).

نعمة الأمل

إن أفكارنا هى الـتى تلد كل شىء - بإذن الله - وليس لـلحـوادث من أهمية إلا فى الحدود التى نسمح لها أن تغرس فينا أفكارًا سلبية مدمرة.

إن الناجحين يحتفظون فى الأزمـات والصعوبات بأملٍ زاهر لا يتزعزع. وهذا الأمل هو سبب معاودة النجاح.

تخـيَّل عالمك الداخلى كـحقل تنـبت فيـه كلّ فكرة من أفكارك. راقب العواطف والأفكار التى تعتلج فى نفسك وتساءل: ما هى الثمرة التى تعطيها هذه الفكرة؟ فإذا كانت الثمار من النوع الذى لا تريد اقتطافه، فما عليك إلا أن تنتزع البذرة الصَّغيرة دون خوف، وتضع مكانها بذرة صالحة[١].

لا تحزن... فالله معك

والله لو سجدنا منذ أن خلقنا الله - جل وعلا - وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ ما استطعنا أن نشكر الله على نعمة الإيمان الذى قذفه فى قلوبنا.

* وإذا أردت أن تعرف سبب كلامى هذا فانظر إلى أى إنسان عاش على غير الإسلام... تجده إذا نزلت به مصيبة، أو مات له حبيب، أو فقد ماله، أو منصـبه أو أخـفق فى أى عملٍ، أو شُنت عـليه غـارة من النقد والشـتم والتجريح.. تجده لا يجد إيمانًا يُصبره ويسليه ولا يجد من يركن إليه فيبادر فى التو واللحظة إلى قتل نفسه فينتحر.

* أما المؤمن فهو يعيش فى معية الله - جل وعلا- راضٍ بقضاء الله فإذا نزلت به مصيبة فإنه يفزع ويفر إلى الله - جل وعلا - ليفرج همه... فتراه باكيًا نادمًا على ما بدر منه ساجدًا بين يدى الله ذاكرًا لله متوكلاً على الله.

- فما دمت عرفت طريق الهداية واعتصمت بالله فلا تحزن.

---

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص:٣٦ ، ٣٧).

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

قد تجد إنسانًا يسكن أفخم القصور ويركب السيارات الفارهة ويأكل أشهى وأطيب المطعومات ويتزوج أجمل النساء ومع ذلك تجد أن الهم قد التهم فؤاده والغم قد سكن قلبه... يبحث عن البسمة فلا يجدها وإن ابتسم فمن وراء قلبه.

- وفى المقابل قد تجد إنسانًا فقيرًا قد افترش الأرض والتحف السماء لا يجد إلا قوت اليوم، ولا يمتلك أى شىء من زهرة الحياة الدنيا؛ ومع ذلك تجد قلبه مطمئنًا وصدره منشرحًا، لا تفارق البسمة وجهه لحظة واحدة... فيا تُرى ما السر فى ذلك؟

- السر يكمن فى تذوق حلاوة الإيمان والطاعة... ومعرفة قدر الدنيا بالنسبة للآخرة فإن من عرف قدر الدنيا لم يشغل نفسه بتذكر الماضى الأليم، ولم يقلق على المستقبل البعيد وإنما جعل همه يومه الذى يعيشه الآن، فاغتنم كل لحظة فى طاعة الله وأخذ بأسباب الدنيا ليجد ما يكفيه، وجعل الجنة نصب عينيه فاجتهد ليصل إليها.

- وبالجملة: فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء... فليس المراد من كلامى أن السعادة تكمن فى الفقر وأن الشقاء يكمن فى الغنى وإنما السعادة تكمن فى القرب من الله والفوز برضوانه وجنته.

العوض من الله

من ترك شيئًا لله - عز وجل - عوّضه الله خيرًا منه ومن جنسه.

لما عقر نبى الله سليمان الخيل غضبًا له إذ شغلته عن ذكره، فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متن الريح.

ولّما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها فى مرضاته أعاضهم عنها أن ملّكهم الدنيا وفتحها عليهم.

ولّما احتمل يوسف الصديق ضيق السجن شكر له ذلك بأن مكّن له فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

ولما تغيّرت رائحة أفواه الصائمين له، كان خلوف فم الصائم أطيب عنده فى الآخرة من ريح المسك.

ولما عطش أولياؤه فى صيامهم كان جزاؤهم دخولهم من باب الريّان لا يدخله غيرهم.

ولّما بذل الشهداء أبدانهم له حتّى مزقتها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم عنها طيرًا خضرًا أقر أرواحهم فيها تَرِدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها إلى يوم البعث فيردها عليهم أكمل ما تكون وأجمله وأبهاه، . . . ولّما بذل رسله أعراضهم فيه لأعدائهم، فنالوا منهم وسبوهم؛ أعاضهم عن ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء فى سمواته وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار.

لّما قُتل الشهداء فى سبيله وهب لهم الخلود والحياة.

كل إنسان يا أخى يعاملك ليربح منك، ويكسب عليك، أمّا الله - عز وجل- فإنه يعاملك لتربح أنت منه، فالحسنة عنده بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة عنده بواحدة، وهى أسرع شىء فى المحو. يشكر اليسير من العمل، ويغفر الكثير من الزلل. رحمته سبقت غضبه، وحلمه سبق مؤاخذته، وعفوه سبق عقوبته. أرحم من الوالدة بولدها[١] .

* * *

(١) موارد الظمآن (ص: ٩٦- ٩٨) بتصرف.

تكيَّف مع الواقع.. ولا تحزن

إن العبد يعلم أن الدنيا لا تساوى عـند الله جناح بعوضة، وأنها بكل ما فيها من المتع واللذات لا تساوى مثقال ذرة من متاع الجنة.

* فعليك - أخى الحبيب - أن تتكيف مع الواقع الذى تحياه.. فإن كنت فقيـراً لا تملك فى البيت إلا قربة ماء، وقـصعة وجفنة وبساطًا من الحـصير فاحـمد الله - جل وعـلا - وتكيف مع هذا الوضع ولا تتطلع إلى مـا فى أيدى الناس من حـولك، واصبـر على ذلك... فإذا وسَّع الله عليك بـعد ذلك فأصـبحت تعيش فى قصر جـميل وفيـه أثاث فاخر فـتكيف مع هذا الوضع الجديد واشكر الله - عز وجل - على هذه النعم.

* وإن أُصبت فى جـسدك ففـقدت جارحـة من جوارحك فاحـمد الله وتكيَّف مع هذا الواقع.

- ويُحكى أن رجلاً قفـز من نافذة وكان بأصبعة اليـسرى خاتم، فنشب الخاتم بمسمار فى النافذة، ومع سقط الرجل اقتلع المسمار أصبعه من أصلها، وبقى بأربع أصابع، يقول عن نفسه: لا أكاد أتذكَّر أن لى أربع أصابع فى يد فحسب، أو أننى فقـدتُ أصبعًا من أصابعى إلا حينمـا أتذكر تلك الواقعة، وإلا فعملى على ما يرام ونفسى راضية بما حدث: «قدّر الله وما شاء فعل».

وأعرف رجلاً بُتِرَت يده اليسـرى من الكتف لمرض أصابه، فعاش طويلاً وتزوَّج، ورُزق بنينَ، وهو يقود سيارته بطلاقة، ويؤدى عمله بارتياح، وكأن الله لم يخلق له إلا يدًا واحدة: «**ارضَ بما قسم الله لك، تكنْ أغنى الناس**»(١).

* * *

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٥) كتاب الزهد، وأحمـد (٨٠٣٤)، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٣٠).

لا تحزن.. فلن تموت
إلا فى اللحظة التى قدرها الله

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

فهناك أجلُ مسمى لا يستطيع أحد من البشر أن يقدمه أو يؤخره.. فلو اجتمع أهل الأرض على أن يقدموا موت إنسانٍ ساعة واحدة ما استطاعوا ولو اجتمع أهل الأرض على أن يؤخروا موت إنسانٍ ساعة واحدة ما استطاعوا.

* إذن فلماذا الحزن والخوف من أن تموت قبل أوانك.

- قال على بن أبى طالب رضي الله عنه:

«إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، وإن الدنيا قد ارتحلتْ مُدْبِرة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل».

ذكر الشيخ على الطنطاوى فى سماعاته ومشاهداته: أنه كان بأرض الشام رجل له سيارة لورى، فركب معه رجل فى ظهر السيارة، وكان فى ظهر السيارة نعش مهيأ للأموات، وعلى هذا النعش شراع لوقت الحاجة، فأمطرتِ السماء وسال الماء فقام هذا الراكب فدخل فى النعش وتغطّى بالشراع، وركب آخر فصعِد فى ظهر الشاحنة بجانب النعش، ولا يعلم أنَّ فى النعش أحداً، واستمر نزول الغيث، وهذا الرجل الراكب الثانى يظنُّ أنه وحده فى ظهر السيارة، وفجأة يُخرج هذا الرجل يدَه من النعش، ليرى: هل كفَّ الغيث أم لا؟ ولما أخرج يده أخذ يلوح بها، فأخذ هذا الراكب الثانى الهلَع والجزَع والخوف، وظنَّ أن هذا الميت قد عاد حيًّا، فنسى نفسه وسقط من السيارة، فوقع على أمّ رأسه فمات.

(١) سورة النحل: آية (٦١).

* وذكر الطنطاوى أيضًا فى سماعاته ومشاهداته: أن باصًا كان مليئًا بالركاب، وكان سائقه يلتفتُ يمنة ويسرة، وفجأة وقف، فقال له الركاب: لِمَ تقف؟ قال: أقف لهذا الشيخ الكبير الذى يُشير بيده ليركب معنا. قالوا: لا نرى أحدًا، قال: انظروا إليه. قالوا: لا نرى أحدًا! قال: هو أقبل الآن ليركب معنا. قالوا كلهم: والله لا نرى أحدًا من الناس! وفجأة مات هذا السائق على مقعد سيارته.

* وذكرتْ جريدة «القصيم» أن شابًّا فى دمشق حجَز ليسافر، وأخبر والدته أن موعد إقلاع الطائرة فى الساعة كذا وكذا، وعليها أن توقظه إذا دنا الوقت، ونام هذا الشاب، وسمعتْ أمُّه الأحوال الجوية فى أجهزة الإعلام، وأن الرياح هوجاء، وأن الجو غائم، وأن هناك عواصف رمليَّة، فأشفقتْ على وحيدها وبخلت بابنها، فما أيقظته أملاً منها أن تفوته الرحلة؛ لأن الجو لا يساعد على السفر، وخافت من الوضع الطارئ، فلما تأكَّدت من أن الرحلة قد فاتت، وقد أقلعت الطائرة بركَّابها، أتت إلى ابنها توقظه فوجدتْه ميِّتًا فى فراشه.

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

اعرف طبيعة الحياة

لابد فى الحياة من كدر، ولابد فيها من منغصات، ولابد فيها من توتر وابتلاء، فهذه الأمور من حكم الله سبحانه فى الخلق، لينظر أيُّنا أحسن عملاً.

فالواجب أن نعرف طبيعة الحياة وأن نتقبلها على ما هى عليه. ولا يمنع

(١) سورة الجمعة: آية (٨).

ذلك من دفع الأقدار بالأقدار، ومقاومة المكاره بما يُذهبها، فإن معرفة طبيعة الحياة لا يعنى سيطرة روح اليأس، بل عكس ذلك هو الصحيح[1] .

تفاءل فإن التفاؤل يدفع الأحزان

* لا تحزن فلن يفيدك الحزن شيئًا.
* لا تحزن فلن يخفف الحزن مصابًا.
* لا تحزن فلن يحقق الحزن نجاحًا.
* لا تحزن فلن يعيد الحزن مجدًا.
* لا تحزن فلن يردّ الحزن مفقودًا.
* لا تحزن فلن يزيدك الحزن إلا نكدًا.
* تفاءل فإن التفاؤل يدفع الأحزان.
* تفاءل فإن التفاؤل يدفع إلى العمل والنجاح.
* تفاءل فإن الفرج مع الكرب.

رويدك فالهموم لها رتاجُ
وعن كثب يكون لها انفراجُ
ألم تر أن طول الليل لما
تناهى حان للصبح انبلاج

* يقول حكيم: ما شكوت الزمان، ولا برمت بحكم السماء إلا عندما حفيت قدماى، ولم أستطع شراء حذاء، فدخلت مسجد الكوفة وأنا ضيق الصدر، فوجدت رجلاً بلا رجلين، فحمدت الله، وشكرتُ نعمته.

فكم راحةٍ أتعبت أهلها
وكم دعةٍ نتجت من تعب

---

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص:٢٦، ٢٧).

* كان بعض المتقدمين ليلة فى البادية فى غم شديد، فألقى فى روعه بيت من الشعر فقال:

أرى الموت لمن أصبـ
ـح مغموما له أصلح

فلمَّا جنَّ عليه الليل سمع هاتفًا يهتف:

ألا يا أيها المرء الـ
ـذى الهمُّ به برَّح
وقد أنشد بيتًا لم
يزل في ذكره يسنح
إذا اشتدَّ بك العسر
ففكّر فى ألم نشرح
فعسرٌ بين يسرين
إذا أبصرته فافرح

قال: حفظت الأبيات ففرج الله غمى.

أخى:

تصبَّر إن عقبى الصبر خير
ولا تجزع لنائبة تنوب
فإن اليسر بعد العسر يأتى
وعند الضيق تنكشف الكروب

ولبعضهم:

فلا تجزع وإن أعسرت يومًا
فقد أيسرت فى الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء
فإنَّ الله أولى بالجميل

ولا تيأس فإن اليأس كفر
لعل الله يغني عن قليل
فإن العسر يتبعه يسار
وقيل الله أصدق كل قيل

ولبعضهم:

عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى
له فرجًا مما ألجَّ به الدهر
عسى فرج يأتي به الله إنه
له كل يومٍ في خليقته أمر
إذا لاح عسر فارج يسرًا فإنه
قضى الله أن العسر يتبعه اليسرُ(١)

من ذاق عرف.. ومن عرف اغترف

«قال إبراهيم بن بشّار الصُّوفي: خرجتُ أنا وإبراهيم بن أدهم وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري، نريدُ الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له: «نهر الأردن»، فقعدنا نستريحُ، وكان مع أبي يوسف كُسيراتٌ يابساتٌ، فألقاهنَّ بين أيدينا، فأكلنا وحمدنا الله، فقمتُ أسعى أتناول ماءً لإبراهيم، فبادر إبراهيم، فدخل النهر، حتى بلغ الماءُ ركبتيه، فقال بكفَّيه في الماء فملأهما، ثم قال: بسم الله. وشرب، فقال: الحمد لله. ثم إنه خرج من النهر، فمدّ رجليه، قال: يا أبا يوسف، لو علِم الملوك وأبناءُ الملوك، ما نحن فيه من النعيم والسرور، لجالدُونا بالسيوف أيام الحياة، على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلّة التعب، فقلت له: يا أبا إسحاق، طلب القومُ الراحةَ والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟»(٢).

---

(١) انظر: نور الاقتباس ص (١١٩، ١٢٠).

(٢) الحلية (٨/ ٣٧١)، وصفة الصفوة (٤/ ١٢٧).

* قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله-: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها فلن يدخل جنة الآخرة. قيل: ما هي يا إمام؟. قال: إنها جنة الإيمان.

* وقال أحدهم: إن أهل الليل في ليلهم - أي: أهل قيام الليل - ألذ وأطيب عيشًا من أهل اللهو في لهوهم وإنه لتمر بالقلب ساعات يسعد فيها سعادة حتى أقول: إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي سعادة غامرة.

* فأي لذة هذه؟ وأي نعيم هذا؟

إن أحدهم كان لا يجد درهمًا يسدّ به جوعته، أو دارًا يسكنها، أو حمارًا يركبه.. أو ثوبًا جديدًا غير الذي يلبسه.. ومع ذلك يتحدثون عن اللذة والنعيم الذي هم فيه!

نعم! إنها لذة ونعيم.. لذة الرضا.. لذة الطاعة.. لذة القرب من الله تعالى.. لذة المعرفة.. لذة الإخلاص والصدق في العبودية.. لذة السكينة والطمأنينة..

أليست كلّ هذه لذات عظيمةٌ حُرم منها كثير من الناس؟

وأي لذة في الأموال إذا افتقد صاحبها الأمن والسكينة والطمأنينة؟!

وأي لذة في الذهب والفضة إذا كان صاحبها مبتلّى بالخوف من زوالها والقلق عليها والحرص على جمع المزيد منها؟! [1].

* فالسعادة الحقيقية في ظل الإيمان والطاعة وليست في الدرهم والدينار والمنصب والجاه.

* فاحرص على لذة قيام الليل ومناجاة الرحيم الرحمن - جل وعلا-.. واحرص على كل طاعة تقربك من الله... وعندها ستجد السعادة الحقيقية التي كنت تبحث عنها.

ومن ذاق عرف.. ومن عرف اغترف.

---

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٢٦٤).

رُب ضارة نافعة

فقد يحدث لك أمرٌ فتظن أنه قد اجتمع فيه الشر كله وإذا به يكون هو عين الخير لك.

ألَّف ابن الأثير كُتبه الرائعة، كـ: «جامع الأصول»، و«النهاية»، بسبب أنه مُقْعَد.

وألَّف السرخسى كتابه الشهير «المبسوط» خمسة عشر مجلَّدًا؛ لأنه محبوس فى الجُبّ!

وكتب ابن القيم «زاد المعاد» وهو مسافر!

وشرح القرطبى «صحيح مسلم» وهو على ظهر السفينة!

وجُلُّ فتاوى ابن تيمية كتبها وهو محبوس!

وجمع المحدّثون مئات الآلاف من الأحاديث؛ لأنهم فقراء غرباء.

وأملى أبو العلاء المعرى دواوينه وكُتُبه وهو أعمى!

ذكر أهل السِّير: أن رجلاً أصابه الشلل، فأُقعد فى بيته، ومرت عليه سنوات طوال من الملل واليأس والإحباط، وعجز الأطباء عن علاجه، وبلَّغوا أهله وأبناءه، وفى ذات يوم نزلت عليه عقرب من سقف منزله، ولم يستطع أن يتحرك من مكانه، فأتت إلى رأسه وضربتْه برأسها ضربات، ولدغتْه لدغات، فاهتز جسمه من أخمص قدميه إلى مشاش رأسه، وإذا بالحياة تدبُّ فى أعضائه، وإذا بالبُرء والشفاء يسير فى أنحاء جسمه، وينتفض الرجل ويعود نشيطًا، ثم يقف على قدميه، ثم يمشى فى غرفته، ثم يفتح بابه، ويأتى أهله وأطفاله، فإذا الرجل واقفًا، فما كانوا يصدِّقون، وكادوا من الذهول يُصعَقون، فأخبرهم الخبر.

فسبحان الذى جعل علاج هذا الرجل فى هذا!!

حكى الحافظ أبـو ذر الهروى أنه: كان ببغـداد يقرأ على أبى حفصٍ ابن شاهـين فى دكان عطار، وأنه شـاهد رجلاً جـاء إلى العطار، فدفع إلـيه عشرة دراهم، وأخـذ منه حوائج، وجعلها فى طبق ووضـعه على رأسه، فزلق ووقع طبقه، وتفرقت حوائجه، فبكى واشتد بكاؤه وقال: لقد ضاع منى فى قافلة كذا وكـذا؛ صندوق فيه أربعة آلاف دينار، ومعهـا فصوص قيـمتُـها مـثل ذلك، فما جـزعت لضيـاعهـا، ولكن وُلد لى الليلة ولد، فاحتـجنا فى البيت إلى ما تحتـاج إليه النفساء، ولم يكن عـندى غير هذه العشـرة دراهم، فلمـا قدَّر الله ما قـدَّر جَزِعت، وقلت: لا أنا عـندى ما أرجع به اليوم إلى أهلى، ولا ما أكتـسب لهم غدًا، ولم يبق لى حيلة إلا الفرار عنهم، وتركـهم على هذه الحال فيهلكون بعـدى، فلم أملك نفسى أن جزعت هذا الجزع.

قال أبو ذر: ورجلٌ من شيوخ الجند جـالس على باب داره، فسمع هذا كلّه، فسـأل الجندى أبا حفص أن يدخل هو وأصحـابه والرجل المصاب معه إلى بيـته ففعل. وطلب من الرجل المصاب إعادة الحكاية فى الصندوق، فأعاد ذلك عليه.

وسأله عمن كان فى تلك القافلة، وعن المكان الذى ضاع فيه الصندوق، فأخبره. ثم سأله عن صفة الصندوق وعلامته، فأخبره بذلك.

فقال: لو رأيته كنت تعـرفه؟ قال: نعم. قـال: فأخرجه إليـه. فلما رآه قال: هذا الصندوق الذى سقط منى، وفيه من الأحجار ما صفته كذا وكذا. ففـتح الصندوق فوجـد الأحجار عـلى ما وصف، فدفـعه إليـه وخرج من عنده، وقد صار من الأغنياء.

فلمـا خرج بكى الشـيخ الجندى بكاء شـديدًا، فـسئُل عن سـبب بكائه فقـال: إنه لم يكن بقى لى فى الدنيـا أمل ولا أمنيـة أتمناها إلا أن يأتى الله

بصاحب هذا المال فيأخذه، فلما قضى الله بذلك بفضله، ولم يبق لى أملٌ، علمت أنه قد حان أجلى.

قال أبو ذر: فما انقضى شهر حتى توفى وصلينا عليه(١).

الثقة بالله

لا تعتقد أن مرضك مزمن، وأن آلامك لا تنقطع أبدًا، فما من شىء يبقى فى هذا العالم دون تجدد.

إنك تستطيع - بثقتك بالله تعالى وتوكلك عليه - أن تتجدد وتحيا حياة جديدة(٢).

الرضا والقناعة مصدر قوة للمسلم

إن القناعة بالقليل من الرزق ليست مصدر ضعف. كما يتوهم قصار النظر من الناس، كلا.. إنها مصدر قوة لأصحاب المبادئ، وحملة الرسالات المكافحين، الذين يتعرضون للاضطهاد والمصادرة والحرمان، فترى أحدهم يخوض المعركة ضد الباطل والظلم، صلب العود، متين البنيان، ثابت القدم؛ لأنه يعلم من نفسه أن القليل يكفيه مما جشب من الطعام، وما خشن من اللباس، وشظف من العيش.

إنه ينظر إلى قصور الأمراء، وخزائن الملوك، ورياش المترفين، كما ينظر راكب الطائرة المحلقة فى أعالى الفضاء إلى القرى والمدن والناس، إنه يرى القصور الشاهقة كالعلب الصغيرة، ويرى البشر كالنمل فى جحوره.

وقد قال حكيم شرقى لأحد تلاميذه: عش على أرز وماء، متخذًا من ذراعك المطوية وسادة تكن نشوة النفس نصيبك، وأما الثراء الذى ساءت

(١) نور الاقتباس ص (١١٠، ١١١).

(٢) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣٨).

وسائله، والأمجـاد التى جاءتك عن طرائق السوء فكالسـحائب العابرة، لا خصب فيها ولا نماء.

ومما حكى عن المسيح عليه السلام أنه كان يقول: لباسى الصوف، وطعامى الشعير، وسراجى القمر، ودابتى رجلاى، ووسادتى ذراعى... أبيت وليس لى شىء، وأصبح وليس لى شىء، وليس على وجه الأرض أغنى منى!!

وصاحب المبدأ والرسالة إذا تمكنت هذه القناعة من نفسه لم يعد يبالى أو يخاف، إنه يتغنى بما تغنى به الإمام الشافعى:

أنا إن عـــشت لست أعــدم قـــوتا
وإذا مت لـست أعـــدم قـــبــــرا
همــتى همــة الملوك ونفــسى نفس
حـــــر تـرى المذلة كـــــفـــــرا
وإذا مــا قنعت بالـقـوت عــمــرى
فلمـــاذا أخـــاف زيدًا وعـــمــرا؟

ويحكى الإمام الغزالى فى كتاب «الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» من إحيـائه: أن شيـخًا كان يمـشى فى الطريق يلتقط النـوى من الأرض فكسر «عودًا» مع خادم يحمله إلى جارية من جوارى أحد الأمراء تغنى عليه، وبلغ الخبر الأمـير فاستـشاط غضبًا واحـمرت عيناه، وأرسل ليأتوا إليـه بالشيخ، فجاء الرسول فقال: أجب الأمير فقال الشيخ: نعم. قال: اركب فقال: لا. فجـاء يمشى حتى وقف علـى باب القصر، فـغير الأمـير مجلسـه، ثم أمر بالشيخ فأُدخل. وفى كـمه الكيس الذى فيه النوى. فقـال له الخادم: أخرج هذا من كمك وادخل على الأمير، فقال: من هذا عشائى الليلة.

قال: نحن نعشيك.

قال: لا حاجة لى فى عشائك.

فقال الأمير للخادم: أى شىء تريد منه؟

قال: فى كمه نوى، قلت له اطرحه وادخل على الأمير.

فقال الأمير: دعه لا يطرحه.

فدخل وسلم وجلس، فقال له الأمير: يا شيخ، ما حملك على ما صنعت؟

قال: وأى شىء صنعت؟

وجعل الأمير يستحيى أن يقول: كسرت عودى!

فلما أكثر عليه قال: إنى سمعت آباءك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾(١) وأنا رأيت منكرًا فغيرته، فقال له الأمير: فغيره. قال راوى القصة: فوالله ما قال إلا هذا. فلما خرج أعطى الأمير رجلاً بدرة بها (عشرة آلاف درهم) وقال: اتبع الشيخ، فإن رأيته يقول: قلتُ للأمير وقال لى: فلا تُعطه شيئًا، وإن رأيته لا يُكلِّم أحدًا فأعطه البدرة.

فلما خرج من القصر إذا هو بنواة فى الأرض، قد غاصت فجعل يعالجها. ولم يكلم أحدًا. فقال له: يقول لك الأمير: خذ هذه البدرة. فقال: قل للأمير يردها من حيث أخذها.

ويروى أنه أقبل - بعد فراغه من كلامه - على النواة التى يعالج قلعها من الأرض وهو يقول:

أرى الدنيا لمن هى فى يديه
همومًا كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر
وتُكرم كل مَنْ هانت عليه

---

(١) سورة النحل: آية (٩٠).

إذا استغنيت عن شيء فدعه
وخُذْ ما أنت محتاج إليه

بمثل هذه النفس التى تقنع بالتقاط النوى من الأرض وترفض قبول الآلاف من الخلفاء والملوك، تعلو كلمة الحق، وتنتصر المبادئ والرسالات[١].

كن شاكرًا لله حتى لا تحزن

إن الذى لا يشكر الله على القليل لا يشكره على الكثير.

* وإن الذى يريد أن يسعد قلبه وأن ينشرح صدره فعليه أن يملأ قلبه وجوارحه حمدًا وشكرًا لله -جلَّ وعلا-.. أما الذى يعيش ناقمًا على ربه فإنه يعيش فى ضنك وتعاسة وشقاء.

- قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٢] فمن الناس من يأخذ النعم نقدًا ويقدم الشكر نسيئة.. فتراه إن كان يمتلك دراجة يقول: سأشكر ربى إذا أعطانى دراجة بخارية، فإذا رزقه الله دراجة بخارية يقول: سأشكر ربى إذا رزقنى سيارة قديمة، فإذا رزقه الله سيارة قديمة يقول: سأشكر ربى إذا رزقنى سيارة جديدة... وهكذا تراه يؤجل الشكر لله -جلَّ وعلا- ولا يشعر بنعم الله وهى تتوالى عليه تترًا.

* فالشاهد: أن مَنْ شكر الله فإنه سيعيش سعيدًا؛ لأن الله سيرزقه نعمة الرضا والقناعة وسيرضى عنه وسيعطيه المزيد ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٣].

قال إيليا أبو ماضى:

كم تشتكى وتقول إنك معدم
والأرض ملكك والسما والأنجمُ؟

---

(١) الإيمان والحياة (ص:١٤٣-١٤٥) بتصرف.
(٢) سورة سبأ: آية (١٣).
(٣) سورة إبراهيم: آية (٧).

ولك الحقول وزهرها وأريجها
ونسيمها والبلبل المترنمُ
والماء حولك فضةٌ رقراقةٌ
والشمس فوقك عسجد يتضرمُ
والنور يبني في السفوح وفي الذرا
دورًا مزخرفة وحينًا يهدمُ
هشَّت لك الدنيا فما لك واجمًا؟
وتبسمت فعلامَ لا تتبسمُ؟
إن كنت مكتئبًا لعزٍّ قد مضى
هيهات يرجعه إليك تَندمُ
أو كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهات يمنع أن يحلَّ تجهُّمُ
أو كنت جاوزت الشباب فلا تقل
شاخ الزمان فإنه لا يهرمُ
انظر فمازالت تطل من الثرى
صور تكاد لُحسنها تتكلَّمُ

المؤمن عميق الإحساس بنعم الله عليه

إن مما يسخط الناس على أنفسهم وعلى حياتهم، ويحرمهم لذة الرضا، أنهم قليلو الإحساس بما يتمتعون به من نعم غامرة، ربما فقدت قيمتها بإلفها، أو بسهولة الحصول عليها، وهم يقولون دائمًا: ينقصنا كذا وكذا، ونريد كذا وكذا، ولا يقولون: عندنا كذا وكذا.

ولكن المؤمن عميق الإحساس بما لله عليه من فضل عميم، وإحسان

عظيم، ونعم تحيط به عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته. إنه يشعر بنعمة الله عليه منذ كان فى المهد صبيًا، بل منذ كان فى بطن أمه جنينًا، كان صبيًّا وليدًا لا سنٌّ له تقطع، ولا يد له تبطش، ولا قدم له تسعى، فأجرى الله له عرقين رقيقين فى صدر أمه يجريان لبنًا خالصًا، كامل الغذاء، دافئًا فى الشتاء، باردًا فى الصيف، وألقى الله محبته فى قلب أبويه، فلا يطيب لهما طعام ولا شراب، ولا يهنأ لهما نوم ولا عيش؛ حتى يكفياه ما أهمه ويدفعا عنه كُلَّ سوء.

وكان فى بطن أمه جنينًا، فجعل له قرارًا مكينًا، هيأ له فيه أسباب الغذاء والدفء والتنفس، وجعل له متكئًا عن يمينه، ومتكئًا عن شماله: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[1].

المؤمن يشعر بنعمة الله عليه فى كل شىء حوله، ويرى فى كل ذرة فى الأرض أو فى السماء منحة من الله له، تُيسر له معيشته، وتُعينه على القيام برسالته فى الحياة. إنه يرى نعمة الله فى هبة الريح، وسير السحاب، وتفجر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلام الليل، وتسخير الدواب، وإنبات النبات[2].

الإيمان بالقضاء والقدر بلسم الجراحات

إن بلسم الجراحات هو الإيمان بالقضاء والقدر، وعجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له، قد علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، علم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشىء، لن

(١) سورة المرسلات: آية (٢٠-٢٣).

(٢) الإيمان والحياة (ص: ١٣٠، ١٣١).

ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله - عزَّ وجلَّ - عليه، رضى فرضى الله عنه، وسعد فى حياته وأخراه، واطمأن قلبه وسكنت روحه، فهو فى نعيم وأى نعيم!!

فالإيمان بالقضاء والقدر نعمة على البشر وبلسم وظل وافر من الطمأنينة وفيض من الأمن والسكينة، ووقاية من الشرور، وحافز على العمل، وباعث على الصبر والرضا، والصبر مُرٌّ مذاقه، لذيذة عاقبته.

صبرت ومَنْ يصبر يجدْ غبَّ صبره

ألذَّ وأحلى من جنى النحل فى الفم

فاحرص على ما ينفعك، وارض بما قسم الله لك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا، ولكن قل: **«قدر الله وما شاء فعل»**[1] [2].

*** قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله-:**

من الابتلاء العظيم إقامة الرجل فى غير مقامه. مثل أن يحوج الرجل الصالح إلى مداراة الظالم والتردد إليه، وإلى مخالطة من لا يصلح، وإلى أعمال لا تليق به، أو إلى أمور تقطع عليه مراده الذى يؤثره.

مثل أن يقال للعالم: تردد على الأمير وإلا خفنا عليك سطوته، فيتردد فيرى ما لا يصلح له ولا يمكنه أن ينكر.

أو يحتاج إلى شيء من الدنيا وقد مُنع حقه، فيحتاج أن يعرّض بذكر ذلك، أو يصرح لينال بعض حقه، ويحتاج إلى مداراة مَنْ تصعب مداراتهُ، بل تتشتت همَّته لتلك الضرورات.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٦٤) كتاب القدر، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) هكذا علمتنى الحياة (ص: ١٤-١٦) بتصرف.

وكذلك يفتقر إلى الدخول فى أمور لا تليق به، مثل أن يحتاج إلى الكسب فيتردد إلى السوق أو يخدم من يعطيه أجرته.

وهذا لا يحتمله قلب المراقب لله سبحانه لأجل ما يخالطه من الأكدار.

أو يكون له عائلة وهو فقير فيتفكر فى إغنائهم، فيدخل فى مداخل كلها عنده عظيم.

وقد يُبتلى بفقد من يحب، أو ببلاء فى بدنه، وبعكس أغراضه وتسليط معاديه عليه فيرى الفاسق يقهره والظالم يذله.

وكل هذه الأشياء تكدر عليه العيش، وتكاد تزلزل القلب.

وليس فى الابتلاء بقوة الأشياء إلا التسليم فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم، ولا يتغير قلبه، ولا ينطق بالشكوى لسانه(١).

لا تشمت بك الأعداء

لقد كان سلفنا الصالح ﷺ يصبرون عند المصائب ويبتسمون فى الحوادث إرضاءً لرب العالمين وإرغامًا لأنوف الحاسدين والحاقدين..؛ لأن الحاقدين والحاسدين وأعداء الحق إذا علموا بسعادتهم وسرورهم، فإن قلوبهم تتقطع حسرة وألمًا لذلك.

* فاحذر - أخى الحبيب - من أن يشمت بك عدوك.. فعليك أن تتجلد أمام المصائب والحوادث حتى لا يجتمع عليك ألم المصيبة وشماتة الحاقدين والحاسدين... وحتى لا تحزن.

* * *

(١) صيد الخاطر/ للإمام ابن الجوزى (ص: ٣٠٥، ٣٠٦).

وقفات على الطريق

كُفَّ عن إيذاء نفسك واشكر الله على ما منحك، وسترى الثروات الأخلاقية الجسدية والمادية والروحية والعاطفية ماثلة فيك.

* لا تحتفظ بذكريات الآلام وتنسى كل ما يتعلق بالخير والسعادة. فإن من أعظم أسباب الشقاء أن الناس ينكرون اللحظات السعيدة التى عاشوها فى الحياة، ويظلون مكتئبين مشمئزين؛ لأن فكرة الشرِّ متغلبة عندهم على فكرة الخير، وحالة كهذه لا يمكن أن تقود إلى السعادة؛ لأننا نصرح بتعاستنا باستمرار.

* **لا تجعل الغرائز تسيرك:**

إن بؤس الإنسانية جمعاء آتٍ من أننا نكتفى بما لا يرقى فوق مستوى المملكة الحيوانية، إننا عبيد طمعنا وشراستنا وغرائزنا المنحطة، وعلينا - إذا أردنا السعادة - أن نتخلص من هذا الانحطاط فى التفكير والسلوك لنصبح بشرًا حقيقيين جديرين بقيادة هذا العالم.

* أحسن الظن بالآخرين والتمس لهم المعاذير.

* افحص ماضيك وحاضرك، فالحياة مكونة من تجارب متتابعة يجب أن يخرج المرء منها منتصرًا.

* **جاهد نفسك أولاً:**

فإذا كنت تحب القتال فإن أعداءك متمركزون فيك، إنهم مخاوفك وترددك وتشاؤمك وكل ما يقول: لا للحياة السعيدة والعدل والسلام، فأهم انتصارات الإنسان هو ذلك الانتصار الذى يحرزه المرء على نفسه.

* عليك بالهدية، فإنها علامة المحبة ودليل السلام، وإذا قُدمت بدافع المحبة والسلام، فإن قيمتها المعنوية تفوق آلاف المرات قيمتها المادية.

* اعتبر إخفاقك درسًا يقودك إلى السعادة؛ لأنك تعلمت منه شيئًا

جديدًا، فإن كل ضعف ظاهر يمكن أن يكون فرصة للنصر.

* لا تقبل بوجود مناطق مظلمة فى حياتك، فالنور موجود، وليس عليك إلا أن تدير الزر ليتألق.

* اطلب من الله كل ما تريد، فالخيرات وافرة والخالق كريم.

* لا تيأس:

إذا رأيت أن تجاربك الأولى لم تكن مشجعة فلا تيأس، وثق أن الله قادر على أن يهديك إلى التجارب الناجحة والحياة السعيدة.

* لا تتشاءم:

فإن التشاؤم عنوان الفشل والإخفاق والتعاسة فى الحياة.

حكاية الطيار المتشائم

فى أثناء الحرب العالمية حذَّر أحد العرافين طيارًا من خطر قريب الوقوع، فسيطر هذا الوهم على الطيار، وحين عاد إلى قاعدته بعد إنجاز مهمته، وأراد الهبوط فى المطار، ارتطمت طائرته بالأرض وكادت تُودِى بحياته، ولم يجد المهندسون أى عطل أو خلل بالطائرة، ولكن حديث العراف فعل فعله فى ذهن الطيار، فكان أن ارتكب هذا الخطأ الكبير أثناء الهبوط.

* لا تكن متشنجا:

إنه لا يمكن أن تكون جديرًا بقيادة غيرك إلا إذا أصبحت جديرًا بقيادة نفسك، ولا يمكنك ذلك إلا بقيادة حياتك، فلا تسمح لنفسك أن تعيش متشنجا دون فائدة، وراقب حركاتك، وأرخ يديك، ولا توتر عضلاتك فى رفع قَشة كأنك ترفع مائة كيلو. فالتوتر الدائم لا يتلاءم مع السلام الداخلى الذى هو سر الصحة وطول العمر، وهو أيضًا سر الجمال والسعادة [١].

---

(١) «الموسوعة النفسية» بعنوان: «سعادتك بيدك» نقلاً من (دليلك إلى السعادة النفسية) (ص: ٥٤- ٦٠) بتصرف.

عسى فرجٌ يأتى به الله

قد تظُلم الدنيا فى عينيك وإذا بالفرج يأتيك من حيث لا تحتسب فلا تيأس ولا تجزع وأحسن الظن بالله -جلَّ وعلا-.

عسى فرج يأتى به الله إنه
له كل يوم فى خليقته أمرُ
عسى ما ترى ألا يدوم وأن ترى
له فرجًا مما ألحَّ به الدهرُ
إذا اشتد عسر، فارجُ يسرًا فإنه
قضى الله أن العسر يعقبه يسرُ

كان هناك تاجر من تجار الموصل يسافر بتجارته إلى البلدان، فسافر مرة بجميع ماله وما يملكه إلى الكوفة، فوافقه فى تلك السفرة رجل، فخدمه فأحسن خدمته، وأنس به حتى وثق به، ثم استغفله فى بعض المنازل، وأخذ دابته وما عليها من المال والمتاع، ولم يُبْقِ له شيئًا ألبتة، واجتهد فى طلبه، فلم يقع له على خبر.

فرجع إلى بلده راجلاً جائعًا، فدخل المدينة ليلاً وهو على تلك الحال، فطرق بابه، فلما علم أهله سرُّوا وقالوا: الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت، فإن أهلك قد ولدت اليوم ولدًا، وما وجدنا ما نشترى به ما تحتاج إليه النُّفساء، ولقد كانت هذه الليلة طاوية[1]. فاشتر لنا دقيقًا ودهنًا نسرج به.

فلما سمع ذلك، زاد من غمه وكربه، وكره أن يخبرهم بما جرى له فيحزنهم، فخرج إلى حانوت رجل كان بالقرب من داره فسلم عليه، وأخذ منه دهنًا وغيره مما يحتاج إليه، فبينما هو يخاطبه إذا التفت، فرأى خُرجه الذى هرب

(١) طاوية: جائعة.

به خادمه مطروحًا فى داخل الحانوت، فسأله عنه، فقال: إن رجلاً ورد علىَّ بعد العشاء واشترى منى عشاءً واستضافنى فأضفته فجعلت خرجه فى حانوتى، ودابته فى دار جارنا، والرجل بائت فى المسجد، فنهض إلى المسجد ومعه الخُرج، فوجد الرجل نائمًا، فرفسه فاستيقظ مذعورًا، فقال له: أين مالى يا خائن؟

قال: هو ذا على عنقك، والله ما تفقد منه ذرة. واستخرج الدابة على موضوعها، ووسع على أهله وأخبرهم حينئذٍ بخبره(١).

الوقت هو الحياة

إن أغلى ما يمتلكه العبد فى تلك الحياة هو الوقت، فالوقت هو الحياة وهو الكنز الحقيقى؛ لأن الدنيا مزرعة للآخرة، فما تزرعه هنا ستحصد ثماره هناك، ولذا كان النبى ﷺ يحضُّ أمته دائمًا على اغتنام كل لحظة فى طاعة الله -جلَّ وعلا-.

قال ﷺ - كما عند البخارى - : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**(٢)، وقال ﷺ : **«اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»**(٣).

قال الحسن البصرى: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه.

وكان سلفنا الصالح يعرفون قدر الوقت ولا يدعون لحظة واحدة تضيع فى غير فائدة.

---

(١) نور الاقتباس ص(١١١، ١١٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٢) كتاب الرقاق، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٣٤١)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٠٧٧).

فهذا هو الإمام سليم بن أيوب الرازى، أحد كبار أئمة المذهب الشافعى - المتوفى سنة ٤٤٧ هـ، يحاسب نفسه على الأنفاس أن تضيع دون إفادة أو استفادة، فقد قال أبو الفرج غيث بن على التنوخى الصورى:

«وحُدثت عنه أنه كان يحاسب نفسه على الأنفاس، لا يدع وقتًا يمضى عليه بغير فائدة، إما ينسخ، أو يدرس، يقرأ، وينسخ شيئًا كثيرًا، ولقد حدثنى عنه شيخنا أبو الفرج الإسفراييني - وهو أحد تلامذته -، أنه نزل يومًا إلى داره ورجع، فقال: «قد قرأت جزءًا فى طريقى».

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدى - رحمه الله - يقول: «أثقل الساعات علىَّ: ساعة آكل فيها».

وكان عثمان الباقلاوى دائم الذكر لله تعالى، فقال: «إنى وقت الإفطار أحس بروحى كأنها تخرج! لأجل اشتغالى بالأكل عن الذكر».

قال عمار بن رجاء سمعت عبيد بن يعيش يقول: «أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدى بالليل، كانت أختى تلقمنى وأنا أكتب الحديث».

وكان داود الطائى يسف الفتيت ويقول: «بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية».

ويخرج من نفس المشكاة قول الإمام الجليل ابن عقيل -رحمه الله-: «وأنا أقصر بغاية جهدى أوقات أكلى؛ حتى أختار سف الكعك وتحسيه بالماء على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها».

بل إن أحدهم ليحزن، ويصيبه المرض إذا فاته شيء من العلم، فقد ذكروا لشُعبة حديثًا لم يسمعه، فجعل يقول: «واحزناه!»، وكان يقول: «إنى لأذكر الحديث فيفوتنى، فأمرض».

وقيل للشعبى: «من أين لك هذا العلم كله؟» قال: «بنفى الاعتماد

والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب».

وكان من حرصهم على العلم ومجالسه أنك تجدهم يعدون فى الطرقات، كأنهم مجانين، ولذلك يقول شعبة - رحمه الله تعالى -: «ما رأيت أحدًا قط يعدو إلا قلت: مجنون، أو صاحب حديث»(١).

قيمة الإنسان همته وماذا يريد

ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله- أن قيمة الإنسان همته وماذا يريد وقال أحد الحكماء: أخبرنى عن اهتمام الرجل أخبرك أى رجل هو.

* فابحث فى قلبك عن الهم الذى يشغلك.

قال ﷺ: **«مَنْ كانت الآخرة همه، جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدِّر له»**(٢).

وقال ﷺ: **«من جعل الهموم همًّا واحدًا؛ همَّ المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومَنْ تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا، لم يبال الله فى أى أوديتها هلك»**(٣).

* رُمى أحد الصالحين الكبار بين براثن الأسد، فأنجاه الله منه، فقالوا له: فيمَ كنت تفكر؟ قال: أفكر فى لعاب الأسد، هل هو طاهر أم لا!! وماذا قال العلماء فيه؟

وانقلب قارب فى البحر، فوقع عابد فى الماء، فأخذ يوضئ أعضاءه عضوًا عضوًا، ويتمضمض ويستنشق، فأخرجه الله من البحر ونجا، فسُئل عن ذلك؟ فقال: أردت أن أتوضأ قبل الموت؛ لأكون على طهارة.

---

(١) علو الهمة/ الشيخ محمد إسماعيل (ص: ١٥٠: ١٥٢) بتصرف.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٤٦٥) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث أنس بن مالك، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٩).

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٥٧) فى المقدمة، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٢٦٣).

الإمام أحمد فى سكرات الموت يشير إلى تخليل لحيته بالماء وهم يوضؤونه!!

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: إذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده، تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته.

وإن أصبح وأمسى والدنيا همُّه، حمَّله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم، وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره، كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه فى نفخ غيره.

فكل مَنْ أعرض عن عبودية الله، وطاعته، ومحبته، بُلى بعبودية المخلوق ومحبته، وخدمته، قال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾(١).

قال سفيان بن عيينة: لا تأتونى بمثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن، فقال له قائل: فأين فى القرآن «أعط أخاك تمرة، فإن لم يقبل فأعطه جمرة؟ فقال فى قوله: ﴿**وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾(٢)(٣).

احرص على ما ينفعك

قوله ﷺ: «**احرص على ما ينفعك**» أعظم دليل على بذل الجهد فى حصول المطلوب، وترك التخاذل والتكاسل بحجة القدر، فإن هذا دليل القاعدين الفاشلين، بل على العبد أن يحرص غاية الحرص فى كسب ما ينفعه من الأقوال والأعمال والرزق الحلال، فيستفرغ الجهد فى تحصيل المنفعة الدينية والدنيوية بأحسن السبل الشرعية، فإن الحرص: تحرُّك الإرادة،

---

(١) (٢) سورة الزخرف: آية (٣٦).

(٣) الفوائد (ص: ١١٠).

وانبعاث العزيمة، واقتناص الفرص المناسبة، والمسارعة إلى قطف ثمار المنافع، وحصد سنابل الفوائد، وتقييد شارد المصالح، فلا يزال مراقبًا للمناسبات، ملاحظًا للأوقات حتى يهجم ببصيرته على ما يُصلح دينه ودنياه، والحرص على ما ينفع دليل على صدق النية، وقوة العزيمة، وسلامة الطبع واعتدال المزاج، وغزارة الفهم؛ لأن كل عاقل سَوى يجتهد فى جلب الخير لنفسه، ودفع الضر عنها.

وما يهمل مصالحه إلا غافل بليد، ولا يفرط فى مكاسبه إلا أبله رعديد، فإن الوحى جاء باستثارة الهمم، ومناداة العزائم، وتحريك الإرادات؛ لتنبعث طالبة فاعلة مؤثرة تجنى الخير وتجمع الفضائل وتحصل القيم، وحرص العبد على ما ينفعه أول أبواب الفضائل؛ لأنه من عمل النية، ثم يتبعه الحركة الراشدة، والتوثب الصادق، واليقظة التامة، فيسعى جاهدًا فى إصلاح نيته، وإحسان عمله، وتعمير مستقبله، وحيازة رزقه الحلال، والقيام بمن يمونه، وتهذيب نفسه، وتقويم اعوجاجه، ولا تلقى مفرطًا أضاع نصيبه من الخير إلا لتركه الحرص على نفع نفسه، ولا تجد محرومًا من السعادة إلا من أهمل إرادته، وعطَّل عزيمته، فأنفق عمره فى الأمانى الكاذبة، والخيالات الفاسدة، والوساوس الخادعة، حتى بدد العمر فى سوق الغبن، ومزق ثوب الأيام بكف التفريط، وأحرق شجرة الهمة بنار الخذلان، . . . وحرص العبد على ما ينفعه واجب شرعى، وضرورة عقلية، بها يصل العبد إلى مصاف الناجحين، ومراقى الصاعدين فى سلم القبول، ومعارج التفوق، وبها يطوى بروج الفضائل، ويقطع مسارات الخيرات، فهو سبَّاق لكل عمل نبيل، وثَّاب لكل فعل جميل، مسارع لكل مقصد جليل، فى قلبه نور الهمة منقدح، وفى نفسه زند الحرص الصادق محترق، فهنيئًا له سموه وتقدمه وتميزه[١].

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٣٢٣، ٣٢٤).

الحزن سبب للأمراض الفتاكة

إن كثرة الحزن تفتك بجسد الإنسان. . فهناك علاقة وطيدة بين الحزن والقلق وبين أمراض القلب وضغط الدم وأمراض الغدة الدرقية وأمراض المعدة ومرض السكر والروماتيزم وغيرها من الأمراض.

يقول الدكتور «جوزيف ف. مونتاغيو» مؤلف كتاب «مشكلة العصبية»، يقول فيه: «أنت لا تصاب بالقرحة بسبب ما تتناول من طعام، بل بسبب ما يأكلك» !!

يقول دايل كارنيجى: «إن الزنوج الذين يعيشون فى جنوب البلاد والصينيين نادرًا ما يصابون بأمراض القلب الناتجة عن القلق؛ لأنهم يتناولون الأمور بهدوء».

ويقول: «إن عدد الأمريكيين الذين يُقبلون على الانتحار هو أكثر بكثير من الذين يموتون نتيجة للأمراض الخمسة الفتاكة».

* فلا تحزن. . فليس فى الدنيا شيء يستحق أن تحزن لفواته فالجنة فى انتظارك.

لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾[1] جف القلم، رُفعت الصحف، قُضى الأمر، كُتبت المقادير، ﴿لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾[2]، ما أصابك لم يكن ليخطأك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

إن هذه العقيدة إذا رسخت فى نفسك وقرت فى ضميرك صارت البلية عطية، والمحنة منحة.

---

(١) سورة الحديد: آية (٢٢).

(٢) سورة التوبة: آية (٥١).

وللرضاء بهذا القضاء نتائج سارة، وثمرات طيبة، ومن تلك النتائج السارة والثمرات الطيبة: أنه يُكسب صاحبه قوة الشكيمة، ومضاء العزيمة، إذ من اطمأنت نفسه إلى أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، خلت جميع أعماله من الحيرة والتردد، وانتفى من حياته القلق والاضطراب، لأنه بمجرد ما يترجح لديه الإقدام على أمر ما أقدم عليه فى غير ما خوف، ولا هيبة، ولا تردد، ومن هنا فإنه لا يحزن على ماضٍ، ولا يغتم لحاضر، ولا يؤلمه هم المستقبل وبذلك يكون أسعد الناس حالاً وأطيبهم نفسًا، وأصلحهم بالاً، وأهدأهم خاطرًا، ومنها أيضًا: أنه يكون من أشجع الناس عقلاً وقلبًا، وأكرمهم قولاً ونفسًا، إذ مَن عرف أن أجله محدود، ورزقه محدود، فلا الجُبن يزيد فى عمره،ولا الشُّح يزيد فى رزقه، نافَس فى البطولات، وسابق فى المكرمات.

ومما لا شك فيه أن هذه الصفات قد تجلَّت واضحة فى هذه الأمة، أمة الإسلام أيام كانت عقيدة القضاء والقدر واضحة فى نفوسهم، قوية فى قلوبهم، فقد فاقوا الناس شجاعة وكرمًا، وصبرًا وحِلْمًا، ومعرفة وعلمًا، الأمر الذى تمكنوا به من سيادة العالم وقيادته مدة من الزمن طويلة غير قصيرة[١].

* فكن راضيًا - أيها الأخ الحبيب - عن الله -عزَّ وجَّل- ولا تظن أنه كان بوسعك أن تمنع قضاء الله -جلَّ وعلا-.. فإذا كان الأمر كذلك فما عليك إلا أن ترضى وتسلم، فإن الله أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع... واعلم يقينًا أن الله لا يبتليك ليعذبك، وإنما ليطهرك ويقربك.

- فما عليك إلا أن تأخذ بالأسباب فإذا وقع المقدور، وحلَّ المكتوب فقل: قدر الله وما شاء فعل، فإن هذا الرضا يزيل همك ويخفف عليك وقع المصاب ويُرضى ربك -سبحانه وتعالى-.

---

(١) عقيدة المؤمن/ للشيخ أبو بكر الجزائرى (ص: ٤٣٦).

- وليهدأ بالك ويطمئن قلبك فلولا أنه يحبك ما ابتلاك، فقد قال ﷺ : **«إن عظم الجزاء مع عظم البلاء؛ وإن الله تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط»**(١) .

* فلا تحزن وتقلق إذا ضاع مالك، أو مات ولدك، أو فقدت منصبك فإن الله لا يختار لك إلا الأفضل. . . فقد يأخذ ولدك ويعطيك الجنة. . . وقد يأخذ مالك ويعطيك أولادًا صالحين. . . فأحسِن الظن بالله وارضَ بقضاء الله تسعد فى الدنيا والآخرة.

الرضا نعمة جليلة

الرضا نعمة رُوحية جزيلة، هيهات أن يصل إليها جاحد بالله، أو شاكٌّ فيه، أو مرتاب فى جزاء الآخرة، إنما يصل إليها مَن قوى إيمانه بالله وحَسُنَ اتصاله به. وقد خاطب الله رسوله -عليه السلام- بقوله: **﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾**(٢) وامتن عليه بقوله: **﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾**(٣) .

المؤمن مُوقن تمام اليقين أن تدبير الله له أفضل من تدبيره لنفسه، ورحمته تعالى به أعظم من رحمة أبويه به، ينظر فى الأنفس والآفاق فيرى آثار بره تعالى ورحمته، فيناجى ربه: **﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**(٤) فالخير بيديه، والشر ليس إليه.

وليعلم أن رضاه عن ربه -سبحانه وتعالى- فى جميع الحالات يثمر رضا ربه عنه، فإذا رضى عنه بالقليل من الرزق، رضى ربه عنه بالقليل من العمل،

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، من حديث أنس بن مالك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٦).

(٢) سورة طه: آية (١٣٠).

(٣) سورة الضحى: آية (٥).

(٤) سورة آل عمران: آية (٢٦).

وإذا رضى عنه فى جميع الحالات، واستوت عنده، وجده أسرع شىء إلى رضاه إذا ترضاه وتملقه. ولذلك انظر للمخلصين مع قلة عملهم، كيف رضى الله سعيهم؛ لأنهم رضوا عنه ورضى عنهم، بخلاف المنافقين، فإن الله ردَّ عملهم قليله وكثيره؛ لأنهم سخطوا ما أنزل الله وكرهوا رضوانه، فأحبط أعمالهم[١].

كن راضيًا عن الله

فإن دليل عدم رضاه عنك عدم رضاك عنه.

* سمع الحسن رجلاً يقول: اللهُمَّ ارضَ عنى. فقال له الحسن: لو رضيت أنت عن الله فسوف يرضى الله عنك. فتعجب الرجل وقال: وكيف أرضى عن الله؟ فقال الحسن: إذا سُررت بالنقمة سرورك بالنعمة، فقد رضيت عن الله وسوف يرضى الله عنه.

قال سفيان: قال الحسن: مَنْ رضى بما قسم الله له وَسِعه، وبارك الله له فيه، ومن لم يرض لم يسعه، ولم يبارك له فيه.

وقال أبو عثمان الحيرى: منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حالٍ فكرهته، وما نقلنى إلى غيره فسخطته.

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السُّخط»**[٢].. هذه هى القضية: أنك إذا كنت راضيًا دائمًا، أرضاك الله وبعث إليك ما يرضيك ومَنْ يرضيك.

سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه معروف أنه كان مستجاب الدعوة، وكان قد كُفَّ بصره فى آخر عمره، قال له ابنه: يا أبت، أراك تدعو للناس! هلا دعوت لنفسك أن يرد الله عليك بصرك! قال: يا بنى، قضاء الله أحب إلىَّ من بصرى.

---

(١) لا تحزن (ص: ٣٥٦).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، من حديث أنس بن مالك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٦).

إخوتاه، هل أنتم راضون عن الله؟، هل فعلاً قضاء الله وقدره أحب إليكم مما أنتم فيه من بلاء وفتنة وغُربة؟.. إذا أردتم أن تتأكدوا؛ فالرضا عن الله يصح بثلاثة شروط ذكرها الإمام ابن القيم فى «المدارج»:

الأول: استواء النعمة والبلية عند العبد؛ لأنه يشاهد حسن اختيار الله له.

الثاني: سقوط الخصومة عن الخلق، إلا فيما كان حقًّا لله ورسوله ﷺ. فالراضى لا يخاصم ولا يعاتب إلا فيما يتعلق بحق الله، وهذه كانت حال رسول الله ﷺ؛ فإنه لم يكن يخاصم أحدًا، ولا يعاتبه إلا فيما يتعلق بحق الله، كما أنه لا يغضب لنفسه، فإذا انتهكت محارم الله، لم يقم لغضبه شىء حتى ينتقم لله. فالمخاصمة لحظ النفس تطفئ نور الرضا وتذهب بهجته، وتبدل بالمرارة حلاوته، وتكدر صفوه.

والشرط الثالث: الخلاص من المسألة للخلق والإلحاح؛ قال - تعالى - : ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾(١) قال ابن عباس: إذا كان عنده غداءً لم يسأل عَشاءً، وإذا كان عنده عَشاء لم يسأل غداءً(٢).

ثم يبين -رحمه الله- أن منع الله - تعالى- لعبده عطاء، وابتلاءه إياه عافية، فيقول:

«فإنه -سبحانه - لا يقضى لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيراً له، ساءه ذلك القضاء أو سَرَّه. فقضاؤه لعبده المؤمن عطاء، وإن كان فى صورة المنع. ونعمة وإن كانت فى صورة محنة. وبلاؤه عافية، وإن كان فى صورة بلية. ولكن لجهل العبد وظُلمه لا يعدُّ العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذَّ به فى العاجل، وكان ملائمًا لطبعه. ولو رُزق من المعرفة حظًّا وافرًا لعدَّ المنع نعمة، والبلاء رحمة، وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية، وتلذذ بالفقر أكثر

(١) سورة البقرة: آية (٢٧٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢١٣ وما بعدها) باختصار.

من لذته بالغنى، وكان فى حال القلة أعظم شكرًا من حال الكثرة.

فالراضى: هو الذى يُعدُّ نِعم الله عليه فيما يكرهه، أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه؛ كما قال بعض السلف: ارضَ عن الله فى جميع ما يفعله بك؛ فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك. فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين، فتسقط من عينه»(١).

وقيل ليحيى بن مُعاذ: متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟، فقال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربه، فيقول: إن أعطيتنى قبلت، وإن منعتنى رضيت، وإن تركتنى عبدت، وإن دعوتنى أجبت.

وعن حفص بن حُميد قال: كنت عند عبد الله بن المبارك بالكوفة، حين ماتت امرأته، فسألته: ما الرضا؟ ، قال: الرضا: ألاَّ يتمنى خلاف حاله.

ونظر رجل إلى قرحة فى رِجل محمد بن واسع، فقال: إنى لأرحمك من هذه القرحة، فقال: إنى لأشكر الله منذ خَرَجَتْ إذ لم تخرج فى عينى.

بشير الطبرى كان عنده مزرعة فيها أربعمائة جاموسة.. ثروة تقدر بمليون جنيه اليوم - فهجم الروم يومًا عليها، فساقوا الجواميس كلها. وكان عنده مائة عبد يحرسونها، فأرسل هؤلاء العبيد إلى بشير أن قد أُخذت الجواميس، فركب مع ولد له إليهم.. فلما وصل إلى المزرعة، لقيه العبيد يبكون.. يا سيدنا، يا مولانا: أُخذت الجواميس، فقال: وأنتم أيضًا: اذهبوا فأنتم أحرار لوجه الله.. فقال له ابنه: أفقرتنا يا أبتاه، فقال: اسكت يا بنى، إن الله أراد أن يبتلى رضائى به، فأحببت أن أزيده.

العبد ذو ضجر والربُّ ذو قدر
والدَّهر ذو دُولٌ والرزق مقسومُ

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥) بتصرف.

والخـير أجـمع فى مـا اختـار خـالقنا

وفى اختــيـار ســواه اللوم والشــومُ

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى -:

«وثمرة الرضا: الفرح والسـرور بالربِّ - تبارك وتعالى -، ورأيت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدَّس الله روحه - فى المنام، وكأنى ذكرت له شيئًا من أعمال القلب، وأخذت فى تعظيمه ومنفـعته - لا أذكره الآن -؛ فقال: أما أنا فطريقتى: الفرح بالله، والسرور به. أو نحو هذا من العبارة» (١).

يقول ابن الجوزى - عليه رحمـة الله وبركاته - فى «صيد الخاطر» تحت عنوان «فصل: تذكر أحوال الرسول»:

«مَنْ أراد أن يعلم حقيقة الرضـا عن الله - عزَّ وجلَّ - فى أفعاله، وأن يدرى من أين ينشأ الرضا؛ فليتفكر فى أحوال رسول الله ﷺ.

فإنه لما تكاملت مـعرفته بالخـالق - سبحانه -، رأى أن الخـالق مالك، وللمالك التصرف فى مملوكه، ورآه حكيمًا لا يصنع شيئًا عبثًا، فسلم تسليم مملوك لحكيم؛ فكانت العـجائب تجـرى عليه ولا يوجـد منه تغيـر، ولا من الطبع تأفف.

ولا يقـول بلسان الحـال: لو كـان كذا، بل يثـبت للأقـدار ثبوت الجـبل لعواصف الرياح.

هذا سيد الرسل ﷺ بُعث إلى الخلق وحده، والكفـر قد ملأ الآفاق، فجعل يفرُّ من مكان إلى مكان، واسـتتر فى دار الخيزران(٢)، وهم يضربونه إذا خرج، ويدمون عَقِبهُ، وشُقَّ السّلى على ظهره، وهو ساكت ساكن.

ويخرج كل موسم فيقول: مَنْ يؤوينى، مَنْ ينصرنى؟

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٧٤).

(٢) هى دار الأرقم. آلت إلى الخيزران بعد ذلك.

ثم خرج من مكة، فلم يقدر على العَود إلاَّ فى جوار كافر، ولم يوجد من الطبع تأفف.

إذا لو كان غيره لقال: يا رب، أنت مالك الخلق، وقادر على النصر، فلِمَ أُذل؟

كما قال عمر رضي الله عنه يوم صُلح الحديبية: ألسنا على الحق؟، فلمَ نعطى الدنية فى ديننا؟!!

ولما قال هذا، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: **«إنى عبد الله، ولن يضيعنى»**، فجمعت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما.

فقوله: إنى عبد الله، إقرار بالمِلك وكأنه قال: أنا مملوك يفعل بى ما يشاء.

وقوله: لن يضيعنى، بيان حكمته، وأنه لا يفعل شيئًا عبثًا.

ثم يبتُلى بالجوع فيشد الحجر، ولله خزائن السموات والأرض.

وتُقتل أصحابه، ويُشج وجهه، وتُكسر رُباعيته، ويُمثَّلُ بعمِّه وهو ساكت.

ثم يُرزق ابنًا ويُسلب منه، فيتعلق بالحسن والحسين، فيخبر بما سيجرى عليهما.

ويسكن بالطبع إلى عائشة رضي الله عنها، فينغص عيشه بقذفها.

ويبالغ فى إظهار المعجزات، فيقام فى وجهه مسيلمة والعنسى وابن صياد.

ويُقيم ناموس الأمانة والصدق، فيقال: كذَّاب ساحر.

ثم يَعلَقهُ المرض كما يوعك رجلان، وهو ساكن ساكت.

فإن أخبر بحاله فليُعلِّم الصبر.

ثم يشدد عليه الموت، فيُسلب روحه الشريفة وهو مضطجع فى كساءٍ ملبد وإزارٍ غليظ، وليس عندهم زيت يُوقد به المصباح ليلتئذ.

هذا شيء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي نبي قبله، ولو ابتليت به الملائكة ما صبرت.

هذا آدم عليه السلام يُباح له الجنة سوى شجرة، فلا يقع ذباب حرصه إلاّ على العقر. ونبينا ﷺ يقول في المباح: «ما لي وللدنيا!».

وهذا نوح -عليه السلام- يضج مما لاقى، فيصيح من كمده وجده ﴿**لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾[١]. ونبينا ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ اهدِ قومي، فإنهم لا يعلمون**»[٢].

هذا الكليم موسى ﷺ، يستغيث عند عبادة قومه العجل على القَدَر قائلاً: ﴿**إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ**﴾[٣] ويُوجَّه إليك ملك الموت فيقلع عينه.

وعيسى ﷺ يقول: «إن صرفت الموت عن أحد، فاصرفه عني». ونبينا ﷺ يُخير بين البقاء والموت، فيختار الرحيل إلى الرفيق الأعلى.

هذا سليمان ﷺ يقول: هَبْ لي مُلكًا، ونبينا ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ اجعل رزق آل مُحَمَّد قوتًا**»[٤].

هذا -والله- فعل رجل عرف الوجود والمُوجد، فماتت أغراضه، وسكنت اعتراضاته؛ فصار هواه فيما يجري»[٥].

فإذا رضيت يا عبد الله؛ فاعلم أن الله راضٍ عنك.. فدليل عدم رضاه عنك عدم رضاك عنه.. فارضَ عن الله، تصل إليه.. وتذكر دائمًا أحوال الرسول ﷺ.

---

(١) سورة نوح: آية (٢٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ، ومسلم (١٧٩٢) كتاب الجهاد والسير، من حديث عبد الله بن مسعود.

(٣) سورة الأعراف: آية (١٥٥).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٤٦٠) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٥٥) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) «صيد الخاطر» (٣٥٥-٣٥٨).

ثمرات الرضا اليانعة

وللرضا ثمـرات إيمانيـة كثيـرة وافرة تنتج عنه، يرتفع بـها الراضى إلى أعلى المنازل، فيصبح راسخًا فى يقينه، ثابتًـا فى اعتقاده، وصادقًا فى أقواله وأعماله وأحواله.

* وليعلم أن رضاه عن ربه -سبحانه وتعالى- فى جميع الحالات، يثمر رضا ربه عنه، فإذا رضى عنه بالقليل من الرزق ، رضى ربه عنه بالقليل من العمل، وإذا رضى عنـه فى جميع الحـالات، واستوت عنده، وجـده أسرع شىء إلى رضاه إذا ترضّاه وتملَّقه. ولذلك انظر للـمخلصين مع قلة عملهم، كيف رضى الله سعيهم؛ لأنهم رضوا عنه ورضى عنهم، بخلاف المنافقين، فـإن الله ردَّ عملهـم قليلهُ وكثيـرهُ؛ لأنهم سخطـوا ما أنزل الله وكـرهوا رضوانه، فأحبط أعمالهم.

* فالرضا يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره وثباته عند اضطراب الشُّبه والتباس القضـايا وكثرة الوارد، فيثق هذا القلب بموعود الله وموعـود رسوله ﷺ ، ويقـول بلسـان الحال: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾(١) والسخط يوجب اضطراب قلبه، وريبتـه وانزعاجه، وعـدم قراره، ومرضه وتمزقه، فـيبقى قلقًـا ناقمًا ساخطًا متمردًا، فلسان حاله يقول: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا﴾(٢).

* والرضا يُخلِّص العبد من مخاصمة الرب تعالى فى أحكامه وأقضيته.

* والرضا يفتح له باب السـلامة، فيجعل قلبـه سليمًا، نقيًّا من الغش والدَّغَلِ والغلِّ، ولا ينجو من عذاب الله إلاَّ مَنْ أتى الله بقلب سليم، وهو السالم من الشُّبه، والشك والشرك.

---

(١) سورة الأحزاب: آية (٢٢).

(٢) سورة الأحزاب: آية (١٢).

وسلامة القلب وبِره ونصحه: قرين الرضا.. وكذلك الحسد: هو من ثمرات السخط. وسلامة القلب منه: من ثمرات الرضا. فالرضا شجرة طيبة، تُسقى بماء الإخلاص فى بستان التوحيد، أصلها الإيمان، وأغصانها الأعمال الصالحة، ولها ثمرة يانعة حلاوتها.

* ومَنْ ملأ قلبه من الرضا بالقدر، ملأ الله صدره غنًى وأمنًا وقناعةً، وفرغ قلبه لمحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه. ومَنْ فاته حظُّهُ من الرضا، امتلأ قلبه بضدٍّ ذلك، واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه.

* والرضا يثمر الشكر الذى هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان فإن غاية المنازل شكر المولى، ولا يشكر الله من لا يرضى بمواهبه وأحكامه، وصُنعه وتدبيره، وأخذه وعطائه، فالشاكر أنعم الناس بالاً، وأحسنهم حالاً.

* والرضا يخرج الهوى من القلب، فالراضى هواه تبع لمراد ربه منه، أعنى المراد الذى يحبه ربه ويرضاه، فلا يجتمع الرضا واتباع الهوى فى القلب أبدًا، وإن كان معه شُعبة من هذا، وشُعبة من هذا، فهو للغالب عليه منهما.

إن كان رضاكم فى سهرى

فسلام الله على وسنى

﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (١).

إن كان سرَّكم ما قال حاسدنا

فما لجُرحٍ إذا أرضاكمو ألم (٢)

* والرضا يثمر للعبد محبة الله - جلَّ وعلا - ورضوانه ... وهى أعظم وأجلُّ النِّعم فى الدنيا والآخرة.

* والرضا أعظم دليل على حُسن ظنِّ العبد بربه - جلَّ وعلا-.

---

(١) سورة طه: آية (٨٤).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢١٦-٢١٩) بتصرف شديد.

* والرضا يجعل المؤمن فى راحة نفسية ورُوحية دائمة.
* والرضا يخلص العبد المؤمن من الأزمات النفسية؛ لأنه يشعر بالرضا التام عن قضاء الله - جلَّ وعلا - وقدره.
* والرضا دليل على كمال الإيمان فى قلب العبد المؤمن.
* ومن ثمرات الرضا الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

فأسأل الله - جلَّ وعلا - أن يملأ قلوبنا رضًا وأن يرضى عنا رضًا لا يسخط بعده أبدًا.

رضا الله عن العبد أكبر من نعيم الجنة

إن من لوازم الإيمان أن يرضى العبد بقضاء الله وقدره خيره وشره وأن يعلم أن الأقدار لا تكون حسب رغباته وأهوائه وإنما تكون بحسب حكمة وتقدير الخالق -جلَّ وعلا- . . . ونحن لسنا فى مقام الاقتراح ولكننا فى مقام العبودية والتسليم. . ولذا ينبغى علينا أن نرضى ونسلم بقضاء الله - جلَّ وعلا - فى جميع أحوالنا.

فالرضا ثمرة من ثمار المحبة، وهو من أعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على الأكثرين، وهو باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا، فجدير بمن نصح نفسه أن تشتدَّ رغبته فيه، وأن لا يستبدل بغيره منه.

ورضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها؛ لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] بعد قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وهذا الرضا جزاء على رضاهم عنه فى الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كان سببه أفضل الأعمال[2].

(١) سورة التوبة: آية (٧٢).
(٢) من أخلاق الرسول ﷺ / للمصنف (ص: ٥٩٦).

من لطائف الأسرار

«من لطائف أسرار اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتدَّ وعَظُمَ وتناهى، وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين تعلَّق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله.

وأيضًا فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة فرجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أُتيت من قِبَلك، ولو كان فيك خير لأجبت. وهذا اللوم أحبُّ إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهلٌ لما نزل من البلاء، وأنه ليس أهلاً لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذٍ إجابة الدعاء وتفريج الكرب.

كُن عبدًا لله.. حتى لا تحزن

إن أعظم نعمة فى هذه الحياة أن تكون عبدًا لله وحده.

ومما زادنى فخرًا وتيهًا
وكدت بأخمصى أطأُ الثريَا
دخولى تحت قولك يا عبادى
وأن أرسلت أحمد لى نبيًّا

- أجل والله إنها لنعمة جليلة أن تصبح عبدًا لله وحده فى الوقت الذى صرف فيه بعض الناس العبودية لغير الله -جلَّ وعلا-.

قال ﷺ: **«تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أُعطى رضى، وإن لم يُعْطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش...»**(١).

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٨٨٧) كتاب الجهاد والسير، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية».

قال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(١).

واليقين هنا بإجماع أهل التفسير هو الموت. فلا ينفك العبد من العبودية مادام فى دار التكليف.

بل عليه فى البرزخ عـبودية أخرى لما يسأله الملكان «مَنْ كان يعـبد، وما يقول فى رسوله ﷺ» ويلتمسان منه الجواب.

وعليـه عـبودية أخـرى يوم القـيـامـة، يوم يدعو اللـه الخلق كلهم إلى السجود، فيسـجد المؤمنون ويبقى الكفار والمنافقون لا يستطيـعون السجود، فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب، صارت عبوديـة أهل الثواب تسبيحًا مقرونًا بأنفاسهم لا يجدون له تعبًا ولا نصبًا.

لا تتأثر بكلام الناس

إذا اتفق الناس من حولـك على أنك تحمل بلادة جَدِّك مـثلاً، وأنك لن تسعد ولن تنجح فى الحياة، ولن تكون مـحبوبًا؛ فارفض هذا الزعم بشدة، واحـذر من ثقل مـاضٍ ليس هو ماضـيك، واغـرس فى نفـسك الصفـات المعاكسة للعيوب التى يريدون إرهاقك بها (٢).

لا تنتظر الأخبار السيئة

أخى الحبـيب: لا تنتظر الأخبـار السيئة ولا تفكر دائمًـا فى أن الموضوع الفلانـى من الممكن أن يحدث بسـببـه كذا وكذا. . والـشخص الفـلانى قد يؤذينى فى كذا وكذا. . . والبيت قد يـقع بسبب كذا . . . والولد قد يموت بسبب مرض كذا . .

(١) سورة الحجر: آية (٩٩).

(٢) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣٩).

فإن ذلك يجمع لك الحُزن والقلق والاكتئاب ويستدعى كل لحظة مصيبة جديدة.

* **فعليك أولاً**: أن تحُسن الظن بالله -جل وعلا- فإذا حدث شيء فليكن شعارك: إن شاء الله لن يحدث مكروه من وراء هذا الأمر... فإذا حدث مكروه فليكن شعارك: الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللَّهُمَّ أجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيراً منها... إن شاء الله سيرفع الله عنى هذا البلاء. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

* ثم تذكر أن الحياة قصيرة فلا تُقصرها بالهموم والغموم... واعلم أن من وراء ذلك جنة عرضها السموات والأرض، ليس فيها هم ولا حزن ولا غمٌّ ولا مصائب وإنما هو النعيم الدائم الذى لا ينقص ولا ينتهى أبدًا.

تخلص من القلق النفسى حتى لا تحزن

* القلق يُؤدى إلى الحُزن والاكتئاب.
* القلق يُؤدى إلى الفشل فى الحياة.
* القلق يُؤدى إلى الجنون.
* القلق يُؤدى إلى الأمراض الخطيرة.
* حاول اكتشاف أسباب القلق لديك، ثم عالج كل سبب على حدة.
* ناقش نفسك ومَنْ حولك بهدوء ولا تلجأ إلى الانفعال.
* استثمر قلقك فى التفوق الدائم والسعى نحو الأهداف النبيلة.
* ليكُن قلقك فعَّالاً فى علاج مشكلاتك.
* كُن بسيطًا ولا تلجأ إلى تعقيد الأمور(٢).

---

(١) سورة غافر: آية (٤٤).

(٢) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٢٥، ٢٦).

إذا أصبحت فلا تنتظر المساء

والمعنى: أن تعيش يومك فحسب.. فلا تحزن على الماضى ولا تقلق من المستقبل بل انشغل بيومك الذى أنت فيه وقدر أنك لن تعيش غيره، فاغتنم كل لحظة فيه واعمل عملاً صالحًا ينفعك فى آخرتك.

- يقول أحد السلف: يا ابن آدم، إنما أنت ثلاثة أيام: أمسك وقد ولَّى، وغدك ولم يأتِ، ويومك فاتق الله فيه.

* فطول الأَمل داء عُضال، ومرض مزمن.. ومتى تمكَّن من القلب، فَسَدَ مزاجه واشتد علاجه.

قال ﷺ: **«يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان: الحرص والأمل»** [(١)].

وقال ﷺ: **«يهرم ابن آدم ويشبُّ فيه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العُمر»** [(٢)].

إلام تُغَرُّ بالأمل الطويل
وليس إلى الإقامة من سبيل
فدَعْ عنك التعلل بالأمانى
فما بعد المشيب سوى الرحيل
أتأمنُ أن تدوم على الليالى
وكم أفنينَ قبلك من خليل
وما زالت بنات الدهر تُفنى
بنى الأيام جيلاً بعد جيل

فعن ابن عمر رضي الله عنهما **قال**: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى، فقال: **«كُنْ فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»**، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت فلا

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٢١) كتاب الرقاق، ومسلم (١٠٤٧) كتاب الزكاة، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٤٧) كتاب الزكاة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخُذْ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.. زاد أحمد، والترمذى: «**وعُدَّ نفسك من أهل القبور**»(١).

ولقد قال تعالى عن هذا الصنف: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾(٢).

وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها، والحبُّ لها والإعراض عن الآخرة.. ولذا قال رسول الله ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزُّهد واليقين، ويهلك آخرها بالبُخل والأمل**»(٣).

وقال الحسن: ما أطال عبدٌ الأمل، إلاَّ أساء العمل، وصدق ﷺ! فالأمل يكسل عن العمل، ويورث التراخى والتوانى، ويعقب التشاغل والتقاعس، ويخلد إلى الأرض ويميل إلى الهوى. وهذا أمر قد شُوهِدَ بالعيان فلا يحتاج إلى بيان، ولا يُطالَب صاحبه ببرهان؛ كما أن قِصر الأمل يبعث على العمل، ويحيل على المبادرة، ويحثُّ على المسابقة(٤).

وقال على ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم: اتباع الهوى، وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسى الآخرة.

وجاء فى الأثر: أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا (٥).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٦) كتاب الرقاق، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

(٢) سورة الحجر: آية (٣).

(٣) رواه أحمد فى الزهد، والطبرانى فى «الكبير»، والبيهقى عن ابن عمر، وحسنه الألبانى فى «صحيح الجامع» (٣٨٤٥).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبى (١٠/٧، ٨) ط. دار الحديث.

(٥) أختاه إنما أنت أيام/ للمصنف (ص: ٥٣-٥٦).

ابحث عن السعادة الحقيقية

قسَّم الإمام ابن القيم -رحمه الله- السعادة إلى أقسام ثلاثة:

السعادة الأولى: سعادة خارجية عن ذات الإنسان، وهى سعادة المال والحياة، فبينما المرء بها سعيدًا ملحوظًا بالعناية مرموقًا بالأبصار، إذ أصبح فى يوم واحدٍ أذل إنسان وأحقره.

وكذلك فإن اللذة الحاصلة بالمال، إما لذة وهمية، وإما لذة بهيمية.

فإن التذَّ صاحب المال بنفس جمعه وتحصيله؛ فتلك لذة وهمية خيالية، وإن التذَّ بإنفاقه فى شهواته؛ فهى لذة بهيمية.

وكذلك فإن اللذة الحاصلة بالمال إنما هى حال تجدده فقط، وأما حال دوامه، فإما أن تذهب تلك اللذة وإما أن تنقص.

السعادة الثانية: سعادة فى جسمه وبدنه، كصحته، واعتدال مزاجه، وتناسب أعضائه، وصفاء لونه، وقوة أعضائه، فهذا ألصق به من الأولى، ولكن هى فى الحقيقة خارجة عن ذاته وحقيقته، فإن الإنسان بروحه وقلبه، لا بجسمه وبدنه، كما قيل:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته

فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فسعادة مثل هذا بصحته وجماله وحُسنه: سعادة خارجة عن ذاته وحقيقته.

السعادة الثالثة: وهى السعادة الحقيقية، وهى سعادة العلم النافع ثمرته، فإنها هى الباقية على تَقلُّب الأحوال، والمصاحبة للعبد فى جميع أسفاره، وفى دوُره الثلاث؛ أعنى: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وبها يترقى معارج الفضل ودرجات الكمال.

الإيمان هو السعادة

صاحب أعمال وأموال، كان يملك مجموعة من الشركات بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان يعمل فى أحد هذه الشركات شاب مسلم.

وكان صاحب الشركات كلما مرَّ عليه وجده مبتسمًا، وعلامات السعادة بادية على وجهه، مع أن صاحب الشركات كان دائم الحزن والاكتئاب.

فسأله صاحب الشركات عن سبب هذه الابتسامة التى تنمُّ عن الفرح والسعادة؟

فقال: لأننى مسلم.

فقال له: لو أسلمتُ، أجدُ هذه السعادة التى تشعر بها؟

قال: نعم.

فأخذه الشاب المسلم إلى أحد المراكز الإسلامية، فشهد شهادة الحق، ثم انفجر فى بكاء شديد، فسُئل عن سبب هذا البكاء، فقال: لأول مرة فى عمرى أجد طعم السعادة: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾(١).

فالقلوب لا تصل إلى مُناها حتى تصل إلى مولاها، ولا تصل إلى مولاها؛ حتى تكون صحيحة سليمة، والسعادة سعادة القلوب، والشقاء شقاء القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بالله -عزَّ وجلَّ- ومحبته وعبادته: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(٢)(٣).

* * *

---

(١) سورة الزمر: آية (٢٢).

(٢) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٣) طريق السعادة (ص: ٥١).

من علامات السعادة والفلاح

من علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيد في علمه؛ زيد في تواضعه ورحمته.

وكلما زيد في عمله؛ زيد في خوفه وحذره.

وكلما زيد في عمره؛ نقص من حرصه.

وكلما زيد في ماله؛ زيد في سخائه وبَذْلِه.

وكلما زيد في قدره وجاهه؛ زيد في قُربه من الناس، وقضاء حوائجهم والتواضع لهم.

● وعلامات الشقاوة:

أنه كلما زيد في علمه؛ زيد في كبره وتيهه.

وكلما زيد في عمله؛ زيد في فخره واحتقاره للناس، وحُسن ظنِّه بنفسه.

وكلما زيد في عمره؛ زيد في حرصه.

وكلما زيد في ماله؛ زيد في بُخله وإمساكه.

وكلما زيد في قدره وجاهه؛ زيد في كبره وتيهه.

وهذه الأمور ابتلاء من الله، وامتحان يبتلي بها عباده، فيسعد بها أقوام، ويشقى بها أقوام.

وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء. قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [1].

فالنِّعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شكر الشكور، وكفر الكفور.

(١) سورة النمل: آية (٤٠).

كما أن المحن بلوى منه سبحانه، فهو يبتلى بالنعم، كما يبتلى بالمصائب. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ...﴾[١].

أى ليس كل مَنْ وسَّعت عليه وأكرمته ونعَّمته، يكون ذلك إكرامًا منى له، ولا كُل مَنْ ضيقت عليه رزقه وابتليته، يكون ذلك إهانةً منى له[٢].

اعرف قدر نفسك

عليك أن تعرف قدر نفسك وإمكانياتك ومواهبك وأن تبذل جهدك فى الشىء الذى تحسنه ولا تضيع وقتك فيما لا تُحسن، فإن تضييع الوقت والجهد فى الشىء الذى لا تحسنه يصيبك باليأس والإحباط، وإذا استثمرت وقتك وجهدك فى الشىء الذى تحسنه وتتقنه، فإنك سترى ثمره جهدك أمام عينيك وسيكون ذلك سببًا لفرحك وسعادتك.

غير عاداتك السلبية إلى أخرى إيجابية

يقول الدكتور أحمد البراء الأميرى: «إن اكتساب عادة عقلية (ذهنية أو نفسية) جديدة ليس أمرًا صعبًا، فهو يتطلب (٢١) يومًا. فى هذه الأيام الإحدى والعشرين علينا أن:

١- نفكر.

٢- ونتحدث.

٣- ونتصرف وفق ما تمليه علينا العادة الجديدة المطلوبة.

٤- وأن نتصور ونتخيل بوضوح تام كيف نريد أن نكون.

---

(١) سورة الفجر: آية (١٥-١٧).

(٢) الفوائد ص (٢٢٥، ٢٢٦).

إذا فكرت بنفسك وكأنك صرت بالشكل المطلوب، فإن هذا التصور يتحول إلى حقيقة بالتدريج، وإلى هذا يشير المثل القائل: الحِلْمُ بالتَّحلم، والعلم بالتَّعلُّم[١].

كُنْ كالنحلة فى نفع غيرك

إن السُّعداء هم أخلق الناس بنفع الناس، فالشخص الذى افتقد السعادة يجد الرضا دائمًا فى إشعار غيره من الناس بأنهم تعساء.

أما الرجل السعيد المستمتع بحياته فتزداد متعته كلما شاركه الناس سعادته.

وسواء كان سبب سرورك خبرًا سارًّا، أو مشهدًا طبيعيًّا خلاَّبًا، فإن سرورك لا يكتمل؛ حتى تنقل هذا الخبر لغيرك من الناس، أو تصحب غيرك؛ ليتأمل معك ذلك المشهد الخلاب[٢].

ارسم بسمة على وجوه الآخرين

المواساة باب له عظيم الأثر فى توطيد العلاقات وجلب المودة ونشر المحبة بين العباد.

فأحيانًا تكون المواساة بالمال، وأحيانًا تكون بالجاه والشُّفعات، وأحيانًا تكون بالبدن والخدمة، وأحيانًا تكون بالنصيحة والإرشاد، وأحيانًا تكون بالدعاء والاستغفار، وأحيانًا تكون بالتوجع والتألم لما أصيب به المسلم، وأحيانًا تكون بالتسرية عنه وإذهاب الهموم والأحزان وإدخال السرور والفرح عليه، فكلما قوى الإيمان قويت المواساة، وكلما ضعف، ضعفت المواساة، ولذلك كان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه.

---

(١) دروس نفسية للنجاح والتفوق.

(٢) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣٥، ٣٦).

وكان فضلاء أصحابه أعظم الناس مواساة ومن بعده.

وكان للأنصار فضلٌ على من سواهم بمواساتهم لرسول الله ﷺ ولإخوانهم المهاجرين.

* **وقال ﷺ : «إن لله تعالى أقوامًا يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرُّها فيهم ما بذلوها؛ فإذا منعوها، نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم»**(١).

* فهناك أناس يحبون فعل الخيرات وهو أحبُّ إلى أنفسهم من نسيم الهواء... وإنه ليسير على مَنْ يسَّره الله عليه.

* وهناك أناس يضحون بكل شيء من أجل إسعاد الناس من حولهم.

- فهذا أبو بكر يبذل ماله كله لخدمة الإسلام ولنصرة النبى ﷺ بل ويُهاجر مع النبى ﷺ ، ويعرض نفسه للخطر فداء لرسول الله ﷺ .

- وهذا عمر يطوف فى شوارع المدينة؛ ليطمئن على أحوال الرعية والناس نيام... بل ويجوع فى عام الرَّمادة حتى يشبع الناس.

- وهذا عثمان يشترى بئر رومة ليشرب المسلمون من الماء العذب، ويعتق كل جُمُعة عبدًا، ويحرر رقبة، ويوزع القافلة بكل ما فيها على فقراء المدينة.

- وهذا علىٌّ ينام مكان النبى ﷺ ليلة الهجرة ليفديه بحياته.

- وهذا أبو عبيدة يسهر على راحة جيش المسلمين.

- وهذا أبو طلحة يقى رسول الله ﷺ ويتلقى السهام فى يوم أُحدٍ.

* **فالشاهد:** أن مواساتك لكل مَنْ حولك تجلب لك السعادة والسرور، ما دمت ترسم بسمة على وجوه الآخرين.

* * *

(١) حسن: رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج (١/ ٢٤) من حديث ابن عمر، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٦٤)، والسلسلة الصحيحة (١٦٩٢).

لا تحزن من قلة ذات اليد

قد تكون السعادة فى قلة ذات اليد. . . فـاللقمة لها طعم إذا جاءت بعد جوع. . والماء له طعم إذا كان بعد شـدة العطش. . وركوب السيارة له طعم جميل بعد العناء الكبير من كثرة المشى على الأقدام.

* أما إذا كَثُرَ المـال فإن مع كثرته، تكثر المشاغل والمتـاعب من الحاقدين والحاسدين . . . بل إن مجـرد التفرغ للمحافظة على جمال الفـيلا والسيارة والأثاث والملابس الكثيرة والأجهزة الكهربـائية يحتاج إلى عناءٍ شديد، ومال كثير مما يسبب للإنسان أحيانًا حالة من الضيق والكدر.

- وهذا دليل على أن كثرة المال ليست هى السعادة والراحة. . وأن قلة المال ليست سبب الشقـاء والتعاسة. . وإنما السعادة الحقيـقية تكون فى طاعة الله وكثرة العمل الصالح سواءً كان صاحبه غنيًّا أو فقيرًا.

قال أحدهم: ركبت مع صاحب سيارة من المطار، متوجهًا إلى مدينة من المدن، فرأيت هذا السائق مسرورًا جذلاً، حامدًا لله وشاكرًا، وذاكرًا لمولاه، فسألته عن أهله فأخبرنى أن عنده أسرتين، وأكثر من عشرة أبناء، ودخلاً فى الشهـر ثمانمائة ريال فحـسب، وعنده غرف قديمة يـسكنها هو وأهله، وهو مرتاح البال، لأنه راضٍ بما قسم الله له.

قال: فعـجبت حينمـا قارنت بين هذا وبين أُناس يملـكون مليارات من الأموال والقصور والدُّور، وهم يعيشون ضنكًا من المعيشة فعرفت أن السعادة ليست فى المال.

* * *

لا تكنْ على هامش الحياة

قال علي رضي الله عنه: قيمة المرء ما يُحسن.

- ولذا فإنه لا ينبغي أبدًا أن يجلس المسلم بلا هدف ولا عمل يعود عليه وعلى أمته بالخير في الدنيا والآخرة.. فالفراغ والعطالة همٌّ وكدر وغمٌّ ومرض نفسي.. والعمل يجلب معه السرور والحبور والنشاط والسعادة.. وعندها ستنتهي الأمراض الفتاكة بشرط أن يقوم كل مسلم بدوره ولا يعيش على هامش الحياة.

* ولذلك نجد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حارب البطالة والفراغ حتى إنه وجد شبابًا قد جلسوا في المسجد بلا عمل وإنما فَرَّغوا أنفسهم للعبادة فقط فأخرجهم من المسجد وأمرهم أن يخرجوا لطلب الرزق، قائلا: إن السماء لا تُمطرُ ذهبًا ولا فضة.

* لقد كان عمر رضي الله عنه قدوة في هذا الأمر قبل أن يأمر به غيره. فها هو تراه في عمل دؤوبٍ ليلاً ونهارًا وكان لا ينام إلا قليلاً حتى قيل له: ألا تنام؟ قال: لو نمت الليل كله، ضاعت نفسي، ولو نمت النهار كله، ضاعت رعيتي.

* إن كفار قريش كانوا يبذلون من أوقاتهم وأموالهم لخدمة عقيدتهم الفاسدة وتبعهم على ذلك اليهود في عالمنا المعاصر.. في الوقت الذي نرى فيه كثيرًا من المسلمين يبخلون بأموالهم وأوقاتهم لخدمة دين الله والعمل لنصرته.

إن المؤمن يُوقن أن السعادة في الآخرة والنجاح في الأُولى موقوف على العمل. الجنة في الآخرة ليست جزاءً لأهل البطالة والكسل والفراغ، بل لأهل الجدِّ والعمل والإتقان: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]..

(١) سورة الزخرف: آية (٧٢).

(٢) سورة السجدة: آية (١٧).

لا تحزن من النقد البنَّاء

لا شك أن النفس البشرية تميل إلى حُبِّ المدح والثناء وتكره النقد والنُّصحِ.. ولكن قد يكون الشر كُلُّ الشرِّ في كثرة المدح والثناء؛ لأنه قد يصيب العبد بالعُجب والكِبر والغرور والتعالي وهي أدواء تهلك صاحبها.

وقد يكون الخير كل الخير في النصح والنقد البنَّاء وبخاصة إذا خرج من قلب صادق يريد بنصيحته وجه الله -جلَّ وعلا- فينتفع العبد بتلك النصيحة ويصحح أخطاءه وينتفع الناس به من حوله - بفضل الله -جلَّ وعلا-.

ولكن أحيانًا يكون النقد جارحًا وغير بَناء.

- **إذًا.. ينبغي علينا أن نقول للناقد أو الناصح:** اجعل نصيحتك خالصة لوجه الله من أجل إصلاح إخوانك من حولك.. لا من أجل التَّشفي وحُظوظ النفس.. واجعل نصيحتك في السِّرِّ بينك وبين مَنْ تريد أن تنصحه... وَزَيِّنْ نصيحتك بالكلام الطيب.

- **ونقول للطرف الآخر:** اقبل نصيحة إخوانك وكُنْ واسع الصدر للنقد البنَّاء عسى الله أن ينفعك به، فتنتقل من الحَسن إلى الأحسن.. واحذر أن تصمَّ أذنيك عن سماع الحق، فإن ذلك يقدح في إخلاصك لله -جلَّ وعلا-.

لا تحزن من كثرة الشائعات

لا تحزن من كثرة كلام الناس عليك فأكثر الشائعات لا صحة لها وإنما هذا يعكس قدرك ومكانتك في عيون هؤلاء فلو لم تكن صاحب مكانة ووجاهة ما كان لأحدهم أن ينشغل بالكلام عنك أبدًا.. وأنت تعلم أن الناس لا يرمون بالحجارة إلاَّ النخلة المثمرة.. فنمْ قرير العين، مطمئن البال ولا تحزن بل قابل كلام هؤلاء بمزيد من العطاء والنجاح؛ حتى يعلم هؤلاء

أن كلامهم ضيع عليهم حسناتهم وأوقاتهم، وزاد فى نجاحك وحسناتك فى آن واحد . . فلا تحزن.

لا تتعلق بغير الله

إن من أكثر الأشياء التى تجلب للعبد الهموم والغموم: أن يتعلَّق قلبه بالناس فيتقرب منهم ويطلب رضاهم ويعتمد عليهم فى قضاء حوائجه وإذا بهم يخذلونه فى أحلك الأوقات وأصعب الأزمات، إلا مَنْ رحم الله.

- إذًا فانفض يديك من الناس ولا تتعلَّق بغير الله فهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السُّوء، وهو الذى يفرج الهموم ويزيل الكروب. . . فهو أرحم بك من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنامُ غِضَابُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكُلُّ هَيِّنٌ
وكُلُّ الذى فوقَ التُّرابِ ترابُ

ارضَ بالخبز والماء؛ لتسلم من الرق

يقول الراشد فى كتاب «المسار»: مَنْ كان عنده ثلاثمائة وستون رغيفًا وجرة زيت وألف وستمائة تمرة لم يستعبده أحدٌ.

وقال أحد السلف: من اكتفى بالخبز اليابس والماء، سَلِم من الرقِّ إلاَّ لله تعالى، ﴿وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾[1].

قال أحدهم:

أطعت مطامعى فاستعبدتنى
ولو أنِّى قَنِعَتُ لكُنتُ حُرًا

---

(١) سورة الليل: آية (١٩).

وقال آخر:

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها
على أنهم فيها عُراةٌ وجُوَّع
أراها وإن كانت تُسرُّ فإنها
سحابة صيفٍ عن قليل تقَشَّع

إن الذين يسعون إلى السعادة بجمع المال أو المنصب أو الوظيفة، سوف يعلمون أنهم هم الخاسرون حقًّا، وأنهم ما جلبوا إلا الهموم والغموم، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾(١)، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٢).

لا تجالس مَنْ لا يعرف قيمة الوقت

إن أكثر الناس لا يعرفون قيمة الوقت ولا شرف الزمان..

ترى بعضهم يقضى الساعات الطويلة على المقهى أو أمام التلفاز أو أمام رقعة الشطرنج فإذا سألته ماذا تصنع؟ يقول لك: أجلس لأقتل الوقت!!! وهو لا يدرى أنه بذلك يقتل نفسه قتلاً بطيئًا.. ولو أنه جلس يقرأ فى كتاب الله لاستطاع أن يقرأ حوالى ثمانية أجزاء ونصف فى ثلاث ساعات فيتحصل على مليون حسنة؛ لأن الثمانية أجزاء والنصف تحتوى على ما يقرب من مائة ألف حرف، والحرف بعشرة حسنات، فيكون المجموع مليون حسنة «فمن سيربح المليون؟!!!»

أخى الحبيب: عوِّدْ نفسك التسبيح فى كل وقت وآن، الهجْ بالذكر حتى يكون لك عادةً، اتخذ المصحف رفيقًا فى حضرك وسفرك.

لقد صاحبنا الأصحاب والأحباب، ورافقنا الأصدقاء والإخوان، فإذا

---

(١) سورة الأنعام: آية (٩٤).

(٢) سورة الأعلى: آية (١٦، ١٧).

القلب لا يصلح إلا مع الربِّ جلَّ في عُلاَه، ما أكرمه وأحلمه وأعظمه، إذا استغفرته غفر لك، إن سألته أعطاك، إن أخطأت سترك، إن عُدت إليه قَبِلك، إن ذكرته ذكرك ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[(١)][(٢)].

لا تجالس إلا مَن تسعد بمجالسته

وحتى لا تحزن فلا تجلس إلا مع مَنْ تشعر بالسعادة إذا جالسته؛ لأن مجالستك لَمن لا تحب: توغر صدرك، وتجلب عليك الحزن بخيله ورجَلِه ﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾[(٣)].

قال ابن القيم: إذا ابتُليت بثقيل، فسلِّم له جسمك، وهاجر بروحك وانتقل عنه وسافر، وملِّكه أذنًا صماءً، وعينًا عمياء؛ حتى يفتح الله بينك وبينه. ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[(٤)].

قال الشافعي عنهم: إن الثقيل ليجلس إليَّ فأظن أن الأرض تميل في الجهة التي هو فيها.

وكان الأعمش إذا رأى ثقيلاً، قال: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾[(٥)].

علامات السعادة والشقاوة

للسعادة والفلاح علامات تلوح، وإشارات تظهر، وهي شهود على رُقيِّ صاحبها، ونجاح حاملها، وفلاح مَنْ اتصف بها.

فمن علامات السعادة والفلاح: أن العبد كلما زيد في علمه، زيد في

(١) سورة الأنعام: آية (٩١).
(٢) حدائق ذات بهجة (ص: ١٩٠).
(٣) سورة النساء: آية (١٤٠).
(٤) سورة الكهف: آية (٢٨).
(٥) سورة الدخان: آية (١٢).

تواضعه ورحمته، فهو كالجوهر الثمين، كلما زاد وزنه ونفاسته، غاص فى قاع البحار، فهو يعلم أن العلم موهبة راسخة يمتحن الله بها من شاء، فإن أحسن شُكرها، وأحسن فى قبوله، رفعه به درجات: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1]. وكلما زيد فى عمله، زيد فى خوفه وحذره، فهو لا يأمن عثرة القدم، وزلة اللسان، وتقلُّب القلب، فهو فى محاسبة ومراقبة كالطائر الحذر، كلما وقع على شجرة تركها لأخرى، يخاف مهارة القناص، وطائشة الرصاص. وكلما زيد فى عمره، نقص من حرصه، ويعلم علم اليقين أنه قد اقترب من المنتهى، وقطع المرحلة، وأشرف على وادى اليقين. وهو كلما زيد فى ماله، زيد فى سخاءه وبَذْلِه؛ لأن المال عارية، والواهب ممتحن، ومناسبات الإمكان فرص، والموت بالمرصاد. وهو كلما زيد فى قدره وجاهه، زيد فى قربه من الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم، لأن العباد عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله.

وعلامات الشقاوة: أنه كلما زيد فى علمه، زيد فى كبره وتيهه، فعلمه غير نافع، وقلبه خاوٍ، وطبيعته ثخينة، وطينته سباخ وعِرَةٌ. وهو كلما زيد فى عمله، زيد فى فخره واحتقاره للناس، وحسن ظنه بنفسه.

فهو الناجى وحده، والباقون هلكى، وهو الضامن جواز المفازة، والآخرون على شفا المتالف. وهو كلما زيد فى عمره، زيد فى حرصه، فهو جموع منوع، لا تحركه الحوادث، ولا تزعزعه المصائب، ولا توقظه القوارع. وهو كلما زيد فى ماله. زيد فى بُخله وإمساكه، فقلبه مقفر من القيم، وكفه شحيحة بالبذل، ووجهه صفيق عرى من المكارم. وهو كلما زيد فى قدره وجاهه، زيد فى كبره وتيهه، فهو مغرور مدحور، طائش الإرادة، منتفخ الرئة، مريش الجناح، لكنه فى النهاية لا شىء: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة**

(١) سورة المجادلة: آية (١١).

فى صورة الذرِّ، يطؤُهُم الناس بأقدامهم»[(١)]. وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان، يبتلى بها عباده فيسعد بها أقوام، ويشقى بها أقوام[(٢)].

اجتهد فى طاعة الله حتى لا تحزن

أيها الأخ الحبيب: إن الله -عزَّ وجلَّ- خلقنا لغاية واحدة قال عنها -جلَّ وعلا-: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[(٣)] فإذا تعودت جوارحك على الطاعة وامتلأ قلبك بحُبِّ العبادة فإنك وقتها تصبر على الجوع والعطش ولا تصبر أبدًا على البعد عن طاعة الله -جلَّ وعلا-.

كما قالت إحدى الصالحات: تعودوا حُبَّ الله وطاعته، فإن المتقين ألفوا بالطاعة فاستوحشت جوارحهم من غيرها، فإذا أمرهم الملعون بمعصية مرَّت بهم محتشمة فهم لها منكرون.

وقال بعضهم: إنى لا أُحسن أن أعصى الله.

* وتأمل معه كيف كانت أحوال سلفنا الصالح مع العبادة.

* تزوج رياح القيسى امرأة، فأراد أن يختبرها فتناوم فى الربع الأول من الليل فقامت، ثم أرادت أن توقظه، فقال: سأقوم، واستمر فى نومه.

فقامت فى الربع الثانى من الليل، وأرادت أن توقظه فقال: سأقوم، فقامت فى الربع الثالث من الليل، وأرادت أن توقظه، فقال: سأقوم، فقالت: يا ليت شعرى مَنْ غرَّنى بك يا رياح!

* وباع الحسن بن صالح - أحد عُباد التابعين- جارية، فقامت فى منتصف الليل تقول: الصلاة يا أهل الديار، فقالوا: أأصبحنا؟ فقالت لهم: ألا تصلون إلا المكتوبة!! فذهبت إلى الحسن وقالت له: بعتنى

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٤٩٢) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٦٦٣٩) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٨٣).

(٢) لا تحزن (ص: ٣٧٠، ٣٧١).

(٣) سورة الذاريات: آية (٥٦).

إلى قوم لا يصلُّون إلا المكتوبة، رُدنى رُدنى.

* سمع أبو حنيفة - رحمه الله- امرأة تشير إليه وتقول: هذا الرجل يقوم الليل كله: فقال: لا يتحدث الناس أنى أقوم الليل كله ولا أفعل، فصار يقوم الليل كله.

وإذا وُفِّق العبد إلى شيء من المحبة والأُنس، ثم حُرِمَ بغفلة أو ذنوب فيمكنه أن يتوسل إلى الله - عزَّ وجلَّ- بعمله الصالح، وقديم الوصل.

يقول ابن الجوزى: يا هذا قفْ فى الدياجى، وامدد يد الذل، وقل: قد كانت لى خدمة، فعرض تفريط أوجب البعد، فبحرمة قديم الوصل ردونى، فقد ألفتكم.

* لقد بلغت محبة سلفنا الصالح للعبادة مبلغًا عظيمًا حتى إن أحدهم كان يتمنى أن يصلى بعد موته.

- كان ثابت البُنانى يقول: يا ربِّ إن أذنت لأحد أن يُصلِّى فى قبره، فأذن لى.

- وبكى أحد السلف عند موته، فسُئل عن سبب بكائه، فقال: أبكى لأنه سيصوم الصائمون ولست فيهم، ويصلى المصلون ولست فيهم.

- وبكى أحدهم عند موته: فسُئل عن سبب بكائه فقال: والله ما أبكى على دنياكم، ولا أبكى على فراقكم، ولكن أبكى على ظمأ الهواجر - أى الصيام فى الأيام شديدة الحرِّ - وقيام ليالى الشتاء الطويلة.

قال ابن الجوزى: إخوانى أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول مادامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة.

مضى أمسك الماضى شهيدًا معدلا

وأعقبه يوم عليك شهيد

فإن تك بالأمس اقترفت إساءةً
فبادر بإحسانٍ وأنت حميد
ولا تبُق فعل الصالحات إلى غد
لعل غَدًا يأتى وأنت فقيد
إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت
حميمك فاعلم أنها ستعود

بع دنياك بآخرتك

مَنْ تأمل بعين الفكر دوام البقاء فى الجنة فى صفاء بلا كدر، ولذات بلا انقطاع، وبلوغ كل مطلوب للنفس، والزيادة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من غير تغيير ولا زوال، إذ لا يقال ألف ألف سنة، ولا مائة ألف ألف، بل ولو أن الإنسان عدَّ ألوف ألوف السنين لا ينقضى عدده وكان له نهاية، وبقاء الآخرة لا نفاذ له.

إلا أنه لا يحصل ذلك إلا بنقد هذا العمر.

وما مقدار عمر غايته مائة سنة منها خمسة عشر صبوة وجهل، وثلاثون بعد السبعين - إن حَصُلَتُ - ضعف وعجز.

والتوسط نصفه نوم، وبعضه زمان أكل وشَرب وكسب، والمنتحل منه للعبادات يسير.

أفلا يشترى ذلك الدائم بهذا القليل؟ إن الإعراض عن الشروع فى هذا البيع والشراء، لغُبن فاحش فى العقل، وَخَلَلٌ داخل فى الإيمان بالوعد[(١)].

* * *

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٥٩، ٣٦٠).

الإنسان ابن ساعته

إننا لابد أن نعلم أن الإنسان ابن ساعته وأن العذاب الذى يمر به، أو النعيم الذى يعيش فيه ينتهى الإحساس به فى نفس اللحظة التى ينتهى فيها.

فلو سألت إنسانًا عاش سبعين سنة فى المرض، ثم أصبح فى عافية وصحة: هل مرَّ بك مرض قطُّ؟ لقال لك: لا. ولو سألت إنسانًا عاش فى العافية والصحة سبعين سنة، ثم أصبح فى مرض وعجز. هل مرَّت بك صحة أو عافية قطُّ؟ لقال لك: لا.

وهذا مثال بسيط لكل من تعجَّل لذائذ الدنيا الفانية، وابتعد عن طاعة الله.. فإنه مع أول غمسة فى النار ينسى نعيم الدنيا كلها ولا يذكر منه شيئًا.

وأما من عاش على الطاعة، ورضى بقضاء الله وصبر على ضيق العيش، وشدة الحاجة والمرض... فإنه مع أول غمسة فى الجنة ينسى كل هذا الشقاء ولا يذكر إلا نعيم تلك الغمسة.

فاحذروا أن تضحوا بالنعيم الأبدى من أجل تلك اللذة المؤقتة التى يعقبها عذاب الله وسخطه.

قال ﷺ: «يُؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ فى جهنم صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قطُّ؟ هل مَّر بك نعيم قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب، ويُؤتى بأشدِّ الناس بُؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدة قطُّ؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرَّ بى بؤس قطُّ، ولا رأيت شدة قطُّ»[1]. أخرجه مسلم[2].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) يا شباب الوقت هو الحياة/ للمصنف (ص: ٦٠، ٦١).

اصحب الأخيار حتى لا تحزن

اعلم أيها الأخ الحبيب:

أن الصاحب كصاحبه، وأن القرين بالقرين، وأن الناس أشكال كأشكال الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، والدجاج مع الدجاج، والنسور مع النسور، والصقور مع الصقور، كلٌ مع شكله، والطيور على أشكالها تقع، والخليل على دين خليله.

ففر من قرين السوء فرارك من الأسد، فهو أجرب مُعدٍ يُقودك إلى جهنم إن أجبته قذفك فيها، وسيكون لك عدواً بين يدى الله الواحد الأحد، ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾(١) .

ها هو عُقبة بن أبى معيط، كان يجلس مع النبى ﷺ بمكة، ولا يؤذيه وكان كافراً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه ﷺ يؤذونه، وكان لابن أبى معيط صديق كافر غائب بالشام، وقد ظنت قريش أن عقبة قد أسلم لما يعامل النبى ﷺ من معاملة حسنة، فلما قدم خليله من الشام قالت قريش: ها هو خليلك . . ابن أبى معيط قد أسلم، فغضب خليله وقرينه غضباً شديداً وأبى أن يُكلِّم عقبة، وأبى أن يسلم عليه حتى يؤذى النبى ﷺ ، فاستجاب عقبه له وآذى النبى ﷺ حتى إنه خنقه بتلابيبه ذات مرة، وحتى أنه بصق فى وجهه الشريف مرة أخرى، فاستأثر بكل حقارة ولؤم على وجه الأرض فى تلك الساعة، وكان عاقبته أن مات يوم بدر كافراً، فأنزل الله فيه وفى أمثاله قرآنا يُتْلَى إلى يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾(٢) .

(١) سورة الزخرف: آية (٦٧).

(٢) سورة الفرقان: آية (٢٧-٢٩).

فإياك وصديق السوء، فإنه يعدى كما يعدى الصحيحَ الأجربُ.

إذا كنت فى قوم فـصاحبْ خـيارهم
ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسـأل وسَلْ عن قـرينه
فكُلُّ قـريـن بالمقـارن يقـتـدى(١)

* فاحرص أيها الأخ الحبيب على صحـبة الأخيار الذى يأخذون بيديك إلى جَنَّة الله -جلَّ وعلا- ورضوانه.

- فالمؤمن ينتفع بإخـوانه الصالحين فى الدنيا والآخرة. . فـأما فى الدنيا فـهم الذين يحـرصـون كل الحـرص على إيصـال المنافع الدينيـة والدنيـوية لإخوانهم، ويحرصون على دفع المضار عن إخوانهم.

- وأما فى الآخرة فإن المؤمنين يشفع بعـضهم لإخوانهم؛ ليدخلوا الجنة إذا أَذِنَ الله لهم بذلك -سبحانه وتعالى.

احرص على أن تفوز بمحبة الله -جلَّ وعلا-

* مَنْ وجد الله فماذا فقد؟!. . . ومن فقد الله فماذا وجد؟!

- إذا فزت بمحبـة الله فلا عليك ما فاتك من الدنيـا فإن الله إذا أحبك فقد ضمنت سعادة الدارين.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**إن الله - تعالى- قال: مَنْ عادى لى وليًّا فقد آذنته (٢) بالحرب، وما تقرَّب إلىَّ عبدى بشىء أحبَّ إلىَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بـالنوافل؛ حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمـعه الذى يسمع به، وبصـره الذى يبصر به ويده التى يبـطش بها، ورِجله التى**

(١) هكذا علمتنى الحياة/ للشيخ الحبيب على القرنى - حفظه الله- (ص: ٧٦، ٧٧).
(٢) آذنته: أعلمته بأنى محارب له.

يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولئن استعاذنى [(١)] لأعيذنَّه»[(٢)].

وعنه عن النبى ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله تعالى العبد نادى جبريل إن الله تعالى يحب فلانًا فأحببه، فيحبُّه جبريل فينادى فى أهل السماء إن الله يحبُّ فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يُوضع له القبولُ فى الأرض»[(٣)].

وفى رواية لمسلم: «إن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانًا فأحببه، فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء، فيقول: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يُوضَعُ له القبول فى الأرض...».

* وإليك - أيها الأخ الحبيب - الأسباب التى تجلب لك محبة الله - جلَّ وعلا- :

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: «الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها، وهى عشرة:

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أُريد به.

الثانى: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها تُوصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال: باللسان والقلب والعمل والحال. فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من الذكر.

الرابع: إيثار محابِّه على محابِّك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه وإنْ صَعُبَ المرتقى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه فى رياض هذه المعرفة ومباديها، فمَنْ عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة، ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قُطاع الطريق على

(١) استعاذنى: رُوى بالباء، ورُوى بالنون.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب.

السادس: مشاهدة بِره وإحسانه وآلائه، ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: -وهو من أعجبها - انكسار القلب بين يدى الله تعالى.

وليس فى التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهى لمناجاته وتلاوة كلامه، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين والصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم، كما يُنتقى أطايب الثمر، ولا تتكلَّم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدًا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله - عزَّ وجلَّ.

فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، ومِلاَكُ ذلك كله أمران:

١- استعداد الروح لهذا الشأن:

بدم المحب يُباع وصلهم
فمن الذى يُبتاع بالثمن
أنت القتيل بكل من أحببته
فاختر لنفسك فى الهَوى مَنْ تصطفى

٢- وانفتاح عين البصيرة. وبالله التوفيق». ا.هـ. من كلام ابن القيم.

رحمك الله يا طبيب القلوب يا مَنْ غرقت فى بحور الحب الإلهى، فما نفد شراب مولاك وما ارتويت.. كم الفرق بين أُناس موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأناس أحياء تموت القلوب برؤيتهم.

* * *

لا يجتمع حب الدنيا وحب الآخرة

رأيت سبب الهموم والغموم الإعراض عن الله - عزَّ وجلَّ-، والإقبال على الدنيا.

وكلما فات منها شيء، وقع الغمُّ لفواته.

فأما من رُزق معرفة الله تعالى استراح؛ لأنه يستغني بالرضا بالقضاء، فمهما قُدِّرَ له رضي.

وإن دعا فلم ير أثر الإجابة لم يختلج في قلبه اعتراض، لأنه مملوك فتكون همته في خدمة الخالق.

ومَن هذه صفته لا يؤثر جمع مال، ولا مخالطة الخلق ولا الالتذاذ بالشهوات؛ لأنه إما أن يكون مقصراً في المعرفة، فهو مقبلٌ على التعبد المحضِ، يزهد في الفاني؛ لينال الباقي.

وإما أن يكون له ذوق في المعرفة، فإنه مشغول عن الكُلِّ بصاحب الكل.

فتراه مُتأدبًا في الخلوة به، مستأنسًا بمناجاته، مستوحشًا من مخالطة خلقه راضيًا بما يقدر له. فعيشه معه، كعيش مُحبٍّ قد خَلا بحبيبه، لا يريد سواه، ولا يهتم بغيره.

فأما مَنْ لم يُرزق هذه الأشياء، فإنه لا يزال في تنغيص متكدر العيش؛ لأن الذي يطلبه من الدنيا لا يقدر عليه، فيبقى أبدًا في الحسرات مع ما يفوته من الآخرة بسوء المعاملة.

نسأل الله - عزَّ وجلَّ- أن يستصلحنا له، فإنه لا حول ولا قوة إلا به(١).

* * *

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٤٦، ٣٤٧).

إذا سألت، فاسأل الله

إنها وصية غالية خرجت من فم الحبيب ﷺ : «إذا سألت، فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله... »(١).

- فارفع هذا الشعار ولا يتعلق قلبك بما عند البشر.

لا تسألنَّ بنى آدم حاجةً
وسَلِ الذى أبوابه لا تُغلقُ

الله يغضب إن تركت سُؤاله
وبنىُّ آدم حين يُسألُ يغضبُ

* والله... إن النوم على الحصير وأكل الخبز اليابس مع حفظ ماء الوجه وصون النفس عن سؤال الناس، أعز وأشرف من سُكنى القصور الفاخرة وركوب السيارات الفارهة مع التكدير والغمِّ والحزن.

* لا تسأل الناس شيئًا حتى لا تحزن فلربما منعك بخيل أو اكفهر فى وجهك إنسان عبوس، أو تطاول عليك سفيه.. ولكن إن أردت أى شىء من متاع الدنيا، أو نعيم الآخرة الباقى فلا تسأل إلا الله -جل وعلا- الذى بيده مقاليد السماوات والأرض.

* وتأمل معى كيف كان النبى ﷺ يُربى أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئًا.

* عن أبى عبد الرحمن بن عوف بن مالك الأشجعى رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال: ألا تُبايعون رسول الله ﷺ - وكنا حديثى عهد ببيعة-؟، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله،

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

فعَلام نُبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس وتطيعوا» وأسرَّ كلمة خفية: «ولا تسألوا الناس شيئًا» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه(١).

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مُزعةُ لحم»(٢).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سأل الناس تكثُّرًا فإنما يسأل جمرًا، فليستقلَّ أو ليستكثرْ»(٣).

* وعن سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المسألة كدٌّ يكدُّ بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سُلطانًا، أو فى أمر لابد منه»(٤).

* وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسدْ فاقته، ومَنْ أنزلها بالله، فيُوشك الله له برزق عاجل، أو آجل»(٥).

* وعن أبى بشر قُبيصة بن المُخارق رضي الله عنه قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «أقم؛ حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»، ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة، فحلَّت له المسألة حتى يصيبها، ثم يمسك. ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله، فحلَّت له المسألة؛ حتى يصيب قوامًا من عيش، أو قال سدادًا من عيش، ورجلٌ أصابته فاقةٌ حتى يقول ثلاثة من ذوى الحِجى من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقةٌ، فحلَّت له

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٤٣)، كتاب الزكاة من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٧٤) كتاب الزكاة ، ومسلم (١٠٤٠) كتاب الزكاة من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما.
(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٤١) كتاب الزكاة من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.
(تكثرًا): أى ليكثر ماله، لا للاحتياج.
(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٦٣٩) كتاب الزكاة، والترمذى (٦٨١) كتاب الزكاة، والنسائى (٢٦٠٠) كتاب الزكاة ، وأحمد (١٩٧٠٧)، من حديث سمرة بن جندب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٤٧).
(٥) صحيح: رواه أبو داود (١٦٤٥) كتاب الزكاة، والترمذى (٢٣٢٦) كتاب الزهد، وأحمد (٣٦٨٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٨٧).

المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش أو قال: سدادًا من عيش. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُحتٌ، يأكلها صاحبها سُحتًا»(١).

* وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تكفَّل لى أن لا يسأل الناس شيئًا، أتكفل له بالجَنَّة؟» فقلت: أنا، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا(٢).

يومك يومك

إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، . . . اليوم فحسب ستعيش، فلا أمس الذى ذهب بخيره وشره، ولا الغد الذى لم يأتِ إلى الآن.

اليوم الذى أظلتك شمسه، وأدركك نهاره هو يومك فحسب، عمرك يوم واحد، فاجعل فى خُلدك العيش لهذا اليوم وكأنك وُلدت فيه وتموت فيه، حينها لا تتعسر حياتك بين هاجس الماضى وهمِّه وغمِّه، وبين توقع المستقبل وشبحه المخيف وزحفه المرعب، لليوم فقط، اصرف تركيزك واهتمامك وإبداعك وكدَّك وحدك، فلهذا اليوم لا بد أن تقدِّم صلاة خاشعة وتلاوة بتدبر، واطلاعًا بتأمل، وذِكرًا بحضور، واتزانًا فى الأمور، وحُسنًا فى خُلق، ورضًا بالمقسوم، واهتمامًا بالمظهر، واعتناءً بالجسم، ونفعًا للآخرين.

لليوم هذا الذى أنت فيه فتقسم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات، ومن ثوانيه شهورًا تزرع فيه الخير، تُسدى فيه الجميل، تستغفر فيه من الذنب، تذكر فيه الربَّ، تتهيأ للرحيل، تعيش هذا اليوم فرحًا وسرورًا، وأمنًا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٤٤) كتاب الزكاة من حديث قبيصة بن مخارق الهلالى ﷺ.
«الحمالة» بفتح الحاء: أن يقع قتال ونحوه بين فريقين، فيصلح إنسان بينهم على مال، فيتحمله ويلتزمه على نفسه، و«الجائحة»: الآفة تصيب مال الإنسان، و«القوام» بكسر القاف وفتحها: هو ما يقوم به أمر الإنسان من مال ونحوه. و«السداد» بكسر السين: ما يسدُّ حاجة المعوز ويكفيه، و«الفاقة»: الفقر، و«الحجى»: العقل.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٦٤٣) كتاب الزكاة، والنسائى (٢٥٩٠) كتاب الزكاة، وابن ماجه (١٨٣٧) كتاب الزكاة، وأحمد (٢١٨٦٩)، من حديث ثوبان بن بجدد ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٨١٣).

وسكينةً، ترضى فيه برزقك، بزوجتك، بأطفالك، بوظيفتك، ببيتك، بعلمك، بمستواك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾(١) تعيش هذا اليوم بلا حزن ولا انزعاج، ولا سخط، ولا حقد، ولا حسد.

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجعلها أيضًا على مكتبك تقول العبارة: «يومك يومك».

إذا أكلت خبزًا حارًا شهيًا هذا اليوم فهل يضرك خبز الأمس الجاف الرديء، أو خبز غدٍ الغائب المنتظر؟!

إذا شربت ماءً عذبًا زُلالاً هذا اليوم، فلماذا تحزن من ماء أمس الملح الأجاج، أو ماء غدٍ الآسن الحار؟!

إنك لو صدقت مع نفسك بإرادة فولاذية صارمة عارمة؛ لأخضعتها لنظرية: لن أعيش إلاَّ هذا اليوم. حينها تستغل كل لحظة فى هذا اليوم فى بناء كيانك وتنمية مواهبك، وتزكية عملك، فتقول:

لليوم فقط: أُهذِّبُ ألفاظى فلا أنطق هجرًا أو فُحشًا، أو سَبًّا، أو غِيبةً.

لليوم فقط: سوف أرتب بيتى ومكتبتى، فلا ارتباك ولا بعثرة، وإنما نظام ورتابة. لليوم فقط سوف أعيش فأعتنى بنظافة جسمى، وتحسين مظهرى والاهتمام بهندامى، والاتزان فى مشيتى وكلامى وحركاتى.

لليوم فقط: سأعيش فأجتهد فى طاعة ربِّى، وتأدية صلاتى على أكمل وجه، والتزود بالنوافل، وتعاهد مصحفى، والنظر فى كتبى، وحفظ فائدة، ومطالعة كتاب نافع.

لليوم فقط: سوف أعيش فأنفع الآخرين، وأُسدى الجميل إلى الغير، أعودُ مريضًا، أُشيع جنازة، أدل حيرانًا، أُطعم جائعًا، أفُرج عن مكروب، أقف مع مظلوم، أشفع لضعيف، أواسى منكوبًا، أُكرم عالمًا، أرحم صغيرًا، أُجلّ كبيرًا.

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٤٤).

لليوم فقط سأعيش فيا ماضٍ ذَهَبَ وانتهى، اغرب كشمسك، فلن أبكى عليك، ولن ترانى أقف لأتذكرك لحظة؛ لأنك تركتنا وهجرتنا وارتحلت عنَّا، ولن تعود إلينا أبد الآبدين.

ويا مستقبل، أنت فى عالم الغيب فلن أتعامل مع الأحلام، ولن أبيع نفسى مع الأوهام ولن أتعجل ميلاد مفقود؛ لأن غدًا لا شىء؛ لأنه لم يُخلق ولأنه لم يكن مذكورًا.

يومك، يومك أيها الإنسان أروع كلمة فى قاموس السعادة لَمن أراد الحياة فى أبهى صورها وأجمل حُللها(١).

فرغ قلبك لطاعة الله، يأتيك الرزق عند رجليك

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾(٢).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «يا ابن آدم تفرَّغ لعبادتى، أملأ صدرك غنًى، وأَسُدَّ فَقَرك، وإن لا تفعل، ملأت يديك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك» (٣).

ولذا قال الإمام ابن القيم:

فرِّغ خاطرَك للهمِّ بما أُمِرْتَ به، ولا تشغله بما ضُمِنَ لك؛ فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان. فمادام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا. وإذا سَدَّ عليك بحكمته طريقًا من طُرقه، فتح لك برحمته طريقًا أنفع لك منه.

فتأمَّلْ حال الجنين يأتيه غذاؤه -وهو الدم- من طريق واحد وهو السُّرّة، فلمَّا خرج من بطن الأم، وانقطع ذلك الطريق، فُتِحَ له طريقين اثنين، وأجرى له فيهما رزقًا أطيب وألذّ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا. فإذا تمَّت مدة

(١) ثلاثون سببًا للسعادة (ص: ٩- ١٢) بتصرف.

(٢) سورة الذاريات آية (٥٦- ٥٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٦٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤١٠٧) كتاب الزهد، من حديث أبى هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٥٩).

الرِّضاع، وانقطع الطريقان بالفطام، فتح طُرقًا أربعًا أكمل منها: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان، وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ. فإذا مات، انقطعت عنه هذه الطرق الأربع. لكنه سبحانه فتح له - إن كان سعيدًا - طرقًا ثمانية، وهى: أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء.

فهكذا الربُّ سبحانه، لا يمنع عبده المؤمن شيئًا من الدنيا، إلاَّ ويؤتيه أفضل منه وأنفع له، وليس ذلك لغير المؤمن، فإنه يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ولا يرضى له به؛ ليعطيه الحظ الأعلى النفيس. والعبد لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولُطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وبين ما ذُخر له، بل هو مُولع بحُبِّ العاجل وإن كان دنيئًا، وبقلة الرغبة فى الآجل وإنْ كان عليًّا. ولو أنصف العبدُ ربه، وأنَّى له بذلك؟! لَعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها، أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه، وليسلك الطريق الموصلة إليه. فـ ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1]، ﴿أَبَى الظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُورًا﴾[2] والله المستعان[3].

وبالمثال يتضح المقال

تأمل معى أخى الكريم قصة مريم -عليها السلام- حينما انشغلت قلبًا وقالبًا بربها - جلَّ وعلا - فكانت ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف، وفاكهة الصيف فى

(١) سورة الفرقان: آية (٦٢).

(٢) سورة الإسراء: آية (٩٩).

(٣) «الفوائد» للإمام ابن القيم (ص: ٨٧، ٨٨).

الشتاء ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

ثم تأمل معى مرة أخرى عندما حملت بعيسى - عليه السلام- وانشغل قلبها بعض الشيء بوليدها فأمرها ربُّها أن تأخذ بالأسباب و﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(٢).

إلا أن الله يسرَّ لها الأسباب، وعاملها معاملة الأولياء والمقربين.

وهكذا يتضح لك أيها الأخ الحبيب أنه على قدر تعلق قلبك بالله، فإن الرزق يأتيك سهلاً ميسورًا بإذن الله(٣).

*ويُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مِصرَ، وهو يأكل شيئًا وعنده ناس فحضرهم قِطٌّ فقدَّموا له لقمة، فأخذها فى فمه وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئًا آخر، ففعل كذلك وتردَّد مرارًا وهم يرمون له وهوَ يأخذه ويغيب، ثم يعود من فوره؛ حتى عجبوا من ذلك القط، وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده؛ لكثرته فلما شكُّوا فى أمره تبعوه، فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خراب وفيه قِط آخر أعمى، وكل ما يأخذ من الطعام، يحمله إلى ذلك القطِّ ويضعه بين يديه وهو يأكله. فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أعمى قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى؟!

* * *

(١) سورة آل عمران: آية (٣٧).
(٢) سورة مريم: آية (٢٥).
(٣) أسباب الرزق الحلال/ للمصنف (ص: ٤٨- ٥١).

لا تخف إنك أنت الأعلى

لا تخش أحدًا من البشر مادمت علــى الحق وتذكَّر عندما وقف السحرة أمام مــوسى -عليه السلام- يـتحدونه بســحرهم ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾(١) وإذا بالنداء يأتيه من عند الملك -جلَّ وعلا-: ﴿قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ﴾(٢).

﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ﴾ فمعك الحق ومـعهم الباطل، معك العـقيدة ومعهم الحرفة، معك الإيمان بصــدق ما أنت عليه ومعهم الأجر على المباراة ومغانم الحياة، أنت متصل بالقــوة الكبرى وهم يخدمون مخلوقًا بشريًّا فانيًا مهما يكن طاغية جبارًا.

* فطالما أنك على الحق وعلى الإيمان والطاعة، فتوكَّلَ على الله ولا تخش أحدًا من البشر وتذكر قول الله -جلَّ وعلا-: ﴿لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰ﴾.

لا تنظر تحت قدميك

قال شيخ الإسلام ابن تيـمية -رحمه الله-: وكثيرٌ من الناس لا يعرف من النعمة إلاَّ مــا يلتذُّ به فى دنياه، كما قال بعض السلف: من لم يـعرف نعمة الله إلاَّ فى مطعمه أو مشربه، فقد قلَّ علمه، وحضر عذابه.

فــمن الناس من يرى النعــمة فى بدنه فــقط بالأكل والشُّــرب والنكاح، ومنهم مَنْ يرى النعمة بالرئاسة والجاه، ونفاذ الأمر والنهى وقهر الأعداء.

ومنهم من يرى النعمة فى جــمع الأموال والقناطير المقنطرة، وهؤلاء من جنس الكفار يرون هذه نِعمًا.

وأعلى من هؤلاء من يرى النعمة فى الإيمــان والعمل الصالح، لكن لا

(١) سورة طه: آية (٦٧).

(٢) سورة طه : آية (٦٨).

يرى الأمر بذلك والجهاد عليه نعمة، بل يرى فيه من المضارِّ ما يوجب تركُهُ.

والذين يرون هذه نـعـمـة؛ منهم من لا يراه نعـمـة إلاَّ مع السلامـة والغنيمة، فـإن جُرح أو قُتل بعض أولاده أو أُخذ ماله، عَدَّ ذلك مـصيبة لا نعمة، وحُجة هؤلاء كلهم: أن النعمـة ما يتنعم به العبد، وهذه الأمور تؤلم النفس، فلا تكون من النِّعم؛ بل من المصائب.

ولا ريب أنها من المصائب باعتبار مـا يحصل فيها من الألم، ولهذا أُمر بالصبر عليها، لكن لا منافاة بين كون الشيء مصيبة باعتبار، ونعمة باعتبار.

فباعتبـار ما يحصل به من الأذى هو مصيبة، وباعتـبار ما يحصل به من الرحمة نعمة.

وهذا لأنه إذا قيل: هذا يُكفِّر به الخطـايا، ويُؤجر عليهـا، ويُؤجر على الصبـر عليها، كـانت نعمة وهذا بمنزلة شـرب المريض الدواء الكريه، وهو مصيبة باعتبار مرارته، وهو نعـمة باعتبار إزالته للمرض الذى هو أشدُّ ضرراً منه....، وأدنى الشرَّين إذا زال أعظمهما، كان نعمة.

ومَنِ استعمل نعمة الله فى المعاصى كانت شرًّا فى حقه؛ لأنها جرَّته إلى العذاب الذى هو أعظم من تلك اللذة، كمن أكل عسـلاً فيه سُمٌّ، فإن ضرر السُّمِّ أعظم من حلاوة العسل، والله أعلم(١).

أين الطريق؟

إن العـالم اليوم يعـيش حالة من القلق والاضطراب النفـسى والعصـبى والشقاء والخوف الدائم مما يسمونه: «المجهول».

* فقد انتشرت الأمراض الخطيرة التى عجز الطب الحديث عن علاجها، بل عن معرفة أسبابها وسُبل الوقاية منها.

(١) تسلية أهل المصائب ص (٢٣٧، ٢٣٨).

* فمرض الإيدز يقتل الملايين من البشر كل عام.
* ومرض السرطان بأنواعه المختلفة يفتك بالملايين.
* والتدخين والمخدرات والمسكرات تفتك بالملايين.
* والشذوذ الجنسى بأنواعه يعصف بالعالم.
* والجرائم على اختلاف طرقها وبواعثها فى ازدياد مُطَّرد.
* والحروب بين الدول أو بين أبناء الأمة الواحدة تتنامى بشكل ملحوظ.
* والفقراء فى العالم يموتون بسبب الأوبئة والأمراض وسوء التغذية وظلم الأغنياء.
* فأى عالم هذا؟ وأى حضارة تلك؟ وأى سعادة يمكن أن تتحقق مع وجود هذا الكم الهائل من الشرور؟

ويظل المرء حائراً وسط هذا الاضطراب الذى يموج بالعالم موج البحر، ويتساءل فى يأسٍ وقلق:

أى طريق يسلك؟

وأى وادٍ يؤمّ؟

وأى سبيل يقصد؟

بصيرة المؤمن

وإذا كان أغلب البشر يقفون حائرين متسائلين:

أى طريق يسلكون؟

وأى وادٍ يؤمّون؟

وأى سبيل يقصدون؟

فإن المؤمن لا تنتابه هذه الحيرة، ولا يعتريه هذا القلق والاضطراب.

فالطريق واضح أمامه، وبريق السعادة يلوح فى الأفق، والأمل فى الفوز

الأكبر يدفعه إلى تحمّل المشاق ومتابعة المسير، فيأخذ فى قطع المراحل الموصلة إلى غايته مرحلة مرحلة، فكلما قطع مرحلة، لاحت له مرحلة أخرى، فلا يزال فى قطع المراحل مسافرًا إلى ربه مع تحمل التعب والمشاق، حتى تصير سعادته فى هذا السفر وفى تلك المشقة، فإذا مات على ذلك، لم يفته شىء من الدنيا، وفاز بالسعادة الأبدية فى الآخرة، وإذا ظلّ سائرًا ظلّ فى ترفٍ وصعود إلى الدرجات العالية والمنازل الرفيعة.

بشارات الوحى

وتأتى بشارات الوحى لتثبِّت المؤمن وتبشره وتطمئنه بأنه سائر على الدَّرب الصحيح، والطريق الجادة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾(١).

فإذا تساءل:

* ما هى منازل السُّعداء؟

* وما هى منازل الأشقياء؟

* جاءت إجابة الوحى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(٢).

* وإذا تساءل:

- ماذا نفعل لكى نكون من السعداء؟

- أجابه الوحى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٥٣).

(٢) سورة هود: آية (١٠٦– ١٠٨).

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

وقال له أيضًا: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ﴾(٢).

وتزداد سعادة المؤمن كلما أقبل على ربه وأخلص له واتبع هداه، وتقلُّ سعادته بحسب تفريطه فى ذلك.

فالمؤمن هادئ البال، مستريح الضمير، طيب النفس، مطمئن الخاطر، يعلم أن له ربًّا بيده أزمّةُ الأمور، وقوانين العالم جميعًا لا تخرج عن سُلطانه، قال النبى ﷺ : «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاكَ لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٣).

أليست هذه قمة السعادة؟ (٤)

المرء مع من أحب

* عن أنس رضي الله عنه أن أعرابيًّا قال لرسول الله ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ؟ قال رسولُ الله ﷺ : «مَا أَعدَدْتَ لَهَا؟» قال: حُبَّ اللهِ ورسولِهِ قال: «أَنْتَ مَع مَنْ أَحَبَبْتَ»(٥).

وفى رواية لهما: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِير صَوْمٍ، وَلا صَلاةٍ، ولَكِنِّى أُحِبُّ الله ورَسُولَهُ.

* وعن ابنِ مسعود رضي الله عنه قال: جاءَ رَجُلٌ إِلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كَيفَ تَقُولُ فى رَجُل أَحبَّ قَوْمًا ولَمْ يلْحَقْ بِهِمْ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(٦).

---

(١) سورة النحل: آية (٩٧).

(٢) سورة طه: آية (١٢٣).

(٣) **صحيح**: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٤) السعادة حقيقتها، صورها، أسباب تحصيلها، من منشورات دار الوطن للنشر.

(٥) **متفق عليه**: رواه البخارى (٣٦٨٨) كتاب المناقب، ومسلم (٢٦٣٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٦) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَقَال ﷺ: «الأرواح جنود مجندة فما تعارفَ منها ائتلف، وما تناكرَ منها اختلفَ»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أن مؤمنًا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد؛ لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقًا دخل مجلسًا فيه مائة مؤمن ومنافق واحد؛ لجاء حتى يجلس إليه»(٢).

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «لما أُطلق أبى من المحنة، خشى أن يجئ إليه إسحاق بن راهويه، فرحل أبى إليه، فلما بلغ الرى دخل إلى مسجد، فجاء مطر كأفواه القِرب، فلما كانت العتمة، قالوا له: اخرج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه، فقال لهم: هذا مسجد الله وأنا عبد الله، فقيل له: أيُّما أحب إليك أن تخرج أو نجر برجلك؟ قال أحمد: فقلت: سلامًا، فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق فلا أدرى أين أضع رجلى، ولا أين أتوجه، فإذا رجل قد خرج من داره، فقال لى: يا هذا، أين تمرُّ فى هذا الوقت؟ فقلت: لا أدرى أين أمرُّ. فقال لى: ادخل! فأدخلنى دارًا ونزع ثيابى، وأعطونى ثيابًا جافة وتطهرت للصلاة، فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة، فقيل لى: كُلْ، فأكلت معهم، فقال لى: من أين أنت؟ فقلت: أنا من بغداد، فقال لى: تعرف رجلاً يقال له أحمد بن حنبل؟ فقلت: أنا أحمد بن حنبل، فقال لى: وأنا إسحاق بن راهويه»(٣).

* قال على رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عُدَّةٌ فى الدنيا والآخرة؛ ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (١٠٠) وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾(٤) ... وقال عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما: والله لو صُمت النهار لا أفطره، وقمت الليل

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.
(٣) «مناقب الإمام أحمد» للإمام ابن الجوزى (ص: ٣٨٠).
(٤) سورة الشعراء: آية (١٠٠، ١٠١).

لا أنامه، وأنفقت مالى غَلَقًا غَلَقًا فى سبيل الله، ثم أموت يوم أموت وليس فى قلبى حُب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعنى ذلك شيئًا.. وقال ابن السماك عند موته: اللَّهُمَّ إنك تعلم أنى إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قُربة لى إليك... ويُروى إن الله تعالى أوحى إلى موسى -عليه السلام-: هل عملت لى عملاً قطُّ؟ فقال: إلهى! إنى صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت، فقال: إن الصلاة لك برهان، والصوم جُنَّة، والصدقة ظلٌّ، والزكاة نور، فأى عمل عملت لى؟ قال موسى: إلهى، دلنى على عمل هو لك؟ قال: يا موسى، هل واليت لى وليًّا قطُّ؟ وهل عاديت فىَّ عدوًّا قط؟ فعَلِمَ موسى أن أفضل الأعمال الحُبُّ فى الله والبغض فى الله.... وقال ابن مسعود ﷺ: لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة، لبعثه الله يوم القيامة مع مَنْ يحب.

وقال عمر ﷺ: إذا أصاب أحدكم ودًّا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك،... وقال مجاهد: المتحابون فى الله إذا التقوا فكشر (أى: ضحك) بعضهم إلى بعض تتحات (أى تسقط) عنهم الخطايا، كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء إذا يَبُسَ... وقال الفُضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة (١).

وصلوا إلى مولاهم وبقينا
وتنعموا بوصاله وشقينا
ذهبت شبيبتُنَا وضاع زمانُنَا
ودنت منيتُنَا فمَنْ ينجينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا
نبكى شهورًا قد مضت وسنينًا (٢)

---

(١) الإحياء/ للإمام الغزالى (٢/ ٢٢٨) بتصرف.

(٢) المدهش/ للإمام ابن الجوزى (ص: ٤١٢).

ما العيش إلا فى الجنة

* قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:

تفكرت فى نفسى فرأيتنى مفلسًا من كل شىء!

إن اعتمدت على الزوجة لم تكن كما أريد. إن حَسُنَت صورتها لم تكمل أخلاقها، وإن تمت أخلاقها، كانت مريدة لغرضها لا لى، ولعلها تنتظر رحيلى.

وإن اعتمدت على الولد فكذلك، والخادم، والمريد لى كذلك، فإن لم يكن لهما منى فائدة لم يريدانى.

وأما الصديق فليس ثَمَّ، وأخٌ فى الله كعنقاء مغرب، ومعارف يفتقدون أهل الخير، ويعتقدون فيهم قد عدموا، وبقيت وحدى.

وعُدت إلى نفسى - وهى لا تصفو إلىَّ أيضًا، ولا تقيم على حالة سليمة - فلم يبق إلا الخالق سبحانه، فرأيت أنى إن اعتمدت على إنعامه، فما آمن ذلك البلاء، وإن رجوت عفوه، فما آمن عقوبته، فوا أسفًا لا طمأنينة ولا قرار.

بالله ما العيش إلا فى الجنة، حيث يقع اليقين بالرضا، والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى فأما الدنيا فما هى دار ذاك(١).

كُن على طبيعتك ولا تتكلف

فى حياتى الدعوية رأيت كثيرًا من الشباب إذا أراد أحدهم أن يسلك طريق الدعوة، فإنه يتقمص شخصية شيخ يحبه الناس، فيحاول أن يقلده فى كلامه وطريقة أدائه وحركاته وسكناته فيفشل من أول جولة؛ لأنه لا

(١) «صيد الخاطر» (ص: ٣٤٧).

يعلم أن البارى -سبحانه وتعالى- خلق لكل إنسان قدرات وصفات ومواهب لا تشابه الآخرين وأن عليه إذا أراد أن ينجح فى دعوته أن يكون على طبيعته التى خلقه الله عليها.

* وأنا أعتبر أن من أعظم أسباب نجاح دعوتى بعد توفيق الله -جلَّ وعلا- ثم دعاء أمى -رحمها الله-.. أننى لا أتكلف أبدًا فى كلامى وحركاتى وسكناتى فأنا على طبيعتى فى بيتى... وفى الشارع... وفى المسجد... وأمام الكاميرا. فأنا راضٍ عن القدرات والمواهب التى أودعها الله فىَّ.

* فاحرص - أخى الحبيب - على أن تكون على طبيعتك ولا تتكلف فالكلمة إذا خرجت من القلب فسوف تصل إلى القلب.

لا تحزن ما دام الرسول ﷺ قدوتك

وكيف تحزن.. والرسول ﷺ قدوتك وأسوتك فهو الذى علمنا التواضع والبساطة، وطلاقة الوجه والزهد فى الدنيا، وعدم الحزن على ما يفوتنا منها.، والرغبة فى الجنة والحرص على كل ما يقربنا منها.

تأمل معى ماذا قال الله - عزَّ وجلَّ- عن النبى ﷺ :

قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾(١) .

نزل هذا الكلام على رسول الله ﷺ فتحقَّقتْ فيه هذه الكلمة، فكان سهلَ الخاطر، منشرحَ الصدر، متفائلاً، جياشَ الفؤاد، حيىَّ العاطفة، ميسَّرًا فى أموره، قريبًا من القلوب، بسيطًا فى عظمة، دانيًا من الناس فى هيبة، متبسمًا فى وقار، متحببًا فى سموٍّ، مألوفًا للحاضر والباد، جمَّ الخُلقُ، طَلْق المُحيا، مُشرق الطلعة، غزيرَ الحياء، يهشُّ للدُّعابة، ويبشُّ للقادمِ، مسرورًا

(١) سورة الشرح: آية (١).

بعطاء الله، جَذلاً بالهِبات الربّانية، لا يعتريه اليأس، ولا يعرف الإحباط، ولا يخلد إلى التَّخْذيل، ولا يعترف بالقنوط، ويُعجبه الفأل الحَسَن، ويكره التَّعمُّق والتَّشَدُّق، والتَّفيهُق، والتَّكلُّف، والتَّنطُّع؛ لأنه صاحب رسالة، وحامل مبدأ، وقدوة أُمَّة، وأُسوة جيل، ومعلِّم شعوب، وربُّ أسرة، ورجُل مجتمع، وكَنْز مُثُلٍ، ومَجْمَع فضائل، وبحر عطايا، ومَشرقُ نور.

إنه باختصار: مُيسَّر لليسرى، وإنه بإيجاز ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1] أو بعبارة أخرى ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2] وكفى!! ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[3].

إن مما يعارض الرسالة الميسَّرة السهلة: تنطُّع الخوارج، وتزندُق أهل المنطق، وحُمق الصوفية، وحذلقة المتكبِّرين، ووَلَه الشعراء، وهُيام المغنِّين، وصَلَف عبيد الدنيا، وانحراف مرتزقة الأفكار ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4][5].

احذر ستة أشياء حتى لا تحزن

وحتى لا تحزن فاحذر - أخي الحبيب - من ستة أشياء:

الأول: الشرك بالله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[6].

فالتوحيد هو: الحسنة التي يغفر الله بها كل سيئة... والشرك هو السيئة

---

(١) سورة الأعراف: آية (١٥٧).

(٢) سورة الأنبياء: آية (١٠٧).

(٣) سورة الأحزاب: (٤٥، ٤٦).

(٤) سورة البقرة: آية (٢١٣).

(٥) لا تحزن (ص: ٣٠٢، ٣٠٣).

(٦) سورة النساء: آية (٤٨).

التى يحبط الله بها كل حسنة. . ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

الثانية: التسخط من قضاء الله وقدره وعدم الرضا به.

قال ﷺ: «لوْ أنَّ الله عذَّب أهل سمَاواته وأهلَ أرضه لعذَّبهم وهوَ غيرُ ظالمٍ لهمْ، ولَوْ رَحِمَهمْ لكانتْ رحْمتُه لهمْ خيراً من أعمالهم، ولَوْ أنفقتَ مثلَ أُحد ذَهبًا فى سبيل الله، ما قبلَه اللهُ منْكَ حتى تؤمنَ بالقدر، فتعلمَ أنَّ ما أصابَكَ لَمْ يكُنْ ليُخطئكَ، وما أخطأكَ لَمْ يكنْ ليصيبَك، ولَوْ مُتَّ على غيرِ هذا لدَخلتَ النَّارَ»(٢).

الثالثة: الوقوع فى المظالم دون أن تتحلل منها قبل الموت. . فإن العبد إذا وقع فى مظلمة ولم يتحلل منها، فإنه بذلك يُهدى حسناته لكل من ظلمهم.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «أتدرون من المفلس؟» قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار فقال ﷺ:

«إنّ المفلس منْ أُمتى منْ يأتى يومَ القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاة، ويأتى وقد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دمَ هذاً، وضربَ هذاً، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنْ فنيتْ حسناتهُ قبلَ أنْ يُقضى ما عليه، أُخذَ منْ خطاياهم، فطُرحتْ عليه، ثم طُرحَ فى النار»(٣).

الرابعة: الحقد على الناس، وحُبّ الانتقام منهم، وحسَدهم على ما آتاهم الله من فضله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (٤).

- فإن الحاقد والحاسد يتهم الله -عزَّ وجلَّ- فى حكمته. . وكأنه يقول: يا ربِّ أنت أعطيت فلانًا وهو لا يستحق وحرمتنى وأنا المستحق!!!!

- والواجب علينا جميعًا أن نؤمن بأن الله هو الحكم العدل. . . الحكيم

(١) سورة الزمر: آية (٦٥).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٩٩) كتاب السنة، وابن ماجه (٧٧) فى المقدمة، وأحمد (٢١٠٧٩)، من حديث أبى بن كعب رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (١١٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة النساء: آية (٥٤).

فى كل أفعاله فهو الذى يضع الشىء فى موضعه؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو فلا داعى لأن يعترض العبد على تلك القسمة التى قسمها الله بين عباده فهو أدرى بمصلحة العباد وهو أرحم بنا من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

الخامسة: الوقوع فى المعاصى بلا توبة.

- فإن وقعت فى ذنب فأسرع إلى التوبة.. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(١).

السادسة: الإعراض عن ذكر الله.. قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾**(٢).

وقال ﷺ - كما عند البخارى -: «مثل الذى يَذْكُرُ ربَّهُ والذى لا يذكرهُ مثل الحيِّ والميتِ»(٣).

كُن مرحًا

إنها طريقة فعَّالة فى تحطيم التوتر الانفعالى، ويمكنك أن تجرب هذه الطريقة حين تحتدم المناقشات ويطول الجدل.

إن ابتسامة لبقة لها تأثيرها فى تلطيف الجو المشحون بالتوتر، وهذا مثال من بيت النبوة:

استأذن أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، فسمع صوت عائشة

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٣- ١٣٦).

(٢) سورة طه: آية (١٢٤).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

عاليًا، فأذن له رسول الله ﷺ، فلما دخل أبو بكر قال لعائشة: أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، ورفع يده ليلطمها، فحجزه رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر مغضبًا، فقال رسول الله ﷺ لعائشة: **«كيف رأيتنى أنقذتك من الرجل؟!»**.

إن هذه الدعابة من الرسول ﷺ لزوجته فى هذا الموقف المتأزم فتحت المجال للصلح بين الزوجين.

وعندما دخل أبو بكر رضي الله عنه بعد تلك الحادثة بأيام قال لهما وقد اصطلحا: أشركانى فى سلمكما، كما أدخلتُمانى فى حربكما، فقال الرسول ﷺ له: **«قد فعلنا، قد فعلنا»**[١][٢].

انظر حولك

إذا نظرت فى نفسك فسوف تجد أشياء كثيرة تستحق الامتنان، وكذلك إذا نظرت فى الأشياء المحيطة بك.

إننا جميعًا معتادون على أن لنا بيتًا نأوى إليه، وعملاً نزاوله، وأسرة تحيط بنا، ولذلك لا نشعر فى الغالب بالسعادة تجاهها، ولكننا إذا تذكرنا زوال هذه الأشياء وحرماننا منها، فإن ذلك قد يكون سببًا للشعور بالسعادة بها [٣].

اخرج إلى الكون الفسيح حتى لا تحزن

أيها الحزين القابع فى غُرفته، لا تستسلم لكتائب الأحزان واخرج إلى العالم الجميل من حولك، فانظر إلى تلك الزهرة واستنشق عبير هذه الوردة وتأمل هذا الطائر الذى يغرد وانظر إلى ماء البحر الصافى، وإلى تلك السماء

(١) ضعيف: رواه أبو داود (٤٩٩٩) كتاب الأدب، وأحمد (١٧٩٢٧)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى ضعيف سنن أبى داود.

(٢) كيف ننجح فى تعديل سلوكنا (ص: ٤١، ٤٢).

(٣) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣١، ٣٢).

التى رُفعت بغير عمد، وإلى تلك الجبال الشامخة. . . انظر إلى صفحة هذا الكون الذى أبدعه الخالق - جل وعلا- لتشاهد القدرة الباهرة والإبداع الذى ليس له نظير، وستشعر وقتها بسعادة فى القلب، وانشراح فى الصدر وأنت تُسبح بحمد الله الذى خلق هذا الكون الذى لا يفتر لحظة واحدة عن التسبيح لخالقه -جلَّ وعلا-.

* نعم - أخى الحبيب - لا تكن حبيسًا فى غرفة الأحزان فإن الإنزواء مع الفراغ القاتل، بوابة مفتوحة للانتحار. . فاخرج من سرداب أحزانك؛ لتطرح الهموم والأحزان بين البحار والأنهار والجبال والوديان، فإن السفر والترحال فى بقاع الأرض، متعة يحتاج إليها الإنسان أحيانًا؛ ليخرج من سجن الأحزان.

كُن متوازنًا فى الأخذ والعطاء

هذا هو أحد قوانين الحياة. . إن المستنقع يأخذ ولا يُعطى، ولهذا تنمو الحشرات الضارة فى مائه الآسن، فأعطِ؛ لتأخذ حتى لا تكون مثل المستنقع الآسن، فالحرص المفرط هو أحد الأسباب الأولية لشقاء العالم، بينما الكرم والعطاء يلد الأفكار الأكثر نفعًا، ويحفظنا فى مجرى التبادل الأخوى[1].

استفد من تجارب الآخرين

وإن مما يُدخل عليك السعادة أن تنظر إلى تجارب الآخرين؛ لتستفيد منها. . فإن تجارب الآخرين، تعطيك خبرة كبيرة فى التعامل مع كل الأحداث التى تواجهك فى الدنيا.

- وإن أردت أعلى مراتب السعادة، فاقرأ سيرة الرسول ﷺ وسيرة

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٥٤).

أصحابه ﷺ الذين عاشوا أسعد حياة رغم البساطة والزُّهد الذى عاشوه.. فعش كما عاشوا وسر على دربهم؛ لتكون أسعد رجل فى العالم.

لا تعش من أجل المال

إننا نحتاج إلى المال لنعيش، ولا يعنى ذلك أننا نعيش لأجل المال، ونستطيع أن نميز فى هذا الصدد بين فئتين مختلفتين:

الأولى: فئة تضع المال فوق كلّ شىء، ولا تتراجع أمام أى حائل فى سبيل الحصول عليه.

الثانية: فئة تحتقر المال، وتتذرع بأسباب واهية؛ حتى لا تقوم بأى عمل فى سبيل الحصول على ما يؤمّن لها معيشة كريمة. والفئتان غير صالحتين، فإن المال هو قوام الحياة، ولكنه ليس الشىء الوحيد الذى يجلب السعادة [(١)].

قيمتك فى أخلاقك وصفاتك السامية

ماذا لو خرج العالِمُ بثياب مرقعة لأنه لا يملك غيرها.. فهل ينقص هذا من علمه ومكانته وقدره؟!.... كلا.

- وماذا لو خرج علينا الجاهل بالديباج والحرير هل يُعلى هذا من قدره وعلمه ومكانته؟!... كلا.

* إذًا فليس قيمة المرء فى ماله ولا ثوبه ولا نعله ولا قصره وإنما قيمته ووزنه فى علمه وحِلمه وكرمه وعقله وتواضعه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[(٢)].

وقعت فتنة بين قبيلتين فى الكوفة فى المسجد الجامع، فسلُّوا سيوفهم، وامتشقوا رماحهم، وهاجت الدائرة، وكادت الجماجم أن تفارق الأجساد،

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٥٣، ٥٤).

(٢) سورة الحجرات: آية (١٣).

وانسلَّ أحد الناس من المسجد؛ ليبحث عن المُصْلِح الكبير والرجل الحليم، الأحنف بن قيس، فوجده فى بيته يحلب غنمه، عليه كساء لا يساوى عشرة دراهم، نحيل الجسم، نحيف البنية، أحنف الرجلين، فأخبروه الخبر فما اهتزت فى جسمه شعرة ولا اضطرب؛ لأنه قد اعتاد الكوارث، وعاش الحوادث، وقال لهم: خيراً إن شاء الله، ثم قُدِّم له إفطاره وكأن لم يحدث شىء، فإذا إفطاره كِسْرة من الخُبز اليابس، وزيت وملح، وكأس من الماء، فسمَّى وأكل، ثم حمد الله، وقال: بُرٌّ من بُرِّ العراق، وزيت من الشام، مع ماء دجلة، وملح مرو، إنها لَنعمٌ جليلة، ثم لبس ثوبه، وأخذ عصاه، ثم دَلَفَ على الجموع، فلما رآه الناس، اشرأبَّت إليه أعناقهم، وطفحت إليه عيونهم، وأنصتوا لما يقول، فارتجل كلمة صلح، ثم طلب من الناس التفرُّق، فذهب كلٌّ واحد منهم لا يلوى على شىء، وهدأت الثائرة، وماتت الفتنة(١).

لا تتسرع حتى لا تندم

وحتى لا تندم فتحزن.. فعليك قبل أن تُقدم على فعل أى شىء أن تتوقف قليلاً وتفكر وتتأمل وتنظر إلى العواقب وتعيد النظر وتقدر الخطوات حتى لا تندم.. وبعد كل هذا إذا وقع الأمر وَفْقَ ما تريد فاحمد الله، وإذا وقع على غير مرادك فلا تتسخط ولا تعترض ولكن قُلْ: قدَّر الله وما شاء فعل.

اعترف بخطئك

ليس من العيب أن يخطئ العبد فليس هناك إنسان معصوم من الخطأ لكن العيب ألا يعترف بخطئه أو أن يتمادى فى الخطأ ويبرر هذا الخطأ بأعذار واهية.

---

(١) لا تحزن (ص: ١٩٥).

قال ﷺ : «كل بنى آدم خطَّاء، وخيرُ الخطائين التوابون»(١) .

- واعتراف العبد بالخطأ ينفعه في الدنيا والآخرة بشرط: أن يعترف ويتوب من هذا الذنب.

- فإذا كان المجرم عندما يعترف بجريمته فى الدنيا تُخفف عنه العقوبة، فإن المسلم إذا اعترف بذنبه وتاب، فإن الله يغفر له، بل ويبدل سيئاته إلى حسنات. . . ولذلك سمَّى النبى ﷺ سيد الاستغفار بهذا الاسم لأنه يتضمن الاعتراف بنعمة الله -جلَّ وعلا- والاعتراف بالذنب فى وقت واحد.

- روى البخارى أن النبى ﷺ قال: «سَيدُ الاستغفار أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنتَ ربى، لا إله إلاَّ أنتَ، خَلَقتنى وأنا عَبدُكَ، وأنا على عَهدكَ ووَعدكَ ما استطعتُ، أعوذُ بكَ منْ شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لكَ بنعمتكَ علَىَّ، وَأَبُوءُ لكَ بذنبى، فاغفر لى، فإنَّهُ لا يغفرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أنتَ. مَن قالها منَ النهارِ مُوقنًا بهَا، فماتَ منْ يومه قبلَ أن يمسى فَهُو منْ أَهلِ الجنَّة، ومَنْ قالها منَ اللَّيلِ وهُوَ مُوقنٌ بها، فمَاتَ قبلَ أَنْ يُصبحَ، فهُو منْ أهلِ الجَنَّة»(٢) .

أخى الحبيب: هل جربت أن تعترف يومًا بخطئك؟

- قد تقول: أنا لم أعترف يومًا بأى خطأ. . وأنا احترم وأقدّر فيك هذه الصراحة. . . . لكن احذر أن تقول: أنا لم أُخطئ أبدًا فى حياتى. . وذلك؛ لأن عدم اعترافك بالخطأ، أو الذنب، يقودك إلى عدم التفكير فى التوبة والتَّحلل من المظالم.

كُنْ أحب الناس إلى الناس

إن الناس يحبون صاحب الخُلق الحسن الذى يبسط وجهه للناس ويلين لهم الكلام ولا يَذكرهم إلا بخير. . . . رفيقًا رحيمًا بمن حوله يسعى فى مصالحهم ويتمنى لهم الخير. . . فكُنْ هذا الرجل؛ حتى تكون أحبَّ الناس

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٤٩٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٢٥١) كتاب الزهد، وأحمد (١٢٦٣٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٥١٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

إلى الناس، فإن هذا من أعظم الأسباب التى تجلب لك السعادة.

- قال إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(١).

- وامتنَّ الله -جلَّ وعلا- على موسى -عليه السلام- فقال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾(٢).

- وفى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى إذا أحَبَّ عبدًا، دعا جبريلَ، فقالَ: إنى أحبُّ فُلانًا فأحبه، فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ يُنادى فى السماءِ، فيقولُ: إنَّ الله تعالى يحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوه، فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثمَّ يُوضعُ لهُ القبولُ فى الأرض.....»(٣).

كما تزرع تحصد

إن الذى تزرعه هنا، ستحصده هناك، وما أدراك ما هناك. يوم أن تدخل قبرك وحدك فتجد هناك حصاد الخير الذى زرعته فى الدنيا، أو تجد حصاد الشر الذى زرعته فى الدنيا، فإن كنت تريد النجاة من النيران وإن كنت تريد النعيم فى الجنان، والفوز برضوان الرحيم الرحمن -جلَّ وعلا-، فعليك أن تغتنم كل لحظة من عمرك فى غرس الخير؛ لتجنى حصاده فى الآخرة.

ها هو رجل كان له عبد يعمل فى مزرعته، فيقول هذا السيد لهذا العبد: ازرع هذه القطعة (بُرًّا)... وذهب وتركه، وكان هذا العبد لبيبًا عاقلاً، فما كان منه إلا أن زرع شعيرًا بدل (البُرِّ) ولم يأتِ ذلك الرجل إلا بعد أن استوى وحان وقت حصاده، فجاء فإذا هى قد زُرِعت شعيرًا، فما كان منه إلا أن قال: أنا قلت لك ازرعها بُرًّا لِمَ زرعتها شعيرًا؟ قال: رجوت من الشعير أن ينتج بُرًّا، قال: يا أحمق! أَوَ ترجو من الشعير أن ينتج بُرًّا؟!!

قال: يا سيدى أفتعصى الله وترجو رحمته، أفتعصى الله وترجو جنته،

---

(١) سورة الشعراء : آية (٨٤).

(٢) سورة طه : آية (٣٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب بدء الخلق، من حديث أبى هريرة.

ذُعر وخاف واندهش، وتذكر أنه إلى الله قـادم، فقال: تبت إلى الله وأنبت إلى الله، أنت حرٌ لوجه الله.

لا تنس نصيبك من الدنيا

وليس معنى أننا نتكلم كثيرًا عن الزهد فى الدنيا، وتعلُّق القلب بالآخرة أن ينسى العبـد نصيبه من الدنيا، فـيعيش حيـاة قاسية ليس فـيها شىء من المباحات.... كلا.

- بل إن من تمام السعادة أن نتمتع بزهرة الحياة الدنيا ولكن فى حدود ما أحلَّهُ الله لنا ﴿ **هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[١] .

- فإن المنظر الجميل والرائحـة الطيبة والنزهة بين الورود والزهور، تزيد الصدر انشراحًا وسُرورًا.

- ومع ذلك فنحن نجـد صنفًا عـجيـبًا يعـيش حالة من الزهد المـزعوم والورع المزيف فيُحرِّمون على أنفسهم كل مـتعة مباحة ويملؤون حياتهم همًّا وغمًّا وكآبة.. وليس ذلك فحسب، بل إنهم يريدون أن يعيش الناس جميعًا مثلهم وإلا كانوا فاسقين منحرفين!!!

- قال تعـالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[٢] .. ولقد كان رسـولنا ﷺ يقول: «**حُبِّب إلىَّ من دُنياكم: الطِّيب والنِّساء، وجُعلت قُرة عـينى فى الصَّلاة**»[٣] وكان النبى ﷺ يقول: «..... **ولكنى أصُـوم وأُفطر وأُصلى وأرقد وأتزوج النسـاء، فمَنْ رَغِبَ عن سُنّتى فليس منى**»[٤] .

(١) سورة البقرة: آية (٢٩).

(٢) سورة الأحزاب: آية (٢١).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩، ٣٩٤٠) كتاب عشـرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤)، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٩١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٦٣) كتاب النكاح، ومـسلم (١٤٠١) كتاب النكاح، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

- وكان ﷺ يلبس أجمل الثياب ويضع أجمل العطور ويتزوج الثِّيبات والأبكار.. فهو ﷺ يجمع بين غذاء الروح، وغذاء الجسد، وبين سعادة الدنيا والآخرة.. لأن الدِّين الذى جاء به النبى ﷺ هو دين الفطرة.

- فالشاهد: أنه لا ينبغى أن نحرم أنفسنا من زهرة الحياة الدنيا بحجة أن هذا يتعارض مع الزهد والورع.. بل تمتَّع بحياتك مادمت بعيدًا عن معصية الله -جلَّ وعلا- فإن هذه المتعة الحلال، ستكون عونًا لك على طاعة ذى الجلال - سبحانه وتعالى-. قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (١).

تجنب احتقار نفسك

- وذلك بالابتعاد عن أخلاق السفلة اللئام من الحقد، والحسد، والخيانة والغدر، وإخلاف الوعد، فإن مَنْ كانت هذه صفاته؛ فلا بد أن يحتقر نفسه، وإذا احتقر المرء نفسه مع القعود عن إصلاحها وتهذيبها ؛ فذلك قمة الشقاء والتعاسة(٢).

لا تكُنْ رأسًا حتى لا تحزن

قال أحد الصالحين لابنه: لا تكن يا بُنى رأسًا، فإن الرأس كثير الأوجاع.

* أى لا تحرص على أن تكون رأسًا، فإن العيون كلها تتجه إلى مَنْ كان رأسًا فهو لا يكاد يرتاح لحظة من كثرة الانتقادات والإشاعات والشتائم.

- وأنا أعلم أن المنصب له شهوة فى قلوب بعض الناس، لكن المنصب له ضريبة غالية يدفعها الإنسان فى كل لحظة من دمه ولحمه وراحته ونومه وسُمعته.

(١) سورة الأعراف: آية (٣٢).

(٢) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٤٩).

- روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «يا أبا ذر، إنى أراكَ ضعيفًا، وإنى أحبُّ لكَ ما أُحبُّ لنفسى، لا تتأمَّرنَّ على اثنين، ولا تُولَّينَّ مالَ يتيمٍ»[١].

- وروى مسلم أن النبى ﷺ قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة، إلا مَنْ أخذها بحقها، وأدَّى الذى عليه فيها»[٢].

الرفق مفتاح لكل خير

مرَّت آثار ونصوص فى الرفق، والرفق شفيع لا يُرَدُّ فى طلب الحاجات، ولك أن تعلم أن الطريق الضيق بين جدارين، الذى لا يتسع إلا لمرور سيارة واحدة فحسب، لا تدخلها هذه السيارة إلا برفق من قائدها وحذَرٍ وتوقٍّ، بينما لو أقبل بها مسرعًا وأراد المرور من هذا المكان الضيق، لاصطدم يمنةً ويسرةً، وتعطَّلت سيارته، والطريق لم يزِد ولم ينقص، والسيارة هى هى، لكنَّ الطريقة هى التى اختلفت، تلك برفق، وهذه بِشدَّة. والشجرة الصغيرة التى نغرسها فى حوض فناء أحدنا، إذا سكبتَ عليها الماء شيئًا فشيئًا، تشرب منها وينفعها، فإذا أخذتَ كمية من هذا الماء بعينه وحَجْمه وألقيتَه دفعةً واحدة؛ لاَقتلعتَ هذه النبتة من مكانها، . . إن كمية الماء واحدة ولكن الأسلوب تغير.

إن مَنْ يخلع ثوبه برفق، يضمن سلامة ثوبه، خلاف مَنْ يجذبه بقوة ويسحبه بسرعة، فإنه يشكو من تقطُّع أزراره وتمزُّقه.

ومن اللطائف فى انكشاف عدم صدق إخوة يوسف فى مجيئهم بثوبه، وزعْمهم أن الذئب أكله: أنهم خلعوا الثوب برفق فلم يحصل فيه شقوق، ولو أكله الذئب كما زعموا، لَمزَّق الثوبَ كلَّ ممزَّقٍ، ولم يخلْعه خلعًا.

إن حياتنا تحتاج إلى رفق، نرفق بأنفسنا: **«وإن لنفسك عليك حقًّا»**[٣]. نرفق

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٦) كتاب الإمارة، من حديث أبى ذر رضي الله عنه.
(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٥) كتاب الإمارة، من حديث أبى ذر رضي الله عنه.
(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٣٦٩) كتاب الصلاة، وأحمد (٢٥٧٧٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٤٦).

بإخواننا: «**إن الله رفيق يحب الرفيق**»(١). نرفق بالمرأة: «**رفقًا بالقوارير**»(٢).

على الجسور الخشبية التى بناها الأتراك على ممرات الأنهار، مكتوب فى أول الجسر: رفقًا رفقًا؛ لأن المارَّ بهدوء لا يسقط، أما المسرع فجدير أن يهوى إلى مستقرٍّ النهر.

إن على مداخل حدائق الزهور والورود فى بعض مدن أوروبا: لوحةٌ مكتوب فيها: «تَرَفَّق»؛ لأن الداخل مسرعًا، لا يرى ذاك النبت الجميل، ولا يضمن سلامة ذاك الورد الباهى، فيحصل الدعس والدفس والإبادة؛ لأنه ما رفق ولا تأنَّى.

هناك معادلة تربوية تقول: إن العصفور لا يترفَّق كالنحلة. وفى الحديث: «**المؤمن كالنحلة، تأكل طيبًا وتضع طيبًا، وإذا وقعت على عُود، لم تكسره**»(٣) فالنحلة لا تُحِسُّ بها الزهرة أبدًا، وهى تلعق الرحيق بهدوءٍ، وتنال مطلوبها برفق. والعصفور على ضآلة جسمه يخبر الناس بنزوله على السنابل، فإذا أراد النزول سقط سقوطًا، ووثب وثْبًا.

ولا أزال أذكر قصة الرسَّام الهندى، وقد رسم لوحة بديعة الحسن، ملخَّصها: سنبلة قمح عليها عصفور قد وقع، وهذه السنبلة مليئة بالحَبِّ، مترعرعة النمو، باسقة الطول، وعلَّقها المَلك على جدار ديوانه، ودخل الناس يُهنِّئون الملك بهذه اللوحة، ويشكرون الرسَّام على حسنها، ودخل رجل فقير مغمور فى وسط الزحام فاعترض على اللوحة، وأخبر أنها خطأ، وضجَّ الناس به وضجُّوا؛ لأنه خالف الإجماع، فاستدعاه الملك برفق، وقال: ما عندك؟ قال: هذه اللوحة خطأ رسمها، وغلط عرْضها. قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّ الرسام رسَم العصفور على السنبلة، وترك السنبلة مستقيمة ممتدة، وهذا خطأ، فإن العصفور إذا نزل على

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين، ومسلم (٢١٦٥) كتاب السلام، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٤٩) كتاب الأدب، ومسلم (٢٣٢٣) كتاب الفضائل، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه النسائى فى سننه الكبرى (٦/ ٣٧٦)، وابن حبان فى صحيحه (١/ ٤٨٢) من حديث أبى رزين رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٥٥).

سنبلة القمح أمالها، وأخضعها؛ لأنه ثقيل لا يملك الرفق. قال الملك: صدقتَ. وقال الناس: صدقتَ. وأنزل اللَّوْحة، وسُحبت الجائزة من الرسام.

إن الأطباء يوصون بالرفق فى تناول العلاج، وفى مداولة العمل، والأخذ، والعطاء.

فذاك يقلع ظفْرَه بيده، وذاك يباشر كسر سِنّة بنفسه، وآخر يغُصُّ باللقمة؛ لأنه أكَبرها وما أحسن مضْغها.

إن الماء يترفَّق ويتدفَّق، وإن الريح تزمجرُ فتدمِّر.

قرأتُ لبعض السلف أنه قال: إنَّ من فقه الرجل رفقه فى دخوله منزله وخروجه منه، وارتداء ثوبه وخلع نعله وركوب دابته.

إن العَجَلة والهوج والطيش فى أخذ الأمور وتناول الأشياء، كَفيلةٌ بحصول الضرر وتفويت المنفعة؛ لأن الخير بُنى على الرفق، **«ما كان الرفق فى شىء إلاَّ زانه، وما نُزِعَ الرفق من شىء إلاَّ شانه»**(١).

إن الرفق فى التعامل تُذعن له الأرواح، وتنقاد له القلوب، وتخشع له النفوس.

إن الرفيق من البشر مفتاح لكل خير، تستسلم له النفوس المستعصية، وتثوب إليه القلوب الحاقدة، **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(٢).

ترفق أيها القمرُ المنيرُ
ولا تَكُ كالرياحِ لها زئيرُ
فإنك بالسَّناءِ ملأتَ وجهى
ووجهُك فى دياجينا نَضيرُ
وتلكَ الريحُ هاجتْ فى عتوٍّ
فزُلزلت المنازلُ والقصورُ(٣)

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٩).
(٣) لا تحزن (ص: ٤٦٨ : ٤٧١) بتصرف.

استقم... ولا تخف ولا تحزن

إنك إن عشت على طاعة الله ستسعد في الدنيا والآخرة لا محالة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

فإذا جاءت سكرة الموت فلا تخفْ مما أمامك ولا تحزن على فوات الدنيا فإن ما عند الله خيرٌ وأبقى.

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾(٢).

والغرض أنهم استقاموا على شريعة الله، في سلوكهم، وأخلاقهم، وأقوالهم، وأفعالهم، فكانوا مؤمنين حقًّا، مسلمين صدقًا.. وقد سُئل بعض العارفين عن تعريف الكرامة، فقال: الاستقامة عين «الكرامة».

* وعن الحسن أنه كان يقول: اللَّهُمَّ أنت ربنا فارزقنا الاستقامة... ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ أي: تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت بألا تخافوا مما تقدمون عليه من أهوال القيامة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه في الدنيا من أهل ومال وولد فنحن نخلفكم فيه. ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي: وأبشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل.. قال شيخ زادة: إن الملائكة تتنزَّل حين الاحتضار على المؤمنين بهذه البشارة ألا تخافوا من هول الموت، ولا من هول القبر، وشدائد يوم القيامة، وإن المؤمن ينظر إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان

(١) سورة النحل: آية (٩٧).

(٢) سورة فصلت: آية (٣٠-٣٢).

له: لا تَخفِ اليوم ولا تحزن، وأبشرْ بالجنة التى كنت توعد، وإنك سترى اليوم أموراً، لم تر مثلها فلا تهولنك فإنما يراد بها غيرك»[١][٢].

وهذا كما جاء فى حديث البراء ﷺ قال: قال ﷺ: «**إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخْرُجى أيتها الرُّوحُ الطيبةُ فى الجسد الطيب، كنت تعمرينه اخرجى إلى رُوحٍ وريحان وربٍّ غير غضبان**»[٣].... وقال زيد بن أسلم: «يبشرونه عند موته، وفى قبره، وحين يُبعث»، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع.

وقوله «تبارك وتعالى»: ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ أى: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم أى: قرناءكم فى الحياة الدنيا نسددكم، ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله.

وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور، وعند النفخة فى الصور نؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، .. ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ**﴾ أى: فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقرُّ به العيون ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ أى: مهما طلبتم، وجدتم. وحضر بين أيديكم، كما اخترتم ﴿**نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ**﴾ أى: ضيافة وعطاءً، وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف»[٤].

* * *

(١) «صفوة التفاسير» (٣/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) حاشية شيخ زادة على البيضاوى (٣/ ٢٦١).

(٣) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٤٢٦٢) كتاب الزهد، وأحمد (٨٥٥١) باقى مسند المكثرين، من حديث أبى هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى -رحمه الله- فى «صحيح الجامع» (١٩٦٨).

(٤) مختصر تفسير ابن كثير - محمد نسيب الرفاعى (٤/ ١٠٠، ١٠١).

لا تحزن من فعل البشر وانظر ماذا صنعوا مع الخالق -جلَّ وعلا-؟

أخي الحبيب: أعلم أنك تحزن كثيرًا عندما تُحسن إلى الناس من حولك وتجد الإساءة فى مقابل الإحسان.

- وحتى لا تحزن، فسوف أذكر لك بلسمًا ودواءً، يجعلك لا تحزن إذا وجدت الإساءة فى مقابل الإحسان:

(١) لا تحزنْ من فعل البشر وانظر ماذا صنع أكثرهم مع الخالق -جلَّ وعلا- فعلى الرغم من أن الله -جلَّ وعلا- يُغدقُ على عباده من النِّعم ألوانًا ومع ذلك فإن أكثر أهل الأرض يكفرون بالله!

بل ومنهم من يسبُّ الله -جلَّ وعلا- ويشتمه.. ، ومنهم من اتَّهم الله بالفقر.. ، ومنهم من اتهمه بأنه لا قدرة له على إعادة الخلق مرة أخرى للفصل والحساب.. ، ومنهم مَنْ اتهمه بأن له ولدًا - تعالى الله عمَّا يقولون عُلوًّا كبيرًا -.

ففى الحديث القدسى الذى رواه البخارى، وأحمد أن الله تعالى قال:

«... شَتَمَنى ابنُ آدمَ، ومَا ينبغى له أنْ يشْتُمنى، وكذَّبنى؛ وما ينْبغى لَهُ أنْ يُكذِّبَنى، أمَّا شتمه إياى فقولهُ: إنَّ لى ولَدًا، وأنَا اللهُ الأحدُ الصَّمَدُ لم ألدْ، ولم أُولد، ولم يكنْ لى كُفْوًا أحدٌ، وأما تكذيبُهُ إياى، فقولهُ: ليسَ يعيدُنى كما بَدأنى، وليسَ أولُ الخلقِ بأهونَ علىَّ من إعادته».

فإن كانوا قد فعلوا ذلك مع الخالق -جلَّ وعلا- فماذا تتوقع أن يفعلوه معك؟!!

(٢) أنك ينبغى أن تحمد الله على أنه لم يجعلك مثلهم.

(٣) أنك ينبغى أن تحتسب الأجر ولا تنتظر شكرًا من أحدٍ من

البشـر. . . ومن ثَمَّ فإياك أن تـترك فعل الخـير من أجل أن الناس يقـابلون الإحسان بالإساءة، فأنت ترجو ثواب عملك من الله -جلَّ وعلا-.

لا تحزن..وخُذ هذه الروشتة

أُهدى إليك أيها الأخ الحـبيب تلك الروشتـة من صيدليـة الإمام الجليل سفيان الـثورى - رحمه الله - فقد جـاءه رجل يشكو إليه أنه مريض بمرض البعـد عن الله، فقال له سفـيان الثورى: يا هذا! عليك بعـروق الإخلاص وورق الصبر، وعصير التواضع، ضعْ هذا كله فى إناء التقوى، وصُب عليه ماءَ الخشـية، وأوقد عليه نار الحزن على المعـصية وصفِّه بمصفـاة المراقبة له، وتناوله بكف الصدق، واشربه من كأس الاستغفار، وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع، يُشفى مرض قلبك بإذن الله.

ادفع بالتى هى أحسن

قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (١).

اغفر لمن أساء إليك، وتعلّق بمن جعلك تسمو فوق مستوى نفسك، ولا تعتقد أنك تبدو بذلك ضعيفًا، فالغفران يحتاج إلى قوة أكثر من الانتقام.

قال ﷺ: **«ليس الشـديد بالصـرعـة إنما الشـديد الذى يملك نفسـه عند الغضب»** (٢).

إن المؤمن الحق - يا أيهـا الأحبـة - كالشـجرة المثمـرة، كلما رُجِـمَت بالحجارة، أسقطت ثمرًا طيبًا، فيا لها من قيمٍ، ويا لها من مُثُلٍ!

ها هو يهودى معـه كلب - واليهود لطالما استفـزوا المسلمين - يمرُّ على

(١) سورة فصلت: آية (٣٤، ٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

إبراهيم بن أدهم - عليه رحمة الله - ذلكم المؤمن، فيقول له: لحيتك يا إبراهيم، أطهر من ذَنَبِ هذا الكلب، أم ذَنَبُ الكلب أطهر من لحيتك؟!

فما كان منه إلا أن قال بهدوء المؤمن الواثق بموعود الله - عزَّ وجلَّ -: إن كانت في الجنة، فهي أطهر من ذَنَبِ كلبك، وإن كانت في النار فَذَنَبُ كلبك أطهر منها، فما مَلَكَ هذا اليهودي إلا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، والله ما هذه إلا أخلاق الأنبياء ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾(١).

أقول هذا لعموم الناس، أما نحن الدُّعاة، ونحن طلبة علم، والمفترض في أكثر المسلمين أن يكونوا طلبة علمٍ، ليس لنا أن ننزل عن مستوى دعوتنا إلى التراشق برديء الكلام، ليس لنا أن ننزل إلى سفاسف الأمور، ولو حاول غيرنا جذبنا إلى هذه الأمور؛ ليكن تَحَرُّكُنا ذاتيًّا، فلا يحركنا غيرنا؛ لئلا نُسْتَجرَّ إلى معارك وهمية خاسرة ولا شك، ثم علينا أن لا نغضب لأنفسنا، بل علينا أن نسموَ بأنفسنا عن كل بذيء وعن كل ساقط.

لو كلّ كلبٍ عوى ألقمته حجرًا
لأصبح الصَّخر مثقالاً بدينارِ
ومن عاتب الجُهَّال أتعب نفسهُ
ومَنْ لاَمَ من لا يعرف اللَّومَ أفسده

ليس معنى ذلك أن نستسلم فلا ندافع، لكن المدافعة أحيانًا - يا أيها الأحبة - تكون بالسكوت، والمدافعة أحيانًا تكون بالاختفاء، والمدافعة أحيانًا تكون بالإعراض عن الجاهلين، . . . في يوم أُحدٍ، وما أدراكم ما يوم أُحدٍ يوم أصاب المسلمين ما أصابهم، نادى أبو سفيان ولا زال مشركًا ﷺ قال:

(١) سورة فصلت: آية (٣٤، ٣٥).

هل فيكم محمد، فلم يرد ﷺ، ولم يأمرْ أحدًا بالردِّ، هل فيكم أبو بكر هل فيكم عمر؟، فلم يُجبه أحد، مع أن الجواب قد كان أغيظ له، لكن الموقف كان يستلزم السكوت، من باب قول القائل:

إذا نطق السَّفيه فلا تجبه
فخيرٌ من إجابته السكوتُ
فإن كلمتَهُ فَرَّجت عنه
وإن خلَّيته كمدًا يموتُ

ومن باب قول الآخر:

والصمت عن جاهل أو أحمق شرفٌ
وفيه أيضًا لصُون العِرضِ إصلاحُ
أما ترى الأُسدَ تُخشى وهى صامتةٌ
والكلبُ يُخزى لعمرُ الله نَبَّاحُ

ها هو الإمام أحمد - عليه رحمة الله - في مجلسه وبين تلاميذه ويأتى سفيهٌ من السفهاء فيسُبُّه ويشتُمه ويُفزِعُه بالسبِّ والشتم، فيقول طلابه وتلاميذه: يا أبا عبد الله، رُدَّ على هذا السفيه، قال: لا والله، فأين القرآن إذًا؟! ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(١).

إذا سبنى نَذْلٌ تزايدت رفعة
وما العيب إلا أن أكون مسابِبُهْ
ولو لم تكن نفسى علىَّ عزيزةً
لمكنْتُها من كلِّ نذل تحاربه

ها هو مصعب بن عمير سفير الدعوة الأول إلى المدينة النبوية، يأتيه أُسَيدُ بن حُضير بحربته وهو لا زال مشركًا، فيقول: ما الذى جاء بك؟!،

(١) سورة الفرقان: آية (٦٣).

يقول لمصعب: مـا الذى جاء بك إلينا تُسفِّهُ أحلامنا، وتـشتم آلهتنا، وتفتن شبابنا، اعتزلنا إن كنت فى حاجةٍ إلى نفسك وإلا فاعتبر نفسك مقتولاً.

فما كـان من مصعب بهدوء المؤمن الواثق بموعـود الله، وبنصر الله لهذه الدعوة، إلا أن قال له فى كلمات هادئة: «أَوَ تجلس فتسمع فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره، قال: «لقد أنصفت - وكان عاقلاً لبيبًا - فكلَّمه مصـعب رضي الله عنه عن الإسلام وقرأ عليه القرآن، فتـهلَّل وجهه، وبرقت أسارير وجهه، واستهل وجهه، ثم قال: «كيف تصنعون إذا أردتم الدخول فى هذا الدين»، . . . جاء ليقـتله والآن يريد أن ينهلَ مما نهلَ منه مصعب رضي الله عنه، قال: «اغتسل وتطهر واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أسلم الرجل، وفى نفس الوقت أصبح داعيـة يقول: إن ورائى رجلاً إن اتبعكم لم يتـخلف عنه أحدٌ من قومـه، (سعد بن مـعاذ)، وذهب إلى هذا الرجل، واستفزَّه بكلمات معينة، فجاء هذا يركد إلى مصعب ويقول: إما أن تكُفَّ عنا وإما أن نقتلك، قال: أو تجلس فتسـمع، فإن رضيت أمرنا قبلته، وإن لـم ترضه كفننا عنك ما تكره، فجلس، فـقام يخبره عن الإسلام ويبين له هذا الدين، فمـا كان منه إلا أن استـهلَّ وجهه، وبرقت أسارير وجـهه، وقال: كيف يفعل من يريد الدخول فى هذا الدِّين؟!!

قال: اغتـسل وتطهر واشـهد أن لا إله إلا الله وأن مـحمـدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففـعـل، ثم خـرج مـن عنـده داعيـةً إلى قـومـه، فذهـب إلى بنى عبـد الأشهل وقال: يا بنى عـبد الأشهل [وهم قـومه] كيف تعلمـون أمرى فيكم؟!، قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا وخيرنا وأيمننا، قال: فإن كلامكم علىَّ حـرام رجالكم والـنساء، حـتى تؤمنوا بالله الذى لا إلـه إلا هو وتصدَّقـوا برسالة مـحمـد صلى الله عليه وسلم، يقول: فلم يبق رجلٌ ولا امـرأة فى تلك الليلة إلا مسلمٌ أو مسلمة، . . . فلا إله إلا الله.

الكلمة الطيبة.، الكلمة الطيبة... الإحسان، الإحسان ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(١)(٢).

أَحْسِنِ إلى الناس تستعبد قُلُوبَهُمُ
لطالما ملكَ الإنسان إحسانُ

أنزل الناس منازلهم؛ ليُنزلوك منزلك

وإذا أردت السعادة فاحرص كل الحرص على أن تحسن إلى كل مَنْ حولك فتُنزل كل واحدٍ منزلته فتعامله أحسن معاملة، وتقابله بوجهٍ طلقٍ وتناديه بأحب الأسماء إليه وسترى ردود الأفعال الجميلة التى تُدخل السعادة على قلبك... سيعاملك أحسن معاملة ويقابلك بوجهٍ طلقٍ ويناديك بأحب الأسماء إليك.

* إذًا فأعرِ غيرك الاهتمام والاحترام والتقدير واشكر غيرك على الفعل الطيب وحُسن الصنيع والصفة المحمودة فإن ذلك يجلب لك محبة الناس من حولك.

تب إلى الله
ليرفع عنك ظلم العباد

أيها الأخ الحبيب: إذا تسلَّط عليك ظالم وبغى عليك أحد من خصومك فلا تنشغل بعداوته ولكن ارجع إلى نفسك فحاسبها وانظر إلى ذنوبك وتقصيرك فى حقِّ الله -جلَّ وعلا- واعلم أن الله لم يسلط عليك عدوَّك إلا بسبب ذنوبك، فتب إلى الله -جلَّ وعلا- توبة نصوحًا وانشغل بإصلاح

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٤).

(٢) هكذا علمتنى الحياة/ للشيخ على القرنى (ص: ٦٣: ٦٦) بتصرف.

عيوب نفسك.. ودع الحق -جل وعلا- يدافع عنك ويكفيك شرَّ كل مَنْ ظلمك وبغى عليك.... وبذلك تكون تلك المحنة هى عين المنحة فلولاها ما تذكرت ذنوبك وما فكرت فى التوبة.

سبحانَ مَنْ يعفو ونهفو دائمًا ... ولم يزلْ مهما هفا العبدُ عفا

يعطى الذى يُخطى ولا يمنعُه ... جلالُه عن العطا لذى الخَطا

لا تذهب للكُهان والسحرة والعرّافين

واحذر - أخى الحبيب - وأنت فى غمرة البحث عن أى خيط يوصلك إلى السعادة فى حياتك وإلى الشفاء من أمراضك أن تذهب إلى الكهنة والسحرة والعرافين، فلقد حذرنا النبى ﷺ من ذلك فقال - كما عند مسلم -: «**مَنْ أتى عَرافًا فسأله عن شىء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**». وهذا فيه أن مجرد سؤالهم ولو لم يحصل التصديق لهم محرَّم ولا تقبل صلاة صاحبه أربعين ليلة.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقَهُ بما يقول ،فقد كَفَرَ بما أُنزِلَ على مُحَمَّد ﷺ**»[١]. وهذا فيه أن مَنْ صدّق الكاهن، فقد وقع فى الكفر.

قال الشيخ ابن باز - رحمه الله -: «فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذى يدَّعون المغيبات؛ ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز أن يصدقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجمًا بالغيب، أو يستحضرون الجن؛ ليستعينوا بهم على ما يريدون، وهؤلاء حكمهم الكفر والضلال إذا ادَّعُوا علم الغيب»[٢].

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٩٠٤) كتاب الطب، والترمذى (١٣٥) كتاب الطهارة، وابن ماجه (٦٣٩) كتاب الطهارة وسننها، وأحمد (٩٢٥٢)، من حديث أبى هريرة والحسن رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٣٨٧).

(٢) مجموع فتاويه (٣/ ٢٧٤).

لا تحزن إذا أصبت بعاهة فإنها لن تعوقك عن التفوق

فى ملحق عُكَاظ العـدد ١٠٢٦٢ فى ٧ / ٤ / ١٤١٥ هـ، مقـابلة مع كفيف يُدعَى: محمود بن محمد المدنى، درس كتب الأدب بعيون الآخرين، وسمع كـتب التاريخ والمجـلات والدوريات والصـحف، وربما قرأ بالسـماع على أحـد أصدقـائه حتى الثـالثة صـباحـًا، حتى صـار مرجعـًا فى الأدب والظُّرف والأخبار.

كتب مـصطفى أمين فى زاوية «فكرة» فى الشرق الأوسط كـلامًا، منه: اصبـر خمس دقـائق فحـسب على كيـد الكائدين، وظلم الظالمين، وسطوة الجبابرة، فإن السوط سوف يسقط، والقـيد سوف ينكسر، والمحبوس سوف يخرج، والظلام سوف ينقشع، لكن عليك أن تصبر وتنتظر.

وَلَرُبَّ نازلـةٍ يضـيـقُ بهـا الفـتـى
ذَرْعًـا وعندَ اللـه منهـا المخـرجُ

يقول الشيخ عائض القرنى: قابلتُ فى الرياض مفتى ألبـانيا، وقد سُجن عشـرين سنة مِن قِبل الشـيوعييـن فى ألبانيا مع الأعـمال الشاقَّـة، والحبس والكيد، والنكـال والظلم، والظلام والجوع، وكان يصلِّـى الصلوات الخمس فى ناحيـة من دورة المياه خوفًا منهم، ومع هذا صـبر واحتسب حـتى جاءه الفرج، ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾(١).

وهذا «نلسون مانديلا» رئيس جنوب أفريقيا، سُجن سبعًا وعشرين سنة، وهو ينادى بحـرية أمَّتـه، وخلوص شعـبه من القـهر والكبـت والاستـبداد والظلم، وهو مصـرٌّ صامد مـواصل مستمـيت، حتى نال مجـده الدنيوى.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٧٤).

﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾[(١)]. ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾[(٢)].

وأَشجعُ منى كُلّ يومٍ سلامتى
وما ثبتتْ إلا وفى نفسها أَمْرُ

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾[(٣)][(٤)].

ضَع الموت نصب عينك

الواجب على العاقل أخذ العُدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمرُ ربه، ولا يدرى متى يُستدعى؟

وإنى رأيت خلقًا كثيرًا غرَّهم الشباب، ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل.

وربما قال العالم المحض لنفسه: أشتغل بالعلم اليوم، ثم أعمل به غدًا، فيتساهل فى الزلل بحُجة الراحة، ويؤخر الأهبة لتحقيق التوبة، ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، ومَن كسب شُبهة يأمل أن يمحوها بالورع.

وينسى أن الموت قد يبغت. فالعاقل مَن أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الموت رُؤى مستعدًا، وإن نال الأمل، ازداد خيرًا[(٥)].

لا تخف من الموت بسبب المرض

فإن المرض لا يقرِّب من الموت كما أن الصحة والعافية لا تباعد منه.. فالله -عزَّ وجلَّ- هو الذى يملك مقادير الأمور وهو الذى يعلم آجال العباد

(١) سورة هود : آية (١٥).
(٢) سورة النساء: آية (١٠٤).
(٣) سورة آل عمران: آية (١٤٠).
(٤) لا تحزن (ص: ١٧٥، ١٧٦).
(٥) صيد الخاطر (ص: ١٥).

فقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(١).

وقد جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن الملَكَ يبعث إلى الجنين بعد مائة وعشرين يومًا - بأربع كلمات، فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقى أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح.

وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه:

فكم من صحيح مات من غير علَّة
وكم مَن عليل عاش حينًا من الدهرِ
وكم من فتى يُمسى ويُصبح آمنًا
وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدرى

الفرج قريب

عليك أن تُحسن الظَّنَّ بالله -جلَّ وعلا- فإن الله لطيف بعباده وهو أرحم بهم من رحمة الأم بطفلها الرضيع.

* فإذا اشتد الخطب وتأزمت الأمور فانتظر فرجًا ومخرجًا.

* وإذا بلغ سواد الليل منتهاه، فاعلم أن تلك الساعة هى أقرب الساعات لطلوع فجر جديد ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(٢).

* قال صلى الله عليه وسلم فى وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا»(٣).

دعِ المقاديرَ تجرى فى أعنَّتها
ولا تنامَنَّ إلا خالى البالِ

---

(١) سورة الأعراف: آية (٣٤).

(٢) سورة هود: آية (٨١).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٢٨٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣٨٢).

مـا بينَ غـمـضـةِ عـينٍ وانتـبـاهتـهـا
يغـــيـــرُ اللـه مِن حـــالٍ إلـى حـــالِ

بلاء أخف من بلاء

وإن كل مصيبة لا شك أن هناك أكبـر منها، وقديمًا قال الناس: «بعض الشرِّ أهون من بعض» و«بلاء أخف من بلاء» و«من نظر لبـلوى غيره هانت عليه بلواه».

والمؤمن ينظر بعين بصيرته فيحمد الله على أمرين؛ أولهما: دفع ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبـر، وثانيهما: بقـاء ما كان يمكن أن يزول من نعمة غامـرة وفضل جزيل. فهو ينظر إلى النعمـة الموجودة قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة، وينظر إلى البلاء المتوقِّع بجانب نظره إلى البلاء الواقع.

وهذا بلا شك يُحدث كـثيراً من الارتياح والرضـا، فالبلاء المتوقع كـثير وقد دُفِعَ عنه، والنِّعَم الموجودة كثيرة وقد بقيت له(١).

* ويا ليتك تعرف ما أصـاب الأنبياء والمرسلين من المصائب والمحن ومع ذلك كانوا فى قمة الصبر والرضا.

قال الإمام ابن القـيم - رحمه الله -: «يا مُخنَّثَ العزم أين أنت والطريقُ طريقٌ تعبَ فـيـه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِى فى النار الخليل، وأُضـجع للذبح إسمـاعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث فـى السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ»(٢).

---

(١) الإيمان والحياة (ص: ١٨٩).

(٢) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٦٧).

لا تحزن... وأكثر من الاستغفار

إن الاستغفار من أعظم الأسباب التى تجلب لك الخير فى الدنيا والآخرة فأكثر من الاستغفار وأبشر بكل خير.

وقال ﷺ: «**مَن أحبَّ أن تسره صحيفته، فليكثر فيها من الاستغفار**»(١).

وقال ﷺ: «**طُوبى لمن وجد فى صحيفته استغفاراً كثيراً**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا يقضى الله للعبد قضاءً إلا كان خيراً له**»(٣). قيل لابن تيمية: حتى المعصية؟ قال: نعم، إذا كان معها التوبة والندم، والاستغفار والانكسار. ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾(٤).

يقول ابن تيمية: إن المسألة لَتغلق علىَّ، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقلَّ، فيفتحها الله علىَّ.

* وها هى باقة عطرة من ثمرات الاستغفار فى الدنيا والآخرة:

(١) مغفرة الذنوب:

قال تعالى: ﴿**وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾(٦).

وقال ﷺ: «**إن الشيطان قال: وعزتك يا ربِّ لا أبرح أُغوى عبادك مادامت**

---

(١) صحيح: رواه البيهقى فى الشعب (١/ ٤٤١)، والطبرانى فى الأوسط (١/ ٢٥٦)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٢٩٩).

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٨١٨) كتاب الأدب، من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٩٣٠).

(٣) صحيح: رواه أحمد (١١٧٥٠، ١٢٤٩٥، ١٩٧٧٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٨).

(٤) سورة النساء: آية (٦٤).

(٥) سورة المزمل: آية (٢٠).

(٦) سورة النساء: آية (١١٠).

أرواحهم فى أجسادهم، فقال الربُّ: وعزتى وجلالى لا أزالُ أغفر لهم ما استغفرونى»(١) .

- بل وفى الحديث القدسى الذى رواه مسلم أن الله -عزَّ وجلَّ- يُنادى فى الثلث الأخير من الليل: «من يستغفرنى فأغفر له...»(٢) . . . وفى الحديث القدسى الذى رواه مسلم أن الله -عزَّ وجلَّ- يقول: «فاستغفرونى أغفر لكم...»(٣).

(٢) الفوز بمحبة الله -جلَّ وعلا-:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٤) .

(٣) سبب لسعة الرزق والإمداد بالمال والبنين:

قال نوح عليه السلام لقومه:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾(٥) .

وقال الله سبحانه: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾(٦) .

(٤) أنه سبب لحصول القوة فى البدن كذلك:

قال هود ﷺ لقومه:

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾(٧) .

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٧٦٢٧، ١١٣٢١) من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٥) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى ذر رضي الله عنه .

(٤) سورة البقرة: آية (٢٢٢).

(٥) سورة نوح: آية (١٠-١٢).

(٦) سورة هود: آية (٣).

(٧) سورة هود: آية (٥٢).

(٥) أنه سبب لدفع المصائب ورفع البلايا:

فالمصائب فى كثير من الأحيان سببها الذنوب والمعاصى[١] كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٢].

فالمصيبة تنزل فى كثير من الأحيان بذنب، فإذا أحدث العبد استغفاراً وتوبة نصوحًا من هذا الذنب ترتفع المصيبة بإذن الله، فالله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾[٣].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٤].

(٦) سبب لبياض القلب وصفائه ونقائه:

فالذنوب تترك أثرًا سيئًا وسوادًا على القلب، كما ورد عن النبى ﷺ أنه قال: «إنَّ المؤمنَ إذَا أذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءَ فى قَلْبِه، فَإنْ تَابَ ونَزَعَ واسْتَغْفَرَ صَقَلَ قَلْبُهُ، وإنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يعْلُو قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّينُ الذى ذَكَرَه اللهُ - عزَّ وجلَّ - فِى القرآنِ: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٥][٦].

---

(١) وإن كانت هناك ابتلاءات تقع فى بعض الأحيان؛ لإظهار الصادق من الكاذب؛ ولإنابة المؤمنين وتمحيصهم ومحق الكافرين، كما قال تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].
وكما قال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].
وضبط هذا يكمن فى: أن العبد ينظر فى نفسه، فإن وجدها خفيفة من الذنوب، فليعلم أن ما وقع فيه إنما هو ابتلاء من الله، فليوطن العبد نفسه على الصبر والرضا بأقدار الله - سبحانه وتعالى -، وأيضًا ليكثر من الاستغفار فلعله فعل ذنبًا وهو لا يشعر.
أما إذا رأى العبد نفسه مرتكبًا للمعاصى ومسرفًا على نفسه، وحلَّت به بلية فليعلم أنها بسبب كسبه فليقلع عن الذنب والمعصية فورًا، وليؤدِّ المظالم إلى أهلها ويُقبل على التوبة والاستغفار والإنابة والرجوع إلى الله وليكثر من أعمال البر والخير المكفرة للذنوب.

(٢) سورة الشورى: آية (٣٠).

(٣) سورة النساء: آية (١٤٧).

(٤) سورة الأنفال: آية (٣٣).

(٥) سورة المطففين: آية (١٤).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٣٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (٤٢٤٤) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٩٢)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

(٧) زوال الوحشة بين العبد وربه:

فإن الذنوب تجعل بين العبد وبين ربه وحشة شديدة.. والاستغفار يزيل ذلك - بإذن الله-.

(٨) زوال الهموم والغموم:

فالمعصية همٌّ بالليل وهمٌّ بالنهار... والاستغفار يزيل الهموم ويشرح الصدور - بإذن الله-.

(٩) يوم القيامة تكون فى ظل عرش الرحمن:

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «**سبعة يظلُّهم الله فى ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلَّه - وكان من بينهم -: ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**»[1] أى: تذكَّر ذنوبه، فتاب واستغفر واشفق على نفسه من ذنوبه ففاضت عيناه.

(١٠) نور على الصراط:

فالصراط منصوب على متن جهنم... وهى سوداء مظلمة.

والاستغفار من جملة الأعمال الصالحة التى يجعلها الله سببًا للنور على الصراط ولذا قال تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾[2].

- وفضل المغفرة يظهر واضحًا جليًّا فى سؤال الصالحين لها... ونورهم يسعى بين أيديهم ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[3].

(١١) من أسباب دفع العذاب:

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٦٠) كتاب الأذان، ومسلم (١٠٣١) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة النور: آية (٤٠).

(٣) سورة التحريم: آية (٨).

يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١] .

قال أبو موسى: كان لنا أمانان: ذهب أحدهما وهو كون الرسول ﷺ فينا وبقي الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا.

(١٢) سبب لدخول الجنة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٢] .

(١٣) سبب لرفع الدرجات:

قال ﷺ: **«إن الرجل لتُرفع درجته في الجنة فيقول: أنَّى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك»**[٣] .

* فلله ما أحلى قوله في هذه الحال: «أسألك بعزِّك وذُلِّي إلاَّ رحمتني. أسألك بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك، عبيدك سواي كثير، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، أسألك مسألة المسكين: وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال مَنْ خضعت لك رقبته ورَغِم لك أنفه، وفاضت لك عيناه، وذَلّ لك قلبه».

يا مَنْ ألوذُ به فيما أُؤَمِّلهُ

ومَنْ أعوذُ به مما أحاذِرهُ

---

(١) سورة الأنفال: آية (٣٣).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٣٣: ١٣٦).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه (٣٦٦٠) كتاب الأدب، وأحمد (٨٥٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٥٩٨).

لا يجبُر الناس عظمًا أنت كاسره
ولا يهِيضون عظمًا أنت جابرُهُ

اصبر كما صبر النبى ﷺ

إذا تأملتَ سيرة النبي ﷺ مع قومه، وصبره في الله، واحتماله ما لم يحتمله نبى قبله، وتلوُّن الأحوال عليه، من سلمٍ وخوفٍ، وغِنًى وفقر، وأمن وإقامة فى وطنه، وظعن عنه وتركه فى الله، وقتل أحبابه وأوليائه بين يديه، وأذى الكفار له بسائر أنواع الأذى، من القول والفعل، والسحر والكذب والافتراء عليه والبهتان، وهو مع ذلك كله صابر على أمر الله، يدعو إلى الله.

فلم يُؤذَ نبى ما أُوذى، ولم يحتمل فى الله ما احتمله، ولم يُعطَ نبى ما أُعطيه. فرفع الله له ذكره، وقرن اسمه باسمه، وجعله سيد الناس كلّهم، وجعله أقرب الخلق إليه وسيلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأسمعهم عنده شفاعة. وكانت تلك المحن والابتلاءات عين كرامته، وهى مما زاده الله بها شرفًا وفضلاً، وساقه بها إلى أعلى المقامات.

وهذا حال ورثته من بعده، الأمثل فالأمثل، كلٌّ له نصيب من الجنة، يسوقه الله به إلى كماله، بحسب متابعته له.

وما لا نصيب له من ذلك فحظُّهُ من الدنيا، حظّ من خُلق لها وخُلقَتْ له، وجعل خَلاقَهُ ونصيبه فيها. فهو يأكل منها رغدًا، ويتمتع فيها حتى يناله نصيبه من الكتاب.

يُمتَحن أولياء الله وهو فى دعةٍ، وخفض عيش. . . ويخافون وهو آمن. ويحزنون وهو فى أهله مسرور.

له شأن ولهم شأن، وهو فى وادٍ وهم فى وادٍ. . . همّه ما يقيم به

جاهه، ويسلم به ماله، وتُسمع به كلمته، لزم من ذلك ما لزم، ورضى مَنْ رضى، وسخط مَنْ سخط.

وهمُّهم إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غير، ورسوله المطاع لا سواه.

فلله سبحانه مَنْ الحِكَم فى ابتلاء أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين ما تتقاصر عقول العالمين عن معرفته.

وهل وصل مَنْ وصل إلى المقامات المحمودة، والنهايات الفاضلة إلا على جسر المحنة والابتلاء.

كذا المعالى إذا ما رُمتَ تُدركها

فاعبر إليها على جسرٍ من التعب (١)

لا تستسلم للخوف

إن الهواجس والإخفاق والشقاء والأمراض تولد غالبًا من الخوف، وإذا أردت السلامة والنجاح والسعادة والصحة، فيجب عليك أن تكافح الخوف وتكون كمن حكى الله تعالى عنهم فى قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾(٢)(٣).

لا تتوتر.. حتى لا تحزن

إذا أردت أن تعيش سعيدًا، سليمًا صحيحًا معافًى، فتخلص من شبح التوتر، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن التوتر سببٌ فى كثير من الأمراض ومن ذلك:

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٠١).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٧٣، ١٧٤).

(٣) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٣٧، ٣٨).

• التوتر والقلب:

تشير التقارير أن التوتر أثناء العمل قد يؤدى إلى القضاء على حياة المرء فى بعض الأحيان. ويحدث هذا نتيجة لقيام التوتر بإغراء القلب لطلب المزيد من الأكسجين، فإن ذلك يكون على حساب حصة بقية أعضاء الجسم من الأكسجين التى تعانى من نقص منه نتيجة لذلك.

وقد يقود التوتر إلى قطع تدفق الدم إلى القلب، ويجعل حركته غير متسقة تمامًا.

ولا يوجد نهاية للأشياء القبيحة التى يفعلها التوتر بالقلب لدى الإنسان.

وأحد الأشياء التى يقوم بها التوتر: تراكم الصفائح الدموية فى شرايين الدم.

• التوتر والمناعة:

اكتشف العلماء أن الناس الذين يعانون من الكثير من حالات التوتر المزمنة، لا يمتلكون القدرة على توجيه القوى التى يمتلكها نظام المناعة فى أجسادهم لمقاومة الالتهابات والأمراض.

وكلما ازداد التوتر، ازدادت صعوبة التحكم بفعاليات نظام المناعة من قِبل الجسم.

ويعتقد الخبراء أن الناس الذى يتملكون أنظمة مناعة ضعيفة نتيجة لهرمونات التوتر عالى الشدة، يكونون عُرضة للإصابة بالفيروسات ذات العلاقة بأنواع السرطان التالية:

* سرطان الكبد:
* اللوكيميا (ابيضاض الدم).
* بعض أنواع سرطان الجلد.

• التوتر والهضم:

قرر العلماء أن التوتر يتسبب فى التأثير على الإفرازات الحمضية للمعدة.

وتشير الدراسات إلى أن الكثير من الأمراض التى تصيب الممر الهضمى ذات صلة بالتوتر، ومن هذه الأمراض: تشنج المرىء والإسهال، وتهيج الأمعاء، وتشنج القولون.

* يؤدى التوتر إلى ارتفاع الكوليسترول فى الجسم.

• **التوتر والبنية العظمية:**

عندما تكثر هرمونات التوتر فى الجسم، فإنها تتدخل فى كثافة العظم. وتشير إحدى الدراسات إلى أن مجموعة من النساء اللواتى يبلغن (٤٠) عامًا من العمر يمتلكن بنية عظمية تقارب تلك التى تمتلكها النساء اللواتى يبلغن (٧٠) عامًا من العمر، وذلك لوجود نسب عالية من هرمونات التوتر والكآبة فى أجسادهن.

• **التوتر والجلد:**

يعمل التوتر على إحداث أضرار كبيرة بالجلد، ويعتقد الخبراء أن طيفًا واسعًا من أمراض الجلد ومشاكله تتفاقم بالتوتر، أو تكون ناجمة عنه أصلاً، ومن هذه الاضطرابات الجلدية:

* حَبُّ الشباب، ومرض النملة والقوباء، وداء الصدفية، والطفح الجلدى.

• **التوتر والسلوك:**

يجعلك التوتر تعيسًا، وتملؤك مشاعر الكآبة، والقلق، والذُّعر، وعدم التركيز، والتشاؤم، وعدم الرضا.

ويجعلك التوتر شخصًا يصعب العيش والتعامل معه، وذلك لأن التوتر يجعلك عدوانيًّا سريع الغضب، وتتصرف بلا عقلانية فى أغلب الأحيان.

* ويؤثر التوتر على أدائك فى العمل، إذ يجعلك تنسى كثيرًا، ويجعلك كسولاً غير قادر على اتخاذ القرارات[1].

---

(١) النجاح بلا توتر ص (٢٨-٣٥) باختصار.

أعاذنا الله وإياك من الهموم

أعاذنا الله وإياك من الهموم، ونجانا من الغـموم، فإنها عدو قوى، وداء دوى، وهى تخترم الجَسيم، وتُمرض الجسم السليم، وتكدر البال، وتكسف الحال، غير أنها تزول بـالدواء، وتذهب بالدُّعاء، فعليك بدعوة ذى النون، واعلم أن ما قضى سوف يكون، فلا تذهب نفسك على ما مضى حسرات، فما فات مـات، ولا تبتئس من كلام الحُساد، فـما يعادَى إلا مَنْ ساد، ولا تتـوقع الحوادث، ولا تـنتظر الكوارث، بل ثق بالجليل، وقل: حـسـبنا الله ونعم الوكـيـل، ونظف ثيـابك، وعش يومك، وارضَ بالـكفـاف، ولو أنه رغيف جاف، واقرأ المثـانى، وتدبر تلك المعانى، واطلب العلوم، واحذر أن تكون كبلعـوم، وتهيأ للرحـيل، فما أبطأك، واعلم أن مـا أصابك لم يكن ليخطئك، وملك كِسرى يغنى عنه كسـرة، وكثرة المال حـسرة، ولا تخش المكاره، فـربما خـير لك وأنت كـاره، والزم المنزل، فـحق للقلب أن يعـزل والقرآن ينزل، واجعل لنفسك من العبادة غذاءها، ودعها فإن معها حذاؤها، وتقلل فإن الموت قريب، وكُنْ فى الدنيـا كأنك غريب، وإذا رأيت أهل الدنيا وهم فيها مغرقون فقل: أيتها العير أنكم لسارقون. وإذا وعظت القلب فأبى، فقل جئتك من سبأ بنبأ. وقل لمن نهب وما وهب وتشاغل بالذهب، تبت يدا أبى لهب. وإن دهمك همٌّ يهد الجبال، فصح أرحنا بالصلاة يا بلال(١).

تحكم فى انفعالاتك حتى لا تحزن

قد يخرج الإنسان عن شـعوره فى لحظة غضب فيفعل أشـياءَ يندم عليها بعـد ذلك ندمًـا شـديداً. . ومن أجل ذلك جـاءت وصـيـة النبى ﷺ

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٢٥١، ٢٥٢).

للصحابى الـذى طلب منه أن يوصيه فقال لـه ثلاث مرات «لا تغضب» لأن الغضب يورث الندم ويُكثر الأعداء.

* وإليكم هذا المثال لرجل كـان يكثر من الغضب فمـر بموقف أخذ منه درسًا فانتفع به طوال حياته حتى أصبح فى مركز مرموق.

كان «مترنيخ» رجل الدولة النمسـاوى الداهية، وهو بَعدُ طالب فى المعهد الإمبراطورى بفيانا، شديد الحساسية، يستشيط غضبًا لأتفه الأسباب، ويحتكم إلى قبضته كلما خانه النطق فما استطاع قذف خصمه بالشتائم واللعنات.

واتفق ذات يوم للطالب النابه «متـرنيخ» أن أحرز درجات غير مـرضية، لأن وعكةً صحية أقـعدته عن الدرس والمذاكرة، فأنّبه الأستـاذ تأنيبًا لا يعدو كونه ملاحظة أوجبها تقصير طالب عوّد أستاذه إحراز قصب السبق[1] .

فما كان من «مترنيخ» إلا أن انفجـر، وضرب الطاولة بقبضته، ثم غادر المكان مغضبًا.

أما ما حدث بعـد ذلك فقد حدّثنا به «مترنيخ» نفسـه فى مذكراته حيث قال:

«ما إن نفـرت خارجًا حـتى عاد الهدوء إلى نفـسى، وندمت أشدَّ الندم على ما كان من أمرى مع أستاذى الطيب؛ لأنى أدركت - بعد فوات الأوان - أنه لم يقصد بملاحـظته الحطَّ من قدرى، بل كانت غايتـه أن يُحثنى على الدرس والمذاكرة؛ لأحتفظ بترتيبى بين أقرانى.

فانتظرت خروج الأستاذ من قاعة التدريس، وعلى مرأى ومسمع من الطلاب كافّة أكببت على يديه أُقبلها، وأعتذر له، فربت على كتفى بلطف وصرفنى.

وفى اليوم الـتالى، حمل إلىَّ الحـاجب رسالة منه، طواها علـى نصائح

(١) قصب السـبق: يُقال للسـابق: أحرز قصب السـبق. وأصله: أنهم كانوا ينصـبون فى حلبة السـباق قصبة، فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق.

وإرشادات ثمينة، عملت بها فأكسبتنى مناعة ضد الانفجارات العفوية. وإنى أثبت هنا ما وعته الذاكرة من نصائح أستاذى الطيب وملاحظاته:

«لست أجهل يا عزيزى «مترنيخ» أن انفعالاتك هى دليل حيوية دافقة ونشاط خارق، ولكنى أفضل أن أراك ضنينًا بطاقتك المخزونة، فلا تهدرها هدرًا.. ونصيحتى إليك أن تروّض نفسك على الصمت والهدوء، ولو لفترة قصيرة، كلما استفزَّك حادث، أو آلمتك كلمة أو حركة.

واعلم أنى معجب بطبعك إعجابى بذكائك وتفوقك. ولست أهيب بك أن تكتبَ انفعالاتك، بل أدعوك إلى تنظيم انفلاتها، بحيث لا تُقْدم - وأنت تحت تأثير مزاجك الحاد - على أعمال تورثك الندم، وتكثر من حولك الأعداء.

فلو أنك كبحتَ كباح غضبك نصف دقيقة فقط عندما أنَّبْتُك لاستطعت إدراك ما أرمى إليه، ولجاء انفجارك أخفّ وطأةً وإيلامًا.

ذلك أن صمتك نصف دقيقةٍ أو بضع ثوانٍ وأنت الذكى النابه، يتيح لك أن تدرك المراد مما صدر عن الفريق الآخر، فيذوّب التفكير غضبك، كما يذوّب الماء الحلو الملح»[1].

هذه هى النصائح التى طوى الأستاذ رسالته عليها، وقد عمل بها «مترنيخ» وتوصل بسببها لأن يكون رجلٌ دولةٌ من الطراز الأول.

عليك بالدعاء حتى لا تحزن

ولكى يُذهب الله الحزن من قلبك فعليك بالدعاء فهو السهم الذى لا يخطئ أبدًا وبخاصة إذا خرج من قلب صادق.

- فأسأل الله -جلَّ وعلا- أن يصرف عنك الآلام والأحزان وأن يملأ قلبك فرحة وسعادة وسرورًا.

(١) تغلب على القلق ص (٤٩، ٥٠).

- وللدعاء فضائل عظيمة، وثمرات جليلة وأسرار بديعة منها:

١- أن الدعاء: طاعة لله وامتثال لأمره.

٢- الدعاء سلامة من الكبر؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١).

٣- الدعاء عبادة: للآية السابقة ولقوله ﷺ: **«الدعاء هو العبادة»**(٢).

٤- الدعاء أكرم شيء على الله؛ لقوله ﷺ: **«ليس شيء أكرم على الله -عزَّ وجلَّ- من الدعاء»**(٣).

٥- الدعاء محبوب لله عزَّ وجلَّ، لقوله ﷺ: **«مَنْ لم يسأل الله يغضب عليه»**(٤).

٦- الدعاء سبب لانشراح الصدر: ففيه تفريج الهمِّ، وزوال الغمِّ وتيسير الأمور، ولقد أحسن من قال:

وإني لأدعُو الله والأمر ضيق
عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرّجا
ورُبَّ فتًى ضاقت عليه وجوهُه
أصاب له في دعوة الله مخرجا

٧- الدعاء سبب لدفع غضب الله: فمن لم يسأل الله يغضب عليه كما في الحديث السابق ولقد أحسن من قال:

لا تسألنَّ بني آدم حاجةً
وسلِ الذي أبوابه لا تُحجبُ

---

(١) سورة غافر: آية (٦٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٤٧٩) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٣٧٢) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٨) كتاب الدعاء، وأحمد (١٧٨٨٨)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٣) حسن: رواه الترمذي (٣٣٧٠) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٩) كتاب الدعاء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٣٩٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٧٣) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٧) كتاب الدعاء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

اللـه يغـضـب إن تركتَ سُـؤاله

وبُنَى آدم حـين يسـأل يغـضبُ

٨- الدعاء دليل على التوكل على الله.

٩- الدعاء وسيلة لِكبَر النفس وعلو الهمَّة.

١٠- الدعـاء سلامة من العـجـز ودليلٌ على الكيـاسـة؛ لقـول النبى ﷺ: **«أعجز الناس من عَجز عن الدعاء»**(١).

١١- ثمرة الدعاء مضمونة- بإذن الله-؛ لقول النبى ﷺ: **«ما من مسلم يدعو- ليس بإثم ولا بقطيعة رحـم- إلا أعطاه الله إحدى ثلاث: إما أن يـعجّل له دعوته، وإما أن يدخرها له فى الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»**(٢).

١٢- الدعـاء سبب لدفع البـلاء قبل نزوله؛ لقـوله ﷺ: **«...ولا يردّ القدر إلا الدعاء»**(٣).

١٣- الدعاء سبب لرفع البـلاء بعد نزوله؛ لقوله ﷺ: **«الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»**(٤).

١٤- الدعاء يفتح للعبد باب المناجاة ولذائذها.

١٥- حصول المودة بين المسلمين: فإذا دعا المسلم لأخيه المسلم فى ظهر الغـيب استجيـبت دعوته، وهذا دليلُ التقوى والصـدق والترابط بين المسلمين.

١٦- الدعاء من صفات عباد الله المتقين.

---

(١) حسن: رواه ابن حبـان فى صحيـحه (١٠/ ٣٥٠)، وأبو يعلى فى مسـنده (١٢/ ٥)، والطبرانى فى الأوسط (٥/ ٣٧١)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٠١).

(٢) صحيح: رواه الترمـذى (٣٩٦٨) كتاب الدعوات، من حـديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧١٤).

(٣) حسن: رواه ابن مـاجه (٩٠) فى المقـدمة، وأحـمـد (٢١٨٨١)، من حديث ثوبان رضي الله عنه، وحـسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٨).

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٠٩).

١٧- الدعاء سبب للثبات، والنصر على الأعداء.

١٨- الدعاء مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين.

١٩- الدعاء دليلٌ على الإيمان بالله، والاعـتراف له بالربوبية والأُلوهية والأسماء والصفات[1].

* فيا أيها المظلوم عليك بالدعاء؛ لينصرك الله -جل وعلا-.
* ويا أيها المحزون عليك بالدعاء؛ ليذهب حزنك.
* ويا أيها المريض عليك بالدعاء؛ ليذهب مرضك.
* ويا أيها المهموم عليك بالدعاء؛ ليذهب همك.
* ويا أيها الفقير عليك بالدعاء؛ ليذهب فقرك.
* ويا أيها المذنب عليك بالدعاء؛ ليغفر الله ذنبك.
* ويا من تريد السعادة عليك بالدعاء؛ ليسعدك الله -جل علا-.
* ويا من تريد الجنة عليك بالدعاء؛ ليجمعنا الله فى الجنة.

وللدعاء مع البلاء ثلاث مقامات

لا تفتر أبدًا عن الدعاء فالدعاء من أنفع الأدوية.

وهو عدو البلاء، يُدافعه ويُعالجـه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل. وهو سلاح المؤمن.

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف مـن البلاء؛ فيـقوى عليه البـلاء، فيـصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفًا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

---

(١) الدعاء لمحمد بن إبراهيم الحمد ص (١٦ - ٢٥) باختصار.

وقد روى الحاكم فى «مستدركه»، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**»(١)(٢).

من آفات الدعاء

ومن الآفات التى تمنع ترتب أثر الدعاء عليه: أن يستعجل العبد ويستبطئ الإجابة فيستحسر ويدع الدعاء، وهو بمنزلة من بذر بذرًا، أو غرس غرسًا، فجعل يتعاهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وإدراكه، تركه وأهمله.

وفى «صحيح البخارى» من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يُستجاب لأحدكم ما لم يَعجل، يقول: دعوت فلم يُستجب لى**»(٣).

وفى «صحيح مسلم» عنه: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل**»، قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: «**يقول قد دعوت، وقد دعوت، فلم أرَ يُستجاب لى، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء**»(٤)(٥).

أساس كل خير

أساس كل خير أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتتيقن حينئذٍ أن الحسنات من نعمه، فتشكره عليها، وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك، وأن السيئات من خُذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يَحول بينك وبينها، ولا يكلك فى فعل الحسنات وترك السيئات إلى نفسك.

---

(١) رواه الحاكم وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(٢) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ١٤).

(٣) أخرجه البخارى (٦٣٤٠) الدعوات، ومسلم (٢٧٣٥) الذكر والدعاء.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٥) الذكر والدعاء.

(٥) الداء والدواء (ص: ١٦).

وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خُذلانه لعبده.

وأجمعوا أن التوفيق ألا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يُخلي بينك وبين نفسك.

فإذا كان كل خير فأصله التوفيق، وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء، والافتقار، وصدق اللجأ، والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضلَّه عن المفتاح، بقى باب الخير مرتجًا دونه.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إنى لا أحمل همّ الإجابة، ولكن هم الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء، فإن الإجابة معه.

وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته فى ذلك، يكون توفيقه سبحانه وإعانته.

فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم.

والخذلان ينزل على حسب ذلك.

فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين، يضع التوفيق فى مواضعه اللائقة به، والخذلان فى مواضعه اللائقة به، وهو العليم الحكيم.

وما أُتى من أُتى إلا من قبل إضاعة الشكر، وإهمال الافتقار والدعاء.

ولا ظفر من ظفر - بمشيئة الله وعونه - إلا بقيامه بالشكر وصدق الافتقار والدعاء.

وملاك ذلك الصبر، فإنه من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس فلا بقاء للجسد[1].

* * *

(١) الفوائد ص(١٤٥، ١٤٦).

لن تجد صديقًا مثاليًا .... فلا تحزن

فمن الناس من يريد صديقًا تتوافر فيه كل المميزات ولا يوجد فيه أى شيء من العيوب والنقائص . . . وكأنه بذلك يريد أن يكون صديقًا لنبى من الأنبياء - صلوات ربى وسلامه عليهم- .

* أخى الحبيب: إن طلب الكمال من المُحال .

- قال أحد السلف: نحن ما رضينا عن أنفسنا فكيف نرضى عن غيرنا؟!

وقال بعض البُلغاء: لا يُزهدنَّك فى رجلٍ حمدتَ سيرتَه، وارتضيتَ وتيرتَه، وعرفتَ فَضْلَه، وبطنت عقله - عيبٌ خفى - تحيط به كثرة فضائله، أو ذنبٌ صغيرٌ تستغفر له قوة وسائله، فإنك لن تجد - ما بقيت - مهذَّبًا لا يكون فيه عيب، ولا يقع منه ذنب، فاعتبر بنفسك بعدُ ألا تراها بعين الرضا، ولا تجرى فيها على حُكم الهوى، فإن فى اعتبارك بها، واختبارك لها، ما يواسيك مما تطلب، ويعطفك على من يذنب، وقد قال الشاعر:

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلها

كفى المرء نُبلاً أن تُعَدَّ معايبُه

* ونصيحتى لك: أنه إذا حدثت هفوة من صديقك فاعف عنه وانظر إلى بحار حسناته وستجد أن تلك الهفوة ستذوب فى تلك البحار.

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون فى دينه بارتكاب معصية أو فى حقك بتقصيره فى الأخوة . . . أما ما يكون فى الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف فى نصحه بما يقوم أوده - اعوجاجه - ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله.

وفى حديث عمر وقد سأل عن أخ كان قد آخاه، فخرج إلى الشام، فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال: ما فعل أخى؟ قال: ذلك أخو الشيطان

قال: مه، . . . قال إنه قارف الكبـائر حتى وقع فى الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذنى فكتب عند خروجه إليه «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾[1]. ثم عاتبه تحت ذلك وعزله. فلما قرأ الكتـاب بكى وقال: «صدق الله . . . نصح لى عـمـر فتـاب ورجع . . . وكـذلك حُكى عن أخـوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كـان إلىَّ فى هذا الوقت لما وقع فى عـثرته أن آخذ بيـده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعو له بالعود إلى ما كان عليه».

قال جعفر بن سليمان: مهما فترت فى العمل نظرت إلى محمد بن واسع وإقباله على الطاعـة فيرجع إلىَّ نشاطى فى العبـادة وفارقنى الكسل وعملت عليه أسـبوعًا . . . وهـذا التحقـيق وهو أن الصداقة لحـمة كلحـمة النسب والقريب لا يجوز أن يُهجَر بالمعصية، ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﷺ فى عشـيرته: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[2]. ولم يقل إنى برىء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب.

وإلى هذا أشـار أبو الدرداء لما قـيل له: ألا تبغض أخـاك وقد فـعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلا فهـو أخى وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة. ولذلك قيل لحكيم: أيمـا أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فـقال: إنما أحب أخى إذا كان صـديقًا لى. وكـان الحسن يقـول: كم من أخ لم تلده أمك. ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ خير من معـاتبته، والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقيعة. وينبغى أن لا يبالغ فى البغضة عند

---

(١) سورة غافر: آية (١ - ٣).

(٢) سورة الشعراء: آية (٢١٦).

الوقيعة. قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

وقال علي ﷺ: «أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»(٢).

وقال عمر ﷺ: «لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا، وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك».

ثمرة العفو

قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٣)، فإن آذاك أحدٌ أو عاداك فليس الحل فى أن تعاديه أو تؤذيه وإنما العلاج فى الإحسان إليه ومحاولة تأليف قلبه ودعوته إلى الالتزام بآداب هذا الشرع الحنيف.

* وإليك هذا المثال العملى من رجلٍ غير مسلم ... وأنت أولى بذلك منه.

يقول إيرك ألينبوف: منذ ثلاثة عقود كنت طالبًا فى الصف الثانى بإحدى المدارس الثانوية الكبرى فى جنوب كاليفورنيا. وكان طلاب المدرسة ينتمون إلى عرقيات مختلفة، وكانت بيئة المدرسة قاسية، حيث كان الطلاب يحتشدون بالسكاكين والمواسير والسلاسل والقبضات النحاسية وغيرها مما كان شائعًا فى المدرسة، وكانت المشاجرات وأنشطة العصابات تحدث أسبوعيًّا. عقب إحدى المباريات فى خريف ١٩٥٩م

---

(١) سورة الممتحنة: آية (٧).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (١٩٩٧) كتاب البر والصلة، من حديث أبى هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨) موقوفًا على (علي).

(٣) سورة غافر: آية (٣٤، ٣٥).

غادرت الملعب مع صديق لى، وبينما كنا ننزل من الممشى الجانبى المزدحم، فوجئت بشخص يركلنى من الخلف، فاستدرت لأجد العصابة المحلية مسلحين بقبضات نحاسية، وقد أسفرت اللكمة الأولى عن تحطيم أنفى فى الحال، بالإضافة إلى عدة عظام كُسرت من جرّاء الضرب، وجاءتنى اللكمات من جميع الجهات، حيث إن أعضاء العصابة الخمسة عشر كانوا يحيطون بى ليُلحقوا بى المزيد من الإصابات وحدث بسبب ذلك ارتجاجًا فى المخ ونزيفًا داخليًّا.

واضطر الأطباء لإجراء عملية جراحية فى نهاية الأمر، وقد أخبرنى الطبيب أن ضربة أخرى بالرأس كانت كفيلة بموتى، ولحسن الحظ أنهم لم يؤذوا صديقى.

وبعد أن شُفيت من الناحية الطبية، اقترب منى بعض الأصدقاء وقالوا لى: «هيا ننتقم من هؤلاء الصبيان!!».

وقد كان هذا هو الأسلوب المتبع لحسم المشاكل، فبعد أن هوجمت أصبح همى الأول هو «الانتقام» وكان هناك جزء منى يقول: «نعم» وكانت نشوة الانتقام خيارًا واضحًا.

إلا أن هناك جزءًا آخر منى توقف لبرهة وقال «لا» فالانتقام لا يجدى، فقد أثبت التاريخ مرارًا وتكرارًا أن الانتقام لا يؤدى إلا إلى تصعيد الصراع وزيادة حدته، ونحن بحاجة لأن نفعل شيئًا مختلفًا لنكسر سلسلة الأحداث التى تأتى بنتائج عكسية.

ومن خلال التعاون مع مجموعات عرقية متعددة، قمنا بإنشاء ما أسميناه: «لجنة الإخاء» وذلك للعمل على تحسين العلاقات بين العرقيات المختلفة.

وكم ذُهلت لما وجدته من اهتمام كبير لدى زملائى من أجل بناء مستقبل أكثر إشراقًا، ولم يقتنع الجميع بهذا الأمر، وبينما كان هناك عدد قليل من الطلبة ومن

الكلية والآباء يعارضون هذا التبادل الثقافى المشترك، كان هناك الكثير من الأفراد ممن انضموا إلينا فى جهودنا لإحداث تأثير فى الوضع الذى نعيشه.

وبعد عامين اشتركت فى الانتخابات على رئاسة اتحاد الطلبة، وبالرغم من أننى كنت أنافس صديقين أحدهما بطل كرة قدم، والآخر كان مشهوراً بكثرة مشاركته فى الأنشطة الطلابية، فقد انضمَّ إلىَّ ٣٢٠٠ طالبًا فى عملية أداء الأمور بشكل مختلف.

ولن أدَّعى أن جميع المشاكل العرقية قد تمَّ حلُّها، ومع هذا فقد حققنا تقدمًا هائلاً فى بناء جسور بين الثقافات، ومعرفة كيف نتحدث ونرتبط بمجموعات عرقية مختلفة، وحسم الخلافات دون اللجوء إلى العنف، وكيف نبنى جواًّ من الثقة فى ظل أصعب الظروف. ويا لروعة ما يحدث عندما يكون الناس على علاقات طيبة مع بعضهم البعض.

وقد كان هجوم العصابة علىَّ منذ عدة سنوات أحد أصعب اللحظات فى حياتى، ومع هذا فقد كان ما تعلمته بشأن الردّ على الآخرين بالحُب بدلاً من مبادلتهم بالكراهية دفعةً هائلة لى فى حياتى، وهكذا فحين تصبح نورانيًا أكثر وسط قلوب يكاد الظلام أن يغلقها، فإنك تقوم بالتغيير الذى يُحدث الأثر المطلوب(١).

لا تحقرن من المعروف شيئًا

روى مسلم أن النبى ﷺ قال: **«لا تُحقرنَّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق»**(٢).

- كانت عائشة رضي الله عنها تتصدق بالعنبة فيسألونها عن ذلك، فتقول: كم فى

---

(١) شوربة دجاج لحياة المراهقين ص(٢٣٦، ٢٣٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى ذر رضي الله عنه.

تلك العنبة من ذرات؟ . . . وقد قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾(١).

* فافعل الخير مهما كان قليلاً أو صغيرًا فى عينك، فأنت لا تدرى أى حسنة يُدخلك الله بها الجنة، فلقد دخلت امرأة بغى من بغايا بنى إسرائيل الجنة لأنها سقت كلبًا تريد بذلك وجه الله.

* فاحرص على فعل الخير بكل ألوانه وأشكاله، فرِّج عن مكروب، وأعطِ محرومًا، وانصر مظلومًا، وأطعم جائعًا، واسقِ ظامئًا، وعُد مريضًا، وشيِّع جنازة، وواسِ مصابًا، وقُد أعمى، وأرشد تائهًا، وأكرم ضيفًا، وبرَّ جارًا، واحترم كبيرًا، وارحم صغيرًا، وابذُل طعامك، وتصدَّق بدرهمك، وأحسن لفظك، وكف أذاك، فإنه صدقة لك.

إن هذه المعانى الجميلة، والصفات السامية، من أعظم ما يجلب السعادة، وانشراح الصدر، وطرد الهمِّ والغمِّ والقلق والحزن (٢).

لا تُقنط أحدًا من رحمة الله

قال ﷺ: «كان رجلان فى بنى إسرائيل متواخيان، وكان أحدهما مذنبًا، والآخر مجتهدًا فى العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلنى وربى، أبُعثت علىَّ رقيبًا؟! فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يُدخلك الله الجنة، فقُبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بى عالمًا، أو كنت على ما فى يدى قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتى، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»(٣).

---

(١) سورة الزلزلة: آية (٧).

(٢) لا تحزن (ص: ٢٩٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٠١) كتاب الأدب، وأحمد (٨٠٩٣)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٤٥٥).

اعلم أيها الأخ الحبيب: أن الهداية منحة ربانية يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده . . . والإنسان لا يملك هداية لنفسه فضلاً عن أن يملك هداية لغيره، فقد قال تعالى لحبيبه محمد ﷺ : ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١].

فإذا أنعم الله عليك بنعمة الهداية فاسجد لله شكرًا على أن هداك ويسر لك الهدى، وإذا رأيت عاصيًا فما عليك إلا أن تتذكر قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[٢].

واعلم علم اليقين أنك لا تدرى بم يُختم لك وله . . . فقد يُختم لهذا العاصى بخاتمة أهل السعادة بأن يوفقه الله فى آخر أيامه إلى توبة صادقة تمحو كل ذنوبه وآثامه بل وتبدل سيئاته كلها إلى حسنات . . . وتأمل معى هذا الحديث لتعلم يقينًا أن العبد لا يعرف خاتمته وعليه ألا يأمن على نفسه حتى يضع قدمه فى جنة الرحمن -جل وعلا- قال ﷺ : **«إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة، ثم يُختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم (له) عمله بعمل أهل الجنة»**[٣].

وقال ﷺ : **«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»**[٤].

زاد الإمام البخارى: **«وإنما الأعمال بخواتيمها»**[٥].

---

(١) سورة القصص: آية (٥٦).

(٢) سورة النساء: آية (٩٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥١) كتاب القدر، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٨٩٨) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١١٢) كتاب الإيمان، من حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٩٣) كتاب الرقاق، من حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه.

تعلم لغة العفو ... حتى لا تحزن

قال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[(٢)].

* لذة العفو أكبر وأشرف من لذة الانتقام..

* العفوُّ قريب من الله قريب من الناس.

* العفو باب عظيمٌ من أبواب العزِّ، قال ﷺ: «..... وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا»[(٣)].

قال أبو حاتم: «الواجب على العاقل: توطين النفس على العفو عن الناس كافة، وترك المجازاة؛ لأنه أقطع للإساءة».

وقد أنشد منصور بن محمد الكريزي:

سأُلزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وإن كَثُرَتْ منه إليَّ الجرائمُ

قال أبو حاتم:

من أراد الثواب الجزيل، وودّ الأصيل، والذكر الجميل، فليتحمل الردى، وليتجرَّع مرارة مخالفة الهوى، بالصلة عند القطع، والإعطاء عند المنع، والحِلم عند الجهل، والعفو عند الظلم، ... وقد أنشد بعض أهل العلم:

ولربما ابتسم الوقور من الأذى
وضميره من حرّه يتأوّه
ولربما خَزَن الحليم لسانه
حَذَر الجواب وإنه لمُفَوَّه

---

(١) سورة النور: آية (٢٢).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٣٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الشافعى:

لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحتُ نفسى من همِّ العداوات

إنى أحيِّى عدوى عند رؤيته
لأدفع الشرَّ عنى بالتحيات

وأُظهر البِشرَ للإنسان أبغضه
كأنما قد حشى قلبى محبّات

قال أبو حاتم: ولأن يصبر المرء على مرارة الجفا، وشدة الأذى، خير من استجلاب الأعداء بالرد حال المراء؛ لأن من الكلام ما هو أشدُّ من الحجر، وأنفذُ من الإبر، وأمرُّ من الصبر.

لقد أسمع القول الذى كاد كلما
تُذكرنيه النفس قلبى يصدّع

فأبدى لمن أبداه منى بشاشةً
كأنى مسرور بما منه أسمع

وما ذاك من عجزٍ به غير أننى
أرى أن ترك الشرِّ للشر أقطع[1]

لا تجعل كلمة (لكن) تعترض سعادتك

إن معرفة قوانين السعادة لا يكفى فى حصولها، بل لابد من التطبيق الإيجابى لهذه القوانين، لا بد من الرفض الدائم لكل تفكير سلبى سيئ، كالخوف والشتم والحقد والغضب والعداوة والبغضاء، ولابد من تطبيق قانون الغفران والحب والتسامح والأمل والرحمة وحسن الظن بالآخرين.

---

(١) سلوة الحزين ص(٣٥ - ٣٧).

* إذا أردت بلوغ ما تصبو إليه، فما عليك إلا أن تقتلع الأعشاب الضارة من حقل تفكيرك، واحرص على إبقاء نفسك على الطريق المستقيم، وأسكت شكوكك بتأكيد الأمل بالنجاح. ولا تجعل كلمة «لكن» تعترض سعادتك[١].

من صفات الأولياء

*** قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:**

تأملت الذين يختارهم الحق -عز وجل- لولايته والقرب منه. فقد سمعنا أوصافهم ومَن نظنه منهم، ممن رأيناه.

فوجدته سبحانه لا يختار إلا شخصًا كامل الصورة، لا عيب فى صورته، ولا نقص فى خلقته. فتراه حسن الوجه، معتدل القامة، سليمًا من آفة فى بدنه.

ثم يكون كاملاً فى باطنه، سخيًّا جوادًا عاقلاً، غير خِبٍ ولا خادع، ولا حَقود ولا حسود، ولا فيه عيب من عيوب الباطن.

فذاك الذى يربيه من صغره، فتراه فى الطفولة معتزلاً عن الصبيان، كأنه فى الصِّبا شيخ، ينبو عن الرذائل، ويفزع من النقائص، ثم لا تزال شجرة همته تنمو؛ حتى يرى ثمرها متهدلاً على أغصان الشباب، فهو حريص على العلم، منكمش على العمل، محافظ للزمان، مراعٍ للأوقات، ساعٍ فى طلب الفضائل خائف من النقائص.

ولو رأيت التوفيق والإلهام الربانى يحوطه، لرأيت كيف يأخذ بيده إن عثر، ويمنعه من الخطأ إن هَمَّ ويستخدمه فى الفضائل، ويستر عمله عنه حتى لا يراه منه[٢].

---

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٤٥، ٤٦).

(٢) صيد الخاطر (ص: ٣٧٥، ٣٧٦).

* ومن صفات الأولياء: انتظار الأذان بالأشواق، والتَّهافُت على تكبيرة الإحرام، والولَه بالصف الأول، ومداومة الجلوس فى الروضة، وسلامة الصدر، وظهور مراسيم السُّنَّة، وهَتْرٌ بالذكر، والكلل للحلال، وترك ما لا يعنى، والرضا بالكفاف، وتعلُّم الوحى كتابًا وسنة، وطلاقة المُحَيَّا، والتوجُّع لمصائب المسلمين، وترك الخلاف، والصبر للشدائد، وبذل المعروف.

التوسط فى المعيشة أفضل ما يكون، فلا غِنًى مُطغيًا ولا فقرًا مُنسيًا، وإنما ما كفى وشفى، وقضى الغرض، وأتى بالمقصود فى المعيشة، فهو أجلُّ العيش عائدةً، وأحسن القوت فائدةً.

والكفاية: بيتٌ تسكُنه، وزوجة تأوى إليها، ومركب حسن، وما يكفى من المال لسد الحاجة وقضاء اللازم(١).

وللأولياء كرامات ... فلا تحزن

وقد يشتاق العبد لأن يكرمه الله بكرامة تُشعره بقدره ومكانته عند الله . . . فكن وليًّا لله -جلَّ وعلا-، فقد قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٢).

- ولكن اعلم أن أعظم كرامة يُكرم الله بها عبده أن يثبته على الصراط المستقيم.

قال الإمام ابن تيمية - رحمه الله -: إن أعظم الكرامة لزوم الاستقامة.

* وها هى باقة عطرة من بعض كرامات الصحابة رضي الله عنهم:

• قصة الأسد مع (سفينة) مولى رسول الله ﷺ:

وخلاصة القصة: أن سفينة مولى رسول الله ﷺ، قال: ركبت البحر فانكسرت

(١) لا تحزن (ص: ٤٢٥، ٤٢٦).
(٢) سورة يونس: آية (٦٢ - ٦٤).

بى سفينتى التى كنت فيها فركبت لوحًا من ألواحها، فطرحنى اللوح إلى أجمة فيها الأسدُ، فدخلتُ فخرج إلىَّ الأسدُ، فأقبل إلىَّ فقلت: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه وأقبل إلىَّ يدفعنى بمنكبيه، فأخرجنى من الأجمة، ووقفنى على الطريق ثم همهم، فظننت أنه يودعُنى فكان هذا آخر عهدى به[١].

• (جعفر بن أبى طالب) يطير بجناحيه فى الجنة مع الملائكة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها، فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سريره»**[٢].

«وكان ابن عمر إذا حيّا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذى الجناحين»[٣].

قال ابن كثير: «لأن الله تعالى عوضه عن يديه بجناحين فى الجنة»[٤].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«رأيت جعفر بن أبى طالب مَلَكًا يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين»**[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«رأيت جعفر بن أبى طالب ملكًا فى الجنة، مضرجة قوادمه بالدماء، يطير فى الجنة»**[٦].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«مرَّ بى جعفر الليلة في ملأ من الملائكة، وهو مخضبٌ الجناحين بالدم، أبيض الفؤاد»**[٧].

---

(١) قصة الأسد نقلها الحافظ ابن كثير فى «التاريخ» (٦ / ١٤٧) عن المصنف، وذكرها السيوطى فى «الخصائص الكبرى» (٢ / ٦٥) عن ابن سعد، وأبى يعلى، والبزار، وابن مندة، والحاكم وصححه، والبيهقى، وأبى نعيم كلهم عن سفينة مولى رسول الله ﷺ.

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢١٧)، والطبرانى فى الكبير (٢/ ١٠٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٦٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٧٠٩) كتاب المناقب.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٥٦).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٧٦٣) كتاب المناقب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٢٦).

(٦) رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه، وكذلك هو فى الاستيعاب، وقال الحافظ فى الفتح: أخرجه الحاكم والطبرانى عن ابن عباس، وإسناده جيد.

(٧) قال الحافظ في الفتح (٧/ ٩٦): أخرجه الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلم.

وقال عبد الله بن جعفر: قال لى رسول الله ﷺ : **«هنيئًا لك!! أبوك يطير مع الملائكة فى السماء»**(١).

وعن ابن عباس مرفوعًا: **«إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان عوضه الله من يديه»**(٢).

• الملائكة تغسل حنظلة:

لما أحسَّ حنظلة بحاجته إلى زوجة صالحة تعينه على أمر دينه ودنياه.

ذهب وتزوج (حنظلة) جميلة بنت عبد الله بن أُبى بن سلول. فأُدخلت فى الليلة التى فى صبيحتها كان قتال أُحد وكان قد استأذن رسول الله ﷺ أن يبيت عندها فأذن له. فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله ﷺ بأُحد ثم مال إلى جميلة فأجنب منها - جامعها - وكانت قد أرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه دخل بها. فقيل لها فى ذلك فقالت: رأيت كأن السماء قد فُرجت له فدخل فيها ثم أُطبقت، فقلت هذه الشهادة. وحملت بعبد الله ابن حنظلة.

وأخذ حنظلة سلاحه فلحق بالنبى ﷺ وهو يسوى الصفوف فلما انكشف المسلمون اعترض حنظلة لأبى سفيان بن حرب فضرب عرقوب فرسه فوقع أبو سفيان. فحمل رجل منهم على حنظلة فأنفذه بالرمح فقال رسول الله ﷺ : **«إنى رأيت الملائكة تُغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن فى صحاف الفضة»**(٣).

* **وفى رواية**: فقال رسول الله ﷺ : **«إن صاحبكم تغسله الملائكة فسألوا صاحبته عنه** - زوجته - فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جُنُب، فقال رسول الله ﷺ : **لذلك غسلته الملائكة»**(٤).

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٩٦): أخرجه الطبرانى بإسناد حسن.

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٩٦): وإسناد هذا جيد.

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٢٠٤) معرفة الصحابة مختصرًا.

(٤) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤) وإسناده حسن.

عليك بالكلام الطيب

وإن مما يُدخل السرور عليك وعلى كل من حولك أن تنتقى أطايب الكلام عندما تتكلم مع الناس . . . . فمن الناس من إذا أراد أن يتكلم فكأنما ينثر الورد والرياحين على من حوله فلا تسمع منه إلا الكلام الطيب الجميل. . . ومنهم من إذا أراد أن يتكلم فكأنما يرجم من حوله بالحجارة أو يرميهم بالمدافع والقنابل.

يقول عمر ﷺ: «والله لولا أن أجلس مع إخوة لى ينتقون أطايب القول، كما يُنتقى أطايب الثمر؛ لأحببت أن ألحق بالله الآن».

* ولذلك لما خرج عمر يومًا يعسُّ فى المدينة بالليل، فرأى نارًا موقدةً فى خِباء، فوقف وقال: «يا أهل الضوء» وكره أن يقول: يا أهل النار.

* **وسُئل العباس:** أنت أكبر أم رسول الله ﷺ ، فقال: هو أكبر منى، وأنا وُلدت قبله!

* **قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:**

وأصل هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾(1).

فالشيطان ينزغ بينهم إذا كلّم بعضهم بعضًا بغير التى هى أحسن، فرُبَّ حرب أهاجها القبيح من الكلام.

وفى الصحيحين من حديث سهل بن حنيف قال: قال رسول الله ﷺ : **«لا يقولنَّ أحدكم: خَبُثت نفسى، ولكن ليقل: لَقِسَت نفسى»**(2).

وخبثت، ولقست وغثت متقاربة المعنى. فكره رسول الله ﷺ لفظ «الخبث» لبشاعته، وأرشدهم إلى العدول إلى لفظٍ هو أحسن منه وإن كان

(1) سورة الإسراء: آية (٥٣).

(2) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٧٩، ٦١٨٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٢٥٠) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، من حديث عائشة ﷺ.

بمعناه، تعليمًا للأدب فى المنطق، وإرشادًا إلى استعمال الحسن وهجر القبيح من الأقوال، كما أرشدهم إلى ذلك فى الأخلاق والأفعال»[١].

احفظ لسانك

إن الكلمة لها قدر عظيم فى دين الله - جل وعلا - . . . فبكلمة واحدة يدخل الإنسان فى دين الله . . . وبكلمة يخرج من دين الله . . . وبكلمة تشيع روح المحبة بين الناس . . . وبكلمة تشتعل الحروب بين الشعوب . . . وبكلمة يستحل الرجل فرج المرأة . . . وبكلمة يحرم عليه فرجها . . . وبكلمة يهوى بها فى جهنم . . . وبكلمة يُرفع درجات فى الجنة . . .

ومن أجل ذلك قال ﷺ - كما فى الصحيحين -: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[٢].

*** قال الإمام النووى فى رياض الصالحين:**

وهذا الحديث صريح فى أنه ينبغى أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرًا وهو الذى ظهرت مصلحته، ومتى شك فى ظهور المصلحة، فلا يتكلم[٣].

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تُكفر اللسان، تقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك: فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا»[٤].

---

(١) الطرق الحكمية ص(٤٠، ٤١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) رياض الصالحين (ص: ٤٣٦).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٤/٢٤٠٧) فى الزهد/ باب: ما جاء فى حفظ اللسان، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥١) والمشكاة (٤٨٣٨) و«صحيح سنن الترمذى» (١٩٦٢).

* تُكَفِّرُ: أى تذل وتخضع له.

* فإنما نحن بك: أى مجازون بما يصدر عنك، فإن اعتدلت اعتدلنا.

* وعن أبى هريرة ﷺ أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب»(١).

* وعنه عن النبى ﷺ قال: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى جهنم»(٢).

* وعن أبى عبد الرحمن بلال بن الحارث المزنى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه»(٣).

* ومن أجل ذلك كان النبى ﷺ يوضح أن من أسباب النجاة من النار والفوز بالجنة حفظ اللسان.

* عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»(٤).

* وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»(٥).

قال الإمام النووى - رحمه الله -:

اعلم أنه ينبغى لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة، فالسنة

(١) متفق عليه: البخارى (٦٤٧٧) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٨٨) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبي هريرة ﷺ.
- معنى يتبين: يتفكر أنها خيرٌ أم لا.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٨) كتاب الرقاق، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣١٩) كتاب الزهد، من حديث بلال بن الحارث المزنى ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٨٨).

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٠٦) كتاب الزهد، من حديث عقبة بن عامر ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٣٩٢).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٦٤٧٤) كتاب الرقاق من حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ.
* ما بين لحييه: أى لسانه. ما بين رجليه: أى الفرج.

الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء[١].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى يرى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالاً، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب.

وكم ترى من رجلٍ متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفرى في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالى ما يقول.

وقد كان بعض السلف يحاسب نفسه في قوله: يوم حار، ويوم بارد. ولقد رؤى بعض الأكابر من أهل العلم في النوم بعد موته فسُئل عن حاله فقال: أنا موقوف على كلمة قلتها. قلت: ما أحوج الناس إلى غيث. فقيل لى: وما يدريك، وأنا أعلم بمصلحة عبادى.

وقال بعض الصحابة لخادمه يومًا: هات لى السفرة نعبث بها، ثم قال: أستغفر الله، ما أتكلم بكلمة إلا وأنا أخطمها وأزمّها، إلا هذه الكلمة خرجت منى بغير خطام ولا زمام. أو كما قال»[٢].

أخي!

عَوِّد لسانك قول الخير تحظ به
إن اللسان لما عودت معتادُ
موكل بتقاضى ما سَنَنت له
فاختر لنفسك وانظر كيف ترتادُ

* * *

(١) رياض الصالحين (ص: ٤٣٥).
(٢) الجواب الكافى (ص ٢١٦ - ٢٢٠).

هيا إلى بستان الإحسان إلى الناس

الجميل كاسمه، والمعروف كرسمه، والخير كطعمه. أول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الإسعاد، يجنون ثمرته عاجلاً في نفوسهم، وأخلاقهم، وضمائرهم، فيجدون الانشراح، والانبساط، والهدوء والسكينة.

فإذا طاف بك طائف من همٍّ أو ألمَّ بك غم فامنح غيرك معروفًا وأسدِ لهم جميلاً تجد الفرج والرَّاحة. أعط محرومًا، انصر مظلومًا، انقذ مكروبًا أطعم جائعًا، عُد مريضًا، أعن منكوبًا، تجد السعادة تغمرك من بين يديك ومن خلفك.

إن فعل الخير كالمسك ينفع حامله وبائعه ومشتريه، وعوائد الخير النفسيَّة عقاقير مباركة تُصرف في صيدلية الذين عمرت قلوبهم بالبر والإحسان.

إن توزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق صدقة جارية في عالم القيم «**ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»(١) وإن عبوس الوجه إعلان حرب ضروس على الآخرين لا يعلم قيامها إلا علام الغيوب.

شربة ماء من كف بغي لكلب عقور أثمرت دخول جنة عرضها السماوات والأرض؛ لأن صاحب الثواب غفور شكور جميل، يحب الجميل، غني حميد.

يا من تهددهم كوابيس الشقاء والفزع والخوف هلموا إلى بستان المعروف وتشاغلوا بالغير، عطاءً وضيافة ومواساة وإعانة وخدمة وستجدون السعادة طعمًا ولونًا وذوقًا ﴿**وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾(٢)(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) سورة الليل: آية (١٩ - ٢١).

(٣) ثلاثون سببًا للسعادة/ للشيخ عائض القرني (ص: ٢١، ٢٢).

لا تحزن ... وأحسن الظن بالناس

من كانت عادته سوء الظن بغيره، عاش تعيسًا قلقًا مضطربًا، لا يصفو له حال، ولا يخلُص له صديق، ولا تصان عنده زوجه، فالجميع لديه متهمون متآمرون عليه، متواطئون على الإضرار به، ثم إنه لا يُصدق إلا نفسه، ولا يثق فى أحدٍ من عباد الله، فالجميع لديه مجروحون وليس هناك عدل إلا نفسه، وهذا عين الحمق وغاية السخف، وقد نهى النبى ﷺ عن سوء الظن فقال: **«إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث»**(١).

وأمر الله تعالى باجتناب كثير من الظنون فقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾**(٢).

فالعاقل يحترز من الناس ولا يسىء الظن بمن لم تظهر منه عداوة أو شحناء فى دين أو دنيا، ففى ذلك راحة له من عناء سوء الظن وإثم اتهام الآخرين بغير حق.

قال الشاعر:

ما يستريح المسىء ظنًّا ... من طول غم وما يريح

وقلَّ وجهٌ يضيق إلا ... ودونه مذهبٌ فسيح

من خفف الله عنه هبت ... من كل وجه إليه ريح

لن يهلك المرء من سماح ... وقلما يفلح الشحيح

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥١٤٤) كتاب النكاح، ومسلم (١٤١٣) كتاب النكاح، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الحجرات: آية (١٢).

وانظر إلى حسن ظن بعض السلف بإخوانهم، فقد قالت زوجة طلحة ابن عبد الله بن عوف لزوجها: ما رأيت أحدًا قط ألأم من أصحابك.

قال: مه، لا تقولى ذاك فيهم. وما رأيت من لؤمهم؟

قالت: أمرًا والله بيِّنًا.

قال: وما هو؟

قالت: إذا أيسرتَ لزموك، وإذا أعسرت جانبوك.

قال: ما زدت على أن وصفتهم بمكارم الأخلاق.

قالت: وما هذا من مكارم الأخلاق؟

قال: يأتوننا فى حال القوة مِنًّا عليهم، ويفارقوننا فى حال الضعف منا عليهم(١). فأحسِن الظن تسعد...

نصيحتى لك

ونصيحتى لك: أن تجعل الرسول ﷺ أسوتك وقدوتك فلقد كان النبى ﷺ منشرح الصدر راضيًا متفائلاً فى السراء والضراء لا يعرف اليأس إليه طريقًا ... كان ينهى عن المشقة والتكلف واليأس والقنوط ... ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾(٢).

- فلو جعلته أسوتك وقدوتك فلن تحزن على فوات دنيا ولا فقد مال ولا جاه وإنما سيكون جُل حزنك على فوات الطاعة أو الوقوع فى المعصية أو ضياع ساعة فى غير ذكر الله - جل وعلا-.

* * *

(١) روضة العقلاء (ص: ٢١٧).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٥٧).

الصبر مفتاح الفرج

إن الله - سبحانه وتعالى- جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجُندًا لا يُهزم وحصنًا حصينًا لا يُثلم.

قال ﷺ: «ما أُعطى أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»(١).

ولقد ذكر الله الصبر فى القرآن فى نحو من تسعين موضعًا فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

لذا قال الإمام ابن تيمية: بالصبر واليقين تُنال الإمامة فى الدين.

وقال -عز وجل-: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣).

* قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «قد ذكر الله الصبر فى كتابه فى أكثر من تسعين موضعًا. وقرنه بالصلاة فى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٤)، وجعل الإمامة فى الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٥). فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لا بد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر. كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشيةٌ، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يُعرف الله ويُعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم للناس قادة وأئمةً يهتدون بهم وينتمون إلى رأيهم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٣) كتاب الزكاة، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) سورة السجدة : آية (٢٤).

(٣) سورة الزمر: آية (١٠).

(٤) سورة البقرة: آية (٤٥).

(٥) سورة السجدة: آية (٢٤).

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغيُّ. فالضلال العمل بغير علم، والغى اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾(١) فلا يُنال الهدى إلا بالعلم ولا يُنال الرشاد إلا بالصبر. ولهذا قال على: «ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد، ثم رفع صوته فقال ألا لا إيمان لمن لا صبر له»(٢).

يُحكى عن أنوشروان أنه قال: جميع المكاره فى الدنيا، تنقسم على ضربين: فضرب فيه حيلة، فالاضطراب دواؤه، وضربٌ لا حيلة فيه، فالاصطبار شفاؤه.

وكان يقال: من اتَّبع الصبرَ، اتَّبعه النصرُ.

روى الأصمعى عن أعرابى أنه قال: خف الشر من موضع الخير، وارجُ الخير من موضع الشَّرِّ، فرُبَّ حياةٍ سببُها طلب الموت، وموتٍ سببه طلب الحياة، وأكثر ما يأتى الأمن من ناحية الخوف.

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نَم فالحوادث كلهن أمان

* عن عمر رضي الله عنه قال: «وجدنا خير عيشنا الصبر»(٣).

* قال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «الصبر مطية لا تكبو»(٤).

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله»(٥).

---

(١) سورة النجم: آية (١، ٢).

(٢) البصائر (٣/ ٣٧٦).

(٣) الدر المنثور (١/ ١٦٣).

(٤) عدة الصابرين لابن القيم (١٧).

(٥) الزهد لوكيع بن الجراح (٢/ ٤٥٦) وقال محققه: رجاله ثقات وقد صح وقفه.

* **وقال أبو على الدقاق:** «فاز الصابرون بعز الدارين. لأنهم نالوا من الله معيته فإن الله مع الصابرين»(١).

* **وقيل:** الصبر لله غناء، وبالله تعالى بقاء، وفى الله بلاءٌ، ومع الله وفاء، وعن الله جفاء، والصبر على الطلب عنوان الظفر وفى المحن عنوان الفرج.

قال ابن تيمية: ذكر الله تعالى فى كتابه: «الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل».

الصبر الجميل: «هو الذى لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل: هو الذى لا عتاب معه والهجر الجميل: هو الذى لا أذى معه»(٢).

«الصبر إذا قام به العبد كما ينبغى، انقلبت المحنة فى حقه منحة، واستحالت البليَّة عطيَّة، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليُهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية فى الضراء، كما له عبودية فى السراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب، وأكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبُّونه، والشأن فى إعطاء العبودية فى المكاره، ففيه تفاوت مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى».

ترك المعاتبة من المروءة

إن أردت أن تكون محبوبًا لدى الناس فاعف عنهم واترك معاتبتهم قدر استطاعتك فإن الناس لا يحبون من يعاتبهم أو يوبخهم.

* وتأمل معى كيف أنه لما حدثت هفوة يسيرة بين ابن السماك - واعظ هارون الرشيد - وبين صديقٍ له فقال له هذا الصديق: الميعاد بينى وبينك غدًا نتعاتب.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٦٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٦٧).

فقال له ابن السماك: بل بينى وبينك غدًا نتغافر!

وهو جواب يأخذ بمجامع القلوب، ملؤه فقه وواقعية، يشير إلى وجود قلب وراء هذا اللسان يلدغه واقع المسلمين، وتؤلمه أسباب تفرقهم.

فلماذا التعاتب المكفهر بين الإخوة؟ كل منهم يطلب من صاحبه أن يكون معصومًا!

أليس التغافر أولى وأطهر وأبرد للقلب؟

أليس جمال الحياة أن تقول لأخيك كلما صافحته: رب اغفر لى ولأخى، ثم تضمر فى قلبك أنك قد غفرت له تقصيره تجاهك؟

أو ليس عبوس التعاتب تعكيرًا تصطاد الفتن فيه كيف تشاء؟

بلى والله . . .

وما أحسن قول الشاعر:

من اليوم تعارفنا
ونطوى ما جرى منا
فلا كان ولا صار
ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولا بد
من العتبى فبالحسنى

ثم يأبى إلا أن يزيد مرحه - مع إخوانه - فيبدّل نغمته قائلاً:

تعالوا بنا نطوى الحديث الذى جرى
ولا سمع الواشى بذاك ولا درى
تعالوا بنا حتى نعود إلى الرضا
وحتى كأن العهد لم يتغيّرا
لقد طال شرح القال والقيل بيننا
عفا الله عن ذاك العتاب الذى جرى

ثم يبدل نغمته ثالثة، ويتملّق أصحابه؛ ليديم محبة أخويَّة لذيذة قد ذاق طعمها الفريد، فيقول:

تعالوا نخلِّ العتبَ عنا ونصطلح
وعودوا بنا للوصل فالعود أحمدُ
ولا تخدشوا بالعتب وجه محبة
له بهجة أنوارها تتوقَّدُ(١)

لا تتجاهل الآخرين

وإذا أردت أن تفوز بمحبة الناس أكثر وأكثر فلا تتجاهل واحداً منهم. بل عليك أن تحرص كل الحرص على أن تحترم الناس من حولك وأن تعترف بفضلهم ومكانتهم ومواهبهم.

فبقدر احترامك للناس واهتمامك بهم واعترافك بفضلهم تجد الاحترام والاهتمام والاعتراف بك.

وبقدر التجاهل والتحقير من شأن الناس تجد منهم التجاهل والتحقير من شأنك.

- وهل هناك عاقل يزعم أن الناس يحبون من يتجاهلهم أو يهينهم؟!
- وهل هناك من يعتقد أن الناس يمدحون من يذمهم؟!

* أخي الحبيب: إذا أردت السعادة فاحرص على إسعاد الناس من حولك فبقدر حرصك على إسعادهم سيحرصون على إسعادك . . . وبقدر اعترافك بفضلهم سيعترفون بفضلك.

* * *

(١) انظر العوائق (ص: ١٢٩ - ١٣١).

إياك أن تتبع عورات المسلمين

وحتى لا تحزن فإياك، إياك أن تتبع عورات المسلمين فإن عاقبة ذلك وخيمة. . . وتأمل معى قول النبى ﷺ:

قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته**»(١).

والجزاء من جنس العمل.

أخى: حاسب نفسك لنفسك، فإن غيرها من الأنفس عليها حسيب غيرك.

وقال ابن عباس: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

وقال أبو هريرة: يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه، ولا يبصر الجذع فى عين نفسه، وكيف يعيب العورَ مَنْ هو أعور؟!

قال شيخ الإسلام الأنصارى: وكل معصية عيّرت بها أخاك فهى إليك.

قال ابن قيم الجوزية: يحتمل أن يريد به: أنها صائرة إليك ولا بد أن تعملها.

إن تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه، وأشد من معصيته، لما فيه من صَوْلة الطاعة، وتزكية النفس، وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب. وإن أخاك باء به، ولعل كَسْرَته بذنبه، وما أحدث له من الذلة والخضوع والإزراء على نفسه، والتخلص من مرض الدعوى، والكبر والعجب، ووقوفه بين يدى الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب أنفع له، وخير من صولة طاعتك، وتكثرك بها والاعتداد بها، والمنة

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٣٢) كتاب البر والصلة، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٨٥).

على الله وخلقه بها ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواءً استخرج به داءً قاتلاً هو فيك ولا تشعر(١).

وقد بلغ بالسلف توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزًا فضحكت منه؛ لخشيت أن أصنع مثل الذى صنع(٢).

وعن عبد الله بن مسعود: البلاء مُوكل بالقول؛ لو سخرت من كلب لخشيت أن أُحوَّل كلبًا.

وقال بكر بن عبد الله المزنى: إذا أردت أن تنظر العيوب جمة فتأمل عيّابًا، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب، وقيل: من سعادة المرء أن يشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره.

قال الشاعر:

المرء إن كان عاقلاً ورعًا
أشغله عن عيوبه ورعُه
كما السقيم المريض يشغله
عن وجع الناس كلهم وجعُه

وقال آخر:

لا تكشفن مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترًا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذُكروا
ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا(٣)

قال الذهبى:

حُبس محمد بن سيرين بدَين ركبه. قال المدائنى: كان سبب حبسه أنه

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ص١٧٦، ١٧٧).

(٢) والعامة تقول فى أمثالها: من عير أخاه بلبن الكلبة، لا يموت إلا إذا رضعها.

(٣) تفسير القرطبى (٩/ ٦١٤٥، ٦١٤٧، ٦١٤٨).

أخذ زيتًا بأربعين ألف درهم، فوجد في زقٍّ منه فأرة، فظن أنها وقعت في المعصرة، وصب الزيت كله. وكان يقول: إني ابتُليت بذنب أذنبته منذ ثلاثين سنة. قال: فكانوا يظنون أنه عيَّر رجلاً بفقر(١).

وعن ابن سيرين قال: قلت مرة لرجل: يا مفلس، فعوقبت(٢).

سمع أعرابي رجلاً يقع في الناس، فقال: قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن الطالب لها يطلبها بقدر ما فيه منها.

كان يقال: ظُلمٌ منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه.

قال أبو عاصم النبيل: لا يذكر الناس بما يكرهون إلا سفلة لا دين لهم(٣)(٤).

اصمت لحظة ولا تسترسل في الصراخ

ما من شك أنك قد شاهدت بعض المشاجرات بين زوجين أو بين الجيران، أو بين أفراد العائلة. فالأم تصرخ على أولادها، والأولاد يصرخون سرورًا، والأب يصرخ على الجميع، فإذا رأيت الصراخ يتعالى من جميع المحيطين بك، وتأكدت أن المحادثة تحولت إلى صراخ وخصومة، فاقترح بهدوء أن يصمت الجميع بدلاً من الاسترسال في الصراخ، وسترى مفعول هذه الدقيقة من الصمت، إنه مفعول عظيمٌ.

أما إذا استطعت أن تحول الصمت إلى ابتسام، فتكون قد بلغت غاية النجاح(٥).

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٦)، الحلية (٢/ ٢٧١).
(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (١/ ٣٩٩، ٤٠٠).
(٤) الجزاء من جنس العمل/ د. سيد حسين (٢/ ٢٨٧ - ٢٩٠) بتصرف شديد.
(٥) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٥٠، ٥١).

فاصبر صبرًا جميلاً

قال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾(١) وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً﴾(٢) فالبلاء قد حلَّ والمصيبة قد وقعت فلماذا الاعتراض والتسخُّط على القضاء والقدر؟!!!

- إنه الصبر الجميل الذى لا جزع فيه ولا شكوى.

التحلِّى بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة صدر وبقوة إرادة وبمناعة أبيَّة. وإن لم أصبر أنا وأنت فماذا نصنع؟!

هل عندك حل لنا غير الصبر؟ هل تعلم لنا زادًا غيره؟

كان أحد العظماء مسرحًا تركض فيه المصائب وميدانًا تتسابق فيه النكبات كلما خرج من كربة زارته كربة أخرى، وهو متترس بالصبر، متدرّع بالثقة بالله.

هكذا يفعل النبلاء، يُصارعون المُلمّات ويطرحون النكبات أرضًا.

دخلوا على أبى بكر وهو مريض، قالوا: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب قد رآنى. قالوا: فماذا قال؟ قال: يقول: إنى فعال لما أريد.

واصبر وما صبرك إلا بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب فى تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمّت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً.

قرأت سير عظماء مروا فى هذه الدنيا وذُهلت لعظيم صبرهم وقوة احتمالهم، كانت المصائب تقع على رؤوسهم كأنها قطرات ماء باردة، وهم فى ثبات الجبال، وفى رسوخ الحق، فما هو إلا وقت قصير فتشرق

(١) سورة يوسف: آية (١٨).

(٢) سورة المعارج: آية (٥).

وجوههم على طلائع فجر الفرج، وفرحة الفتح، وعصر النصر. وأحدهم ما اكتفى بالصبر وحده، بل نازل الكوارث، وصاح فى وجه المصائب متحديًّا[١].

إنه جمال النفس المطمئنة الراضية عن الله -عزَّ وجلَّ- . . التى تعلم أنه ليس لها من الأمر شىء. . وأن الأمر كله بيد الله . . فهو سبحانه مالك كل شىء، وما سواه فهو مملوك له، وليس للمملوك أن يعترض على المالك. . فصبرت واستراحت من عناء الجزع والحزن وضيق الصدر . . وقالت: ليفعل بى ما شاء فأنا تحت تصرفه وطوع إرادته. . هكذا كان الصبر جميلاً على ما فيه من مرارة وألم[٢].

قال عمر رضي الله عنه: «بالصبر أدركنا حسن العيش».

لأهل السنة عند المصائب ثلاثة فنون: الصبر، والدعاء، وانتظار الفرج.

* **وأنشد أبو يعلى الموصلى:**

إنى رأيت وفى الأيام تجربة
للصبر عاقبةً محمودة الأثر
وقلَّ من جدَّ فى شىءٍ يحاوله
فاستصحَب الصبر إلا فاز بالظفر

عليك بالنشاط والحركة

أثبتت الدراسات أن أكثر الناس عُرضة للاكتئاب والحزن هم الذين يجلسون دائما ولا يتحركون من أماكنهم وكذلك الذين يعتمدون فى عملهم على الجهد الذهنى والعقلى.

- ولذلك فإننا نجد فى المقابل أن أهل الأعمال اليدوية التى تعتمد على

(١) لا تحزن (ص: ٤٣، ٤٤).

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٢٣٠).

الجهد البـدنى هم أكثر الناس راحة وسعـادة وذلك لأنهم لا يرهقون عقلهم بكثرة التفكير ومن ثَمَّ فـهم يتمتعون بالصحة والعافيـة وقوة الأجسام بسبب كثرة النشاط والحركة.

- ومن ثَمَّ فإن لم تكن من أهل الحـرف اليدوية فعليك أن تُكثـر من النشاط والحركـة وذلك من خلال ممارسة أى نوع من أنواع الرياضـة المباحة لتـعود إليك الصحة والنشاط ونضارة الوجه فإن ذلك كله يُدخل على قلبك السعادة والسرور.

كان حكماء الـيونان إذا أرادوا معالجة المصـاب بالأوهام والقلق والأمراض النفسية: يجبرونه على العمل فى الفلاحـة والبساتين، فما يمرُّ وقتٌ قصير إلا وقد عادت إليه عافيته وطمأنيته، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾[1]، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾[2].

البركة فى البكور

* قال ﷺ: «اللهم بارك لأمتى فى بكورها»[3].

أخـذ الإمـام النووى من هذا الحـديث أن أفـضل وقت وأبركـه لعـمل الصـالحات أول النهـار، كمن لديه ورد من الذكـر، أو حزب من القـرآن، وحفظ شيء من العلم، أو التأليف، أو طلب الرزق، أو السفر، أو العمل، أو الفلاحة، ووجوه الكسب وهذا معلوم بالتجربة، ثابت بالاستقراء، محبذ بالشرع، محبب إلى النفس. فإن البكور انطلاق، فيه يتنفس الفجر، ويزول الهم، ويهب النسيم، ويبزغ النور، وتغدو الطيـور، وتتفتح الزهور، ويشدو الحمام، وتعود الحياة، وتهب الحركة.

(١) سورة الملك: آية (١٥).

(٢) سورة التوبة: آية (١٠٥).

(٣) صحـيح: رواه أبو داود (٢٦٠٦) كـتاب الجهـاد، والتـرمذى (١٢١٢) كتـاب البيـوع، وابن مـاجه (٢٢٣٦) التجـارات، وأحمـد (١٥٠١٢)، من حديث صـخر الغامـدى رضي الله عنه، وصحـحه العـلامة الألبانى رحمه الله فى صـحيح الجامع (١٣٠٠) وقال الترمذى: وفى البـاب: عن على وابن مسعود وبريدة وأنس وابن عمر وابن عباس وجابر رضي الله عنهم.

فمن أراد إحراز تقدم فى علم أو عمل أو كسب أو تجارة أو صناعة أو تأليف فالصباح الصباح؛ لأن الفكر مستجمع، والخاطر مرتاح والنفس نشيطة، والجسم مهيأ. وساعة بعد الفجر أفضل وأبرك وأسعد من ساعات فى غيره، ولو لم يحصل للعامل إلا بركة دعاء الرسول ﷺ بقوله: **«اللهم بارك لأمتى فى بكورها»** لكفى بها خيرًا وفضلاً وبركة(١).

توكل على الله حتى لا تحزن

من أراد سعادة الدنيا والآخرة فليتوكل على الله..

والتوكل: هو الثقة بالله عزَّ وجلَّ.

التوكل: هو التسليم لأمر الرب وقضائه.

التوكل: هو التعلق بالله فى كل حال.

التوكل: هو الرضا عن الله تعالى.

التوكل: هو طمأنينة القلب بموعود الله.

التوكل: هو اليأس من الخلق والاعتماد على الله وحده فالتوكل محض الإيمان؛ لأنه فريضة على العباد، ولا يكون الإيمان إلا بتوكل، والتوكل يزيد وينقص، كما أن الإيمان يزيد وينقص، والناس يتفاضلون فى التوكل والإيمان على قدر اليقين.

التوكل: هو السبيل إلى حياة هادئة مطمئنة سعيدة.

التوكل: هو الباب المؤدى إلى ذهاب الخوف وانقطاع الأحزان.

المتوكل الصادق فى توكله: لا يخضع قلبه لمخلوق؛ لأن قلبه مملوء بالثقة بالله.

المتوكل الصادق فى توكله: لا يخشى مخلوقًا؛ لأن المخلوقين عنده لا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا، فكيف يملكونه لغيرهم؟!

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٢٩١).

المتوكل الصادق فى توكله: لا يحرص على الدنيا، قانع بما قُسم له؛ لأنه يعلم أن الحرص لا يعطى ولا يمنع.

المتوكل الصادق فى توكله: استغنى بالمعطى المانع عمن ليس بمعطٍ ولا مانع.

المتوكل الصادق فى توكله: مطمئن النفس، سليم الصدر، ثابت القلب؛ لأنه ليس لمخلوق فى قلبه خطر.

المتوكل الصادق فى توكله: يؤثر الصدق حيث يضره، على الكذب حيث ينفعه.

ثمرات التوكل

* حصول الإيمان؛ لقوله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(١).

* حصول التوفيق؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾(٢).

* النجاة من فتنة الشيطان؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾(٣).

* محبة الله -عزَّ وجلَّ-؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾(٤).

* الكفاية من كل وجه؛ لقوله تعالى: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾(٦) أى: كافيه.

* حصول الثبات؛ لقوله تعالى: ﴿**قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا**

---

(١) سورة المائدة: آية (٢٣).

(٢) سورة هود: آية (٨٨).

(٣) سورة النحل: آية (٩٩).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٥٩).

(٥) سورة الأحزاب: آية (٣).

(٦) سورة الطلاق: آية (٣).

وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١).

* حصول النصر والتمكين؛ لقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

* يورث السلامة من كل سوء؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾(٣).

* يجلب الرزق من حيث لا يحتسب المرء؛ لحديث الطير: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»(٤).

* يورث الثقة بالله -عز وجل-، ولذلك ذُكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: التوكل: هو الثقة بالله -عز وجل-.

* يورث الصبر على المكاره، ولذلك قرن الله بين الصبر والتوكل في غير آية، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٥).

* **التوكل يُذهب التشاؤم:**

فعن ابن مسعود رضي الله عنه **قال:** قال نبى الله صلى الله عليه وسلم: **«الطيرة من الشرك، ولكن الله يذهبها بالتوكل»**(٦).

* **التوكل من أسباب دخول الجنة بغير حساب:**

فعن عمران بن حصين رضي الله عنه **قال:** قال نبى الله صلى الله عليه وسلم: **«يدخل الجنة من أمتى**

---

(١) سورة التوبة: آية (٥١).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٦٠).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٧٣، ١٧٤).

(٤) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٣٤٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٦٤) كتاب الزهد، وأحمد (٢٠٥)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٠).

(٥) سورة النحل: آية (٤٢).

(٦) **صحيح:** رواه أبو داود (٣٩١٠) كتاب الطب، والترمذى (١٦١٤) كتاب السير، وابن ماجه (٣٥٣٨) كتاب الطب، وأحمد (٣٦٧٩)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٢٩).

الطيرة: التشاؤم الذى يصدُّ صاحبه عن العمل.

سبعون ألفًا بغير حساب».

قالوا: ومن هم يا رسول الله؟

قال: «هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون».

فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم.

قال: «أنت منهم».

فقام رجل فقال: يا نبى الله، ادع الله أن يجعلنى منهم.

قال: «سبقك بها عكاشة»(١).

الوصايا الغالية

وإليك - أيها الأخ الحبيب - تلك الوصايا الغالية:

* ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.
* ضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يجيئك منه ما يغلبك.
* ولا تَظُنَّنَّ بكلمة خرجت من مسلم شرًّا، وأنت تجد لها فى الخير محملاً.
* ومن كتم سرَّه كانت الخيرةُ بيده.
* ومن عرّض نفسه للتهمة، فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ.
* وعليك بإخوان الصدق، تعِش فى أكنافهم، فإنهم زينةٌ فى الرخاء، وعدةٌ فى البلاء.
* ولا تهاونوا بالحلف بالله عزَّ وجلَّ، فيهينكم الله.
* ولا تسأل عما لم يكن، فإن فيما قد كان شغلاً عما لم يكن.
* ولا تعرض لما لا يعنيك.
* وعليك بالصدق وإن قتلك الصدق.
* ولا تطلب حاجتك إلى من لا يحب نجاحها لك.
* واعتزل عدوّك.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٧٠٥) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

* واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشى الله.
* ولا تصحب الفجَّار، فتعلَّم من فجورهم.
* وذلّ عند الطاعة.
* واستعصم عند المعصية.
* وتخشَّع عند القبور.
* واستشر فى أمرك الذين يخشون الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(١)(٢).

خفْ ممن لم يجد له عليك ناصراً إلا الله

إننا نعيش فى زمن لو أردنا أن نُطلق عليه اسمًا لم نجد له إلا اسمًا واحدًا: (زمن المظالم) ... كثرت فيه المظالم بشكل عجيب لا يخطر على قلب بشر ... وكل هذا من أجل الدرهم والدينار والمنصب والجاه والدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

* إن الظلم مرتعه وخيم ... وعاقبته مؤلمة ... ونهايته مدمرة.
* وحسبك أن الملك الجبار - جل وعلا - هو الذى تكفل بنصرة المظلوم فهل تستطيع أن تكون خصمًا لفاطر السماوات والأرض - جل جلاله -؟!

قال ﷺ: **«اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحملُ على الغمام، يقول الله: وعزَّتى وجلالى لأنصرنكِ ولو بعد حين»**(٣).

وقال ﷺ: **«اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»**(٤).

---

(١) سورة فاطر: آية (٢٨).

(٢) المختار من فرائد النقول والأخبار (١/ ٧٤ - ٧٦).

(٣) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٤/ ٨٤)، من حديث خزيمة بن ثابت ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧).

(٤) صحيح: رواه الحاكم، من حديث ابن عمر ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٨).

وقال ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنهُ ليس دونها حجابٌ»(١).

*وهناك أمثلة محفورة فى العقول لا ننساها أبدًا من صور الظلم وعاقبة الظالمين.

*فهذا أبو جهل الذى كان من أعدى أعداء النبى ﷺ ولطالما دبر المؤامرات تلو المؤامرات لقتل النبى ﷺ . . . انظر معى وتأمل كيف كانت عاقبته.

روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف قال: إنى لفى الصف يوم بدر، إذ التفتُّ فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان حديثا السن، فكأنى لم آمن لمكانهما إذ قال لى أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم، أرنى أبا جهل، فقلت: يا ابن أخى، ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله، أو أموت دونه وقال لى الآخر سرًّا من صاحبه مثله. قال: فما سرنى أننى بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين، حتى ضرباه وهما ابنا عفراء.

وفى الصحيحين أيضًا: من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟». قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله. فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد. قال: فأخذ بلحيته، قال: فقلت: أنت أبو جهل(٢)؟ فقال: وهل فوق رجل قتلتموه، أو قال: قتله قومه.

*وهذا أبو لهب - عم النبى ﷺ - الذى كان من أشد الناس إيذاءً للنبى ﷺ.

* لقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له، والازدراء به. والتنقص له ولدينه.

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

(٢) قال الحافظ فى الفتح (٧/٣٤٢): والتقدير: أنت المقتول يا أبا جهل؟ وخاطبه بذلك مقرِّعًا له ومستشفيًا منه؛ لأنه كان يؤذيه بمكة أشد الأذى.

وانظر إلى نموذج من نماذج كيد أبى لهب لدعوة الرسول ﷺ، التى عاداها من اليوم الأول للدعوة.

روى الإمام أحمد، عن ربيعة بن عبّاد من بنى الديل - وكان جاهليًّا فأسلم - قال: رأيت النبى ﷺ فى الجاهلية، فى سوق ذى المجاز وهو يقول: «**يأيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**». والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب. يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه فقالوا: هذا عمه أبو لهب[(١)].

- فتأمل معى كيف كان جزاء أبى لهب - عليه من الله ما يستحق.

قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة فقتلته. فلقد تركه ابناه بعد موته ثلاثًا، ما دفناه حتى أنتن، وكانت قريش تتقى هذه العدسة، كما تتقى الطاعون، حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما، ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا تدفنانه؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة. فقال: انطلقا فأنا أعينكما عليه، فوالله ما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد، ما يدنون منه، ثم احتملوه إلى أعلى مكة، فأسندوه إلى جدارٍ، ثم رخموا عليه بالحجارة.

*وهذا عقبة بن أبى معيط، هذا الشّقى الذى آذى رسول الله ﷺ، وانفرد بما لم يفعله أحد، ووضع رجله على عنق أطهر الخلق رسول الله ﷺ، فقُطعت عنقه جزاء وفاقًا.

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبى قال: لما أمر النبى ﷺ بقتل عقبة قال: أتقتلنى يا محمد، من بين قريش؟ قال: «**نعم، أتدرون ما صنع هذا بى، جاء وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينّى ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسى وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسى**».

(١) صحيح: رواه أحمد (١٥٥٩٣) ومواضع، من حديث ربيعة بن عباد رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح السيرة النبوية ص (١٤٣).

وذهب عقبة إلى مزبلة التاريخ، وأُطيح بعنقه جزاء كفره وعناده وحسده للإسلام ورسوله ﷺ.

* وهذا عامر بن الطفيل يكيد للرسول ﷺ، ويحاول اغتياله، فيدعو عليه ﷺ، فيبتليه الله بغدّةٍ في نحره، فيموت لساعته، وهو يصرخ من الألم.

* وأربد بن قيس يؤذي رسول الله ﷺ، ويسعى في تدبير قتله، فيدعو عليه، فيُنزل الله عليه صاعقةً تحرقه هو وبعيره.

* واختفى سفيان الثوري خوفًا من أبي جعفر المنصور، وخرج أبو جعفر يريد الحرم المكِّيَّ وسفيان داخل الحرم، فقام سفيان وأخذ بأستار الكعبة، ودعا الله عز وجل أن لا يُدخِل أبا جعفر بيته، فمات أبو جعفر عند بئر ميمون قبل دخوله مكة.

* وقبل أن يَقتُل الحجاجُ سعيدَ بن جبير بوقتٍ قصير، دعا عليه سعيدٌ وقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي. فأصاب الحجاجَ خُراجٌ في يده، ثم انتشر في جسمه، فأخذ يخور كما يخور الثور، ثم مات في حالةٍ مؤسفة.

* وأحمد بن أبي دؤاد القاضي المعتزلي يُشارك في إيذاء الإمام أحمدَ بن حنبل فيدعو عليهم فيُصيبه الله بمرض الفالج فكان يقول: أمَّا نصف جسمي، فلو وقع عليه الذباب، لظننت أن القيامة قامت، وأمَّا النصف الآخر، فلو قُرِض بالمقاريض ما أحسستُ.

* ويدعو أحمد بن حنبل أيضًا على ابن الزَّيَّات الوزير، فيسلط الله عليه من أخذه، وجعله في فرن من نار، وضرب المساميرَ في رأسه.

* * *

العمر الطويل

قد يعيش الإنسان مرة واحدة وقد يعيش مرات ومرات بالذكر الجميل الذى يجعله الله له بين العالمين.

* ولقد طلب خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام- من الله أن يجعل له لسان صدق فى الآخرين: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾(١). أى اجعل لى ذكراً جميلاً بعدى أُذكر به ويُقتدى به فى الخير ... كما قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(٢).

* فهنيئًا لمن خلَّد الله له فى قلوب الناس الذكر الجميل والثناء بكرمه وبذله وحُسن صنيعه.

* **ومن أطرف ما قرأت أن عمر سأل أبناء هرِم بن سنان:** ماذا أعطاكم زهير، وماذا أعطيتموه؟ قالوا: مَدَحنا، وأعطيناه مالاً. قال عمر: ذهب والله ما أعطيتموه، وبقى ما أعطاكم.

لذة الدنيا شرف العلم

إن العلم يُدخل البهجة والسرور على قلب العبد.

ذكر ابن حزم فى «مُداواة النفوس» أن من فوائد العلم: نفى الوسواس عن النفس، وطرد الهموم والغموم والأحزان.

* ومن جرب فإنه يعلم صدق هذه المقولة... «فإن من أحب العلم وفرغ له وقته وحياته وعمل به فإنه ينتفع به ويسعد به وينفع كل من حوله».

* **قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:**

لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، واللذة فيها شرف العلم وزهرة

(١) سورة الشعراء: آية (٨٤).

(٢) سورة الصافات: آية (١٠٨، ١٠٩).

العفة وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الأفضال على الخلق.

فأما الالتذاذ بالمطعم والمنكح فشغل جاهل باللذة؛ لأن ذاك لا يراد لنفسه، بل لإقامة العوض فى البدن والولد.

قال على بن أبى طالب ﷺ: «بُنيت الفتنة على ثلاث: النساء وهن فخ إبليس المنصوب، والشراب وهو سيفه المرهف، والدينار والدرهم، وهما سهماه المسمومان».

فمن مال إلى النساء لم يَصْفُ له عيش. ومَن أحب الشراب لم يُمتع بعقله. ومَن أحب الدينار والدرهم كان عبدًا لهما ما عاش[1].

* يقول الإمام ابن تيمية: «ابتدأنى مرضٌ، فقال لى الطبيب: إن مطالعتك وكلامك فى العلم يزيد المرض. فقلت له: لا أصبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النَّفس إذا فرحت وسُرَّت قويت الطبيعة، فدفعت المرض؟ فقال: بلى. فقلت له: فإن نفسى تُسرُّ بالعلم، فتقوى به الطبيعة، فأجدُ راحة... فقال: هذا خارج عن علاجنا».

صبر العلماء

الصبر على طول الطريق ومشقة السير، وسرور النفس، من صفات الصالحين.

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولن يحصل خير فى العاجلة والآجلة إلا بالصبر ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[2] إذا دعتك النفس إلى طيب الكرى، ولذة النعاس وراحة الفراش فاصبر على مجاهدة النوم ومغالبة الليل، فقد لاح الصبح، وانفجر الفجر، ودلف الضوء على التلال.

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٨٠، ٢٨١).

(٢) سورة الرعد: آية (٢٤).

إذا دعاك جليس عاذل وصاحب مماطل إلى ترك الاشتغال بالعلم، وهجر الدفاتر، فاصبر على المصابرة، واعكف على المرابطة، وسوف يبين لك الربح من الخسران إذا وُضع الميزان، وبان النقص من الرُّجحان.

إنما قعد من قعد عن المكارم؛ لأن نفسه مثقلة بديون الأرض، وعلائق التراب، وحب العيش، وطول الأمل وسكارى الهوى:

استفق يا ناعس الطرف فقد

فاتك الركب وقد ضاق الزمن[1]

كان أبو يوسف صاحب الإمام أبى حنيفة يتعلم العلم على فقرٍ وشدة، فقد كانت أمه تحتال له فيما يتقوَّته يومًا بيوم، على أن يتفرغ هو لطلب العلم.

وذات يوم طلب منها ما يأكله، فجاءت إليه بصَحْفَةٍ مغطاة، فكشفها فإذا فيها دفاتر.

فقال لها: ما هذا؟!

فقالت: هذا الذى أنت مشتغلٌ به نهارك أجمع، فكل منه.

فبكى وبات جائعًا، وتأخر عن مجلس الإمام أبى حنيفة من الغد، حتى وجد ما يأكله، ثم مضى إلى أبى حنيفة.

فسأله عن سبب تأخره فقص عليه قصته وأنه بات جائعًا!!

فقال له الإمام: ألا عرَّفتنى فكنت أمدّك؟ ولا يجب أن تغتم، فإنه إن طال عمرك، فستأكل اللوزينج[2] بالفستق!

قال: فلما خدمت هارون الرشيد واختصصت به، قُدِّم بحضرته يومًا جام فيه لوزينج بفستق. فدعانى إليه، فحين أكلت منه ذكرت أبا حنيفة، فبكيت، وحمدت الله تعالى، فسألنى الرشيد عن قصتى فأخبرته[3].

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٢٨٥، ٢٨٦).

(٢) اللوزينج: حلوى لا يأكلها إلا الملوك وأهل الثراء فى ذاك العصر.

(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخى (٢/ ٣٨٧).

أرحنا بها يا بلال

ومن أسباب السكينة النفسية التى حُرمها الماديون، ونَعِم بها المؤمنون، ما يُناجى به ربه كل يوم من صلاة ودعاء.

فالصلاة لحظات ارتقاء روحى يفرغ المرء فيها من شواغله فى دنياه؛ ليقف بين يدى ربه ومولاه ويُثنى عليه بما هو أهله، ويُفضى إليه بذات نفسه: داعيًا راغبًا ضارعًا.

وفى الاتصال بالله العلى الكبير قوة للنفس، ومدد للعزيمة، وطمأنينة للروح. لهذا جعل الله الصلاة سلاحًا للمؤمن يستعين بها فى معركة الحياة، ويواجه بها كوارثها وآلامها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[١]. وكان محمد رسول الله إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ولم تكن صلاته مجرد شكل أو رسم يؤدَى، وإنما كانت استغراقًا فى مناجاة الله، حتى إنه كان إذا حان وقتها قال لمؤذنه بلال فى لهفة المتشوِّق واشتياق الملهوف: «أرحنا بها يا بلال»[٢] . . . وكان يقول: «جُعلت قرة عينى فى الصلاة»[٣].

أى سكينة يشعر بها المؤمن حين يلجأ إلى ربه فى ساعة العُسرة ويوم الشدة، فيدعوه بما دعا به محمد ﷺ من قبل: **«اللَّهُمَّ ربُّ السموات السبع، وربُّ العرش العظيم، ربُّنا وربُّ كل شىء فالق الحَبِّ والنوى منزِّل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول، فليس قبلك شىء، وأنت الآخر فليس بعدك شىء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شىء، وأنت الباطن، فليس دونك شىء اقض عنى الدَّين، وأغننى من الفقر»**[٤].

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥) كتاب الأدب، عن رجل، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٩٢).

(٣) صحيح: رواه النسائى (٣٩٣٩، ٣٩٤٠) كتاب عشرة النساء، وأحمد (١١٨٨٤)، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٩١).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وأى طمأنينة أُلقيت فى قلب محمد رسول الإسلام ﷺ يوم عاد من الطائف دامى القدمين، مجروح الفؤاد من سوء ما لقى من القوم، فما كان منه إلا أن رفع يديه إلى السماء يقرع أبوابها بهذه الكلمات الحية النابضة التى دعا بها محمد ﷺ ربه، فكانت على قلبه بردًا وسلامًا: **«اللَّهُمَّ إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربى... »**(١)(٢).

إذا داهمك الخوف وطوَّقك الحزن، وأخذ الهمُّ بتلابيبك، فقم حالاً إلى الصلاة، تثوب لك روحك وتطمئن نفسك، إن الصلاة كفيلة بإذن الله باجتياح مستعمرات الأحزان والغموم ومطاردة فلول الاكتئاب.

كان ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ قال: **«أرحنا بالصلاة يا بلال»**(٣) فكانت قرة عينه وسعادته وبهجته.

وقد طالعت سير قوم أفذاذ كانت إذا ضاقت بهم الضوائق، وكشرت فى وجوههم الخطوب فزعوا إلى صلاة خاشعة فتعود لهم قواهم وإراداتهم وهممهم.

إن صلاة الخوف فُرضت لتؤدَّى فى ساعة الرعب، يوم تتطاير الجماجم، وتسيل النفوس على شفرات السيوف، فإذًا أعظم تثبيت وأجلّ سكينة: صلاة خاشعة.

إن على الجيل الذى عصفت به الأمراض النفسية أن يتعرّف على المسجد، وأن يمرّغ جبينه ليُرضى ربَّه أوَّلاً، ولينقذ نفسه من هذا العذاب الواصب وإلا فإن الدمع سوف يحرق جفنه، والحزن سوف يحطم أعصابه، وليس لديه طاقة تمده بالسكينة والأمن إلا الصلاة.

من أعظم النعم لو كنا نعقل هذه الصلوات الخمس كل يوم وليلة كفارة

---

(١) ضعيف: رواه ابن هشام فى السيرة النبوية (٢/ ٢٦٨)، وذكره الهيثمى فى المجمع (٦/ ٣٥) وقال: رواه الطبرانى وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٢٩٣٣).

(٢) الإيمان والحياة (ص: ١١٩، ١٢١) بتصرف.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

لذنوبنا، رفع لدرجاتنا عند ربنا، ثم هى علاج عظيم لمآسينا ودواء ناجح لأمراضنا، تسكب فى ضمائرنا مقادير زاكية من اليقين وتملؤ جوانحنا بالرِّضا. أما أولئك الذين جانبوا المسجد وتركوا الصلاة، فمن نكد إلى نكد، ومن حزن إلى حزن، ومن شقاء إلى شقاء ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١)(٢).

ذكروا عن الحافظ ابن حجر صاحب «الفتح» أنه ذهب إلى القلعة بمصر فأحاط به اللصوص، فقام يصلى، ففرَّج الله عنه.

وذكر ابن عساكر وابن القيم: أن رجلاً من الصالحين لقيه لصٌّ فى إحدى طرق الشام فأجهز عليه ليقتله، فطلب منه مهلة ليصلى ركعتين، فقام فافتتح الصلاة، وتذكَّر قول الله تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(٣). فردَّدها ثلاثًا، فنزل مَلَك من السماء بحربة فقتل المجرم، وقال: أنا رسولُ من يجيب المضطر إذا دعاه.

قال الشاعر:

لابد من صنع الرجال
ومثلُه صنع السلاح
وصناعة الأبطال علمٌ
قد دراه أولو الصلاح
مَن لم يُلقَّن أصله
من أهله فَقَدَ النجاح
لا يُصنع الأبطال إلا
فى مساجدنا الفِساح

---

(١) سورة محمد: آية (٨).
(٢) لا تحزن (ص: ٤٠، ٤١).
(٣) سورة النمل: آية (٦٢).

في روضـــــة الـقـــــرآن فـي
ظل الأحـــاديث الـصـــحـــاح
شـــعـــبٌ بغـــيـــر عـــقـــيـــدة
ورقٌ يـــــذريـــــه الـــريـــاح
من خـــان «حيَّ عـلى الصـــلاة»
يخــــون «حـيَّ على الـكفـــاح»

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«فالصلاة قرة عيون المحبين في هذه الدنيا، لما فيها من مناجاة من لا تقر العيـون، ولا تطمئن القلوب، ولا تسكـن النفوس إلا إليه، والتنـعم بذكره والتذلل والخضوع له، والقـرب منه، ولا سيمـا في حال السـجود، وتلك الحال أقرب ما يكون العبد من ربّه فيها.

ومن هذا قـول النبي ﷺ: «يا بلال! أرحنا بالصـلاة»(١) فأعلم بذلك أن راحته ﷺ في الصلاة، كما أخبر أن قرة عينه فيها.

فأين هذا من قول القائل: نصلي ونستريح من الصلاة! فـالمحب راحته وقرة عينه في الصلاة، والغافل المعرض ليس له نصـيب من ذلك، بل الصلاة كبيرة شاقة عليه، إذا قـام فيها كأنه على الجمر حـتى يتخلص منها. وأحبُّ الصلاة إليه أعجلها وأسرعها، فإنه ليس له قرة عين فيها، ولا لقلبه راحة بها.

والعبد إذا قـرَّت عينه بشيء واستراح قلبـه به، فأشقّ ما عليه مفـارقته. والمتكلف الفارغ القلب من الله والدار الآخـرة المبتلى بمحبة الدنـيا، أشقُّ ما عليه الصلاة، وأكره ما إليه طولُها مع تفرغه وصحته وعدم اشتغاله»(٢).

* * *

(١) صحيح: وقد تقدم.
(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه (ص: ٣٣، ٣٤).

حى على الصلاة ... حتى لا تحزن

يا من تريد السعادة فى الدارين حى على الصلاة حتى لا تحزن فالصلاة إيمان وهى أمُّ العبادات وهى الركن الأعظم بعد الشهادتين وهى أفضل الأعمال وهى امتثال لأمر الله وهى التى تحرر البشرية من العبودية لغير الله -وهى عبودية كل الكائنات- وهى القاسم المشترك بين كل الأديان وهى ميزان يُقاس به إيمان العبد وهى شعار ديار المسلمين، وهى المدرسة الخُلقية التى يتربى فيها كل مسلم وهى التى تنهاك عن فعل المنكرات وهى الصلة بين العبد وربه - جل وعلا - وهى التى تجلب لك الرزق - بإذن الله - وهى التى تجلب لك المزيد وهى سبب للنجاة من النفاق ومن النار وهى التى تُرغم أنف الشيطان وأعوانه وهى كفارة للذنوب والخطايا وهى التى يكشف الله بها الكربات وهى علاج للأمراض النفسية والبدنية وهى سبب للفوز بدعاء الملائكة وهى سبب الفوز بالمغفرة وهى سبب القرب من الله - جل وعلا - وسبب القرب من رسول الله ﷺ فى الجنة وهى آخر وصية للنبى ﷺ وهى التى تجعل العبد فى حماية الله وحفظه وهى من أسباب النجاة من عذاب القبر وهى نور وبرهان ونجاة يوم القيامة وهى سبب النجاة من النار وسبب لدخول الجنة وسبب لرفع الدرجات فى الجنة وسبب للفوز بأعظم نعمة ألا وهى لذة النظر إلى وجه الله - جل وعلا -.

* وبالجملة: فالصلاة سبب لتحصيل مصالح الدنيا والآخرة ودفع المفاسد فى الدنيا والآخرة . . . فاحرص على الصلاة حتى لا تحزن.

* * *

قيام الليل سعادة للقلب وشفاء للبدن

وإن من أعظم الأشياء التى تُدخل السعادة على قلبك قيام الليل، لأن الله - عز وجل - جعل قيام الليل سببًا لطيب النفس ونشاطها . . . وسببًا لذهاب الداء عن الجسد.

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلتً عقدةٌ، فإن توضأ، انحلتً عقدةٌ، فإن صلى انحلَّت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان»[١] .

وقال ﷺ : «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومَنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد»[٢] .

* ومن المعلوم أن نشاط النفس وشفاء البدن من أعظم أسباب السعادة فاحرص على قيام الليل لأنه يجلب لك الخير كله - بإذن الله - ويكفى أنه قُربة إلى الله تعالى . . . والسعادة كل السعادة أن تنعم بالقرب من الرحمن الرحيم - جل وعلا -.

تفاعل مع الحياة بإيجابية حتى لا تحزن

يمكنك أن تقرر طريقة تفكيرك، فإذا اخترت أن تفكر بإيجابية تستطيع أن تزيل الكثير من المشاعر غير المرغوب فيها، فهى مما يعيقك من تحقيق الأفضل لنفسك ولغيرك . . . مثلاً:

* كن هادئًا.

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١١٤٢) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٧٩).

* لا تسمح للآخرين باستفزازك وإغضابك.

* لا تسعَ للانتقام، وعندما تجد أفكارك ذاهبة فى هذا الاتجاه، فكر فى موضوع آخر.

* اسع للفضيلة.

* ركز على الإيجابيات فى الأشخاص المحيطين بك.

* كن مرحًا وإذا وجدت أن ذلك صعب تظاهر بالمرح، وبعد فترة لن تجد نفسك بحاجة إلى التظاهر.

* فكر فى المشاكل كتحديات وفرص يمكن من خلالها إظهار براعتك فى معالجة الأمور.

* إذا كنت تشعر بالإحباط، اقرأ كتابًا، زُر صديقًا، اتصل هاتفيًّا بأحد معارفك أو بمن ترغب، فالتركيز فى موضوع خارج الإطار الذاتى يجعل من المستحيل أن تستحوذ عليك مشاكلك.

* ابتسم . . . إنه لشخص نادر الذى لا يتجاوب مع الابتسامة، فليس فقط تقوى مشاعرك بالتصرفات الودية، ولكن عندما تبتسم يفرز دماغك هرمون الأندروفين. . . المزيل الطبيعى للألم من نظام الجسم، وهكذا تنتهى بأن تشعر بشكل أفضل تجاه نفسك[(١)].

إن الشخص السعيد هو الذى يتفاعل مع الحياة، فلا يجلس فى بيته ينتظر سعادته وهو يشتكى، بل يبحث ويقرأ ويسمع ويشاهد ويسافر لطلب العلم، ثم هو لا يركن إلى السماع والقراءة فحسب، بل يتفاعل ويطبق، فهو أحيانًا يصيب وأحيانًا يخطئ، لكنه حتمًا يصل إلى ما يريد.

والسعيد يفكر دائمًا بطريقة إيجابية ربحية له ولغيره، فهو دائم التغيير والتطور والتنمية، لا ينفك عن فعل ذلك أبدًا، وهو يعلم أن الحياة تقف عندما يقف التطور والتعلم[(٢)].

---

(١) تنظيم وتفعيل الذات (ص ٥١، ٥٢) بتصرف.

(٢) ١٠٠ فكرة للحصول على السعادة (ص: ٥٠) باختصار.

مصائب الدنيا تهون

فكل مصيبة فى دنيا الإنسان قد تُعوَّض بخير منها، أما مصيبة الدين فخسارة لا تُعوض، ولذلك حين خُيِّر يوسف - عليه السلام - بين أن يصاب فى دنياه فيسُجن ويكون من الصاغرين، وأن يصاب فى دينه فيصبو إلى النسوة ويكون من الجاهلين، كما قالت امرأة العزيز للنسوة: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾[1] . .

حين خُيِّر يوسف بين الأمرين كان لا بد أن يختار مصيبة الدنيا، فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[2] . .

وكان مما علّمه نبى الإسلام لأمته أن يقولوا: «**اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا**»[3] . .

* فلا داعى لأن تحزن على فوات شىء من الدنيا فالدنيا لا تساوى عند الله جناح بعوضة ولو كانت تساوى جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء.

* لا تحزن لو فقدت الدنيا بأسرها ما دمت موحدًا لله متمسكًا بسنة رسول الله ﷺ .

* لا تحزن ما دمت آمنًا فى سربك معافىً فى بدنك عندك قوت يومك فكأنما حيزت لك الدنيا بحذافيرها.

* لا تحزن فإنه لا ينفعك مع الحزن المال الكثير ولا الزوجة الحسناء ولا كثرة الأولاد ولا المنصب ولا الجاه ولا الدور والقصور.

---

(١) سورة يوسف : آية (٣٢).

(٢) سورة يوسف : آية (٣٣).

(٣) حسن: رواه الترمذى (٣٥٠٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٦٨).

* لا تحزن فإن الحزن يجعل المصيبة مصائب كثيرة ويُشمت أعداءك فيك... بل ويجعل جسدك مرتعًا للأمراض.

* لا تحزن ما دمت فى أمن وأمان وعندك عينان وأذنان ويدان ورجلان.

* لا تحزن فلقد حزنت كثيرًا فهل عاد والدك الذى مات؟... وهل نجح ابنك الذى رسب؟ وهل عادت الأموال التى خسرتها؟ .... إذن فلماذا الحزن؟!!!.

لا تحزن ... لا تحزن ... لا تحزن.

أفضل العبادة انتظار الفرج

قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(١).

ولن يغلب عُسر يُسرين.

قال ابن رجب(٢): ومن لطائف اقتران الفرج بالكرب، واليسر بالعسر، أن الكرب إذا اشتد وعظم وتناهى، وحصل للعبد اليأس من كشفه من جهة المخلوقين، تعلّق قلبه بالله وحده، وهذا هو حقيقة التوكل على الله، وهو من أكبر الأسباب التى تطلب بها الحوائج، فإن الله يكفى من توكل عليه، كما **قال تعالى:** ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(٣).

قال الفضيل: والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئًا لأعطاك مولاك كلّ ما تريد.

وقال وهب بن منبه: تَعبَّد رجلٌ زمانًا، ثم بدت له إلى الله حاجة، فصام سبعين سبتًا، يأكل فى كل سبتٍ إحدى عشرة تمرة، ثم سأل الله حاجته فلم يُعْطَها، فرجع إلى نفسه فقال: منكِ أُتيت، لو كان فيكِ خير أعطيتِ

(١) سورة الشرح: آية (٥، ٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص: ١٩٦، ١٩٧).

(٣) سورة الطلاق: آية (٣).

حاجتك، فنزل إليه عند ذلك ملك فقال له: يا ابن آدم ساعتك هذه خيرٌ من عبادتك التى مضت، وقد قضى الله حاجتك.

عسى ما ترى ألا يدوم وإن ترى
له فرجًا مما ألحَّ به الدهرُ
عسى فرج يأتى به الله إنه
له كل يومٍ فى خليقته أمرُ
إذا لاح عُسر فارتج اليسر إنه
قضى الله إن العسر يتبعه اليسرُ

يا إنسان بعد الجوع شِبع، وبعد الظمأ رى، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، سوف يصل الغائب، ويهتدى الضال، ويُفك العانى، وينقشع الظلام ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ﴾(١) .

بشِّر الليل بصبح صادق يطارده على رؤوس الجبال، ومسارب الأودية، بشِّر المهموم بفرج مفاجئ يصل فى سرعة الضوء، ولمح البصر، بشِّر المنكوب بلطف خفى وكفٍّ حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد، فاعلم أن وراءها رياضًا خضراء وارفة الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمنٌ، ومع الفزع سكينة، النار لا تحرق إبراهيم التوحيد، لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة ﴿بَرْدًا وَسَلامًا﴾(٢) .

البحر لا يُغرق كليم الرحمن، لأن الصوت القوى الصادق نطق بـ ﴿كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾(٣) .

---

(١) سورة المائدة: آية (٥٢).
(٢) سورة الأنبياء: آية (٦٩).
(٣) سورة الشعراء: آية (٦٢).

المعصوم فى الغار بشَّر صاحبه بأنه وحده معنا فنزل الأمن والفتح والسكينة.

إن عبيد ساعاتهم الراهنة وأرقّاء ظروفهم القاتمة لا يرون إلا النكد والضيق والتعاسة، لأنهم لا ينظرون إلا إلى جدار الغرفة وباب الدار فحسب. ألا فليمدوا أبصارهم وراء الحجب وليطلقوا أعنة أفكارهم إلى ما وراء الأسوار.

إذًا فلا تضق ذرعًا فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة انتظار الفرج، الأيام دول، والدهر قُلَّب، والليالى حُبالى، والغيب مستور، والحكيم كل يوم هو فى شأن، ولعل الله يُحدث بعد ذلك أمرًا، وإن مع العسر يسرًا(١).

أبشر أيها المحزون

أيها الإنسان: يا من ملَّ من الحياة، وسئم العيشَ، وضاق ذرعًا بالأيام، وذاق الغُصص، إن هناك فتحًا مبينًا، ونصرًا قريبًا، وفرجًا بعد شدَّة، ويُسرًا بعد عُسر. إن هناك لُطفًا خفيًّا من بين يديك ومن خلفك، وهناك أملاً مشرقًا، ومستقبلاً حافلاً، ووعدًا صادقًا، ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾(٢).

إن لضيقك فرجةً وكشفًا، ولمصيبتك زوائل، وإن هناك أنسًا وروحًا وندىً وظلاً وظلاً. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾(٣).

أيها الإنسان: آن أن تُداوى شكَّك باليقين، والتواء ضميرك بالحق، وعِوَجَ الأفكار بالهدى، واضطراب المسيرة بالرشد.

آن أن تقشع عنك غياهب الظلام بوجه الفجر الصادق، ومرارة الأسى بحلاوة الرِّضا، وحنادس الفِتَن بنور يلقف مما يأفكون.

---

(١) لا تحزن (ص: ٢٦، ٢٧).

(٢) سورة الروم: آية (٦).

(٣) سورة فاطر: آية (٣٤).

أيها الناس: إن وراء بيدائكم القاحلة أرضًا مطمئنَّة، يأتيها رزقُها رغدًا من كلٍّ مكان.

وإن على رأس جبل المشقَّة والضَّنى والإجهاد، جنة أصابها وابل، فهى مُمرعة، فإن لم يصبها وابل فطلٌّ من البُشرى والفأل الحسن، والأمل المنشود.

يا من أصابه الأرق، وصرخ فى وجه الليل: ألا أيها الليل الطويل ألا انْجَلِ، أبشرْ بالصبح، ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(١). صبحٌ يملؤك نورًا وحبورًا وسرورًا.

يا من أذهب لُبَّه الهمُّ: رُويدك، فإن لك من أفق الغيب فرجًا، ولك من السُّنن الثابتة الصادقة فسحةً. يا من ملأت عينك بالدمع: كَفْكِفْ دموعك، وأرح مقلتيك، اهدأ فإن لك من خالق الوجود ولايةً، وعليك من لطفه رعاية، اطمئنَّ أيها العبد، فقد فُرغ من القضاء، ووقع الاختيار، وحصل اللطف، وذهب ظمأ المشقة، وابتلت عروق الجهد، وثبت الأجر عند من لا يخيب لديه السعى.

اطمئن: فإنك تتعامل مع غالبٍ على أمره، لطيفٍ بعباده، رحيم بخلقه، حسن الصنع فى تدبيره.

اطمئن: فإن العواقب حسنة، والنتائج مريحة، والخاتمة كريمة.

بعد الفقر غنى، وبعد الظَّمأ رىٌّ، وبعد الفراق اجتماع، وبعد الهجر وصل، وبعد الانقطاع اتِّصال، وبعد السُّهاد نوم هادئ، ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾(٢).

أيها المعذَّبون فى الأرض، بالجوع والضنك والضَّنى والألم والفقر والمرض، أبشرُوا، فإنكم سوف تشبعون وتسعدون، وتفرحون وتصِحُّون،

---

(١) سورة هود: آية (٨١).

(٢) سورة الطلاق: آية (١).

﴿ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ (١).

فـــــلابـدَّ لـلـيـل أن يـنـجـلـي
ولا بد لـلقـــيـــد أن ينكـســـر
ومن يتـهـيـب صـعـود الجـبـال
يعـش أبد الـدهر بـين الحـفـــر

وحقٌّ على العبـد أن يظُنَّ بربِّه خيرًا، وأن ينتظر منه فـضلاً، وأن يرجو من مولاه لطفًا، فإنَّ من أمره فى كلمة «كُن»، جديرٌ أن يوثق بموعوده، وأن يُتعلق بعـهوده، فلا يجلب النفع إلا هـو، ولا يدفع الضُّرَّ إلا هو، وله فى كل نفس لطفٌ، وفى كل حـركة حكمةٌ،وفى كل سـاعة فرَجٌ، جـعلَ بعد الليل صُبحًـا، وبعد القحط غيـثًا، يُعطى ليُشكر، ويبتلى ليـعلم من يصبر، يمنح النعماء ليسمع الثناء، يُسلِّط البلاء ليُـرفع إليه الدعاء، فحرىٌّ بالعبد أن يقـوى معه الاتصـال، ويمد إلـيه الحبـال، ويكثر الـسؤال ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ (٢)، ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (٣)(٤).

عجبًا لأمر المؤمن

* إن الابتلاء سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير... يقول الله - عز وجل -: ﴿ الم ۝ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٥).

وقـال سـبحـانه وتعـالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

(١) سورة المدثر: آية (٣٣، ٣٤).
(٢) سورة النساء: آية (٣٢).
(٣) سورة الأعراف: آية (٥٥).
(٤) لا تحزن (ص: ٣٤٥ - ٣٤٧) بتصرف.
(٥) سورة العنكبوت: آية (١ - ٣).

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾(١).

وقال ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير - وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن - إن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له»(٢).

أخي الحبيب ... أختي الفاضلة: إن الحياة لا تخلو من الشدائد وإن الأمل والأمن، والرضا والحب، والسكينة النفسية، ثمار شهية لغراس العقيدة في نفس المؤمن، وذخائر لا تنفد لإمداده في معركة الحياة، وإنها لمعركة طويلة الأمد، كثيرة التكاليف محفوفة بالأخطار والمشقات.

ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها، تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء فيها من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، فكم يخفق له عمل أو يخيب له أمل، أو يموت له حبيب، أو يمرض له بدن، أو يُفقد منه مال ... أو.. أو.. إلى آخر ما يفيض به نهر الحياة.. حتى قال الشاعر يصف الدنيا:

جُبلت على كدرٍ وأنت تريدها
صفوًا من الآلام والأكدار!
ومُكلف الأيام ضد طباعها
متطلب في الماء جذوة نار

وإذا كان هذا سنة الله في الحياة عامة، وفي الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات خاصة أشد تعرضًا لنكبات الدنيا وويلاتها، إنهم يدعون إلى الله فيحاربهم دُعاة الطاغوت، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٥ - ١٥٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث صهيب رضي الله عنه.

المنكر . . . وبهذا يحيون فى دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سُنة الله الذى خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمدًا وأبا جهل ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[1] ، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[2]، هذا شأن الأنبياء، وشأن ورثتهم، والسائرين على دربهم، والداعين بدعوتهم، مع الطغاة الصادين عن سبيل الله ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[3].

وقد أثبت الاستقراء والمشاهدة أن أشد الناس جزعًا، وأسرعهم انهيارًا أمام شدائد الحياة هم الملحدون والمرتابون وضعاف الإيمان، وقد وصف القرآن هذا النموذج من الناس فقال: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾[4]. ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾[5]. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾[6]. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[7].

إنهم لا يؤمنون بقدر فيرضوا به، ولا بإله فيطمئنوا إلى حكمته فى خلقه، ولا بأنبياء فيجدوا فى حياتهم القاسية قدوة وعبرة، ولا بحياة أخرى فتهبّ عليهم نسماتها منعشة للنفس، وطاردة للكآبة، باعثة للأمل.

إنهم كسفينة فقدت الدفة والشراع، وكل عوامل الثبات أمام الأمواج والعواصف، فهى لأدنى حركة من الريح يشتد اهتزازها وتمايلها، ويحيط بها

(١) سورة الأنعام: آية (١١٢).
(٢) سورة الفرقان: آية (٣١).
(٣) سورة البروج: آية (٨).
(٤) سورة هود: آية (٩).
(٥) سورة فصلت: (٤٩).
(٦) سورة الإسراء: (٨٣).
(٧) سورة الحج: آية (١١).

الموج من كل مكان، وسرعان ما تغوص إلى الأعماق!

ولا غرو أن نجد الانتحار أكثر مـا يكون فى البيئات التى ضعف دينها أو فقـدته، فإن لم يكن الانتـحار فهـو الألم القاتل، والجزع الـهالع، والكآبة الحزينة، والحزن الكئيب، والحياة التى خلت من معنى الحياة. اهـ.

ليس مـن مـات فـاسـتـراح بميت
إنما الميّتُ مـيت الأحـيـاء
إنما الميـتُ مَن يعـيش كـئـيـبًا
كـاسـفًـا بالـه قليـل الرجـاء

أما المؤمن الواثق فى موعود ربه فيتسلى فى مـصيبته بعلمه أن الله سوف يجبر له كل مُصاب فى الجنة.

لا تحزن من انتقاص السفهاء

ما أكثر السفهاء فى الحياة ... والعـاقل لا يصاحب سفيهًا ولا يتعرض له ... ولكن لا يُغنى حَـذَرٌ من قدر، فـقد يُبـتلى المرء ببعـض السفـهاء، فيأخذونه سبًّا وانتقاصًا وتجريحًا. فماذا يفعل العاقل فى هذه الحال؟

الجواب أن يفعل ما أرشد إليه الشاعر بقوله:

إذا نطق الـسـفـيـه فـلا تُجـبـه
فـخـيـرٌ من إجـابتـه الـسكوت
لئـيمُ القـوم يـشـتـمـنى فـيـحظى
ولو دمُـه سـفكتُ لما حَظـيت
فلسـت مـشـاتمًا أبدًا لئـيـمًـا
خـزيتُ لمـن يشـاتمنـى خَـزِيتُ

* وقال ريـاح بن عبـيدة: كنت عند عـمر بن عبـد العزيز ﷺ، فَـذُكر

الحجاج، فشتمتُه ووقعت فيه. فنهانى عمر وقال: مهلاً يا رياح! فإنه بلغنى أن الرجل يُظلم بالمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم وينتقصه حتى يستوفى حقّه، ويكون للظالم الفضل عليه.

قال النبى ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»**(١).

أخى!

أنت من الصمت آمِنُ الزللْ
ومن كثير للكلام فى وجل
لا تقلِ القولَ ثم تُتْبعه
يا ليت ما كنت قلتُ لم أقل

إن بعض الناس لا يتحمل أن يعيبه أحد، أو أن يجهل عليه أحد، فيغضب ويثور ويجهل ويشارك السفهاء سفههم ولسان حاله يقول:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وهذه أخلاق الجاهلية، التى جاء الإسلام بهدمها وتثبيت أخلاق الإسلام بدلاً عنها، قال النبى ﷺ: **«إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»**(٢).

وعند الطبرانى: **«لأتمم مكارم الأخلاق»**(٣).

إن النفوس الكبيرة هى التى تعرف معنى العفو عند المقدرة، وهى التى تعرف معنى الرحمة والحلم والإعراض عن الجاهلين، فتعيش فى أمن

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠١٨) كتاب الأدب، ومسلم (٤٧) كتاب الإيمان، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أحمد (٨٧٢٩)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٣٤٩).

(٣) صحيح: رواه البيهقى فى سننه الكبرى (١٠/ ١٩١)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٥).

واطمئنان وسعادة لا يشعر بها ضعاف النفوس الذين غلَّبوا شهوة الانتقام على العفو والإغضاء وتجرع مرارة الصبر(١).

أنت أدرى بما يُسعدك

* تعجبت مرة من أخٍ حبيب كان يمتلك مشروعًا تجاريًا كبيرًا يُدر عليه أرباحًا طائلة . . . وإذا به يُغلق هذا المشروع ويبدأ مشروعًا صغيرًا لا يُدر عليه عُشر ما كان يتحصل عليه من مشروعه السابق فلما سألته عن سبب ذلك قال: وجدت دينى وقلبى فى هذا المشروع الصغير.

ففى ظل الأرباح الطائلة التى كنت أتحصل عليها لم أستطع أن أواظب على الصلاة فى بيت الله ولم أتمكن من قراءة القرآن كاملاً ولم أستطع أن أحضر درس علمٍ واحد . . . . فلما تركته واكتفيت بهذا المشروع الصغير ختمت القرآن قراءة وحفظًا فى ثمانية أشهر وها أنا أواظب على الصلاة فى الجماعة بل وأحضر دروس العلم . . . ومن ثَم فقد وجدت السعادة.

* وليس معنى هذا الكلام أننى أقول لكل تاجر مسلم: اترك تجارتك وابحث عن عمل تتحصل من ورائه على الكفاف . . . كلا. ولكن أقول لكل مسلم: أنت أدرى بما يُسعدك ما دام ذلك فى حدود الشرع.

* وها أنا أسوق لحضراتكم مثالاً أعجب من هذا فهذا. . . على بن المأمون العباسى - أميرٌ ابن خليفة - كان يسكن قصرًا فخمًا، وعنده الدنيا مبذولة مُيسَّرة، فأطلَّ ذات يوم من شُرفة القصر، فرأى عاملاً يكدح طيلة النهار، فإذا أضحى النهار توضأ وصلَّى ركعتين على شاطئ دِجلة، فإذا اقترب الغروب ذهب إلى أهله، فدعاه يومًا من الأيام فسأله، فأخبره أن له زوجة وأختين وأُمًّا يكدح عليهن، وأنه لا قوت له ولا دخل إلا ما يتكسبه

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا - القسم العلمى بدار الوطن (ص: ١١٧، ١١٨).

من السوق، وأنه يصوم كل يوم ويُفطر مع الغروب على ما يحصل، قال: فهل تشكو من شيء؟ قال: لا، والحمد لله رب العالمين. فترك القصر، وترك الإمارة، وهام على وجهه، ووُجد ميتًا بعد سنوات عديدة، وكان يعمل فى الخشب جهة خُراسان، لأنه وجد السعادة فى عمله هذا، ولم يجدها فى القصر، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(١).

* يذكِّرنى هذا بقصة أصحاب الكهف، الذين كانوا فى القصور مع الملك، فوجدوا الضيق، ووجدوا التشتُّت، ووجدوا الاضطراب، لأن الكفر يسكن القصر، فذهبوا، وقال قائلهم: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾(٢).

لا تيأس من روح الله

يبين إيمان المؤمن عند الابتلاء، فهو يبالغ فى الدعاء، ولا يرى أثرًا للإجابة، ولا يتغير أمله ورجاؤه ولو قويت أسباب اليأس، لعلمه أن الحق أعلم بالمصالح.

أو لأن المراد منه الصبر أو الإيمان، فإنه لم يحكم عليه بذلك إلا وهو يريد من القلب التسليم لينظر كيف صبره أو يريد كثرة اللجأ والدعاء.

فأما مَن يريد تعجيل الإجابة ويَتَذمر إنْ لم تتعجل، فذاك ضعيف الإيمان، يرى أن له حقًّا فى الإجابة، وكأنه يتقاضى أجرة عمله.

أما سمعت قصة يعقوب عليه السلام: بقى ثمانين سنة فى البلاء ورجاؤه لا يتغير، فلما ضم إلى فقد يوسف فقد بنيامين لم يتغير أمله وقال: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾(٣).

---

(١) سورة محمد: آية (١٧).

(٢) سورة الكهف: آية (١٦).

(٣) سورة يوسف: آية (٨٣).

وقد كشف هذا المعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(١).

ومعلوم أن هذا لا يصدر من الرسول والمؤمنين إلا بعد طول البلاء وقرب اليأس من الفرج.

ومن هذا قول رسول الله ﷺ: «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: قد دعوت فلم يُستجب لي»(٢).

فإياك إياك أن تستطيل زمان البلاء، وتضجر من كثرة الدعاء، فإنك مبتلى بالبلاء، متُعبَّد بالصبر والدعاء، ولا تيأس من روح الله وإن طال البلاء(٣).

لا تنشغل عن الاستعداد للآخرة

قال ابن الجوزي: رأيت جمهور الناس إذا طرقهم المرض أو غيره من المصائب اشتغلوا تارة بالجزع والشكوى، وتارة بالتداوي، إلى أن يشتد عليهم، فيشغلهم اشتداده عن الالتفات إلى المصالح من وصيةٍ، أو فعل خير، أو تأهُّب للموت.

وسبب ذلك ضعف الإيمان، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾(٤).

فينبغي للمتيقظ أن لا يتأسف على ما فات، وأن يتأهب في حال صحته

(١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٣٤٠) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صيد الخاطر (ص: ٤٤٢، ٤٤٣) بتصرف.

(٤) سورة النجم: آية (٢٩، ٣٠).

قبل هجوم المرض، فربما ضاق الوقت عن عمل. وهل ينتظر الصحيح إلا السُقم، والكبير إلا الهرم، والموجود سوى العدم؟

وما أحسن ما قال الشاعر:

المرءُ رَهْن مصائبٍ ما تنقضي
حتى يُوسَّد جسمه في رَمْسِه
فمؤجَّلٌ يَلقى الردى في غيره
ومُعجل يَلقى الردى في نفسه

بشرى غالية

بعد العسر يسر، ومع الصبر نصر، وبعد الليل فجر، وبعد الشدة رخاء، وبعد الضراء سراء، ولكل حادثة عزاء، الباب الموصد له مفتاح، والقلعة المنيعة لها باب، ولكل قميص من الشدة جيب من اللطف، ولكل غرفة ضيقة من الكرب كوة من الفرج، إذا اشتد الحبل انقطع، وإذا ادلهمْ الليل انقشع، وإذا احتبس القطر همع، بَشِّر الفقير بالغنى، والمريض بالعافية، والغائب بالقدوم، والمتعب بالراحة، والمسجون بالخروج، الأيام دول، والفلك يدور، ولكل أمرٍ حد، والدهر مُقبل مدبر، والأيام آخذة معطية، والزمان يومان، ولكل نازلة رحيل، ولكل صعب سهولة، ولكل داء دواء، ولكل علة حيلة، حكمة نافذة، وقدرة باهرة، فلا تجزع فإنّ مع العسر يسراً، ولا تيأس فإن مع العسر يسراً، ولكن ليس يسراً واحداً بل يسران[1].

* * *

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٩٠).

المؤمن يعيش فى معية الله

والمؤمن لا يعتريه ذلك المرض النفسى الوبيل، الذى يفتك بالمحرومين من الإيمان، ذلك هو مرض الشعور بالوحدة المقلقة، فيحس صاحبه أن الدنيا مقفلة عليه، وأنه يعيش فريدًا منعزلاً، كأنه بقية غرقى سفينة ابتلعها اليم، ورمت به الأمواج فى جزيرة صغيرة موحشة يسكنها وحده، لا يرى إلا زُرقة البحر وزُرقة السماء، ولا يسمع إلا صفير الرياح، وهدير الأمواج.

وأى عالَم أشد على النفس من هذا العالَم، وأى إحساس أمَرُّ من هذا الإحساس؟ إن أقصى ما يصنعه السجان بالسجين أن يحبسه فى سجن انفرادى -زنزانة- ليحرمه من ذلة الاجتماع، وأنس المشاركة والاختلاط، فما بالنا بمن وضع نفسه دائمًا فى تلك الزنزانة، وعاش فيها بمشاعره وتصوره وحده، وإن كانت الدنيا تضج من حوله بخلق الله من بنى الإنسان؟!

والمختصون متفقون على أن هذا المرض من أخطر أمراض النفس، لما يجلبه على صاحبه من عزلة وفقدان للثقة بمن يتعاملون معه، إذ يعتقد أن كل من حوله دونه، وأنهم يخالفونه فى كل مقومات الحياة، وأينما التفت لا يجد غير نفسه، وقد مثل بعضهم حالة هذا المريض بإنسان قد سُجِنَ فى غرفة جميع جدرانها مراء -مرايا- فأينما ينظر لا يجد إلا نفسه وأن هذه الغرفة التى سُجن فيها لا أبواب لها، ولا منافذ بها فأين السبيل إلى الهرب منها؟

فهل يستطيع مثل هذا الإنسان أن يعمل أو ينتج، أو أن يظل محتفظًا بوعيه وقدرته على الفهم والتركيز؟ وهل يمكن لمثله أن يظفر بالسكينة والاطمئنان؟ الجواب طبعًا: لا.

بل قال المختصون فى علاج هذه الأمراض: إن لهذا المرض النفسى آثارًا عضوية تظهر على جسم صاحبه، كما تظهر فى حركاته وتصرفاته. فقد يصيبه

الدوار ويتصبب عـرقه، وتسرع نبضات قلبه، كأنه خـائف من عدو قاهر، أو مُقدم على موقف عصيب وقد يتخبط فى حركاته ومشيه كأنه يريد الهرب.

ويقول الدكـتور «موريس جوبـتهيل» مدير إدارة الصـحة العقليـة بنيويورك: «إن مرض إحساس الإنسان بوحدته لمن أهم العوامل الأساسية للاضطرابات العقلية».

ولم يدخر الأطباء وعلماء النفس وسعًا فى البحث عن علاج ناجح لهذا المرض، وبذلوا فى ذلك جـهودًا جـمة، وأجـروا تجارب كـثيرة، وحـاولوا محـاولات مخلصة حـتى انتهى رأى المنصـفين منهم أخيـرًا إلى أن العلاج الأمثل لهذا المرض هو اللجوء إلى الدين، والاعتصام بعروة الإيمان الوثقى، وإشعار المريض بمعية الله والأُنس به.

فهذا الإيمان القوى هو خير دواء لعلاج هذا المرض الخطير، كما أنه خير وقاية من شره.

إن الله سبحانه يقـول فى الحديث القدسى: «أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى» ويقول فى كتابه العزيز: **﴿فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾**(١) . . .

كيف يشعر بالوحـدة من يقرأ فى كتاب ربه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢) . . . **﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾**(٣) . . ؟ إنه لا يشـعر بما شـعـر به موسى حـين قـال لبنى إسرائيل: **﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾**(٤)... وما شعر به محـمد فى الغار حين قال لصاحبه: **﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾**(٥) . . .

---

(١) سورة محمد: آية (٣٥).

(٢) سورة البقرة: آية (١١٥).

(٣) سورة الحديد: آية (٤).

(٤) سورة الشعراء: آية (٦٢).

(٥) سورة التوبة: آية (٤٠).

إن شعور المؤمن بمعية الله دائمًا يجعله فى أُنس دائم بربه، ونعيم موصول بقُربه، يحس أبدًا بالنور يغمر قلبه، ولو أنه فى ظُلمة الليل البهيم. ويشعر بالأُنس يملأ عليه حياته وإن كان فى وحشة من الخلطاء والمعاشرين(١).

أيها الأخ الحبيب:

* كن مع الله فستربح الدنيا والآخرة إذا كان الله معك..

* الصالحون يقولون يا ألله! ماذا فقد من وجدك؟، وماذا وجد من فقدك؟ من فقدك؛ فَقَدْ فَقَدَ كل شىء، ومن وجدك؛ فَقَدْ وجد كل شىء.

* كن مع الله، فسوف تأتيك الفتوح من كل مكان.

* كن مع الله، فما خاب من كان الله معه.

* إذا استغنى الناس بالدنيا، فاستغنِ أنت بالله.

* وإذا فرحوا بالدنيا، فافرح أنت بالله.

* وإذا أَنَسِوا بأحبابهم، فأنس أنت بالله.

* وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم، وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعرف أنت إلى الله وتودّد إليه، تنل بذلك غاية العز والرفعة(٢).

لا تحزن أيها المظلوم فالله ناصرك

لا تحزن أيها المظلوم ولا تيأس فالله -جل وعلا- معك وسينصرك .. فإن لم تأخذ حقك فى الدنيا؛ فسوف يضاعف لك الأجر فى الآخرة وستأخذ من حسنات من ظلمك حتى ترضى.

* وحسبُك أنك تنتظر يومًا يجمع الله فيه الأولين والآخرين ... والحكَم العدل هو الله -جل وعلا- ... والشهود الملائكة.

---

(١) الإيمان والحياة (ص: ١١٥- ١١٧) بتصرف.

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ١٨٥)

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾(١).

وقال تعالى تسلية للمظلومين: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾(٢).

قال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنها تسرى بالليل والناس نيام.

أتهزأ بالدعاء وتزدريه
وما تدرى بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن
لها أمد وللأمد انقضاء
فيمسكها إذا ما شاء ربى
ويرسلها إذا نفذ القضاء

* مرَّ رجل برجل قد صلبه الحجاج فقال: يا رب إن حِلْمك على الظالمين قد أضرَّ بالمظلومين!!

فنام تلك الليلة فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب فى أعلى عليين، وإذا منادٍ ينادى: حلمى على الظالمين، أحلَّ المظلومين فى أعلى عليين.

* وها هو أحمد بن أبى دؤاد الإيادى:

المعتزلى قاضى المعتصم، الذى جر البلاد إلى محنة خلق القرآن، وبسببه أُهين علماء الأمة وعُذبوا وسُجنوا وقُتلوا.

بسبب ابن أبى دؤاد هذا قُتل أحمد بن نصر الخزاعى، وسُجن الإمام

(١) سورة الأنبياء: آية (٤٧).

(٢) سورة إبراهيم: آية (٤٢ ، ٤٣).

أحمد وعُذِّب بالسياط، ودعا عليه الإمام أحمد، فحبسه الله فى جسده كما حُبس الإمام، ودخل عليه وعاده عبد العزيز الكنانى، وقال له: لم آتك عائدًا، بل لأحمد الله أن سجنك فى جلدك[١].

قال ابن كثير: ابتلاه الله بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقى طريحًا فى فراشه، لا يستطيع أن يحرك شيئًا من جسده، وحُرِم لذة الطعام والشراب والنكاح، وغير ذلك، جعل نصف جسده لو سقط عليه ذباب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس به[٢].

وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائدًا، وإنما جئتك لأعزيك فى نفسك، وأحمد الله الذى سجنك فى جسدك الذى هو أشد عليك عقوبة من كل سجن، ثم خرج عنه داعيًا عليه بأن يزيده الله ولا ينقصه مما هو فيه، فازداد مرضًا إلى مرضه، وقد صودر فى العام الماضى سنة ٢٣٨ بأموال جزيلة جدًّا، ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل، وكذا ابنه أبوالوليد محمد، صودر بألف ألف دينار ومائتى دينار ومات قبل أبيه بشهر[٣].

انظر كيف أذله الله وحبسه فى جسده، وأهين قبل موته، والجزاء من جنس العمل.

قال الإمام أحمد: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز حين تمر، فلما مات إمام أهل السنة كانت جنازته أكبر جنازة فى التاريخ.

قال عبد الوهاب الوراق: ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم على جنازة أحمد بن حنبل إلا جنازة كانت فى بنى إسرائيل[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥، ٣٣٦).

(٣) البداية والنهاية (٦/ ٣٣٦).

(٤) مناقب الإمام أحمد (ص٥٠٤).

ولما أنزلت رأس أحمد بن نصر من على الصلب كان يومًا مشهودًا وصدق الله قول أحمد، فأحمد ابن أبى دؤاد وهو قـاضى قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته، ولم يلتفت إليه، ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان (١).

حكاية صياد السمك

يروى أن صيادًا يصطاد السمك، ويقوّت منه أطفاله وزوجته، خرج يومًا للصيـد، فوقع فى شبكته سـمكة كبيـرة ففرح بها، ثم أخـذها ومضى إلى السوق ليبيعها، ويصرف ثمنها فى مصالح عياله.

فلقيه بعض الظلمة من أعوان السلطان، فرأى السمكة معه، فأراد أخذها منه، فمنعه الصياد، فرفع الظالم خشبة كانت بيده، فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة، وأخذ السمكة منه غصبًا بلا ثمن.

فدعا الصياد عليه فقال: إلهى! جعلتنى ضعيفًا، وجعلته قويًّا عنيفًا، فخذ لى بحقى منه عاجلاً، فقد ظلمنى ولا صبر لى إلى الآخرة.

ثم إن ذلك الغـاصب الظالم انطلق بالسـمكة إلى منزله، وسـلَّمهـا إلى زوجته، وأمرها أن تشويها، فلما أخذتها أفلتت السمكة من يديها، وفتحت فاها، ونكزته فى أصبع يده نكزة طار بها عـقله. فقام وشكا إلى الطبيب ألمًا فى يده، فلما رآها قـال له: إن دواءها أن تُقطع الأصبع، لئـلا يسرى الألم إلى بقية الكفّ.

فـقطع إصبعـه، فانتـقل الألم والوجع إلى الكف واليـد، وازداد تألمًا، وارتعدت من الخـوف فرائصه. فـقال له الطبيب: ينبـغى أن تُقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها. فانتقل الألم إلى الساعد.

فما زال هكذا كلما قطع عضوًا انتقل الألم إلى العضو الآخر الذى يليه،

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٥٦).

حتى خرج هائمًا على وجهه، مستغيثًا إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به.

فرأى شجرة فقصدها، فأخذه النوم عندها فنام، فرأى فى منامه قائلاً يقول: يا مسكين! إلى كم تُقطع أعضاؤك؟ امضِ إلى خصمك الذى ظلمته فارضه، فانتبه من النوم، وفكَّر فى أمره، فعلم أن الذى أصابه من جهة الصياد، فدخل المدينة، وسأل عن الصياد، وأتى إليه، ووقع بين يديه يتمرّغ على رجليه، وطلب منه الإقالة مما جناه، ودفع إليه شيئًا من ماله، وتاب من فعله، فرضى عنه الصياد وعفا عنه، فسكن فى الحال ألمه، وانتهت فى التوِّ محنته(١)، والجزاء من جنس العمل . .

كسرى والمرأة العجوز

وذكر بُزرجمهر حكيم فارس: أن عجوزًا فارسية كان عندها دجاج فى كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا رب أستودعك الدجاج. فلما غابت،عدا كسرى على كوخها ليوسع قصرَه وبستانه، فذبح جنودُه الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز فالتفتت إلى السماء وقالت: يا رب، غبتُ أنا فأين أنت؟! فأنصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾(٢)، . . . ليتنا جميعًا نكون كخيْرَى ابنَى آدم القائل: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ﴾(٣) «كن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل»، إن عند المسلم مبدأ ورسالة وقضية أعظم من الانتقام والتشفى والحقد والكراهية.

* * *

---

(١) المستطرف (١/ ١٨٧، ١٨٨).

(٢) سورة الزمر: آية (٣٦).

(٣) سورة المائدة: آية (٢٨).

إياك وظلم العباد ... حتى لا تحزن

وفى المقابل إياك ثم إياك أن تظلم أحدًا من البشر ولو كان كافرًا فإن الله - عز وجل - حرم الظلم ونهى عنه فقال تعالى كما فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»(١).

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحملُ على الغمام، يقول الله: وعزَتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**»(٢).

* «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعدُ إلى السماء كأنها شرارة**»(٣).
* «**اتقوا دعوة المظلوم، وإن كان كافرًا، فإنه ليس دونها حجابٌ**»(٤).

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدرًا
فالظلم يرجع عقباه إلى الندمِ
تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ
يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

فيا خسارة من نام وأعين الناس ساهرة تدعو عليه، ويا فوز من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له قال تعالى: ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾(٥).

قال إبراهيم التيميُّ: إن الرجل ليظلمنى فأرحمه.

وسُرقت دنانير لرجل صالح من خُراسان، فجعل يبكى، فقال له الفضيل: لِمَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى ذر رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٤/ ٨٤)، من حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٧).

(٣) صحيح: رواه الحاكم، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٨).

(٤) حسن: رواه أحمد (١٢١٤٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٦٧).

(٥) سورة هود: آية (١٨).

تبكى؟ قال: ذكرت أن الله سوف يجمعُنى بهذا السارق يوم القيامة، فبكيت رحمة له.

* واعلم علم اليقين أن الظلم يُضيع عليك حسناتك، ويجعلها غنيمة لمن ظلمتهم.

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال يومًا لأصحابه: **«أتدرون من المفلس؟»** قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار. فقال ﷺ: **«إن المفلسَ من أُمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذفَ هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضَرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبلَ أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار»**[1].

* ومن أجل ذلك: جاءت وصية النبى ﷺ كما فى الحديث الذى رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: **«من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال، فليتحلله اليوم، قبل أن يُؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عملٌ صالحٌ، أُخذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمل، أُخذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه»**[2].

ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

كم رأينا أُناسًا يسعى الواحد منهم ليدبر لأخيه المكائد والمصائب؛ ولكن يشاء الله -جل وعلا- أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها.

* حُكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلاً فى الطريق؛ فالتقطوه فأمر الملك بتربيته وضمه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم)، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى عهده فضمه إليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيًّا وخادمًا أمينًا وبعد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكمًا على جميع حاشية الأمير ومتصرفًا فى شؤون قصره. وفى

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٩) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٢٦٥).

أحد الأيام أمره أن يُحضر شيئًا من بعض حجراته فذهب ليحضر فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان، فتوسلت إليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب وراودته عن نفسه لتأمن شره فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير أزنى وقد أحسن إلىَّ؟! ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر ولكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشى أمرها للأمير فما كان إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصره ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها؟ فقالت: إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها وكان يريد أن يقهرها على الزنا فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه وعزم على قتله ثم دبر قتله فى الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل.

فقال لكبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس فى الطبق وابعث بها إلىَّ فأجاب الخادم بالسمع والطاعة وفى يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم، وقال له: اذهب إلى فلان الخادم وقل له: يعطيك كذا وكذا. فامتثل الأمر وذهب إلا أنه لقى فى طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يُحكموه بينهم فى أمر فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر الأمير فقالوا: نبعث فلانًا الخادم نائبًا عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل فى شأننا فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحدًا منهم هو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية فلما ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذى أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاها وجاء بها إلى الأمير فلما أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأسًا غير رأس أحمد اليتيم فأحضر الأمير أحمد اليتيم فسأله عما فعل فأخبره بما كان فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟ فقال: نعم إنه فعل كذا وكذا مع الجارية وعاد وقد سألانى بالله أن أكتم الخبر فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية وعاد إلى ما كان عليه من محبة أحمد وإكرامه، وكانت هذه عاقبة الوفاء ونهاية الخيانة: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾(١).

---

(١) سورة فاطر: آية (٤٣).

كما تدين تدان

* اعلم أيها الأخ الحبيب أن ما تفعله مع أخيك فإنه سلفٌ ودَينٌ فاحذر من أن تفعل مع أخيك ما لا تحب أن يفعله هو معك فإنه كما تدين تُدان وما تزرعه اليوم تحصده غداً.

* وإليك هذه القصة التى تؤكد لك هذا الكلام .... وبالمثال يتضح المقال:

كانت هناك طالبة جامعية فى عمر الزهور فى العشرين من عمرها ... جميلة وعاطفية ومن عائلة متواضعة ذات أخلاق كريمة، وكانت لها صديقة تحبها حبًّا شديدًا وكانت تلك الصديقة لها أخٌ ليس عنده أى رصيد من الدين أو الخُلق فاستطاع بمكره أن يستميل قلب تلك الفتاة وأخذ يداعبها بكلامه المعسول حتى أخذت تلك الفتاة تذوب من كلامه.

وأخذ يخطط للإيقاع بتلك الفتاة البريئة فى مصيدته ... وبعد مراوغة وتخطيط ووعود كاذبة استطاع أن يوقع تلك الفريسة السهلة وأن يسلبها أعز ما تملكه أى فتاة فى هذه الحياة.

وأحست تلك الفتاة بضياع مستقبلها، بل وضياع دينها بعد أن أصبحت حاملاً من الزنى ... وظلت تتصل بهذا الذئب لكى ينفذ وعوده لها بالزواج، ولكنه كان يتهرب منها ... وبدأت أعراض الحمل تظهر عليها وأحست الفتاة بأن الأرض ضاقت عليها بما رحبت وضاقت عليها نفسها فماذا تصنع فى تلك المصيبة.

وأخذت تطارده فى كل مكان حتى استطاعت أن تكلمه، وأن تطلب منه أن يتزوجها، فما كان منه إلا أن فكر فى فكرة لا تخطر على قلب إبليس... فيا ترى ما هى تلك الفكرة؟

قال لتلك الفتاة: أنا على استعداد لأن أتزوجك، ولكن بشرط أن تأتى غدًا الساعة الرابعة إلى الشاليه الذى أمتلكه فى المكان الفلانى لتقابلى أمى فإن رأتك أمى ووافقت على زواجى منك فسوف أتزوجك.

وفى نفس الوقت اتفق هذا الذئب مع مجموعة من الذئاب البشرية لكى يذهبوا إلى الشاليه فى نفس الموعد، ليغتصبوا تلك الفتاة ثم يدخل عليها بعد ذلك ليقول لها: أنا لا أستطيع أن أتزوج من فتاة فُعل بها كل هذا.

ووافقت الفتاة على الذهاب إلى الشاليه فى الموعد المحدد ظنًّا منها أن الله هداه وأنه سيستر عرضها . . . لكنها لم تكن تعلم ماذا يدبر لها.

وفى الموعد المحدد قامت تلك الفتاة لتذهب إلى الشاليه للقاء والدته - كما كان يزعم- وإذا بأخيها يصاب بألم شديد فى بطنه فكانت بين نارين. . . بين أن تذهب إلى الشاليه وبين أن تذهب بأخيها الوحيد إلى المستشفى فما كان منها إلا أن اتصلت بصديقتها - أخت ذلك الذئب - وقالت لها: إننى على موعد الآن مع والدتك فى الشاليه ولكن أخى مريض وسأذهب معه إلى المستشفى فأرجو منك أن تذهبى إلى الشاليه لتخبرى والدتك أننى سأحضر إليها بعد ساعة فوافقت أخت هذا الشاب وهى لا تعرف ما يدبره أخوها لتلك الفتاة.

وذهبت أخت هذا الذئب إلى الشاليه ظنًّا منها أن أمها هناك وهى لا تعرف لأن أمها فى هذا الوقت كانت خارج البيت، المهم أنها ذهبت إلى الشاليه وبمجرد أن دخلت حتى انقض عليها الذئاب وانتهكوا عرضها وسلبوها أغلى ما تملكه أى فتاة وتركوها جثة هامدة . . . وبعد ساعة من الزمن جاء هذا الذئب ليرى ما صنعوه بتلك الفتاة، وليكون هذا المشهد مبررًا له؛ لأن يرفض الزواج منها . . . ولكن كانت أكبر مفاجأة فى انتظاره !!

دخل الذئب وسأل أصحابه: ماذا صنعتم؟ قالوا: فعلنا كل ما طلبت منا

وزيادة . . وها هى بالداخل جثة هامدة من شدة الاعتداء عليها . . فدخل ونظر إلى الفتاة وإذا بها أخته مُلقاة فى حالة يرثى لها فلم يستطع أن يتكلم كلمة واحدة بل خرج صامتًا وأصحابه يكلمونه وهو لا يرد عليهم حتى وصل إلى سيارته وفتح الباب ثم دخل السيارة، وفتح التابلوه وتناول مسدسًا وأطلق الرصاص على نفسه فمات فى التو واللحظة . . . ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ .

أهدى هذه القصة لكل شاب يعيش علاقة محرمة مع أى فتاة: أقول له: اتق الله فى أعراض المسلمات واعلم أنه كما تدين تدان والجزاء من جنس العمل(١) .

وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب

قريب: أسمع فأجيب، وأعطى البعيد والقريب، وأرزق العدو والحبيب .

قريب: يغيث اللهفان، ويُشبع الجوعان، ويسقى الظمآن، ويتابع الإحسان .

قريب: عطاؤه ممنوح، وخيره يغدو ويروح، وبابه مفتوح، حليم كريم صفوح .

قريب: يدعوه الغريق فى البحار، والضال فى القفار، والمحبوس خلف الأسوار كما دعاه عبده فى الغار .

قريب: فرجه فى لمحة البصر، وغوثه فى لفتة النظر، المغلوب إذا دعاه انتصر، اطَّلع فستر، وعلم فغفر، وعُبد فشكر، وأوذى فصبر .

قريب: جواد مجيد، لا ضد له ولا نديد، أقرب للعبد من حبل الوريد، على كل نفس قائم وشهيد، محمود ممدوح حميد .

---

(١) قصص وعبر (الجزء الثانى) / للمصنف (ص: ٤٠ -٤٢).

قريب: دعا المذنبين للمتاب، وفتح للمستغفرين الباب، ورفع عن أهل الحاجات الحجاب(١).

الزم باب مولاك

ينبغي للعاقل أن يلازم باب مولاه على كل حال وأن يتعلق بذيل فضله إن عصى وإن أطاع.

وليكن له أنس في خلواته به، فإن وقعت وحشة فليجتهد في رفع الموحش كما قال الشاعر:

أمستوحش أنت مما جنيتَ

فأحسن إذا شئتَ واستأنس

فإن رأى نفسه مائلاً إلى الدنيا طلبها منه، أو إلى الآخرة سأله التوفيق للعمل لها.

فإن خاف ضرر ما يرومه من الدنيا سأل الله إصلاح قلبه، وطب مرضه فإنه إذا صلح لم يطلب ما يؤذيه.

ومن كان هكذا كان في العيش الرغد، غير أن من ضرورة هذه الحال ملازمة التقوى، فإنه لا يصلح الأنس إلا بها.

وقد كان أرباب التقوى يتشاغلون عن كل شيء إلا عن اللُّجئ والسؤال.

وفي الخبر: أن قتيبة بن مسلم لما صافَّ الترك هاله أمرهم فقال: أين محمد بن واسع؟ فقيل: هو في أقصى الميمنة جانح على سية قوسه، يومئ بأصبعه نحو السماء، فقال قتيبة: تلك الإصبع الفاردة أحب إليَّ من مائة ألف سيف شهير، وسنان طرير، فلما فُتح عليهم قال له: ما كنت تصنع؟ قال: آخذ لك بمجامع الطرق(٢).

(١) حدائق ذات بهجة (ص/ ١٧٥، ١٧٦).

(٢) صيد الخاطر: (ص١٣٩).

كم فى البليَّة من نعمٍ خفية

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (١).

وقال بعضهم: عواقب الأمور تتشابه فى الغيوب، فرُب محبوب فى مكروه، ورُب مكروه فى محبوب.

وقال عز وجل عن حديث الإفك على المُبرأة من فوق سبع سماوات: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾(٢).

ولما كانت المصائب - على اختلاف أنواعها من موت وغيره من نوائب الزمان - خَطبًا مؤلمًا موجعًا، وأمرًا مَهُولاً مزعجًا، وردت الأحاديث والآثار لمن أصُيب من المقامات، المحتسب الصابر عليها ببشارة الجنات.

قال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس».

فقد يبُتلى العبد ببلاء هو عين عافيته، فيرفع الله عز وجل به ذكره ويظهر به محبة الخلق له، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويفتح عليه فى العبادات، والطاعات، والأحوال الإيمانية، والمنح الربانية ما هو أعظم مما ابتُلى به. فيكون هذا البلاء نعمة خفية ومنحة مطوية، حتى لا يحسده الخلق، وهذا من لطف الله عز وجل بأوليائه وتربيته لهم، أفضل مما يربى الوالد الشفيق ولده الوحيد ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

- فمن فوائد البلاء معرفة الأصدقاء من الأعداء كما قال بعضهم:

جزى الله الشدائد كُلَّ خير
عَرفتُ بها عدوى من صديقى

(١) سورة البقرة: آية (٢١٦).
(٢) سورة النور: آية (١١).
(٣) سورة آل عمران: آية (٦٨).

- ومن ذلك الثواب العظيم فى الصبر على البلاء، والرضى بمر القضاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

- **ومن ذلك تكفير الذنوب... قال النبى ﷺ: «لا يَزَالُ البَلاءُ بالعَبْدِ المُؤْمِنِ فى نَفْسه، وَمَاله وَوَلَده، حتَّى يَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ عَلَيْه خَطِيئَة»(٢).**

- ومن ذلك معرفة عز الربوبية، وذل العبودية، فالله عز وجل يبتلى من شاء من خلقه، بما شاء من ألوان البلاء، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون.

والعبد ليس له إلا الرضا والصبر، كما يقولون، الحيلة فيما لا حيلة فيه الصبر. ومن لم يصبر صبر الكرام، سلا سلو البهائم.

- **ومن ذلك توفيق العبد للدعاء غالبًا وقد قال بعض السلف:** لأنا أخوف أن أُحْرم الدعاء، من أن أُحْرم الإجابة، فإذا فُتح للعبد فى الدعاء فإن الإجابة معه. وقد كان المشركون يخلصون الدعاء فى الشدة، فإذا نجاهم الله عز وجل أشركوا معه غيره، والله عز وجل يعلم أنهم سيعودون إلى الشرك، ولكن ينجيهم ببركة هذا الإخلاص اللحظى.

- ومن ذلك تمحيص قلوب المؤمنين، حتى تصلح لحب الله عز وجل، وذكره وعبادته.

- ومن ذلك الخروج من حيز الغفلة، والاشتغال بالذكر والطاعة.

- ومن ذلك ظهور محبة الخلق له، وتعاطفهم معه.

- ومن ذلك أن المحن آداب الله لعباده وتأديب الله يفتح القلوب والعقول.

- ومن ذلك العلم بأن الدنيا دار الابتلاء والكرب لا يُرجَى منها راحة.

وما استغربت عينى فراقًا رأيته
ولا أعلمتنى غير ما القلب عالمه

---

(١) سورة الزمر: آية (١٠).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٣٩٨) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٢٣) كتاب الفتن، وأحمد (١٤٨٤)، من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٢٨٠).

- ومن ذلك أن الجزع لا يرد المصيبة بل يضاعفها وهو بجزعه يزيد فى مصيبته حيث يُشمت أعداءه، ويسوء أصدقاءه ويُغضب ربه ويسر شيطانه ويُحبط أجره، ويُضعف نفسه(١) .

• أن تعلم بأن المصائب تخلص العبد من الكِبر والعجب:

وليعلم أهل المصائب أنه لولا محنُ الدنيا ومصائبها، لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً، فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده فى الأحيان بأنواع من أدوية المصائب، تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظًا لصحة عبوديته، واستفراغًا للمواد الفاسدة الرديئة المهلكة، فسبحان من يرحم ببلائه، ويبتلى بنعمائه كما قيل:

قد يُنعم الله بالبلوى وإن عظمت

ويبتلى الله بعض القوم بالنعمِ

• قد يكون الخير كله فى تلك المصائب:

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى فى حديث الإفك: ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٣) .

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

فى هذه الآية عدة حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتى بالمحبوب، والمحبوب قد يأتى بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرَّة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد..

(١) خواطر إيمانية / الشيخ أحمد فريد (ص/٢٨ - ٣٠) بتصرف.
(٢) سورة البقرة: آية (٢١٦).
(٣) سورة النور: آية (١١).

• أن تعلم بأن البلاء قد يرفعك فى درجات الجنة:

قال ﷺ : «إنَّ الرجلَ ليكون له المنزلةُ عند الله فما يبلغُها بِعملٍ، فلا يزالُ اللهُ يبتليه بما يكرهُ حتى يُبلِّغه إياها»[1] .

فقد يكون عملك الصالح لا يبلغك تلك الدرجة فى الجنة . . . والله - عز وجل- يريد أن يرفعك إلى تلك الدرجة فى الجنة فيبتليك ليرفع درجتك فى الجنة التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

• أن تعلم بأن الله يعوّضك بصبرك واحتسابك:

ومما يُسلى أهل المصائب: أن المصاب إذا صبر واحتسب، وركن إلى كريم، رجاء أن يخلف الله تعالى عليه، ويعوضه عن مصابه؛ فإن الله تعالى لا يخيبه، بل يعوضه؛ فإنه من كل شىء عِوض إلا الله تعالى، فما منه عوض.

• أنك ربما تتعرض لرحمة من رحمات الله بكثرة الدعاء:

ومما يتسلى به المصاب: تعرُّضه إلى مَن القلوب بين أصبعيه وأزمّة الأمور بيديه وانتهاء كل شىء إليه على الدوام، فلعله أن يصادف أوقات النفحات، كما فى الأثر المعروف: إن لله فى أيام دهره نفحات فتعرضوا لنفحاته، واسألوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمِّن روعاتكم، ولعله فى كثرة تعرضه أن يصادف ساعة من الساعات التى لا يُسأل الله فيها شيئًا إلا أعطاه. فمن أُعطى منشور الدعاء أُعطى الإجابة، فإنه لو لم يُرد إجابته لما ألهمه الدعاء كما قيل:

لو لم تُرِدْ نيلَ ما أرجو وأطلبُهُ

من جُودِ كفكَ ما عودتنى الطلبا

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه (٧/ ١٦٩)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٥)، وأبو يعلى فى مسنده (١٠/ ٤٨٢)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٥٩٩).

• الفوز بمعية الله -جل وعلا-:

وإذا كان الصبر على تلك المصائب والابتـلاءات تجلب للعبد أعظم نعمة ألا وهى: معيـة الله . . . فأهلاً ومرحبًـا بالبلاء، فوالله إن إحسـاس العبد بمعـية الله -جـل وعلا- تجـعله ينسى الألم والمشـقة والـعذاب، بل تجـعله يستعذب العذاب فى سبيل الله.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(١).

• أن الله قد يحيى قلبك بهذا البلاء:

وهذا أمـر نشـاهـده كثيـرًا. . . فقد يكون العبد بعـيدًا عن طاعة الله - جل وعلا - فإذا سلَّط الله عليـه البلاء عاد العبد إلى ربه وقـام لينفض غبار الغفلة ويرفع يديه بالدعـاء والإنابة والتوبة . . . وإذا به يصبح عابـدًا صائمًا قائمًا، بل وقد يصبح داعية إلى الله -جل وعلا-.

• أن تتذكر ما فى البلاء من اللطائف والفوائد:

ومن بين تلك الفوائد التى يجنيـها العبد من البلاء: تذكيـر العبد بذنوبه فربما تاب منها إلى الله عز وجل.

قال بعض السلف: إن العبد ليـمرض فيذكر ذنوبه فيـخرج منه مثل رأس الذباب من خشية الله فيغفر له.

* ومنها: زوال قسوة القلوب وحدوث رقتها وانكسار العبد لله -عز وجل- وذلك أحب إلى الله من كثير من طاعات الطائعين.

* ومنها: أنها توجب من العبد الرجـوع إلى الله عز وجل والوقوف ببابه والتضرع له والاستكانة، وذلك من أعظم فوائد الابتلاء.

* ومنهـا: أن البـلاء يقـطع قلب المؤمن عن الالتـفـات إلى المخلوق، ويوجب له الإقبال على الخالق وحده.

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٣).

* ومنها: رحمــة أهل البلاء، ومســاعدتهم على بلواهم، فإن العـبد إذا أحس بألم الابتلاء رق قلبه لأهل البلاء ورحمهم.

* ومنها: معرفة قـدر نعمة العافية، فإن النـعم لا تُعرف أقدارها إلا بعد فقدها، فلا يعرف نعمة العافية إلا من ذاق مرارة المرض(١).

لا تشكُ من يرحمك إلى من لا يرحمك

واحذر - أخى الحبيب - أن تشكو ربك -عز وجل- لأى مخلوق فإنك إن فعلت ذلك فكأنك تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك.

- واحرص على هذا الثواب العظيم الذى أخبر عنه الحق -جل وعلا-. قال رسول الله ﷺ: **«قال تعالى: إذا ابتليتُ عبداً من عـبادى مؤمنًا فحمدنى وصبـر على ما بليـته؛ فإنـه يقوم من مضـجعـه ذلك كيوم ولدته أمـهُ من الخطايا، ويقول الربُّ عـز وجل للحفظة إنى أنا قيـدت عبدى هذا وابتليـته، فأجـروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»**(٢).

وقال ﷺ: «قـال الله تعـالى: إذا ابتليت عـبـدى المؤمن فلـم يشكُنى إلى عُواده أطلقـته من إسارى، ثم أبدلتـه لحمًا خيـراً من لحمـه ودمًا خيـرًا من دمه ثم يستأنف العمل»(٣).

قال الإمام ابن القـيم - رحمه الله -: «والشكوى إلى الله - عز وجل - لا تنافى الصبر، فإن يعقوب - عليه السلام - وعد بالصبر الجميل - والنبى إذا وعد لا يُخلف - ثم قال: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾(٤)، وكذلك

---

(١) بتصرف من كتاب (رسالة إلى أهل البلاء) / للمصنف.

(٢) حسن: رواه أحمـد (١٦٦٦٩) من حديث شداد بن أوس بن ثابـت رضي الله عنه، وحسنه العلامـة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٠٩).

(٣) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٠)، والبيهـقى فى سننه الكبرى (٣/ ٣٧٥)، والبيهقى فى الشعب (٦/ ٥٤٧)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٢).

(٤) سورة يوسف: آية (٨٦).

أيوب عليه السلام أخبر الله عنه أنه وجده صابرًا، مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[(١)]، وإنما ينافى الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلاً يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!! ثم أنشد:

وإذا عرتك بلية فاصبر لها
صبر الكريم، فإنه بك أرحمُ
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما
تشكو الرحيم إلى الذى لا يرحمُ[(٢)]

وأما إخبار المريض بمرضه لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابة لسؤال من سأل عن حاله، أو إخبار الطبيب، أو من يرجو أن يدله على الدواء، فهذا جائز ولا ينافى الصبر، فإن النبى ﷺ قال لابن مسعود رضي الله عنه: «**إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم**». ولما قالت عائشة رضي الله عنها: وارأساه!! قال: «**بل أنا، وارأساه**».

وقال ابن القيم - رحمه الله-: «وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرره لم يقدح ذلك فى الصبر، كإخبار المريض للطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله، وإخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه، وقد كان النبى ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حاله، ويقول: «**كيف تجدك**»، وهذا استخبار منه واستعلام بحاله» [(٣)] اهـ.

وقال ابن مفلح - رحمه الله -: «ويخبر بما يجده بلا شكوى.

وكان أحمد - رحمه الله - يحمد الله أولاً؛ لخبر ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا كان الشكر قبل الشكوى فليس بشاكٍ»[(٤)].

(١) سورة الأنبياء: آية (٨٣).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٦١).
(٣) عدة الصابرين (ص: ٣١٤).
(٤) الفروع (٢/ ١٧٦).

وقد التزم سلفنا الصالح - رحمهم الله تعالى - هذا الأدب، فكانوا يكتمون ما أصابهم، ولا يشكون مولاهم إلى خلقه.

ولما نزل فى إحدى عينى عطاء - رحمه الله - الماء، مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، حتى جاء ابنه يومًا من قِبل عينه التى أصيب فيها، فلم يشعر به، فعلم أن أباه قد أصيب(١).

وأما الأنين: فقال ابن القيم - رحمه الله -: «التحقيق أن الأنين على قسمين: أنين شكوى، فيُكره. وأنين استراحة وتفريج، فلا يُكره، والله أعلم»(٢).

إشارات على الطريق

تمسك بالحلم وأنت فى خضم الضوضاء والعجلة.

* تمسك بالأمل فى خضم المصائب والمعاناة..
* تمسك بالبسمة وبخاصة فى أوقات الشدائد ..
* تذكر قدر الأمان الذى يكمن فى التزام الصمت ...
* حاول جيدًا أن تحتفظ بعلاقات جيدة مع الجميع دون التنازل عن شىء من ثوابتك.
* عبر عن مكنون صدرك بهدوء ووضوح.
* أنصت للآخرين فإن لديهم ما يقولون.
* تجنب الأشخاص العدوانيين وذوى الصوت المرتفع؛ لأنهم سيجرحون فؤادك.
* استمر على اهتمامك بمهنتك مهما كانت متواضعة.
* التزم الحذر فى أمور العمل، حيث إن العالَم ملىء بالخداع، ولكن لا تدع هذا يعميك عما هو موجود من الخير.

(١) تسلية أهل المصائب (ص: ٢١٥).

(٢) عدة الصابرين (ص: ٣١٥).

* كن نفسك ولا تتقمص شخصية غيرك، فلست هو.
* خذ العبرة من السنوات الماضية.
* قوِّ من روحك حتى يحميك ثباتك فى ظل الظروف السيئة المفاجئة.
* لا تضايق نفسك بالتخيلات فالعديد من المخاوف منشؤها الإرهاق والوحدة.
* كن لطيفًا مع نفسك، واجتهد أن تحتفظ معها بعلاقة طيبة.
* أيًّا كانت نظرتك للحياة فينبغى أن تكون علاقتك طيبة مع الله . . .
* كن مرحًا . . واجتهد لتكون سعيدًا[١].

كن حازمًا فى اتخاذ القرارات حتى لا تحزن

إن من طبيعة المؤمن: الثبات والتصميم والجزم والعزم، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾[٢] أما أولئك: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[٣]، وفى قرارهم يضطربون، وعلى أدبارهم ينكصون، ولعهودهم ينقضون. إن عليك أيها العبد إذا لمع بارق الصواب، وظهر لك غالب الظن، وترجَّح لديك النفع، أن تُقدِم بلا الْتواء ولا تأخُّر.

صحيح أن هناك صبرًا وتحمُّلاً وانتظارًا، لكن إلى متى؟ إن الفَطِن يعلم أن هذا الأمر يتمُّ أو لا يتم، يصلح أو لا يصلح، يستمر أو لا يستمر، فليتخذْ قرارًا.

والشاعر يقول:

وعلاجُ ما لا تَشْتَهِيه
النفسُ تعجيلُ الفراق

والذى يظهر من السِّيَر واستقراء أحوال الناس، أن الإرباك والحيرة يأتيهم

---

(١) شوربة دجاج لحياة المراهقين ص (٢٢٤، ٢٢٥) بتصرف.
(٢) سورة الحجرات: آية (١٥).
(٣) سورة التوبة: آية (٤٥).

فى مواقفَ كثيرة، لكن غالب ما يأتيهم فى أربع مسائل:

الأولى: فى الدراسة واختيار التخصُّص، فهو لا يدرى أىَّ قسم يسلكه، فيبقى فى ذلك فترة. وعرفتُ طُلاَّبًا ضيَّعوا سنوات بسبب تردُّدهم فى الأقسام، وفى الكليات، فيبقى بعضهم مترددًا قبل التسجيل، حتى يفوته التسجيل، وبعضهم يدخل فى قسم سنة أو سنتين، فيرتضى الشريعة ثم يرى الاقتصاد، ثم يعود إلى الطب، فيذهب عمره شَذَر مَذَر.

ولو أنه درس أمره وشاور واستخار الله فى أول أمره، ثم ذهب لا يلوى على شىء، لأحرز عمرَه وصان وقته، ونال ما أراد من هذا التخصُّص.

الثانية: العمل المناسب، فبعضهم لا يعرف ما هو العمل الذى يناسبه، فمرة يعتنق وظيفة، ثم يتركها ليذهب إلى شركة، ثم يهجر الشركة إلى عمل تجارى بحت، ثم يحصل على العدم والإفلاس والفقر ثم يلزم بيتَه مع صفوف العاطلين.

وأقول لهؤلاء: من فُتح له باب رزق فلْيلزمْهُ، فإنَّ رزقه من هذا المكان، ومن لزم بابًا أُوتى سهولته وفتحه وحكمته.

الثالثة: الزواج، وأكثر ما يأتى الشباب الحيرة والاضطراب فى مسألة اختيار الزوجة، وقد يدخل رأى الآخرين فى الاختيار، فالوالد يرى لولده امرأة غير التى يراها الابن أو التى تراها الأم، فربما وافق الابن رغبة والده، فيحصل ما لا يريده، وما لا يحبه، وما لا يقدمه.

ونصيحتى لهؤلاء أن لا يُقدموا فى مسألة الزواج بالخصوص إلا على ما يرتاحون إليه فى جانب الدين والحسن والموافقة؛ لأن المسألة مسألة مصير امرأة لا مكان للمجازفة بها.

الرابعة: تأتى الحيرة والاضطراب فى مسألة الطلاق، فيومًا يرى الفراق، ويومًا يرى المعايشة، ويومًا يرى أن يُنهى المعايشة، وآخر يرى أن يقطع

الحبلَ، فيصيبه الإعياء، وحُمَّى الروح، وفساد الرأى، وتشتُت الأمر، ما الله به عليم.

إن على العبد أن يُنهي هذه الضوائق النفسية بقراره الصارم، إن العمر واحد، وإن اليوم لن يتكرَّر، وإن الساعة لن تعود، فعليه أن يعيشها سعادة يشارك فيها بنفسه، يشارك بنفسه فى استجلاب هذه السعادة، وتأتى هذه السعادة باتخاذ القرار. إن العبد المسلم إذا همَّ وعزم وتوكل على الله بعد أن يستخير ويُشاور، صار كما قال الأول:

إذا همَّ ألقى بينَ همَّيْه عينَهُ

وأعرضَ عن ذكْرِ العواقبِ جانبًا

إقدامٌ كإقدام السيل، ومضاء كمضاء السيف، وتصميم كتصميم الدهر، وانطلاق كانطلاق الفجر، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ﴾(١)(٢).

اسلك سبيل الإخلاص حتى لا تحزن

لا يجتمع الإخلاصُ فى القلب ومحبةُ المدح والثناء والطمعُ فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار والضبّ والحوت.

فإذا حدَّثتك نفسُك بطلب الإخلاص فأقبل على الطمع أولاً فاذبحه بسكين اليأس، وأقبل على المدح والثناء فازهد فيهما زُهْدَ عُشّاق الدنيا فى الآخرة. فإذا استقام لك ذبحُ الطمع والزهد فى الثناء والمدح سَهُلَ عليك الإخلاص.

فإن قلت: وما الذى يُسهِّل علىَّ ذبحُ الطمع والزهد فى الثناء والمدح؟

قلت: أما ذبح الطمع، فيسهله عليك علمك يقينًا أنه ليس من شىء

(١) سورة يونس: آية (٧١).

(٢) لا تحزن (ص: ٤٦٠ - ٤٦٣) بتصرف.

يُطمع فيه إلا وبيد الله وحده خزائنه، لا يملكها غيره، ولا يؤتى العبدَ منها شيئًا سواه. وأما الزهد فى الثناء والمدح، فيسهله عليك علمك أنه ليس أحد ينفع مدحُه ويزين ويضرُّ ذمُّه ويَشين إلا الله وحده، كما قال ذلك الأعرابى للنبى ﷺ: إن مدحى زين وذمِّى شَين، فقال: «**ذاك الله عز وجل**»(١).

فـازهد فى مـدح من لا يزينك مـدحُه، وفى ذمِّ من لا يشـينك ذمُّـه، وارغب فى مدح مـن كلُّ الزين فى مدحـه وكل الشين فى ذمِّـه. ولن يُقدَر على ذلك إلا بالصبر واليقـين، فمتى فقدتَ الصبـر واليقين كنت كمن أراد السفر فى البحر فى غير مركب.

قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾(٢).

وقـال تعـالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٣)(٤). اهـ.

بقدر إجلالك لله يُجلك

* قال الإمام ابن الجوزى رحمه الله:

إخوانى: اسمعوا نصيحة مَن قد جرّب وخبَّر.

إنه بقدر إجلالكـم لله عز وجل يُجِلُّكُم، وبمقدار تعظيم قدره واحـترامه يعظّم أقداركم وحرمتكم.

ولقد رأيت من أنفق عمره فى العلم إلى أن كبرت سِنُّهُ، ثم تعدّى الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه من غزارة علمه، وقوة مجاهدته.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٢٦٧) كـتاب تفسيـر القرآن، وأحمد (١٥٥٦١)، من حـديث الأقرع بن حابس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح سنن الترمذى.

(٢) سورة الروم: آية (٦٠).

(٣) سورة السجدة: آية (٢٤).

(٤) الفوائد (ص: ٢١٨، ٢١٩).

ولقد رأيت من كان يراقب الله عز وجل في صبوته - مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالِم - فعظم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت مَن كان يرى الاستقامة إذا استقام، فإذا زاغ مال عنه اللطف، ولولا عموم الستر وشمول رحمة الكريم لافتضح هؤلاء المذكورون، غير أنه في الأغلب تأديب أو تلطف في العقاب كما قيل:

ومن كان في سخطه محسنًا

كيف يكون إذا ما رضي

غير أن العدل لا يحابي، وحاكم الجزاء لا يجور، وما يضيع عند الأمين شيء[١].

وتوكل على الحي الذي لا يموت

عن أبي قدامة الرَّمْلي قال: قرأ رجلٌ هذه الآية: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً**﴾[٢]. فأقبل عليَّ سليمان الخواص فقال: يا أبا قدامة، ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمره، ثم قال: انظر كيف قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ**﴾ فأعلمك أنه لا يموت، وأن جميع خلقه يموتون، ثم أمرك بعبادته فقال: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ**﴾ ثم أخبرك بأنه خبير بصير، ثم قال: والله يا أبا قدامة، لو عامل عبدٌ اللهَ بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته؛ لاحتاجت إليه الأمراء فمَن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجًا وموئله وملجؤه إلى الغني الحميد؟![٣].

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٠٧، ٢٠٨).

(٢) سورة الفرقان: آية (٥٨).

(٣) التوكل/ لابن أبي الدنيا (ص: ٧٠).

- وفى هذه الآية (لطيفة) ألا وهى : أن الحى هو الذى لا يموت فلماذا لم يقل الحق -جل وعلا-: «وتوكل على الحى» أو «وتوكل على الذى لا يموت»؟ إنما ذكر الله ذلك ليملأ قلبك يقينًا وثقة وتوكلاً عليه؛ لأنه هو الحى الذى لا يموت، والإنس والجن يموتون: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾(١)، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾(٢).

التوحيد ملجأ أعداء الله وأوليائه

التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه:

فأما أعداؤه: فينجيهم من كُرَب الدنيا وشدائدها: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(٣).

وأما أولياؤه: فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزع إليه يونس - عليه السلام-، فنجاه الله من تلك الظلمات. وفزع إليه أتباع الرسل، فنجوا به مما عُذِّب به المشركون فى الدنيا وما أُعِدَّ لهم فى الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق، لم ينفعه؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبَل . . . هذه سُنَّة الله فى عباده.

فما دُفِعَت شدائدُ الدنيا بمثل التوحيد. ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذى النون التى ما دعا بها مكروب إلا فرَّج الله كربه بالتوحيد. فلا يُلْقى فى الكُرَب العظام إلا الشرك، ولا يُنجى منها إلا التوحيد؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها . . وبالله التوفيق(٤).

---

(١) سورة القصص: آية (٨٨).

(٢) سورة الرحمن: آية (٢٦، ٢٧).

(٣) سورة العنكبوت: آية (٦٥).

(٤) الفوائد (ص: ٨٢).

هنيئًا لمن صحب النبى ﷺ

لقد جاء رسولنا ﷺ إلى الناس بالدعوة الربانية، ولم يكن له دعاية من دنيا، فلم يُلقَ إليه كنز، وما كانت له جنَّة يأكل منها، ولم يسكن قصرًا، فأقبل المحبُّون يبايعون على شظفٍ من العيش، وذروة من المشقَّة، يوم كانوا قليلاً مستضعفين فى الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، ومع ذلك أحبه أتباعه كلَّ الحب.

حُوصروا فى الشِّعْبِ، وضُيِّق عليهم فى الرزق، وابتُلوا فى السمعة، وحُوربوا من القرابة، وأُوذوا من الناس، ومع هذا أحبُّوه كل الحب.

سُحب بعضهم على الرمْضَاء، وحُبس آخرون فى العراء، ومنهم من تفنَّنْ الكفارُ فى تعذيبه وتأنَّقوا فى النكال به، ومع هذا أحبوه كل الحب.

سُلبوا أوطانهم ودورهم وأهليهم وأموالهم، طُردوا من مراتع صباهم، وملاعب شبابهم ومغانى أهلهم، ومع هذا أحبوه كل الحب.

ابُتلى المؤمنون بسبب دعوته، وزُلزلوا زلزالاً شديدًا، وبلغت منهم القلوب الحناجر وظنُّوا بالله الظنونا، ومع هذا أحبوه كل الحب.

عُرِّض صفوة شبابهم للسيوف المُصلَتَة، فكانت على رؤوسهم كأغصان الشجرة الوارفة.

وكأن ظلَّ السيفِ ظِلُّ حديقة
خضراء تُنْبِتُ حولنا الأزهارا

وقدَّم رجالهم للمعركة فكانوا يأتون الموت كأنهم فى نزهة، أو فى ليلة عيد، لأنهم أحبوه كل الحب.

يُرْسَلُ أحدهم برسالة ويَعلم أنه لن يعود بعدها إلى الدنيا، فيؤدّى رسالته، ويُبعث الواحد منهم فى مهمة ويعلم أنها النهاية فيذهب راضيًا، لأنهم أحبوه كل الحب.

ولكن لماذا أحبُّوه وسعدوا برسالته، واطمأنوا لمنهجه واستبشروا بقدومه، ونسوا كلَّ ألم وكلَّ مشقة وجُهد ومعاناة من أجل اتِّباعه؟

إنهم رأوا فيه كل معانى الخير والفلاح وكل علامات البر والحق، لقد كان آية للسائلين فى معالى الأمور، لقد أبرد غليل قلوبهم بحنانه، وأثلج صدورهم بحديثه، وأفعَمَ أرواحهم برسالته.

لقد سكب فى قلوبهم الرضا، فما حسبوا للآلام فى سبيل دعوته حسابًا، وأفاض على نفوسهم من اليقين ما أنساهم كل جرح وكدر وتنغيص.

صقل ضمائرهم بهداه، وأنار بصائرهم بسناه، ألقى عن كواهلهم آثار الجاهلية، وحط عن ظهورهم أوزار الوثنية، وخلع من رقابهم تبعات الشرك والضلال، وأطفأ من أرواحهم نار الحقد والعداوة، وصب على المشاعر ماء اليقين، فهدأت نفوسهم وسكنت أبدانهم، واطمأنت قلوبهم وبردت أعصابهم.

وجدوا لذة العيش معه، والأنس فى قربه، والرضا فى رحابه، والأمن فى اتباعه، والنجاة فى امتثال أمره، والغنى فى الاقتداء به.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١)، **﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾**(٢)، **﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾**(٣)، **﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾**(٤)، **﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾**(٥)،

---

(١) سورة الأنبياء: آية (١٠٧).

(٢) سورة الشورى: آية (٥٢).

(٣) المائدة: آية (١٦).

(٤) الجمعة: آية (٢).

(٥) الأعراف: آية (١٥٧).

﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[١] ، ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[٢] .

لقد كانوا سعداء حقًّا مع إمامهم وقدوتهم، وحُق لهم أن يسعدوا ويبتهجوا[٣] .

احرص على تجويد العمل لا على كثرته

لا يلزم من كثرة الثواب أن يكون العمل الأكثر ثوابًا أحب إلى الله تعالى من العمل الذى هو أقل منه؛ بل قد يكون العمل الأقل أحب إلى الله تعالى، وإن كان الكثير أكثر ثوابًا.

فمثلاً ذبح الشاة الواحدة يوم النحر أحب إلى الله من الصدقة بأضعاف أضعاف ثمنها وإن كثر ثواب الصدقة.

وكذلك قراءة سورة بتدبر ومعرفة وتفهم، وجمع القلب عليها، أحب إلى الله تعالى من قراءة ختمة سردًا وهذًّا، وإن كثر ثواب هذه القراءة.

وكذلك صلاة ركعتين يُقبل العبد فيهما على الله تعالى بقلبه وجوارحه، ويفرغ قلبه كله لله فيهما، أحب إلى الله تعالى من مائتى ركعة خالية من ذلك، وإن كثر ثوابها عددًا.

ومن هذا: **«سبق درهم مائة ألف درهم»**[٤] .

ولهذا قال الصحابة ﷺ : «إن اقتصادًا فى سبيل وسُنة خير من اجتهاد فى خلاف سبيل وسنة».

فالعمل اليسير الموافق لمرضاة الرب وسنة رسوله ﷺ أحب إلى الله

(١) سورة الأنفال: آية (٢٤).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٠٣).

(٣) لا تحزن: (ص: ٧٦، ٧٧).

(٤) حسن: رواه النسائى (٢٥٢٧) كتاب الزكاة، وأحمد (٨٧١٠)، من حديث أبى هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٠٦).

تعالى من العمل الكثير إذا خلا عن ذلك أو عن بعضه.

ولهذا قال الله تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾(١).

فهو سبحانه وتعالى إنما خلق السماوات والأرض، والموت والحياة وزيَّن الأرض بما عليها ليبلو عباده أيهم أحسن عملاً، لا أكثر عملاً.

والأحسن: هو الأخلص والأصوب، وهو الموافق لمرضاته ومحبته دون الأكثر الخالى من ذلك؛ فهو سبحانه وتعالى يحب أن يتعبد له بالأرضَى له، وإن كان قليلا، دون الأكثر الذى لا يرضيه، والأكثر الذى غيره أرضى له منه.

ولهذا يكون العملان فى الصورة واحدًا، وبينهما فى الفضل - بل بين قليل أحدهما وكثير الآخر فى الفضل - أعظم مما بين السماء والأرض.

ولهذا كان القبول يختلف ويتفاوت بحسب رضا الرب سبحانه بالعمل: فقبول يوجب رضا الله سبحانه وتعالى بالعمل، ومباهاة الملائكة به، وتقريب عبده منه، وقبول يترتب عليه كثرة الثواب والعطاء فقط.

كمن تصدق بألف دينار من جملة ماله - مثلاً - بحيث لم يكترث بها، والألف لم تنقصه نقصًا يتأثر به، بل هى فى بيته بمنزلة حصى لقيه فى داره أخرج منه هذا المقدار؛ إما ليتخلص من همه وحفظه، وإما ليجازى عليه بمثله، أو غير ذلك.

وآخر عنده رغيف واحد هو قوته، لا يملك غيره، فآثر به على نفسه من هو أحوج إليه منه، محبة لله وتقربًا إليه وتوددًا، ورغبة فى مرضاته، وإيثارًا على نفسه.

فيا لله كم بُعد ما بين الصدقتين فى الفضل، ومحبة الله وقبوله ورضاه؟

---

(١) سورة الملك: آية (٢).

ولهذا قال ابن عمر وغيره من الصحابة ﷺ: «لو أعلم أن الله يتقبل منى سجدة واحدة؛ لم يكن غائب أحب إلىَّ من الموت».

إنما يريد به القبول الخاص، وإلا فقبول العطاء والجزاء حاصل لأكثر الأعمال.

• والقبول ثلاثة أنواع:

قبول رضا ومحبة: واعتداد ومباهاة وثناء على العامل به بين الملإ الأعلى.

وقبول جزاء وثواب: وإن لم يقع موقع الأول.

وقبول إسقاط للعقاب فقط: وإن لم يترتب عليه ثواب وجزاء، كقبول صلاة من لم يحضر قلبه فى شىء منها، فإنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها؛ فإنها تُسقط الفرض ولا يثاب عليها، وكذلك صلاة الآبق، وصلاة من أتى عرافًا فصدقه؛ فإن النص قد دل أن صلاة هؤلاء لا تُقبل، ومع هذا فلا يؤمرون بالإعادة؛ لأن عدم قبول صلاتهم إنما هو فى حصول الثواب، لا فى سقوطها من ذمتهم.

والأعمال تتفاضل بتفاضل ما فى القلوب من الإيمان والمحبة، والتعظيم والإجلال، وقصد وجه المعبود وحده دون شىء من الحظوظ سواه حتى تكون صورة العملين واحدة، وبينهما فى الفضل ما لا يحصيه إلا الله تعالى.

وتتفاضل أيضًا بتجريد المتابعة؛ فبين العملين من الفضل بحسب ما يتفاضلان به فى المتابعة، فتتفاضل الأعمال بحسب تجريد الإخلاص والمتابعة تفاضلاً لا يحصيه إلا الله تعالى(١).

* * *

---

(١) المنار المنيف (ص: ٢٠ - ٢٤) بتصرف.

كفى بالله وكيلاً وشهيدًا

لا تحزن.. واجعل الله وكيلك فى كل شىء فلن يخذلك إن أخلصت النية وكنت صادقًا فى توكلك على الله.

وبالمثال يتضح المقال فلقد قال الحبيب ﷺ كما عند البخارى: «إن رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتنى بالشهداء أُشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فائتنى بالكفيل، قال: كفى بالله وكيلاً، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مُسمى، فخرج فى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليه، للأجل الذى أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنى تسلَّفت فلانًا ألف دينار، فسألنى كفيلاً، فقلت: كفى بالله وكيلاً، فرضى بك، وسألنى شهيدًا، فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضى بك، وإنى جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه الذى له فلم أجد، وإنى أستودعكها، فرمى بها إلى البحر، حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قَدِم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: والله مازلت جاهدًا فى طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذى أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلىَّ شيئًا؟ قال: أخبرك أنى لم أجد مركبًا قبل الذى جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا»(١).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٦٣) كتاب البيوع، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تمسك بسنة النبى ﷺ حتى لا تحزن

إن التمسك بسنة النبى ﷺ فى هذا الزمان وفى كل زمان هو طوق النجاة من بحار الفتن التى تموج موجًا.

قال ﷺ: **«تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله، وسنتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىَّ الحوض»**(١).

وقال ﷺ: **«أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن أُمِّر عليكم عبد حبشى، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**(٢).

* كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له:

أما بعد:

فإنى أوصيك بتقوى الله، واتباع سنة رسوله، والاقتصاد فى أمره، وترك ما أحدث المحدثون بعده ممن قد حارب سنته: ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل على بطلانها، فعليك لزوم السنة، فإنه إنما سنَّها من قد علم ما فى خلافها من الزيغ والزلل، والحمق والخطأ والتعمق. ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وعلى العمل الشديد أشد.

فرحم الله ابن عبد العزيز... ما أحسن هذا القول الذى ما يخرج إلا من قلب قد امتلأ بالمتابعة، ومحبة ما كان عليه الصحابة، فمن الذى يستطيع أن يقول مثل هذا من الفقهاء وغيرهم؟ فرحمه الله وعفا عنه (٣).

---

(١) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ١٧٢)، والبيهقى فى سننه الكبرى (١٠/ ١١٤)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٣٧).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٠٧) كتاب السنة، والترمذى (٢٦٧٦) كتاب العلم، وابن ماجه (٤٢) فى المقدمة، وأحمد (١٦٦٩٤)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٣) البداية والنهاية (٩/ ٢٤١).

* قال الإمام الشافعى:

«كل مسألة تكلمت فيها بخلاف السنة فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد مماتى».

* قال الإمام أحمد بن حنبل:

«أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول ﷺ، والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهى ضلالة».

إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا

إن الواجب على كل مسلم أن يسلك سُبل الحلال وينأى بنفسه عن مواطن الشبهة، فلا يأكل إلا الحلال، ولا يُدخل بيته إلا الحلال..

قال ﷺ: **«يأتى على الناس زمان ما يبالى الرجل من أين أصاب المال؟ من حلال أو حرام»**(١).

وقال ﷺ: **«لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس - وذكر منهم - وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»**(٢).

وقال رسول الله ﷺ: **«الحلال بيِّن، والحرام بَيِّن، وبينهما أمور مشتبهات»**(٣).

وقال ﷺ: **«أيها الناس! إن الله طيب، لا يقبل إلا طيبًا... ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذى بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك»**(٤).

وروى: «أن من لم يبال من أين اكتسب المال، لم يبال الله من أى باب أدخله النار».

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٠٥٩، ٢٠٨٣) كتاب البيوع، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، من حديث أبى برزة الأسلمى، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢) كتاب الإيمان، ومسلم (١٥٩٩) كتاب المساقاة، من حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

وروى: «أن من اشترى ثوبًا بعشرة دراهم، وفيه درهم من حرام؛ لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه».

وعن أبى هريرة ﷺ قال: «لأن يجعل أحدكم فى فيه ترابًا خير من أن يجعل فى فيه حرامًا».

وقد روى عن يوسف بن أسباط - رحمه الله- قال: «إن الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء؛ قال: دعوه يتعب ويجتهد، فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه».

أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة

* **قال ﷺ: «أيها الناس! إن الله طيب، لا يقبل إلاَّ طيبًا.. ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث، أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذى بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك»**(١).

* فحرى بالعبد إذا كان يأكل حلالاً ولا يقرب الحرام أن يستجيب الله دعاءه ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم.

* ولقد امتن الله -عز وجل- على سعد بن أبى وقاص ﷺ.

بأن جعله مستجاب الدعوة.. وذلك ببركة دعاء النبى ﷺ له عندما قال: **«اللهم استجب لسعد إذا دعاك»**(٢).

وفى عهد أمير المؤمنين عمر ﷺ - شكا أهل الكوفة سعدًا ﷺ وقالوا: إنه لا يُحسن يصلى. فقام سعد وقال: «إنى لأول العرب رمى بسهم فى سبيل الله وكنا نغزو مع النبى ﷺ وما لنا طعام إلا ورق الشجر،

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠١٥) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٧٥١) كتاب المناقب، من حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٦١١٦).

حتى إن أحدنا ليضـع كما يضع البعير أو الشاة مـا له خلـط، ثم أصبحـت بنو أسد تُعزرنى على الإسلام لقد خبت إذًا وضل عملى»(١).

وفى رواية عن جـابر بن سمـرة رضي الله عنه قال: «شكا أهل الكوفة سعـدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمـارًا فشكوا سعدًا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى فأرسل إليـه، فقال: يا أبا إسحـاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحـسن تصلى قال أبوإسحاق - يعنى: سعد-: أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلى العشـاء فأركد فى الأوليين، وأخف فى الأُخْريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل مـعه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفـة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه ويثنون معـروفًا حتى دخل مسجدًا لبنى عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يُـكنَّى أبا سعدة قال: أما إذ ناشدتنـا فإن سعدًا كان لا يسـير بالسرية ولا يقسم بالسـوية ولا يعدل فى القضية. قال سعد: أما والله لأدعـون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فـأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن، وكـان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مـفتون أصابتنى دعوة سعد. قال عبد الملك: فـأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجوارى فى الطرق يغمزهن(٢).

* **وفى «سـير أعـلام النبـلاء» عن سـعد أيضًا:** أن رجلاً قـام يسب عليًّـا رضي الله عنه، فدافـع سعـد عن على، واستـمر الرجل فى السب والشـتم، فـقال سعـد: اللهم اكفنيه بما شئت. فـانطلق بعير من الكوفـة فأقبل مسـرعًا، لا يلوى على شىء، وأخـذ يدخل من بين الناس حـتى وصل إلى الرجل، ثم داسه بخفيه، حتى قتله أمام مشهد ومرأى من الناس.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٢٨) كتاب المناقب، ومسلم (٤٥٣) كـتاب الصلاة، من حديث سعد ابن أبى وقاص رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٥) كتـاب الأذان، ومسلم (٤٥٣) كتاب الصلاة، مقـتصرًا على الجزء الأول منه، من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

* ولقد استدعى الحجاج الحسن البصرى ليبطش به، وذهب الحسن وما فى ذهنه إلا عناية الله ولطف الله، والوثوق بوعد الله، فأخذ يدعو ربه، ويهتف بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى، فيحول الله قلب الحجاج، ويقذف فى قلبه الرعب، فما وصل الحسن إلا وقد تهيأ الحجاج لاستقباله، وقام إلى الباب، واستقبل الحسن، وأجلسه معه على السرير، وأخذ يطيب لحيته، ويترفق به، ويلين له فى الخطاب!!

فما هو إلا تسخير رب العزة والجلال.

لا تكن كالإسفنجة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لتلميذه ابن القيم: «لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل الإسفنجة، فيتشرب بها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصُمتة، تمر الشبهات بظاهرها، ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقرًّا للشبهات.

قال ابن القيم: فما أعلم أنى انتفعت بوصية فى دفع الشبهات كانتفاعى بذلك.

لا تدافع عن نفسك..
ودع الحق -جل وعلا- يدافع عنك

أيها الأخ الحبيب: إذا كنت ناجحًا فى دعوتك أو حتى فى أى شىء من مجالات الحياة فتأهب لسهام الحُسَّاد والحاقدين فإنهم لن يرضوا عنك إلا إذا تركت مواهبك وتخليت عن كل أسباب النجاح... وليتهم يرضوا !!!.

قال الشاعر:

وإذا الفتى بلغ السماء بمجده
كانت كأعداد النجوم عِداهُ

ورمـوه عن قـوسٍ بكل عظيـمـة

لا يـبلغــون بما جَنوه مَــداهُ

وقال الآخر:

حسـدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَهُ

فـالناس أعـداءٌ له وخـصـومُ

كـضـرائـر الحسناء قلن لوجـهـهـا

حسـدًا ومـقـتًـا إنه لذمـيم

وقال آخر:

هم يحسـدونى على موتى فوا أسـفا

حتى على الموت لا أخلو من الحسد

* فإذا كثر كـلامهم فإياك أن تضيع وقتك فى الدفـاع عن نفسكَ فإن الوقت الذى تستـغرقه فى الرد على هؤلاء تسـتطيع أن تستثـمره فى أى عمل يعود عليك بالنفع فى دينك ودنياك... بل ويعود نفعه على دينك ووطنك.

ودع الحق -جل وعلا- يدافع عنك فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾(١).

* وأنت تعلم جيدًا أن قلوب العباد لم تجتمع علَى أحـد مـن البشر حتى رسـول الله ﷺ فلقـد آذى المشركـون رسـول الله ﷺ كـثيـرًا ودبروا المؤامرات لقتله وطردوه من مكة.

* بل إن من البشر من سب الخالق -جل جلاله-.

ولذا قال تعالى كما فى الحـديث القدسى الذى رواه البخارى: «كذبنى ابن آدم؛ ولم يكن له ذلك، وشـتمنى؛ ولم يكن له ذلك، فـأما تكذيبه إيـاى فزعم أنى

(١) سورة الحج: آية (٣٨).

لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياى، فقوله: لى ولد، فسبحانى أن أتخذ صاحبة أو ولدًا»(١).

- فالشاهد أنك لن تستطيع أن تحبس ألسنة الحاقدين من الخوض فى عرضك ولكنك تستطيع أن تُعرض عنهم ولا تلتفت إليهم وتبذل أضعاف جهدك لتنجح أكثر وأكثر.

اصبر على كيد الحسود
فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

ومن الفوائد والتجارب: لا ترد على كلمة جارحة فيك، أو مقولة أو قصيدة، فإن الاحتمال دفن المعايب، والحلم عزٌّ، والصمت يقهر الأعداء، والعفو مثوبة وشرف، ونصف الذين يقرؤون الشتم فيك نسوه، والنصف الآخر ما قرؤوه، وغيرهم لا يدرون ما السبب وما القضية! فلا تُرسخ ذلك أنت وتعمقه بالرد على ما قيل(٢).

من عجائب الجزاء

كل شىء خلقه الله تعالى فى الدنيا فهو أنموذج فى الآخرة وكل شىء يجرى فيها أنموذج ما يجرى فى الآخرة، فأما المخلوق منها فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس فى الجنة شىء يشبه ما فى الدنيا إلا الأسماء»(٣).

وهذا لأن الله تعالى شوَّق بنعيم إلى نعيم، وخوَّف بعذاب من عذاب.

فأما ما يجرى فى الدنيا فكل ظالم معاقَب فى العاجل على ظلمه قبل

(١) **صحيح**: رواه البخارى (٤٤٨٢) كتاب تفسير القرآن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) لا تحزن (ص: ١٠٠).
(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره (١/ ٩١).

الآجل، وكذلك كل مذنب ذنبًا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[١].

وربما رأى العاصى سلامة بدنه وماله فظن أن لا عقوبة... وغفلته، عما عوقب به عقوبة.

وقد قال الحكماء: «المعصية عقاب المعصية، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة».

وربما كان العقاب العاجل معنويًّا كما قال بعض أحبار بنى إسرائيل: «يا رب كم أعصيك ولا تعاقبنى؟» فقيل له: «كم أعاقبك وأنت لا تدرى أليس قد حرمتك حلاوة مناجاتى؟».

فمن تأمل هذا الجنس من المعاقبة وجده بالمرصاد، حتى قال وهيب بن الورد، وقد سُئل: أيجد لذة الطاعة من يعصى؟ فقال: ولا من هم بالمعصية.

فَرُب شخص أطلق بصره فحرمه الله اعتبار بصيرته أو لسانه فحرم صفاء قلبه، أو آثر شبهة فى مطعمه فأظلم سره، وحُرم قيام الليل وحلاوة المناجاة، إلى غير ذلك.

وهذا أمر يعرفه أهل محاسبة النفس وعلى ضده يجد من يتقى الله تعالى من حسن الجزاء على التقوى عاجلاً.

ومن عجائب الجزاء فى الدنيا أنه لما امتدت أيدى الظلم من إخوة يوسف ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾[٢]. امتدت أكفهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾[٣].

---

(١) سورة النساء: آية (١٢٣).

(٢) سورة يوسف: آية (٢٠).

(٣) سورة يوسف: آية (٨٨).

ولما صبر هو يوم الهمة ملك المرأة حلالاً، ولما بغت عليه بدعواها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾[١] أنطقها الحق بقولها: ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ﴾[٢].

ولو أن شخصًا ترك معصية لأجل الله تعالى لرأى ثمرة ذلك، وكذلك إذا فعل طاعة.

ولقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع، طلبًا للراحة العاجلة، فانقلبت أحواله إلى التنغص العاجل، وعكست عليه المقاصد [٣].

تخلص من الذنوب
فإنها تمحق البركة

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله- عن أثر الذنوب فى محق البركة:

ومن عقوباتها: أنها تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة.

وبالجملة أنها تمحق بركة الدين والدنيا، فلا تجد أقل بركة فى عمره ودينه ودنياه ممن عصى الله، وما مُحقت البركة من الأرض إلا بمعاصى الخلق.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[٤].

وقال ﷺ: **«إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملن**

---

(١) سورة يوسف: آية (٢٥).

(٢) سورة يوسف: آية (٥١).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٥٥ - ٥٧) بتصرف.

(٤) سورة الأعراف: آية (٩٦).

أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله؛ فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته» (١).

وليست سعة الرزق والعمل بكثرته، ولا طول العمر بكثرة الشهور والأعوام، ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيه.

وقد تقدم أن عمر العبد هو مدة حياته، ولا حياة لمن أعرض عن الله واشتغل بغيره، بل حياة البهائم خير من حياته، فإن حياة الإنسان بحياة قلبه وروحه، ولا حياة لقلبه إلا بمعرفة فاطره ومحبته وعبادته وحده والإنابة إليه، والطمأنينة بذكره، والأنس بقربه، ومن فَقَد هذه الحياة فَقَد الخير كله، ولو تعوض عنها بما تعوض مما فى الدنيا، بل ليست الدنيا بأجمعها عوضًا عن هذه الحياة، فمن كل شىء يفوت العبد عوض، وإذا فاته الله لم يعوض عنه شىء ألبتة.

وإنما كانت معصية الله سببًا لمحق بركة الرزق والأجل؛ لأن الشيطان موكل بها وبأصحابها، فسلطانه عليهم وحوالته على هذا الديوان وأهله وأصحابه. وكل شىء يتصل به الشيطان ويقارنه فبركته ممحوقة، ولهذا شُرع ذكر اسم الله تعالى عند الأكل والشرب واللبس والركوب والجماع، لما فى مقارنة اسم الله من البركة، وذكر اسمه يطرد الشيطان فتحصل البركة، ولا معارض له. . . . وكل شىء لا يكون لله فبركته منزوعة، فإن الرب هو الذى يبارك وحده والبركة كلها منه، وكل ما نُسب إليه مبارك، فكلامه مبارك، ورسوله مبارك، وعبده المؤمن النافع لخلقه مبارك، وبيته الحرام مبارك، وكنانته من أرضه وهى الشام أرض البركة وصفها بالبركة فى ست آيات من كتابه، فلا مبارك إلا هو وحده، ولا مبارك إلا ما نُسب إليه، أعنى إلى محبته وألوهيته ورضاه، وإلا فالكون كله منسوب إلى ربوبيته وخلقه،

(١) **صحيح**: رواه أبو نعيم فى الحلية (١٠/٢٧)، من حديث أبى أمامة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٠٨٥).

وكل ما باعده من نفسه من الأعيان والأقوال والأعمال فلا بركة فيه ولا خير فيه، وكل ما كان قريبًا من ذلك ففيه من البركة على حسب قربه منه[١].

من عقوبات الذنوب والمعاصى

قال بعضهم: المعاصى سلسلة فى عنق العاصى، لا يَفُكّه منها إلا الاستغفار والتوبة.

وقال بعضهم: الذنوب جراحات، ورُب جرح جاء فى مقتل.

وقال بعضهم: أرقّهم قلوبًا أقلهم ذنوبًا.

وقال بعضهم: ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة.

وقال بعضهم: إذا أجمع العبد على ترك الذنوب، أتته الأمداد من الله عز وجل من كل جانب.

وقال بعضهم: من علامة من غرق فى الذنوب، أن لا ينشرح صدره لقيام الليل، وصيام النهار.

وقيل لبعضهم: لا نستطيع قيام الليل. قال: أبعدتكم الذنوب. وفى رواية كبلتكم خطاياكم.

وللمعاصى من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن فى الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله. فمن آثار الذنوب والمعاصى حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله فى القلب والمعصية تطفئ ذلك النور.. ومن آثارها أنها تجلب فى القلب وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله.... ومنها -من آثارها- القلق وتعسير الأمور ووهن البدن وحرمان الطاعة وأنها تعقب أمثالها -من المعاصى- وأنها تُضعف القلب عن إرادته وتفسد فطرته فيستحسن القبيح وهى سبب مهانة العبد عند الله وعند خلقه وهى التى تورث الذل

(١) الداء والدواء للإمام ابن القيم: (ص: ١٠٨ - ١١٠) بتصرف.

وتفسد العقل وتورث الطبع على القلب وتدخل تحت لعنة رسول الله ﷺ وبها يحدث الفساد فى الأرض وتطفئ نار الغيرة والرجولة من القلب وهى التى تقتل الحياء الذى هو مادة حياة القلب وتُضعف تعظيم الرب بل تميته وهى التى تستدعى نسيان الرب للعبد وهى التى تُخرج العاصى من دائرة الإحسان وتضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة وتزيل النعم وتحل النقم ومن آثارها ما يلقيه الله من الرعب فى قلب العاصى وهى التى تصرف القلب عن صحته إلى مرضه وتسد طرق القلب وتحجبه عن مواد الهداية وهى التى تصغر النفس وتدنسها وتجعل العاصى دائمًا فى أمر شيطانه وسجن شهواته وهواه ومن عقوباتها سقوط الجاه والكرامة عند الله وعند خلقه ومن أعظم عقوباتها القطيعة بين العبد وبين ربه وهى التى تمحق بركة العمر والرزق والعلم والعمل وتجعل العاصى من السفلة وتنزع عنه الهيبة وتعمى القلب والبصيرة. . . . والمعاصى تكون بمثابة المدد الذى يمده العاصى إلى عدوه ليكون وبالاً عليه وهى التى تضعف جند الله وهى التى تباعد العبد عن وليه وتستجلب مواد الهلاك للعبد فى دنياه وآخرته وهى سبب فى الختم على القلوب والأسماع وجعل القلب أصم لا يسمع الحق وهى سبب فى الخسف بالقلب ومسخ القلب ونكسه وهى سبب فى حجاب القلب عن الرب فى الدنيا ويوم القيامة وهى سبب فى المعيشة الضنك التى يعيشها الناس.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: فمما ينبغى أن يُعلم أن الذنوب والمعاصى تضر ولا شك، وأن ضررها فى القلوب كضرر السموم فى الأبدان على اختلاف درجاتها فى الضرر، وهل فى الدنيا والآخرة شر وداء إلا سببه الذنوب والمعاصى، فما الذى أخرج الوالدين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟ وما الذى أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرده ولعنه، ومسخ ظاهره، وباطنه، فجُعلت

صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته وأشنع، وبُدِّل بالقرب بعدًا، وبالرحـمة لعنة، وبالجنة نارًا تلظَّى، وبالإيمان كـفرًا، وبموالاة الغنى الحميد أعظم عداوة ومشاقة، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجل الكفر والشرك والكذب والزور والفـحش، وبلباس الإيمان لباس الكفـر والفسوق والعصيان، فـهان على الله غاية الهوان، وسقط من رحمتـه غاية السقوط، وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه، ومقته أكبر المقت فأرداه، فصار قوادًا لكل فاسق ومجرم، رضى لنفـسه بالقيادة بعد تلك العبادة والسـيادة، فعياذًا بك اللهم من مخالفة أمرك، وارتكاب نهيك.

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم فى عهد نوح - عليه السلام-، حتى علا الماء فوق رأس الجبال، وما الذى سلط الريح العقيم على قوم عاد، حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كـأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت مـا مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

ومـا الذى أرسل على قوم ثمـود الصـيحـة، حتـى قطعت قلوبهم فى أجوافهم، وماتوا عن آخرهم.

وما الذى رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجـعل عاليها سـافلها، فأهلكهم جمـيعًا، ثم أتبعـهم حجارة من سجيل السماء، أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها، وما هى من الظالمين ببعيد؟

وما الذى أرسل على قـوم شعيب سحـاب العذاب كالظُّلل، فلمـا صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارًا تلظَّى؟

وما الذى أغرق فرعون وقومه فى البحر، ثم نُقلت أرواحهم إلى جهنم، فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق.

وما الذى خسف بقارون وداره وماله وأهله؟

وما الذى أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات، ودمرها تدميرًا؟ وما الذى بعث على بنى إسرائيل قومًا أولى بأس شديد، فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذرارى والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه، وتبَّروا ما علوا تتبيرًا.

وما الذى سلط عليهم أنواع العذاب والعقوبات، مرة بالقتل والسبى وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[1][2].

خمسة أشياء تبعدك عن معصية الله -جل وعلا-

إن الله -جل وعلا- إذا أراد بعبده خيرًا فتح له من أبواب التوبة، والندم، والانكسار، والذل، والافتقار، والاستعانة به، وصدق اللَّجأ إليه، ودوام التضرع والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات، ما تكون تلك السيئة سبب رحمته، حتى يقول عدو الله: يا ليتنى تركته ولم أوقعه[3].

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم -وقد كان من أطباء القلوب- وقال له: إنى مسرف على نفسى فاعرض علىَّ ما يكون زاجرًا لها. فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة. فقال الرجل - وكان متشوقًا لسماع موعظته-: هات ما عندك يا إبراهيم. فقال: الأولى إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم، والأرزاق كلها من عند الله؟ فقال: إذا كنت

(١) سورة الأعراف: آية (١٦٧).
(٢) الجواب الكافى (٤٢، ٤٣) المكتبة القيمة بتصرف.
(٣) الوابل الصيب ص (٥ - ٨).

تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل من رزقه وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثانية. فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله. فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه؟! قال: لا يا إبراهيم هات الثالثة فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانًا لا يراك فيه فاعصه فيه قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر -يعلم السر وأخفى- ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء. فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه؟! قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة. فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى إلى أجل معدود. فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة؟! قال: نعم. هات الخامسة يا إبراهيم. فقال: إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم، أنا أستغفر الله وأتوب إليه... ولزم العبادة حتى فارق الحياة.

عشرة أسباب لعدم إجابة الدعاء

حُكى أن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - مر بسوق البصرة فاجتمع الناس إليه وقالوا له: يا أبا إسحاق، ما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا. قال: لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء:

(الأول): عرفتم الله ولم تؤدوا حقه.

---

(١) سورة النحل: آية (٦١).

(والثانى): زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته.

(الثالث): قرأتم القرآن فلم تعملوا به.

(الرابع): أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها.

(الخامس): قلتم إن الشيطان عدو لكم ولم تخالفوه.

(السادس): قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها.

(السابع): قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها.

(الثامن): قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له.

(التاسع): انتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم.

(العاشر): دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

سهام الليل لا تخطئ

اعلم -أيها الأخ الحبيب-:

أن سهام الليل لا تُخطئ ولكن لها أمدٌ وللأمد انقضاءُ، فإذا ادلهمت الخطوب وضاقت عليك الأرض، وعز الصديق، وقَلَّ الناصر، وزمجر الباطل وأهله، ودُعِمَ الفساد وأهله، وكُبت الحق وأهله، ونطق الرويبضة[(١)]، وغدا القرد ليثًا وأفلتت الغنم، فارفع يديك إلى من يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٢)].

يا من أجبت دعاء نوح فانتصر
وحملته فى فلكك المشحونِ

يا من أحال النار حول خليله
روحًا وريحانًا بقولك كونى

يا من أمرت الحوت يلفظُ يونُسًا
وسترته بشجيرة اليقطينِ

---

(١) الرويبضة: هو السفيه يتكلم فى أمر العامة، كما فسره بذلك النبى ﷺ.

(٢) سورة غافر: آية (٦٠).

يا رب إنا مثله في كربة

فارحم عبادًا كلهم ذوالنونِ

* فاحرص على كثرة الدعاء فإنه لا يرد القضاء إلا الدعاء.

قال ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»(١).

فقوله ﷺ: «لا يرد القضاءَ إلا الدعاء».

فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قد قضاه على العبد.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٢).

* **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»**(٣).

* **وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:** قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات، دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»**(٤).

* **وقال ﷺ: «من دعا لأخيه بظهر الغيب**(٥) **قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثلٍ»**(٦).

* **عن عبد الله بن عمرو قال:** قال رجل يا رسول الله! إن المؤذنين يفضُلُوننا. فقال رسول الله ﷺ:

«قل كما يقولون، فإذا انتهيت فسل تُعطه»(٧).

---

(١) **صحيح:** رواه الترمذي (٢١٣٩) كتاب القدر، من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٣٩).

(٢) سورة الرعد: آية (٣٩).

(٣) **صحيح:** رواه الترمذي (١٩٠٥) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٣٨٦٢) كتاب الدعاء، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في تخريج الأدب المفرد (٣٢).

(٤) **صحيح:** صححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٣٠).

(٥) **«بظهر الغيب»** معناه: في غيبة المدعو له، وفي سره، لأنه أبلغ في الإخلاص.

(٦) **صحيح:** رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٧) **حسن صحيح:** رواه أبو داود (٥٢٤) كتاب الصلاة، وأحمد (٦٥٦٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٦).

ما الحكمة فى تأخر إجابة الدعاء

ولعل سائلاً يسأل ويقول: أنا أدعو منذ زمن طويل ولم يُستجب دعائى فما هى الحكمة من تأخر إجابة الدعاء؟

* ويأتيك الجواب من الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - حيث قال: رأيت من البلاء العُجاب أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة ولا يرى أثرًا للإجابة، فينبغى له أن يعلم أن هذا من البلاء الذى يحتاج إلى الصبر.

وما يعرض للنفس من الوسواس فى تأخير الجواب، مرض يحتاج إلى طب، ولقد عرض لى من هذا الجنس، فإنه نزلت بى نازلة فدعوت وبالغت فلم أرَ الإجابة، فأخذ إبليس يجول فى حلبات كيده.

فتارة يقول: الكرم واسع والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب.

فقلت له: إخسأ يا لعين، فما أحتاج إلى تقاضى، ولا أرضاك وكيلاً ثم عدت إلى نفسى فقلت: إياك ومساكنة وسوسته، فإنه لو لم يكن فى تأخير الإجابة إلا أن يبلوك المقدر فى محاربة العدو، لكفى فى الحكمة.

قالت: فدلنى عن تأخير الإجابة فى مثل هذه النازلة.

فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله -عز وجل- مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

والثانى: قد ثبتت حكمته بالأدلة القطعية، فربما رأيت الشىء مصلحة والحق أن الحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذى فى الظاهر، يقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة، وقد قال النبى ﷺ: «لا يزالُ العبد فى خير ما لم يستعجل يقول دعوت فلم يستجب لى»(١).

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٤٠) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون فى مأكولك شبهة أو قلبك وقت الدعاء فى غفلة، أو تُزاد عقوبتك فى منع حاجتك لذنب ما صدقت فى التوبة منه.

والخامس: أنه ينبغى أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان فى حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير فكان المنع أصلح.

والسادس: أنه ربما كان فقد ما تفتقدينه سببًا للوقوف على الباب، واللجأ، وحصوله سببًا للاشتغال به عن المسئول.

وهذا الظاهر بدليل أنه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ، فالحق - عز وجل- علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه، فلذعهم فى خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه، يستغيثون به، فهذا من النعم فى طى البلاء، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عنه، فأما ما يقيمك بين يديه ففيه جمالك.

وإذا تدبرت هذه الأشياء تشاغلت بما هو أنفع لك من حصول ما فاتك، من رفع خلل واعتذار من زلل، أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب(١).

* وهناك جواب سابع وهو أن الله -عز وجل- يعطى العبد الخير الكثير من وراء الدعاء من حيث لا يدرى هذا العبد .... فإما أن يُعجل له الإجابة ويعطيه ما يرجوه وإما أن يرفع به البلاء عن العبد أو يجعل الدعاء سببًا لمنع نزول البلاء كما قال ﷺ: «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»(٢) وقال ﷺ: «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء**»(٣).

وإما أن يعطيه بهذا الدعاء نعمة أخرى هى أنفع له وإما أن يدخر له به الخير الكثير فى الآخرة حتى إن العبد إذا رأى ذلك تمنى أن الله ادخر له كل ذلك فى الآخرة ولم يعجل له إجابة الدعاء فى الدنيا.

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٧٣ - ٧٥) بتصرف.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٢١٣٩) كتاب القدر، من حديث سلمان الفارسى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢١٣٩).

(٣) **حسن**: رواه الترمذى (٣٥٤٨) كتاب الدعوات، ورواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٦٧٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٤٠٩).

لا تستسلم للمرض ... وأحسن الظن بالله

فكم من مريض تعلق قلبه بكلام طبيبه ولم يتعلق قلبه بخالق السماوات والأرض -جل وعلا- . . . فإذا قال له الطبيب: لم يبق من عمرك إلا ستة أشهر وإذا بالمريض يصاب بحالة من الحزن واليأس . . . . ولم يعلم هذا المسكين أن الكلمة الأولى والأخيرة إنما تكون لله -جل وعلا-. فلا يعلم مقادير العباد وأعمارهم إلا الله -جل جلاله-.

- وإنما عليك أن ترضى وتُسلِّم لقضاء الله وأن تُحسن الظن بالله -جل وعلا- فإن عشت عشت كريمًا وقد فزت بالأجر الكبير وإن مت فهنيئًا لك حين أحسنت الظن بالله فقد قال ﷺ - كما عند مسلم -: **«لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله»**(١).

* وكم سمعنا عن أناسٍ أصيبوا بأمراض خطيرة وجعل الله شفاءهم فى شربة من ماء زمزم أو دعوة صالحة خرجت من قلب أخٍ صالح أو. . . . . . وإليك هذين المثالين: المثال الأول لرجلٍ كافرٍ كان يحب الحياة فلم يستسلم للمرض.

والمثال الثانى لامرأة مسلمة جعل الله شفاءها فى ماء زمزم.

*** المثال الأول:**

ذكر دايل كارنيجى قصة رجل أصابته قرحة فى أمعائه بلغ من خطورتها أن الأطباء حددوا له أوان وفاته، وأوعزوا إليه أن يجهز كفنه. قال: وفجأة اتخذ «هانى» - اسم المريض - قرارًا مدهشًا، إنه فكر فى نفسه: إذا لم يبق لى فى هذه الحياة سوى أمدٍ قصير، فلماذا لا أستمتع بهذا الأمد على كل وجه؟ لطالما تمنيت أن أطوف حول العالم قبل أن يدركنى الموت، ها هو ذا الوقت الذى أحقق فيه أمنيتى. وابتاع تذكرة السفر، فارتاع أطباؤه، وقالوا له: إننا نحذرك، إنك إن

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضي الله عنه.

أقدمت على هذه الرحلة فستُدفن فى قاع البحر!! لكنه أجاب: كلا، لن يحدث شىء من هذا، لقد وعدتُ أقاربى ألا يُدفن جثمانى إلا فى مقابر الأسرة.

وبدأ الرجل رحلة مُشبعة بالمرح والسرور، وأرسل خطابًا لزوجته يقول فيه: لقد شربت وأكلت ما لذ وطاب على ظهر السفينة، وأنشدت القصائد، وأكلت ألوان الطعام كلها حتى الدسم المحظور منها، وتمتعت فى هذه الفترة بما لم أتمتع به فى ماضى حياتى. ثم ماذا؟!

ثم يزعم دايل كارنيجى أن الرجل صح من علته، وأن الأسلوب الذى سار عليه أسلوب ناجع فى قهر الأمراض ومغالبة الآلام!!

* **المثال الثانى:**

توبة امرأة مغربية بعد إصابتها بالسرطان وشفائها منه فى بيت الله

- ليلى الحلو امرأة مغربية، أُصيبت بالمرض الخطير (السرطان)، فعجز الأطباء عن علاجها، ففقدت الأمل إلا بالله الذى لم تكن تعرفه من قبل، فتوجهت إليه فى بيته الحرام، وهناك كان الشفاء، والآن - عزيزى القارئ - أتركك مع الأخت ليلى لتروى تفاصيل قصتها بنفسها، فتقول:

منذ تسع سنوات أُصبت بمرض خطير جدًّا، وهو مرض السرطان، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جدًّا، وهناك فى المغرب لا نسميه السرطان، وإنما نسميه (الغول).

أُصبت بالتاج الأيسر، وكان إيمانى بالله ضعيفًا جدًّا، كنت غافلة عن الله تعالى، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته، وأن شبابه وصحته كذلك، وما كنت أظن أبدًا أنى سأُصاب بمرض خطير كالسرطان، فلما أصبت بهذا المرض زلزلنى زلزالاً شديدًا، وفكرت فى الهروب، ولكن إلى أين ومرضى معى أينما كنت؟ فكرت فى الانتحار، ولكنى كنت أحب

زوجى وأولادى، وما فكرت أن الله سيعاقبنى إذا انتحرت، لأنى كنت غافلة عن الله كما أسلفت.

وأراد الله سبحانه أن يهدينى بهذا المرض، وأن يهدى بى كثيرًا من الناس، فبدأت الأمور تتطور.

لما أُصبت بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا، وزرت عددًا من الأطباء هناك، فقالوا لزوجى: لابد من إزالة الثدى . . . . . وبعد ذلك استعمال أدوية حادة تُسقط الشعر وتزيل الرموش والحاجبين، وتعطى لحية على الوجه، كما تُسقط الأظافر والأسنان، فرفضت رفضًا كليًّا، وقلت: إنى أفضل أن أموت بثديى وشعرى وكل ما خلق الله بى ولا أُشوَّه، وطلبت من الأطباء أن يكتبوا لى علاجًا خفيفًا، ففعلوا.

فرجعت إلى المغرب، واستعملت الدواء فلم يؤثر علىَّ، ففرحت بذلك، وقلت فى نفسى: لعل الأطباء قد أخطأوا، وأنى لم أُصب بمرض السرطان.

ولكن بعد ستة أشهر تقريبًا بدأت أشعر بنقص فى الوزن ولونى تغير كثيرًا، وكنت أحس بالآلام، كانت معى دائمًا، فنصحنى طبيب فى المغرب أن أتوجه إلى بلجيكا، فتوجهت إلى هناك.

وهناك كانت المصيبة، فقد قال الأطباء لزوجى: إن المرض قد عم، وأصيبت الرئتان، وأنهم الآن ليس لديهم دواء لهذه الحالة . . . ثم قالوا لزوجى: من الأحسن أن تأخذ زوجتك إلى بلدها حتى تموت هناك.

فُجِعَ زوجى بما سمع، وبدلاً من الذهاب إلى المغرب ذهبنا إلى فرنسا، حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك، ولكنا لم نجد شيئًا، وأخيرًا حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشفى وأقطع ثديى وأستعمل العلاج الحاد.

لكن زوجى تذكر شيئًا كنا قد نسيناه، وغفلنا عنه طوال حياتنا، لقد

ألهم الله زوجى أن نقوم بزيارة إلى بيت الله الحرام، لنقف بين يديه سبحانه ونسأله أن يكشف ما بنا من ضر، وذلك ما فعلنا.

خرجنا من باريس ونحن نهلل ونكبر، وفرحت كثيراً لأننى لأول مرة سأدخل بيت الله الحرام، وأرى الكعبة المشرفة، واشتريت مصحفًا من مدينة باريس، وتوجهنا إلى مكة المكرمة.

وصلنا إلى بيت الله الحرام، فلما دخلنا ورأيت الكعبة بكيت كثيراً لأننى ندمت على ما فاتنى من فرائض وصلاة وخشوع وتضرع إلى الله، وقلت: يا رب . . . لقد استعصى علاجى على الأطباء، وأنت منك الداء ومنك الدواء، وقد أُغلقت فى وجهى جميع الأبواب، وليس لى إلا بابك فلا تغلقه فى وجهى، وطفت حول بيت الله، وكنت أسأل الله كثيراً بأن لا يخيبنى، وأن لا يخذلنى، وأن يحير الأطباء فى أمرى.

وكما ذكرت آنفًا، فقد كنت غافلة عن الله، جاهلة بدين الله، فكنت أطوف على العلماء والمشايخ الذين كانوا هناك، وأسألهم أن يدلونى على كتب وأدعية سهلة وبسيطة حتى أستفيد منها، فنصحونى كثيراً بتلاوة كتاب الله والتضلع من ماء زمزم - والتضلع: هو أن يشرب الإنسان حتى يشعر أن الماء وصل إلى أضلاعه - كما نصحونى بالإكثار من ذكر الله، والصلاة على رسول الله ﷺ.

شعرت براحة نفسية واطمئنان فى حرم الله، فطلبت من زوجى أن يسمح لى بالبقاء فى الحرم، وعدم الرجوع إلى الفندق، فأَذِن لى.

وفى الحرم كان بجوارى بعض الأخوات المصريات والتركيات . . . كن يَريننى أبكى كثيراً، فسألننى عن سبب بكائى، فقلت: لأننى وصلت إلى بيت الله، وما كنت أظن أنى سأحبه هذا الحب. وثانيًا: لأننى مصابة بالسرطان.

فلازمننى ولم يكنَّ يفارقننى، فأخبرتهن أننى معتكفة فى بيت الله، فأخبرن أزواجهن ومكثن معى، فكنا لا ننام أبدًا، ولا نأكل من الطعام إلا القليل، لكنا كنا نشرب كثيرًا من ماء زمزم، .... والنبى ﷺ يقول: «**ماء زمزم لما شُرب له**»، إن شربته لتشفى شفاك الله، وإن شربته لِظَمَإك قطعه الله، وإن شربته مستعيذًا أعاذك الله، .... فقطع الله جوعنا، وكنا نطوف دون انقطاع، حيث نصلى ركعتين ثم نعاود الطواف، ونشرب من ماء زمزم ونكثر من تلاوة القرآن، وهكذا كنا فى الليل والنهار لا ننام إلا قليلاً، عندما وصلت إلى بيت الله كنت هزيلة جدًّا، وكان فى نصفى الأعلى كثير من الكويرات والأورام التى تؤكد أن السرطان قد عم جسمى الأعلى، فكنَّ ينصحننى أن أغسل نصفى الأعلى بماء زمزم، ولكنى كنت أخاف أن ألمس تلك الأورام والكويرات، فأتذكر ذلك المرض فيشغلنى ذلك عن ذكر الله وعبادته، فغسلته دون أن ألمس جسدى.

وفى اليوم الخامس ألح علىَّ رفيقاتى أن أمسح جسدى بشىء من ماء زمزم، فرفضت فى بداية الأمر، لكنى أحسست بقوة تدفعنى إلى أن آخذ شيئًا من ماء زمزم وأمسح بيدى على جسدى، فخفت فى المرة الأولى، ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية، فترددت، ولكن فى المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يدى ومسحت بها على جسدى وثديى الذى كان مملوءًا كله دمًا وصديدًا وكويرات وحدث ما لم يكن فى الحسبان ... كل الكويرات، ذهبت ولم أجد شيئًا فى جسدى ... لا ألمًا ولا دمًا ولا صديدًا ...

فاندهشت فى أول الأمر، فأدخلت يدى فى قميصى لأبحث عما فى جسدى فلم أجد شيئًا من تلك الأورام فارتعشت، ولكن تذكرت أن الله على كل شىء قدير، فطلبت من إحدى رفيقاتى أن تلمس جسدى، وأن تبحث عن هذه الكويرات، فصحن كلهن دون شعور: الله أكبر، الله أكبر ....

فانطـلقت لأخبر زوجى، ودخـلت الفندق، فلما وقـفت أمامـه مزقت قميصى وأنا أقول: انظر رحمـة الله، وأخبرته بما حدث، فلم يصدق ذلك، وأخذ يبكى ويصيح بصوت عالٍ ويقول: هل علمت أن الأطباء أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط؟! فقلت له: إن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ولا يعلم الغيب إلا الله.

مكثنا فى بيت الله أسبوعًا كامـلاً، فكنت أحمد الله وأشكره على نعمه التى لا تُحصى، ثم زُرنا المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورجعنا إلى فرنسا.

وهناك، حـار الأطبـاء فى أمـرى واندهشـوا وكـادوا يُجنّون، وصـاروا يسألوننى: هل أنـت فلانة؟ فأقـول لهم: نعم - بافتخـار - وزوجى فلان، وقد رجـعت إلى ربى، وما عـدت أخاف من شىء إلا مـن الله سبـحانه، فالقضاء قضاء الله والأمر أمره.

فقالوا لى: إن حالتك غريبة جدًّا وإن الأورام قد زالت، فلا بد من إعادة الفحص.

أعادوا الفـحص مرة ثانية فلم يجدوا شـيئًا، وكنت من قـبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام، ولكن عندمـا وصلت إلى بيت الله الحرام وطلبت الشفاء من الله ذهب ذلك عنى.

بعد ذلك كنت أبحث عن سيرة النبى ﷺ وعن سـيرة أصحابه رضي الله عنهم، وأبكى كثيرًا، كنت أبكى ندمًـا على ما فاتنى من حب الله ورسوله ﷺ، وعلى تلك الأيام التى قـضيـتهـا بعيـدة عن الله عز وجل، وأسـأل الله أن يقبلنى وأن يتوب علىّ وعلى زوجى وعلى جميع المسلمين[(١)].

* * *

(١) العائدون إلى الله / محمد بن عبد العزيز المسند (ص: ٩٣ - ٩٧).

لا تحزن أيها المريض ... فأجرك لا ينقص

إذا كان العبد حريصًا على فعل الطاعات حال صحته فإن من كمال رحمة الله بهذا العبد أنه إذا مرض فأدَّى الفرائض لكنه عجز عن أداء بعض السنن والنوافل فإن الله يأمر الملائكة أن يكتبوا له من الأجر مثلما كان يعمل وهو صحيح.

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب الله تعالى له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**.

* بل وفى الحديث القدسى أن النبى ﷺ قال:

«قال تعالى: إذا ابتليتُ عبدًا من عبادى مؤمنًا فحمدنى وصبر على ما بليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل للحفظة، إنى أنا قيَّدت عبدى هذا وابتليته، فأجروا له ما كنتم تُجرون له قبل ذلك من الأجر، وهو صحيح»[(١)].

أخى المريض ... أبشر بكل خير

ونحن نعلم أن من أعظم أنواع الهموم التى يعانى الناس منها: كثرة الأمراض وشدة فتكها بالصحة والشباب ولذلك سأذكر لكم ما يخفف عن المريض ثِقل البلاء:

أما عن الأمور التى تخفف عن المريض ثقل البلاء فهى كثيرة .... ونذكر منها ما يلى:

١- معرفة أن الله يحبك: **«إن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه»**، وإذا أحبك الله جاءت ثمرة المحبة **«كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه»**[(٢)].

---

(١) حسن: رواه أحمد (١٦٦٦٩) من حديث شداد بن أوس بن ثابت ؓ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٠٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة ؓ.

٢- **ملاحظة حُسن الجزاء**: فلو جاءك رجل وقال: سأضربك ضربة بيدى، ثم أعطيك مائة ألف جنيه، فهل ستشعر بألم الضرب؟! بالطبع لا (ولله المثل الأعلى) فلك أن تتخيل أن الله يبتليك ويقول لك: إن ثمن هذا البلاء هو الجنة!! لا شك أن حلاوة الأجر ستُنسيك مرارة الألم.

٣- **انتظار الفرج**: فإنك إذا جاءك المرض تكون بين حالين، إما أن تموت صابرًا محتسبًا فلك الأجر العظيم، وإما أن تُشفى محتسبًا أيضًا فلك سعادة الدارين، واعلم أن الله لطيف بعباده . . . ومن لُطفه تعالى بعباده أن تكون أنت فى قمة البلاء، وعلى الرغم من ذلك يُلقى الله فى قلبك الراحة والرضا بقضاء الله والثقة فى الأجر والثواب من عند الله تعالى.

٤- **تهوين البلية**: وذلك بأن تحمد الله على البلاء فى الدنيا وليس فى الدين، وتحمده أيضًا أنه لم يكن أشد من ذلك.

٥- **سماع سير أهل البلاء**: فإن ذلك يهون عليك البلاء. وذلك لأن سماع سيرتهم يجعل الإنسان يشعر بأن هناك من ابتُلى بمثل هذا البلاء - فيتصبر بسيرته - [1].

* * *

(١) رسالة إلى أهل البلاء/ للمصنف (ص: ١٩، ٢٠).

للمريض أجر شهيد ..
إذا دعا بهذا الدعاء

﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(١) .

إنها دعوة نبى الله يونس - عليه السلام - .

قال رسول الله ﷺ : «أيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة، فمات فى مرضه ذلك، أُعطى أجر شهيد، وإن برأ، برأ وقد غُفر له جميع ذنوبه»(٢) .

أدعية لتفريج الهم والكرب

ويا من تعانى من الهموم والغموم وتبحث عن أدعية تفريج الهموم والكروب. . . ها هو الحبيب ﷺ يعلمنا الأدعية التى يجعلها الله سببًا لتفريج كل ذلك.

قال ﷺ : «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب فليكثر الدعاء فى الرخاء»(٣) .

وقال ﷺ : «ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إنى عبدك، وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته فى كتابك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذهاب همى، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا، قال: فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها»(٤) .

---

(١) سورة الأنبياء: آية (٨٧).

(٢) ضعيف جدًا: رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٦٨٥)، من حديث سعد بن مالك رضي الله عنه، وضعفه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الضعيفة (٥٠١٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٨٢) كتاب الدعوات، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٩٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد (٣٧٠٤)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

وقال ﷺ : «كلمات الفرج: لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلى العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب العرش الكريم»(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرشِ العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم»(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه كان إذا كربه أمرٌ قال: «يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث»(٣) .

وعن أبى بكرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت»(٤) .

وعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «دعوة ذى النون إذ دعا بها وهو فى بطن الحوت: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له»(٥) .

وعن أسماء بنت عُميس رضي الله عنها أنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ : «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب - أو فى الكرب -: الله، الله ربى لا أُشرك به شيئا»(٦) .

---

(١) **صحيح**: رواه ابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة (٤٧)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٤٥).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٣٤٦) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٥٢٤) كتاب الدعوات، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣١٨٢).

(٤) **حسن**: رواه أبو داود (٥٠٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢٧٨٩٨)، من حديث أبى بكرة رضي الله عنه ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٥) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٥٠٥) كتاب الدعوات، وأحمد (١٤٦٥)، من حديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٦) **صحيح**: رواه أبو داود (١٥٢٥) كتاب الصلاة، من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج الكلم الطيب (١٢٢).

وفي رواية قال ﷺ : «من أصابه همٌ، أو غم، أو سقم، أو شدة فقال: الله ربي لا شريك له كشف ذلك عنه»(١).

بل كان النبي يكثر من هذا الدعاء: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال»(٢). وهو دعاء مفيدٌ جدًّا لدفع الهم قبل وقوعه .. والدفع أسهل من رفع الهم.

فإذا استطعت أخي الحبيب أن تحفظ تلك الأدعية التي خرجت من فم الصادق الذي لا ينطق عن الهوى فأبشر والله بكل خير واعلم يقينًا أنك إن قلتها وأنت تحسن الظن بالله فسوف يفرج الله همك وحزنك.

لا تنس الدعاء باسم الله الأعظم

سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في التشهد: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار».

فقال ﷺ لأصحابه: «تدرون بما دعا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم -وفي رواية: الأعظم- الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى»(٣).

هذا الدعاء لسداد الدَّين

أخي الحبيب: يا من تعاني من كثرة الديون ولا تجد طريقًا لسدادها ها هو

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير (٢٤/ ١٥٤)، من حديث أسماء بنت عميس ﵂، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٠٤٠).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أنس بن مالك ﵁.

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١٤٩٥) كتاب الصلاة، والترمذي (٣٥٤٤) كتاب الدعوات، والنسائي (١٣٠٠) كتاب السهو، وابن ماجه (٣٨٥٨) كتاب الدعاء، وأحمد (١٣١٥٨)، من حديث أنس بن مالك ﵁، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٢٢٩٠).

الطريق الأمـثل لسداد الدَّين حـتى تنام مطمئن القلب مـرتاح الضمـير وإذا جاءك ملك المـوت تكون قد أديت الأمانة لأصـحابهـا وتخلصت من مظالم العباد التى هى ظُلمات يوم القيامة.

قال ﷺ لأحـد أصحـابه: «ألا أعلمك كلمـات لو كان عليك مـثل جبل صُبير دَينًا أدَّاه الله عنك؟ قل: اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك»(١).

وقال ﷺ : «ما من أحد يدَّان دينًا يعلم الله منه أنه يريد قضاؤه إلا أداه الله عنه فى الدنيا»(٢).

فمن أراد سداد دينه فعليه بهذا الدعاء وليُخلص نيته فى قضاء هذا الدين وسوف يؤدى الله عنه.

عليك بهذا الدعاء

أخى الحبيب: لا تفتُر لحظة عن هذا الدعاء الجامع الذى أخبر عنه الحبيب ﷺ الذى أُوتى جوامع الكلم.

قال ﷺ : «اللهم إنى أسألك من الخـير كله عاجله وآجله مـا علمت منه، وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم اللهم إنى أسألك من خير ما سألك به عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك، اللهم إنى أسـألك الجنة وما قرب إليـها من قـول أو عمل، وأعوذ بك مـن النار، وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لى خيرًا»(٣).

---

(١) **حسن**: رواه الترمذى (٣٥٦٣) كتاب الدعـوات، وأحمد (١٣٢١)، من حديث على رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٦).

(٢) **صحيح**: رواه النسائى (٤٦٨٦) كتـاب البيوع، وابن ماجه (٢٤٠٨) كـتاب الأحكام، من حديث أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٧٧).

(٣) **صحـيح**: رواه ابن ماجـه (٣٨٤٦) كتـاب الدعاء، وأحمـد (٢٤٤٩٨)، من حديث عـائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٥٤٢).

اجعل دعاءك لأخيك لتأتيك الإجابة

ومن أعظم أسباب تفريج الهموم أن يتوجه العبد إلى الله تعالى بالحاجة التي يريدها لنفسه فيدعو بها لأخيه فيقول له الملك الموكَّل بذلك: آمين ولك بمثل.

فلو أراد مثلاً أن يوسع الله عليه رزقه فليقل: الله ارزق فلانًا - ويسميه باسمه - رزقًا واسعًا وبارك له فيه.

فلو قال ذلك لاستجاب الله دعاءه له ولأخيه.

قال ﷺ : «دعاء المرء المسلم مستجابٌ لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملكٌ موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك»[1].

وكان أبو الدرداء يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم . . . وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى.

وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان، قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية»[2].

* * *

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أم الدرداء رضي الله عنها.
(٢) مفاتيح الفرج من الكتاب والسنة / للمصنف (ص: ١٩ - ٢٦) بتصرف.

هذا الطعام لعلاج الهموم والأحزان

روى البخارى -رحمه الله- عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تأمر بالتلبين للمريض وللمحزون على الهالك وكانت تقول: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن التلبينة تجمُّ فؤادَ المريض وتذهبُ ببعض الحزن**»[(١)].

ورواه الترمذى عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك أمر بالحساء فصُنع، ثم أمرهم فحسُّوا منه وكان يقول: «**إنه ليرتق** - وفى رواية أحمد وابن ماجه: **ليرتو- فؤاد الحزين، ويسرو عن فؤاد السقيم، كما تسرو إحداكن الوسخ بالماء عن وجهها**»[(٢)].

ويرتو أو يرتق: أى: يشد ويقوى، ويسرو: أى: يكشف، وهذا الأمر - وإن استغربه بعض الناس- هو حق وصدق مادام قد ثبت من طريق الوحى عن المعصوم ﷺ، . . . والله خلق الأطعمة وهو أعلم بخصائصها، وبالتالى فإن حساء الشعير المذكور هو من الأغذية المفرحة، والله أعلم[(٣)].

أما عن طريقة طبخه لمريض الجسد ومحزون القلب، فيقول ابن حجر - رحمه الله-: ولعلَّ اللائق بالمريض ماء الشعير إذا طُبِخ صحيحًا، وبالحزين ماؤه إذا طُبِخ مطحونًا والله أعلم[(٤)(٥)].

لا تحزن .. وإليك علاج الاكتئاب[(٦)]

من رحمة الله بعباده، أن جعل القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، وما عليهم

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٨٩) كتاب الطب، ومسلم (٢٢١٦) كتاب السلام، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٠٣٩) كتاب الطب، وابن ماجه (٣٤٤٥، ٣٤٤٦) كتاب الطب، وأحمد (٢٥٥١٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٦٤٦).

(٣) يراجع «زاد المعاد» لابن القيم -رحمه الله- (٥/ ١٢٠).

(٤) انظر فتح البارى (١٤٧).

(٥) نقلاً من علاج الهموم/ الشيخ محمد صالح المنجد (ص ٥٥: ٥٧).

(٦) بتصرف من كتاب (الرُّقية النافعة للأمراض الشائعة) للشيخ سعيد عبد العظيم.

سوى العودة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله ﷺ ؛ ليفوزوا بسعادة الدارين، ففى القرآن والسنة الوقاية والعلاج لحالات الحزن والاكتئاب، ومن أهم معانى ذلك:

• أولاً: العقيدة:

للعقيدة أثر كبير فى الوقاية وعلاج الاكتئاب إذ أنها تصوغ مشاعر الإنسان وسلوكه وذهنه. . . . والعقيدة التى نعنيها، هى: ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام من عمل بأركان الإيمان ودعائم الإسلام ومعانى التوحيد، ومن قضاياها الهامة:

(أ) الإيمان بالقضاء والقدر:

ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك**»(١).

وفى رواية أخرى: «واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك».

فَلِمَ القلق ولِمَ الحزن الشديد المتلف والأمور مفروغ منها ومكتوبة، والبشر من حولك لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فكيف يملكون ذلك لك؟!

(ب) الإيمان باليوم الآخر:

إن الذى يؤمن باليوم الآخر يعلم أن هذه الدنيا لا تساوى شيئًا فهى قصيرة جدًّا، وهى إذا حلت أوحلت، وإذا كست أوكست، والأصل أن تلقاك بكل ما تكره فإذا قابلتك بما تحب فهو استثناء، وهى كما وصفها النبى ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء...**»(٢).

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٥١٦) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٦٦٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٥٧).

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨٦).

(ج) الإيمان بأسماء الله وصفاته:

وهذه قضية لها تأثيرها الكبير فى واقع الإنسان وسلوكه؛ فالمسلم الذى يؤمن بأن الله هو الملك، يؤمن بأنه له سبحانه الحق فى المنع والعطاء؛ فلا يعترض عليه بل يرضى ويُسلِّم. وكذلك عندما يعلم أنه -جلَّ وعلا- الضار النافع، المحيى المميت، العليم، بما كان وما لم يكن وما لو كان كيف يكون، وأنه سبحانه لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء، وأنه الحكيم سبحانه، لا يُقدر شيئًا إلا لحكمة سواء علمناها أو لم نعلمها؛ فالخير فيما قدره الرب -سبحانه وتعالى- لك، حتى وإن كنت تراه مصيبة؛ فالله يعلم وأنتم لا تعلمون.

(د) مفهوم المسلم للمصائب والأحزان

يؤمن المسلم بأن المصائب قد تكون علامة على محبة الله للعبد.

ففى الحديث: **«إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم»**[(١)] كما أنه يؤمن بأن الابتلاء يكون على قدر الإيمان كما ورد فى الحديث: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل»**[(٢)].

كما يؤمن أيضًا بأن المصائب سبب عظيم لتكفير الخطايا والذنوب، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»**[(٣)].

فإذا صبر على المصيبة ارتفعت درجته عند ربه وبُشر بالخير: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[(٤)].

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٣٩٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤٠٣١) كتاب الفتن، من حديث أنس بن مالك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد (٢٦٥٣٩)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٣).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما.

(٤) سورة البقرة: آية (١٥٥-١٥٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

فإذا اعتقد المسلم اعتقاد الحق؛ فإنه يطمئن بإيمانه بالله، ويزداد توكله على الله واستسلامه لقدره -سواء كان رجلاً أو امرأة؛ فهذه الخنساء عندما مات أخوها صخر حزنت عليه حزنًا شديدًا ورثته بالقصائد الطويلة المؤثرة البليغة، وكانت يومئذٍ في جاهليتها، ثم لما أسلمت وعلمت بمقتل أولادها الأربعة في يوم واحد في معركة القادسية ما زادت على أن قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم جميعًا وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

• ثانيًا: (من العلاج) التقوى والعمل الصالح

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢).

فلا أطيب من حياة المؤمنين، ولا سعادة حقيقية إلا في طاعة الله: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(٣). وقال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٤). وقال: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾(٥).

ثالثًا: الدعاء والتسبيح والصلاة:

روى أحمد والشيخان عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدَّين وغلبة الرجال»(٦).

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما أصاب عبدًا هَم ولا حزن، فقال:

---

(١) سورة الزمر: آية (١٠).

(٢) سورة النحل: آية (٩٧).

(٣) سورة طه: آية (١٢٣، ١٢٤).

(٤) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٥) سورة التغابن: آية (١١).

(٦) **صحيح**: رواه البخاري (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماضٍ فىَّ حكمك، عدل فىَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أوعلمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله له مكانه فرحًا»[(١)].

وقال تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ ومسليًا له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[(٢)].

• رابعًا: تقدير أسوأ الاحتمالات والنظر إلى من هو أسوأ حالاً:

جاء خباب إلى رسول الله ﷺ وكان متوسدًا بُردة فى ظل الكعبة وقال له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ :

«قد كان مَن قبلكم يؤخذ بالرجل فيُحفر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه، فيُجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[(٣)].

ويقول النبى ﷺ : «انظروا إلى من هو أسفل منكم (فى متاع الدنيا) ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[(٤)].

وهذه قضية يستعملها الأطباء النفسيون فى العلاج فيما يُسمى بالعلاج الجماعى وبمنطق من نظر فى بلوى غيره، هانت عليه بلواه فلا تنظر فى

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٣٧٠٤)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٩).

(٢) سورة الحجر: آية (٩٧-٩٩).

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (٣٦١٢) كتاب المناقب، من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

(٤) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٤٩٠) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

نصف الكوب الفارغ ولكن انظر إلى نصفه الممتلئ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(١) وقل الحمد لله على كل حال.

واعلم أن الغم من شأنه أن يضخم المشكلة فى نظر الإنسان فيتصورها أكبر من حقيقتها، ولذلك لما أصيب المسلمون يوم أُحد وتحول النصر إلى هزيمة وخسروا الغنائم أُشيع فى هذه الأثناء أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وكانت هذه المصيبة أعظم من خسارة المعركة، ثم كانت المفاجأة أن النبى ﷺ حىٌ يُرزق وهو بخير لم يمت، فعندما علم الصحابة بذلك فرحوا، فلم يحزنوا على ما فاتهم ولا على ما أصابهم من الهزيمة أو فوات الغنائم أو الجراح؛ لأنهم ظفروا برسول الله ﷺ، فتحقق قول الله -عز وجل-: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا مَا أَصَابَكُمْ﴾(٢) والإنسان إذا أُصيب بمصيبة فتصورها أكبر مما هى عليه، ثم علم حجمها الحقيقى يطمئن ويرتاح؛ فالسلوك مرآة الفكر، وعلى الإنسان أن يقارن مصيبته بالمصيبة الكبرى وهى وفاة النبى ﷺ.

• خامسًا: الواقعية فى النظرة إلى الحياة والبعد عن الخيالية:

من الناس من يصبح مكتئبًا بسبب الخطأ فى التفكير، وهذا أمر واقع أحيانًا، فمن النقاط الخاطئة فى طريقة التفكير: التوقعات الكبيرة الخيالية، والنظرة الحزينة للأمور، وتعميم الخطأ، والنظرة السلبية إلى الأمور؛ فيصبح هذا الإنسان أول ما ينظر إليه فى أى أمر هو الجانب السلبى وهذا يؤدى بالطبع إلى دوام الاكتئاب والحزن فى حياة هذا الإنسان.

• سادسًا: تقديم حُسن الظن:

لابد من حمل الناس على أحسن محاملهم، وإحسان الظن بهم، والتماس العذر لهم فالمؤمن هو الذى يتلمس للناس المعاذير، والمنافق هو

---

(١) سورة الضحى: آية (١١).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٣).

الذى يتلمس لهم الزلات.

وقد أُمرنا أن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سريرتهم إلى الله وهو يتولى السرائر. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾(١).

والإنسان لا يطمئن ولا يرتاح إلا إذا أحسن الظن بالناس وأساء الظن بنفسه وليس معنى إحسان الظن أن يُخدع الإنسان ويُلدغ من نفس الجحر مرتين.... كما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «لست بالخب ولا الخبُّ يخدعنى».

فهو ليس بمكار يخدع الناس ولكنه أيضًا لا يُخدع إذ إنه منتبه تمامًا.

• سابعًا: كيف التصرف حيال أذى الناس؟

قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) وقال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾(٣) وقال: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٤) وقال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾(٥) وقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾(٦).

فلا تقابل السيئة بالسيئة، وأنت عندك من عُلوِّ الهمة ما يجعلك تعفو وتصفح وتواجه الإساءة بالإحسان وتكظم غيظك طلبًا لعفو ربك عنك مع كثرة ذنوبك وخطاياك، واحذر أن تواجه المعصية بالمعصية.

• ثامنًا: الأمل:

الليل يعقبه نهار، ولن يغلب عسر يسرين.

وفى الحديث الصحيح: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب،

(١) سورة الحجرات: آية (١٢).
(٢) سورة فصلت: آية (٣٤).
(٣) سورة آل عمران: آية (١٣٤).
(٤) سورة النور: آية (٢٢).
(٥) سورة الأعراف: آية (٢٠٠).
(٦) سورة الإسراء: آية (٥٣).

وأن مع العسر يسرًا». فكلما اشتدت عليك الأمور فاعلم أن الفرج قد اقترب، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾(١). وقال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾(٢).

فتوسم الخير واعلم أن باب الأمل مفتوح ولا ينقطع رجاؤك فى سعة رحمة الله.

• العلاج الطبى للاكتئاب:

الطبيب النفسى ينبغى عليه أن يستخدم الأساليب السابقة ولا يغفلها، هذا بالإضافة لاستخدامه لأساليب العلاج الأخرى.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالتداوى فقال: **«تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داءً إلا ووضع له دواء غير داء واحد: الهرم»**(٣). يعنى: الشيخوخة.

من مات ولده فاحتسبه .. فلا يحزن

أنا أعلم أن الفراق صعب وشاق على النفس ولكن إذا علم العبد بهذا الأجر العظيم الذى ينتظره إذا احتسب عند موت أحبابه فسوف يكون الأمر سهلاً ميسورًا.

روى البخارى أن النبى ﷺ قال: **«يقول الله تعالى: ما لعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»**(٤).

* ربح البيع والله . . . فالكل سيموت لا محالة فما يضيرك أن تحتسب عند موت الأم أو الأب أو الزوجة أو الولد أو غيرهم لتفوز بجنة الرحمن -جل وعلا- التى فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) سورة الشرح: آية (٥، ٦).

(٢) سورة الطلاق: آية (٧).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٥٥) كتاب الطب، والترمذى (٢٠٣٨) كتاب الطب، وابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٩٣٠).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٦٤٢٤) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

* بل تأمل معنى هذا الأجر العظيم لمن احتسب عند موت ولده.

نحن نعلم أن من أعظم المصائب على الإنسان أن يموت ابنه وفلذة كبده وثمرة فؤاده، فهو يشعر فى هذا الموقف أن روحه قد انتُزعت منه، وأن قلبه قد تفطَّر من الحزن والكمد، ومع ذلك فإن المؤمن يصبر.. لماذا يصبر؟ لأن ما عند الله تعالى خير له ولولده..

يصبر لأنه يعلم أن هؤلاء الأبناء أمانة عنده، وأن الله عزَّ وجلَّ صاحب تلك الأمانة، وما عليه فى هذه الدنيا إلا أن يحفظ هذه الأمانة حتى يؤديها إلى خالقها - جلَّ وعلا-..

يصبر لأنه يعلم أن سخطه وجزعه لن يفيده شيئًا، ولن يُرجع إليه ولده، بل إن النبىَّ ﷺ أخبر أن الميت يُعذَّب فى قبره بما نيح عليه..

يصبر لأنه يطمع فى ثواب الصابرين، وثواب الصبر فى هذه الحالة هو الجنة.

قال ﷺ: **«ما من مسلمين يموتُ لهما ثلاثةُ أولاد لم يبلغوا الحنثَ، إلا أدخلهما الله بفضل رحمته إياهم الجنة، يقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: حتى يدخلَ أبوانا: فيقالُ: ادخلوا الجنةَ أنتم وأبواكم»**(١).

وقال ﷺ: **«ما منكنَّ امرأةٌ تقدِّمُ بين يديها ثلاثة من ولدها، إلا كانوا لها حجابًا من النار، قالت امرأةٌ: واثنين؟ قال: واثنين»**(٢).

وقال ﷺ: **«بَخٍ بَخٍ لخمس ما أثقلهن فى الميزان: لا إله إلا الله، وسُبحان الله، والحمدُ لله، والله أكبرُ، والولدُ الصالحُ، يُتَوفَّى للمرءِ المسلم فيحتسبه»**(٣).

وقال ﷺ: **«والذى نفسى بيده إن السقط ليجرُّ أمه بسرره إلى الجنة إذا احتسبته»**(٤).

(١) صحيح: رواه النسائى (١٨٧٦) كتاب الجنائز، وأحمد (١٠٢٤٤)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٠٢) كتاب العلم، ومسلم (٢٦٣٤) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٥٢٣٥) من حديث ثوبان بن بجدد مولى رسول الله ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٠٤).

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (١٦٠٩) كتاب ما جاء فى الجنائز، وأحمد (٢١٥٨٥)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٠٦٤).

- **وعن أبى سنان قال**: دفنت ابنى سنانًا، وأبو طلحة الخولانى جالس على شفير القبر، فلما أردت الخروج أخذ بيدى فقال: ألا أبشرك يا أبا سنان، قلت: بلى. فقال: حدثنى الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب، عن أبى موسى الأشعرى، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدى؟ - وهو أعلم- فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدى بيتًا فى الجنة وسموه بيت الحمد»**(١).

* وهكذا كان حال سلفنا الصالح عند موت الأولاد.

روى ابن أبى حاتم بإسناده فى تفسيره عن خالد بن يزيد، عن عياض، عن عقبة أنه مات له ابنٌ يقال له: يحيى، فلما نزل فى قبره قال له رجل: والله إن كان لسيد الجيش فاحتسبه؛ فقال والده: وما يمنعنى أن أحتسبه، وقد كان من زينة الحياة الدنيا، وهو اليوم من الباقيات الصالحات؟!

عن أنس رضي الله عنه **قال**: اشتكى ابن لأبى طلحة قال: فمات وأبوه أبو طلحة خارج البيت، فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا، وجعلت ابنها فى جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، وظن أبو طلحة أنها صادقة قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبى ﷺ ثم أخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: **«لَعَلَّ الله أن يبارك لكما فى ليلتكما»**... فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن(٢).

وعن محمد بن خلف قال: كان لإبراهيم الحربى ابنٌ كان له إحدى عشرة سنة، حفظ القرآن ولقَّنه من الفقه جانبًا كبيرًا؛ قال: فمات. فجئت أعزيه

(١) حسن: رواه الترمذى (١٠٢١) كتاب الجنائز، وأحمد (١٩٢٢٦)، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٠١) كتاب الجنائز، ومسلم (٢١١٩) كتاب اللباس والزينة، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فقال: كنت أشتهى موتَ ابنى هذا. قال: قلت له: يا أبا إسحاق أنت عالم الدنيا تقول مثل هذا فى صبى قد أنجب -أصبح نجيبًا- ولقَّنته الحديث والفقه؟ قال: نعم. رأيت فى منامى كأن القيامة قد قامت، وكأن صبيانًا بأيديهم قِلالٌ فيهـا ماء، يستقبلون النـاس فيسقونهم، وكـان اليوم يَومًا حارًّا شديدًا حَرُّه، قال: فقلت لأحدهم: اسقنى من هذا الماء، قال: فنظر إلىّ. وقال: ليس أنت أبى، قلت: فأى شىء أنتم؟ قال: فقال لى: نـحن الصبيان الذين متنا فى دار الدنيا وخلفنا آباؤنا، فنستقبلهم فنسقيهم الماء؛ قال: فلهذا تمنيت موته.

وقـال أبو مسـلم الخولانى رحـمـه الله: لأن يولد لى مولود يـحسن الله نباته، حتى إذا استـوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إلـىَّ، قبضه الله تعالى منى، أحب إلىَّ من أن تكون الدنيا وما فيها لى.

وروى ابن أبى شـيبـة بإسناده عن ثابت البُنانى: أن صلة بن أشيم كان فى غزاة له ومعه ابن له، فـقال له: أى بُنى تقدم فقاتل حتى أحتـسبك؛ فحمل فقاتل حتى قُتل، ثم تقدم أبوه فقُتل؛ فاجتمعت النساء، فقامت امرأته معاذة العدوية، فقالت للنساء: مرحبًـا إن كنتنّ جئتن لتهنئننى، فمرحبًا بكنّ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك، فارجعن.

* والمقصود أن هذا المقام مقام عظيم شريف لمن يطلب المصيبة ويفرح بها نظرًا إلى ثوابها.

يؤيد ذلك مـا ثبت فى صـحيح مـسلم أن النبى ﷺ قـال: «إذا مات الإنـسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[1] .

وفى حديث أنس مـرفوعًا: «سبعٌ يجرى لـلعبد أجرهن، وهو فى قـبره بعد موته -فذكر منها- أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»[2] .

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن: ذكره الهيـثمى فى المجمع (١/ ١٦٧)، وقال: رواه البزار وفيـه محمد بن عبـيد الله العرزمى وهو ضعيف، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

لا نقول إلا ما يُرضى ربنا

نحن لا نقول: لا تحزن على فقد ولدك، أو فقد أمك أو أبيك أو زوجك أو أخيك، فلك أن تحزن، ولك أن تبكى بغير نواح، والنبى ﷺ وهو أكثر عباد الله رضًا عن الله عز وجل بكى لما مات ابنه إبراهيم، وقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يُرضى الربَّ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(١).

ولما مات ابن لابنته فاضت عيناه ﷺ، وكأن سعد بن عبادة تعجب أن يبكى رسول الله ﷺ على ما عنده من مقام النبوة، فقال: ما هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هذه رحمة، جعلها الله فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»(٢).

فالبكاء على الميت بالعين جائز، والحزن على الميت جائز، ولا ينتقص الأجر بذلك ما لم يخرج إلى قول أو عمل لا يُرضى الربّ، أو ترك قول أو عملٍ يرضيه(٣).

* وقد أشكل هذا على بعض العارفين فلم يستطع الجمع بين الأمرين - يعنى: رحمة الولد والرقة عليه، والرضا عن الله عزَّ وجلَّ- فجعل يضحك يوم مات ولده، فقيل له: تضحك فى مثل هذه الحال؟ فقال: إن الله تعالى قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بقضائه.

فأشكل هذا على جماعة من العلماء وأرباب الأحوال والتصوف وقالوا: كيف يبكى رسول رب العالمين ﷺ يوم مات ولده، وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضا بهذا العارف إلى أن ضحك يوم مات ولده؟!

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٣٠٣) كتاب الجنائز، ومسلم (٢٣١٥) كتاب الفضائل من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (١٢٨٤) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٢٣) كتاب الجنائز من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) انظر تحفة المودود لابن القيم ص(١٢٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هدىُ نبينا ﷺ أكمل من هدى هذا العارف، فإنه ﷺ أعطى العبودية حقّها، فاتسع قلبه للرضا عن الله ورحمة الولد والرقة عليه، فحمد الله ورضى عنه فى قضائه، وبكى رحمة ورقةً، فحملته الرحمة على البكاء، وعبوديته لله ومحبته له على الرضا والحمد، وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الأمرين، ولم يتسع باطنه لشهودهما والقيام بهما، فشغلته عبودية الرضا عن عبودية الرحمة والرقة(١).

لا تحزن .. يا من فقدت نعمة البصر!!

إن نعمة البصر نعمة عظيمة يحتاج إليها كل كائن حى ولايستغنى عنها طرفة عين.. ومن ثَم فإن فقد نعمة البصر مصيبة كبرى ... ومن كان مبصرًا ثم فقد نعمة البصر فإن مصيبته أعظم ممن وُلد فاقد البصر.

* ومن أجل أن المصيبة شديدة كان الجزاء عظيمًا فلقد بشَّر النبى ﷺ من أُصيب بعينيه فصبر واحتسب بجنة عرضها السماوات والأرض. فقال ﷺ: «**إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر، عوضتُه منهما الجنة**»(٢) يريد عينيه.

* أبشر بالجنة يا من صبرت واحتسبت عند فقد نعمة البصر .. واحمد الله -جل وعلا- على أنه أخذ منك نعمة البصر ولم يأخذ منك نعمة البصيرة.

* فما فائدة البصر إذا كان صاحبه لا يؤمن بالله -جل وعلا-.

* وما يضيرك أيها المؤمن -يا صاحب البصيرة- إذا كنت حُرمت من نعمة البصر طالما أنك تؤمن بالله وتطيعه وتتبع رسوله ﷺ.

إن يأخذ الله من عينىَّ نورهما
ففى فؤادى وقلبى منهما نور

* وتأمل معى هذا الموقف المهيب لهذا الصحابى الجليل.

---

(١) تسلية أهل المصائب ص(٢١٤، ٢١٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٦٥٣) كتاب المرضى، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

لما قدم سعد بن أبى وقاص مكة، وقد كان كُفَّ بصره، جاءه الناس يهرعون إليه كل واحدٍ يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدّعوة، . . . . قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرفت عليه فعرفنى. وقال: أنت قارئ أهل مكة؟ قلت: نعم. فذكر قصة، قال فى آخرها: فقلت: يا عم، أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردّ عليك بصرك؟! فتبسم وقال: يا بُنَى قضاءُ الله سبحانه عندى أحسن من بصرى[(١)].

امرأة تعظ الرجال

عن عطاء بن أبى رباح قال: قال لى ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت: إنى أُصرع، وإنى أتكشف فادع الله لى. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**». فقالت: أصبر. فقالت: إنى أتكشف فادع الله لى ألا أتكشف، فدعا لها[(٢)].

قال الحافظ: وقد أخرج البزار وابن حبان من حديث أبى هريرة شبيهًا بقصتها ولفظه: «جاءت امرأة بها لمم إلى رسول الله ﷺ فقالت: ادع الله. فقال: «**إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولا حساب عليك؟**» قالت: بل أصبر ولا حساب علىّ[(٣)].

* فيا لها من امرأة عاقلة علمت يقينًا أن الدنيا إلى زوال وأن نعيم الجنة لا يزول ولا ينتهى أبدًا فآثرت الباقى على الفانى ورضيت بأن تصبر على هذا البلاء لتفوز بجنة رب الأرض والسماء.

- فأى سعادة وأى نعيم كانت تعيش فيه هذه المرأة الصالحة عندما تمشى على ظهر الأرض وهى تعلم أنها من أهل الجنة.

(١) إحياء علوم الدين/ للإمام الغزالى (٤/٣٦٨).
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٥٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٦) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) فتح البارى (١٠/ ١٢٠).

اعرف قيمة الوقت وشرف الزمان

يقول الإمام ابن الجوزى رَحِمَهُ اللهُ: «ينبغى للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة فى غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل. ولتكن نيته فى الخير قائمة - من غير فتور- بما يعجز عنه البدن من العمل. وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات: فنُقل عن عامر بن عبد قيس أن رجلاً قال له: كلمنى. فقال له: أمسك الشمس.

ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلى، فقيل له، فقال: الآن تُطوى صحيفتى.

فإذا علم - وإن بالغ فى الجد- أن الموت يقطعه عن العمل، عمل فى حياته ما يدوم له أجره بعد موته. فإن كان له شىء من الدنيا وقف وقفًا، وغرس غرسًا، وأجرى نهرًا، ويسعى فى تحصيل ذرية تذكر الله بعده، فيكون الأجر له. أو أن يصنف كتابًا من العلم، فإن تصنيف العالم ولده المخلد؛ وأن يكون عاملاً بالخير، عالمًا فيه، فينقل من فعله ما يقتدى الغير به، فذلك الذى لم يمت.

«قد مات قوم وهم فى الناس أحياء»(١).

وكان داود الطائى يستف الفتيت ويقول: بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية.

وكان عثمان الباقلاوى دائم الذكر لله تعالى، فقال: إنى وقت الإفطار أحس بروحى كأنها تخرج؛ لأجل اشتغالى بالأكل عن الذكر.

وأوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندى فتفرقوا، لعل أحدكم يقرأ القرآن فى طريقه، ومتى اجتمعتم تحدثتم.

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٠، ٢١) بتصرف.

واعلم أن الزمان أشرف من أن يُضيع منه لحظة.

* **قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة فى الجنة»**(١) فكم يضيع الآدمى من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل!

والذى يعين على اغتنام الزمان: الانفراد والعزلة مهما أمكن، والاقتصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى، وقلة الأكل، فإن كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل، ومن نظر فى سير السلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته(٢).

* **قال ابن أبى الدنيا:** أنشدنا محمود بن الحسين:

مضى أمسك الماضى شهيدًا معدلا
وأعقبه يوم عليك جديدُ
فيومك إن أغنيته عاد نفعه
عليك وماضى الأمس ليس يعودُ
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة
فثنِّ بإحسان وأنت حميدُ
فلا ترج فعل الخير يوما إلى غد
لعل غدا يأتى وأنت فقيدُ

كل هذا الخير فى دقيقة واحدة!!!

وجدت أن الدقيقة من الزمن يمكن أن يُفعل فيها خير كثير، إما قراءة آيات، كل آية فيها عشرات الحروف، كل حرف بعشر حسنات، فتصبح مئات الحسنات.

أخى المسلم: اعلم أن معظم هذه المشاريع لا تكلف شيئًا أو تعب أو بذل جهد، بل قد تقوم بها وأنت تسير على قدميك أو راكبًا أو واقفًا أو جالسًا،

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٢) صيد الخاطر (ص: ٤٧٩، ٤٨٠) بتصرف.

وهذه المشاريع كالآتى:

١- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقرأ سورة الفاتحة (٥) مرات فتحصل على أكثر من (٧٠٠٠) حسنة.

٢- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقرأ سورة الإخلاص (١٥) مرة فإنها تعدل قراءة القرآن (٥) مرات.

٣- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (٢٠) مرة وأجرها كعتق (٨) رقاب فى سبيل الله من ولد إسماعيل.

٤- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول سبحان الله وبحمده (١٠٠) مرة، ومن قال ذلك فى يوم غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زَبَد البحر.

٥- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله أكثر من (٤٠) مرة، وهى كنز من كنوز الجنة.

٦- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته أكثر من (١٠) مرات، وهى كلمات تعادل أضعافًا مضاعفة من أجور التسبيح والذكر.

٧- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تستغفر الله أكثر من (١٠٠) مرة، فالاستغفار سبب للمغفرة، ودخول الجنة، وللمتاع الحسن وزيادة القوة، ودفع البلايا، وتيسير الأمور، ونزول المطر، والإمداد بالأموال والبنين.

٨- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تصلى على النبى ﷺ (٢٠) مرة فيصلى الله عليك مقابلها (٢٠٠) مرة.

٩- **فى دقيقة واحدة:** تستطيع أن تقول: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم (٥٠) مرة، وهى كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن.

١٠- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر (٢٥) مرة، وهذه الكلمات أحب الكلام إلى الله.

١١- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تقول: لا إله إلا الله (٥٠) مرة تقريبًا.

١٢- في دقيقة واحدة: تستطيع أن ترفع يديك وتدعو بما شئت من جوامع الكلم.

١٣- في دقيقة واحدة: تستطيع أن تنهى عن منكر أو تأمر بمعروف أوتقدم نصيحة لأخ أو تشفع شفاعة حسنة، أو تواسي مهمومًا أو تميط الأذى عن الطريق أو تصافح عددًا من الأشخاص.

* دقيقة واحدة فقط يمكن أن تزيد في عمرك، في عطائك، في فكرك، في فهمك، في حفظك، في حسناتك.

دقيقة واحدة تُكتب في صحيفة أعمالك إذا عرفت كيف تستثمرها، وتحافظ عليها، فانظر كم من دقيقة؛ بل من ساعة؛ بل من يوم؛ بل من شهر؛ بل من سنة ذهب منا هدرًا، وضاع منا لغوًا وعبثًا، وطار هباءً منثورًا؟! وليت من ضيعها ينجو رأسًا لا له ولا عليه، بل تجد خلاف ذلك من ذنوب وخطايا وسيئات، والله المستعان.

ويستطيع من صلى ركعتين خفيفتين يقتصر فيهما على الواجبات فقط كقراءة الفاتحة، وثلاث تسبيحات في الركوع والسجود. أقول: يستطيع أن يصليهما فيما يقارب الدقيقة، فمن صلى كل يوم ركعتين ضحى نافلة صلى في السنة أكثر من سبعمائة ركعة، وكل ركعة فيها سجدتان، أي: يسجد في السنة في صلاة الضحى أكثر من ألف وأربعمائة سجدة.

وفي الحديث الصحيح: **«إنك لن تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»**[1].

في الدقيقة الواحدة تستطيع أن ترضى الرب، وتمحو الذنب، وأن تكتب

---

(١) رواه أحمد (٢١٦٣٦).

لك عند الله بها أجرًا، وتمحو بها وزرًا، وتجعلها لك عنده ذخرًا، وتستطيع في الدقيقة مع الدقيقة أن تؤلف، وأن تكتب، وأن تحفظ، وأن تنمى موهبتك وأن تجود ذاكرتك، وأن تزيد من علمك، وأن تحافظ على وردك وأن تعمق ثقافتك، وتوسع معارفك، وتنوع مواهبك، لكن الأمر يحتاج يا أخى إلى همة، أعوذ بالله من موت الهمم، وبرود العزائم وخسة الطبع[1].

سلفنا الصالح .. وقيمة الوقت

لقد علم سلفنا الصالح (رحمهم الله) قيمة الوقت وشرف الزمان فكانوا أحرص على الدقيقة الواحدة من حرصنا على أموالنا ودنيانا كلها.

فتعالوا بنا لنطوف فى بستان سلفنا الصالح لنرى حرصهم على كل لحظة من لحظات العمر.

• عبيد بن يعيش (رحمه الله)

وهذا الإمام الحافظ عبيد بن يعيش شيخ البخارى ومسلم، روى عنه عمار بن رجاء قال: «سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدى بالليل، كانت أختى تلقمنى وأنا أكتب الحديث»[2].

• ابن عقيل (رحمه الله)

انظر -رحمك الله- إلى الإمام أبى الوفاء ابن عقيل الحنبلى وحفظه لوقته، ومعرفته بنفاسته، يقول: «إنى لا يحل لى أن أضيع ساعة من عمرى، حتى إذا تعطل لسانى عن مذاكرة أو مناظرة، وبصرى عن مطالعة، أعملت فكرى فى حال راحتى وأنا منطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لى ما أسطره، وإنى لأجد من حرصى على العلم وأنا فى الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة. وأنا أقصر بغاية جهدى أوقات أكلى، حتى

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٧).

(٢) الحث على طلب العلم، لأبى هلال العسكرى (ص: ٨٧).

أختار سف الكعك، وتحسِّيه بالماء على الخبز؛ لأجل ما بينهما من تفاوت المضغ، توفرًا على مطالعة، أو تسطير فائدة لم أدركها فيه، وإن أجلَّ تحصيل عند العقلاء -بإجماع العلماء- هو الوقت، فهو غنيمة تنتهز فيها الفرص، فالتكاليف كثيرة والأوقات خاطفة».

هذا الإمام الذى يقول عنه ابن الجوزى: «كان الإمام ابن عقيل دائم الاشتغال بالعلم، وكان له الخاطر العاطر، والبحث عن الغوامض والدقائق، وجعل كتابه المسمى بـ«الفنون» مناطًا لخواطره وواقعاته، وله تصانيف كثيرة فى أنواع العلوم، وأكبر تصانيفه: «الفنون» وهو كتاب كبير جدًّا، فيه فوائد كثيرة جليلة فى الوعظ، والتفسير، والفقه وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو، واللغة والشعر، والتاريخ».

قال الذهبى: «لم يُصنَّف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب، حدثنى من رأى منه المجلد الفلانى بعد الأربعمائة، . . . قال ابن رجب: وقال بعضهم: هو ثمانمائة مجلدة».

فانظر -رحمك الله- كيف يثمر حفظ الوقت ودأب النفس فى الخير والعلم «ثمانمائة مجلدة» أكبر كتاب فى الدنيا، إلى جانب تآليف كثيرة غيره[1].

• سليم الرازى (رحمه الله):

وهذا الإمام سليم الرازى أحد أئمة الشافعية المتوفى سنة (٤٤٧هـ)، قال عنه التاج السبكى: «كان -رحمه الله- من الورع على جانب قوى، يحاسب نفسه على الأوقات، لا يدع وقتًا يمضى بغير فائدة، إما ينسخ أو يدرس أو يقرأ.

• ابن جرير الطبرى (رحمه الله):

وقال الخطيب البغدادي: سمعت السمسمى يحكى أن ابن جرير مكث

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع - للخطيب (٢/ ١٧٨).

أربعين سنة، يكتب فى كل يوم منها أربعين ورقة.

وحدث تلميذه الفرغانى فى كتابه -المعروف بكتاب «الصلة»، وهو كتاب وصل به -«تاريخ ابن جرير»- أن قومًا من تلاميذ ابن جرير، حصلوا أيام حياته -منذ بلغ الحلم إلى أن توفى وهو ابن ست وثمانين سنة- ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته، فصار منها على كل يوم أربع عشرة ورقة، وهذا شىء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق.

إذا حسبنا أيام الاثنين والسبعين سنة وجعلنا لكل يوم منها أربع عشرة ورقة تصنيفًا، كان مجموع ما صنفه الإمام ابن جرير نحو ثمانى وخمسين وثلاثمائة ألف ورقة.

• ابن الجوزى (رحمه الله):

لقد كانت همة ابن الجوزى فى حفظ وقته عالية، تدل عليها تصانيفه التى هى زبدة عمره.

«قال أبو المظفر سبط ابن الجوزى: سمعت جدى يقول على المنبر فى آخر عمره: كتبت بإصبعى هاتين ألفى مجلد»(١).

ذكر ابن رجب الحنبلى فى «ذيل طبقات الحنابلة»(٢) أن الإمام ابن تيمية قال فى أجوبته المصرية: «كان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى كثير التصنيف والتأليف، وله مصنفات فى أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره».

وقال الذهبى: وما علمت أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل.

ونقل القمى فى «الكُنى والألقاب» أن براية أقلام ابن الجوزى التى كتب بها الحديث جُمعت فحصل منها شىء كثير، وأوصى أن يسخن بها الماء

(١) تذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٤٤) وذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤٠١).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٤١٥).

الذى يُغسَّل به بعد موته، ففعل ذلك فكفت وفضل منها»[١].

فرحمة الله على شيخ الإسلام ابن الجوزى.

لا تقعدن لذكرنا فى ذكرهم
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

• شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله):

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية، كان لا يفوت ساعة من وقته دون تعليم أو تأليف أو عبادة، حتى بلغت مؤلفاته المئات، بل لم يمكن حصرها للمتتبعين، حتى ولا للشيخ نفسه، رحمه الله.

قال ابن شاكر الكتبى: «إن تصانيفه تبلغ ثلاثمائة مجلد. قال الذهبى: وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد»[٢].

قال ابن القيم: «وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية فى سننه، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة أو أكثر»[٣].

إياك وقتلة الوقت

وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت، وتقدير قيمته وخطره، فإن مما يُدمى القلب، ويمزق الكبد أسى وأسفًا: ما نراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حد التبذير وإلى التبديد.

والحق أن السفه فى إنفاق الأوقات أشد خطرًا من السفه فى إنفاق الأموال، وإن هؤلاء المبذرين المبددين لأوقاتهم، لأحق بالحجر عليهم من المبذرين

(١) فوات الوفيات (١/٣٨، ٤٢).
(٢) فوات الوفيات (١/٣٨، ٤٢).
(٣) الوابل الصيب (ص ١٠٨).

لأموالهم؛ لأن المال إذا ضاع قد يُعوَّض، والوقت إذا ضاع لا عوض له.

ومن العبارات التى أصبحت مألوفة لكثرة ما تدور على الألسنة، وما تقال فى المجالس والأندية عبارة: «قتل الوقت» فترى هؤلاء المبذرين أو المبددين يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد، أو رقعة الشطرنج، أو لعبة الورق، أو غير ذلك -مما يحل أو يحرم- لا يبالون، لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة، وعن واجبات الدين والدنيا، فإذا سألتهم عن عملهم هذا وما وراءه من ضياع، قالوا لك بصريح العبارة: إنما نريد أن نقتل الوقت! وما يدرى هؤلاء المساكين أن من قتل وقته فقد قتل فى الحقيقة نفسه فهى جريمة انتحار بطىء تُرتكب على مرأى ومسمع من الناس، ولا يعاقب أحد عليها! وكيف يعاقب عليها من لا يشعر بها، ولا يدرى مدى خطرها؟!

هكذا يطول عمرك.. فلا تحزن

وتستطيع أيها الأخ الحبيب أن تطيل عمرك فتكون بمثابة الأحياء وأنت ميت وتؤدى رسالة الأحياء وأنت مقبور. وذلك إذا تركت وراءك ما ينتفع به الناس من علم نافع أو عملٍ صالح، أو ذرية مباركة لتكون امتداداً لحياتك، ولذا قال ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**(١).

وقال ﷺ: **«من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء...»**(٢).

وقال ﷺ: **«إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً نشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً**

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠١٧) كتاب الزكاة، من حديث جرير بن عبد الله البجلى رضي الله عنه.

أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته، تلحقه من بعد موته»(١) .

وقال ﷺ : «أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا فى سبيل الله، ومن علم علمًا أُجرى له عمله ما عُمل به، ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى له ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحًا فهو يدعو له»(٢) .

وقال ﷺ : «سبع يجرى للعبد أجرهن، وهو فى قبره بعد موته: من علم علمًا، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته»(٣) .

لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله

يا من تريد السعادة الحقيقية عليك بذكر الله -جل وعلا- أما سمعت قول الله -جل وعلا- : ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٤) .

وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٥) .

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٦) .

وقال تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(٧) .

* وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه، عن النبى ﷺ ، قال: «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره، مثل الحى والميت»(٨) .

(١) حسن: رواه ابن ماجه (٢٤٢) فى المقدمة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٢٥٤).

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ٢٠٥) من حديث أبى أمامة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٧٧).

(٣) حسن: ذكره الهيثمى فى المجمع (١/ ١٦٧)، وقال: رواه البزار وفيه محمد بن عبيد الله العرزمى وهو ضعيف، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٦٠٢).

(٤) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٥) سورة البقرة: آية (١٥٢).

(٦) سورة الجمعة: آية (١٠).

(٧) سورة الأحزاب: آية (٣٥).

(٨) صحيح: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

ورواه مسلم فقال: «مثل البيت الذى يُذكر الله فيه، والبيت الذى لا يُذكر الله فيه، مثل الحى والميت»[(١)] .

* وعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ، فأخبرنى بشىء أتشبث به قال: «لايزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[(٢)] .

* وعن جابر ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرست له نخلة فى الجنة»[(٣)] .

* وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لقيت إبراهيم ﷺ ليلة أُسرى بى فقال: يا محمد أقرئ أمتك منى السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[(٤)] .

* وعن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى، قال: «ذكر الله تعالى»[(٥)] .

* وعن أبى هريرة ﷺ أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلى والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ولهم فضل من أموال، يحجون، ويعتمرون، ويجاهدون، ويتصدقون. فقال: «ألا أعلمكم شيئًا تدركون به مَن سبقكم،

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٥) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٣) كتاب الأدب، من حديث عبد الله بن بسر ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٣٤٦٤، ٣٤٦٥) كتاب الدعوات، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٤).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٤٦٢) كتاب الدعوات، من حديث ابن مسعود ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٥).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٣٧٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٧٩٠) كتاب الأدب، وأحمد (٢١١٩٥)، من حديث أبى الدرداء ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

وتسبقون به مَن بعدكم. ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبحون، وتحمدون وتكبرون، خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين» قال أبو صالح الراوى عن أبى هريرة، لما سُئل عن كيفية ذكرهن، قال: يقول: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين(١).

وزاد مسلم فى روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

* وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، والله إنى لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعنِّى على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»(٢).

* قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

مبنَى الدين على قاعدتين: الذكر والشكر، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾(٣)(٤).

وليس المراد بالذكر مُجرد الذكر اللسانى بل الذكر القلبِى واللسانِى، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونَهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح وذلك لا يتم إلا بتوحيده، فذكره الحقيقى يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه(٤).

* فاحرص على أن تكون ذاكرًا لله فى جميع أحوالك: فإذا جاءك الأمر

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٨٤٣) كتاب الأذان، ومسلم (٥٩٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) كتاب الصلاة، والنسائى (١٣٠٣) كتاب السهو، وأحمد (٢١٦٢١)، من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٦٩).

(٣) سورة البقرة: آية (١٥٢).

(٤) الفوائد (ص: ١٣٨).

من عند الله فامتثلت لأمره فأنت ذاكرٌ لله.. وإذا جاءك النهى من عند الله فانتهيت فأنت ذاكرٌ لله.

- وبالجملة ... فذكر الله -جل وعلا- هو أن يكون الله منك على بالٍ دائمًا فلا تُحرك ساكنًا إلا وفق شرعه ومنهاجه وبما جاء فى سنة رسوله ﷺ.

الصلاة على النبى ﷺ تزيل الهم والغم

وإن من أعظم أسباب زوال الهم والغم: كثرة الصلاة على النبى ﷺ.

* وعن أبى بن كعب، قال: قلتُ يا رسول الله: إنى أُكثر الصلاة عليك[(١)]، فكم أجعل لك من صلاتى[(٢)]؟

فقال: «ما شئت».

قلت: الربع؟

قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك».

قلت: فالنصف؟

قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك».

قلت: فالثلثين؟

قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك».

قلت: أجعل لك صلاتى كلها؟

قال: «إذن يُكفى همك ويُغفر لك ذنبك»[(٣)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(٤)].

---

(١) أى: أريد إكثارها.

(٢) أى بدل دعائى الذى أدعو به لنفسى.

(٣) حسن: رواه الترمذى (٢٤٥٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٢٠٧٣٥)، من حديث أبى بن كعب رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٩٢٩).

(٤) سورة الأحزاب: آية (٥٦).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «من صلى عليّ واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»(١).

* وعن أبى طلحة أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبِشر فى وجهه فقال: «إنه جاءنى جبريل فقال: إن ربك يقول: أما يرضيك يا محمد ألا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا»(٢).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبرى عيدًا، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم»(٣).

* وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «رَغِمَ(٤) أنف رجل ذُكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ»(٥).

* وعن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على»(٦).

يقول الإمام ابن تيمية: «أكمل الصلاة على الرسول ﷺ هى الصلاة الإبراهيمية: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين، إنك حميد مجيد.

---

(١) صحيح: رواه النسائى (١٢٩٧) كتاب السهو، وأحمد (١١٥٨٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٣٥٩).

(٢) صحيح: رواه النسائى (١٢٩٥) كتاب السهو، وأحمد (١٥٩٢٨)، من حديث أبى طلحة الأنصارى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٩٢٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٢٠٤٢) كتاب المناسك، وأحمد (٧٧٦٢)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٢٢٦).

(٤) (رغم أنف رجل): (بكسر الغين) أى: لصق بالرغام، وهو التراب، وهو كناية عن الذل والحقارة.

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٤٥) كتاب الدعوات، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥١٠).

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٣٥٤٦) كتاب الدعوات، وأحمد (١٧٣٨)، من حديث الحسين بن على رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٨٧٨).

فوائد الصلاة على النبى ﷺ

* قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فى الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ[(١)]:

١- امتثالُ أمرِ الله سبحانه وتعالى.

٢- موافقته -سبحانه وتعالى- فى الصلاة عليه ﷺ وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاةُ الله تعالى عليه ثناء وتشريف.

٣- موافقةُ ملائكته فيها.

٤- حصولُ عشرِ صلوات من الله على المصلِّى مرة.

٥- أنه يُرفعُ له عشرُ درجات.

٦- أنه يُكتبُ له عشرُ حسنات.

٧- أنه يُمحى عنه عشرُ سيئات.

٨- أنه يُرجى إجابة دعائه إذا ختَم بها، فهى تصاعد الدعاء إلى رب العالمين، وكان موقوفًا بين السماء والأرض قبلها.

«كل دعاء محجوب حتى يُصلى على النبى ﷺ»[(٢)].

٩- أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها.

فعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **«من صلى علىَّ أو سأل لى الوسيلة حقت عليه شفاعتى يوم القيامة»**[(٣)].

١٠- أنها سبب غفران الذنوب كما تقدم.

---

(١) راجع (جلاء الأفهام) للإمام ابن القيم ص(٣٥٩-٣٧٠)، ط. المؤيد.

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (١/ ٢٢٠)، والديلمى فى مسند الفردوس (٣/ ٢٥٥) من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٠٣٥).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨٤) كتاب الصلاة، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

١١- أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

١٢- أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

١٣- أنها تقوم مقام الصدقة لذوى العسرة.

١٤-أنها سبب لقضاء الحوائج.

١٥- أنها سبب لصلاة الله على المصلى وصلاة ملائكته عليه.

١٦- أنها زكاة المصلى وطهارة له.

١٧- أنها سببٌ لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

١٨- أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

١٩- أنها سبب لرد النبى ﷺ الصلاة والسلام على المُصلى والمسلم عليه.

٢٠- أنها سبب لتذكر العبد ما نسيه.

٢١- أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

٢٢- أنها سبب لنفى الفقر.

٢٣- أنها تنفى عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم -كما تقدم-.

٢٤- نجاته من الدعاء عليه برغم الأنف إذا ذكرها عند ذكره عليه الصلاة والسلام.

٢٥-أنها تدل صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها.

٢٦- أنها تنجى من نتن المجلس الذى لا يُذكر فيه الله ورسوله ويحمده ويثنى عليه فيه ويصلى على رسوله ﷺ.

٢٧-أنها سبب لتمام الكلام الذى ابتُدئ بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ.

٢٨-أنها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

٢٩-أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

٣٠- أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلِّى عليه بين أهل السماء والأرض.

٣١- أنها سبب للبركة فى ذات المصلِّى عليه وعمله وعمره وأسباب مصالحه.

٣٢- أنها سبب لنيل رحمة الله.

٣٣- أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها.

٣٤- أن الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبته للعبد وسبب لهدايته وحياة قلبه.

٣٥- أنها سبب لعرض اسم المصلى عليه ﷺ وذكره عنده كما قال ﷺ : «**إن صلاتكم معروضة علىَّ**»[١]. وقوله ﷺ : «**إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يُبلغونى من أمتى السلام**»[٢]. وكفى بالعبد نُبلاً أن يُذكر بين يدى رسول الله ﷺ.

٣٦- أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط والجواز عليه.

٣٧- أن الصلاة عليه ﷺ أداء لأقل القليل من حقه وشكر له على نعمته التى أنعم الله بها علينا، مع أن الذى يستحقه من ذلك لايحصى علمًا ولا قدرة ولا إرادة.

٣٨- أنها متضمنة لذكر الله -سبحانه وتعالى- ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله ﷺ.

- هذه هى أهم الثمار التى يجنيها المكثر من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ. وهى فوائد جليلة يجب أن يحرص عليها العاملون، وفى مثل ذلك فليتنافس المتنافسون». اهـ.

---

(١) **صحيح**: رواه أبو داود (١٠٤٧) كتاب الصلاة، والنسائى (١٣٧٤) كتاب الجمعة، وابن ماجه (١٦٣٦) كتاب ما جاء فى الجنائز، وأحمد (١٥٧٢٩)، من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٥٢٧).

(٢) **صحيح**: رواه النسائى (١٢٨٢) كتاب السهو، وأحمد (٣٦٥٧)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله في صحيح الجامع (٢١٧٤).

لا تحزن .. فالرزق مضمون

لا تحزن فإن الذى ضمن لك الرزق هو مَن بيده مقاليد السماوات والأرض .. هو الذى لا تنفد خزائنه ... إنه الله -جل وعلا- الذى قال كما فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم: **«يا عبادى! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا فى صعيد واحد، فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندى، إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر...»**(١).

*** ومع ذلك فالله -جل وعلا- يُطمئن قلبك ويقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾**(٢) ويقول -جل وعلا-: **﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**(٣).

وقال ﷺ: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»(٤).

«وقال إبراهيم بن بشار: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذاتَ ليلة، وليس معنا شىء نفطر عليه، ولا لنا حيلة، فرآنى مُغتمًّا حزينًا، فقال: يا إبراهيم بن بشار: ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة فى الدنيا والآخرة.

لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة، ولا عن صلة رحم، ولا عن مواساة، وإنما يُسأل ويحاسب على هذا هؤلاء المساكين، أغنياء فى الدنيا فقراء فى الآخرة، أعزة فى الدنيا أذلة يوم القيامة. لا تغتم ولا تحزن؛ فرزق الله مضمون، سيأتيك. نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجّلنا الراحة فى الدنيا، لا نبالى على أى حال -أصبحنا وأمسينا- إذا أطعمنا الله.

ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتى، فما لبثنا إلا ساعة، فإذا نحن

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى ذر رضي الله عنه.
(٢) سورة الذاريات: آية (٢٢).
(٣) سورة هود: آية (٦).
(٤) حسن: رواه أبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٥٢).

برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمرٌ كثير، فوضعه بين أيدينا، فقال: كُلوا، رحمكم الله. قال: فسلم، ثم قال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئًا. فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر، فدفعه إليه، وأعطانى ثلاثة، وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين[١].

* فما عليك إلا أن تأخذ بأسباب الرزق الحلال وسوف يأتيك رزقك الذى قدره الله لك.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢].

كن حسن الخلق وستجنى الخير الكثير

إذا كنت تعانى من أزمة الأخلاق التى نعيشها فى هذا الزمان فابدأ بنفسك وكن حَسن الخلق مع الناس وستجنى الخير الكثير فى الدنيا والآخرة.

* تأمل معى كيف كان النبى ﷺ يحفز الأمة على حسن الخلق.

قال ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، الموطئون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون، ولا خير فى مَن لا يألف ولا يؤلف»**[٣].

* **وسُئل النبى ﷺ فقيل له**: يا رسول الله، ما خير ما أُعطى الإنسان؟ قال: **«حسن الخلق»**[٤].

* **وأخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ قال لها: «إنه من أُعطى حظه من الرِّفق فقد أُعطى حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحُسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار، ويزدن فى الأعمار»**[٥].

---

(١) الزهد الكبير (ص: ١٠٨) والحلية (٩/ ٣٧٠).

(٢) سورة الطلاق: آية (٢، ٣).

(٣) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط (٤/ ٣٥٧)، والصغير (١/ ٣٦٢)، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٣١).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٠١٣) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٧٠٠٥)، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥١٩).

وبيَّن النبى ﷺ أن الخيرية تكمن -بعد تقوى الله- فى حُسن الخلق قال عليه الصلاة والسلام: «**إن خياركم أحسنكم أخلاقًا**»(١).

وقال ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحُسن خلقه درجة القائم بالليل الظامئ بالهواجر**»(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله، وحُسن الخلق**». وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «**الفم، والفرج**»(٣).

وقال ﷺ: «**إن من أحبكم إلىَّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلىَّ وأبعدكم منى يوم القيامة: الثرثارون(٤)، والمتشدقون(٥)، والمتفيهقون**». قالوا: يا رسول الله، ما المتفيهقون؟ قال: «**المتكبرون**»(٦).

وقال ﷺ: «**عليك بحسن الخلق، وطول الصمت، فوالذى نفسى بيده، ما تجمل الخلائق بمثلهما**»(٧).

وقال ﷺ: «**ما شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة: من خُلق حسن، فإن الله تعالى يُبغض الفاحش البذىَّ**»(٨).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٥٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير (٨/ ١٦٩) من حديث أبى أمامة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٢١).

(٣) الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٤٧)، من حديث أبو هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

(٤) الثرثارون: هم الذين يكثرون الكلام تكلفًا.

(٥) التشدق: التكلم بملء الفم إظهارًا للفصاحة.

(٦) حسن: رواه الترمذى (٢٠١٨) كتاب البر والصلة، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٧٩١).

(٧) حسن: رواه أبو يعلى فى مسنده (٦/ ٥٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٩٣٨)، وقال: حسن بشواهده.

(٨) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٩) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٠٢) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٦٩٧١)، من حديث أبى الدرداء، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٣٢).

ثمرات حُسن الخلق[١]

والأخلاق الحسنة لها فوائد وثمرات كثيرة وسأكتفى بذكر بعضها:

• حُسن الخلق من أفضل ما يقرب العبد إلى الله:

وذلك لأن الله -عز وجل- أمرنا بحسن الخلق فإذا تحلَّى العبد بحُسن الخلق فقد امتثل أمر الله -جل وعلا-.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٢].

قال عبد الله بن الزبير ﷺ: «أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»[٣].

• أنه طاعة لرسول الله ﷺ:

فقد قال ﷺ: «... وخالق الناس بخلق حسن»[٤].

• أنه سبب لمحو السيئات:

فقد قال ﷺ: «... وأتبع السيئة الحسنة تمحها...»[٥].

ولا شىء أفضل من حُسن الخلق.

• أنه سبب لعفو الله وجالبٌ لغفرانه:

عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُتى بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت فى الدنيا؟ قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ قال: يا رب آتيتنى مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلُقى الجواز، فكنت أتيسر على الموسر وأُنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا

(١) من أراد المزيد فليرجع إلى كتابى (موسوعة من أخلاق الرسول ﷺ).

(٢) سورة الأعراف: آية (١٩٩).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٦٤٤) كتاب تفسير القرآن من حديث عبد الله بن الزبير ﷺ.

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٩٨٧) كتاب البر والصلة، وأحمد (٢٠٨٤٧)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٩٧)، من حديث أبى ذر ﷺ.

(٥) انظر السابق.

منك، تجاوزوا عن عبدى»[١].

• أنه سبب للفوز بمحبة الله -جل وعلا-:

وذلك لقول النبى ﷺ: «أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقًا»[٢].

• أنه سبب للفوز بمحبة رسول الله ﷺ:

فقد قال ﷺ: «إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا»[٣].

• أنه من خير أعمال العباد:

عن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سُئل النبى ﷺ، فقيل له: يا رسول الله، ما خير ما أُعطى الإنسان؟ قال: «خُلق حسن»[٤].

• أن صاحبه يوصف بالخيرية:

قال ﷺ: «إن من خياركم أحاسنكم أخلاقًا»[٥].

• أن حسن الخلق سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «صلة الرحم، وحسن الخُلق، وحسن الجوار يعمرن الديار ويزدن فى الأعمار»[٦].

• صاحب الخلق الحسن يألف الناس ويألفه الناس:

فإن قلوب العباد تميل دائمًا إلى صاحب الخلق الحسن وتبغض الإنسان

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٧٧) كتاب البيوع، ومسلم (١٥٦٠) كتاب المساقاة من حديث حذيفة.

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (٤/ ٤٤٣)، والطبرانى فى الكبير (٤/ ٤٤٣)، من حديث أسامة ابن شريك، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٩).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (١٩٧٥) كتاب البر والصلة، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه (٣٤٣٦) كتاب الطب، من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٢١).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٥٥٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٢١) كتاب الفضائل، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٦) صحيح: رواه أحمد (٢٤٧٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥١٩).

صاحب الخلق السيئ ولذا قال ﷺ : «المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»(١) .

• حسن الخلق يصلح ما بين الإنسان وبين الناس:

قال ابن القيم -رحمه الله-: «جمع النبى ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخلق؛ لأن تقوى الله تُصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يُصلح ما بينه وبين خلقه. فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»(٢) .

• بالخلق الحسن يكثر الأحباب ويقل الأعداء:

قال الماوردى -رحمه الله-: «إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مُصافوه، وقَلَّ مُعادوه، فتسهلت عليه الأمور الصِّعاب، ولانت له القلوب الغضاب»(٣) .

• حسن الخلق يحول العدو إلى صديق:

فقد قال -جل وعلا-: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٤) .

• أنه دليل على كمال إيمان العبد:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا»(٥) .

ويقول ابن القيم -يرحمه الله-: «الدين كله خُلق، فمن زاد عليك فى الخلق، زاد عليك فى الدين»(٦) .

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٨٩٤٥، ٢٢٣٣٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٢٥).

(٢) الفوائد (٧٥).

(٣) أدب الدنيا والدين (٢٣٧).

(٤) سورة فصلت: آية (٣٤، ٣٥).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨٢) كتاب السنة، والترمذى (١١٦٢) كتب الرضاع، وأحمد (٧٣٥٤)، من حديث أبى هريرة، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١٢٨).

(٦) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤).

• أنه سبب لتأييد الله ونصره لعباده:

فلقد وصفت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها رسول الله ﷺ عندما أخبرها بنزول الوحى، وقال: «**لقد خشيت على نفسى**»، فقالت: «كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا» -ثم ذكرت سبب ذلك بقولها-: «والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١).

• سبب لتحريم جسد العبد على النار:

فقد قال ﷺ: «**ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هين سهل**»(٢).

• حسن الخلق أثقل شىء فى الميزان يوم القيامة:

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق**»(٣).

• من أسباب دخول الجنة:

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله، وحسن الخلق**»، وسُئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**»(٤).

• من أسباب الارتقاء فى درجات الجنة:

فيبلغ العبد بحسن الخلق أعلى درجات الجنة مع عباد الله المخلصين الذين لا يُفترون عن الصيام والقيام.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤) بدء الوحى، ومسلم (١٦٠) الإيمان، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٣٩٢٨)، من حديث عبد الله بن مسعود، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٣٨).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٩) كتاب الأدب، والترمذى (٢٠٠٣) كتاب البر والصلة، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٢١).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٤٢٤٦) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٤٧)، من حديث أبو هريرة، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٧٧).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[1].

● **النبي ﷺ يضمن له بيتًا في أعلى الجنة:**

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم[2] ببيت في ربض[3] الجنة لمن ترك المراء[4] وإن كان مُحقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[5].

● **أن صاحبه يكون قريبًا من النبي ﷺ في الجنة:**

لقول النبي ﷺ: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ...»[6].

فهذه بعض الثمرات التي يجنيها العبد من وراء حُسن الخلق ولو لم يكن هناك ثمرة لحُسن الخلق إلا أن صاحبه يفوز بمحبة الله وصحبة رسول الله ﷺ والقرب من النبي ﷺ في الجنة لكفى.

فأسأل الله -جل وعلا- أن يرزقني وإياكم حُسن الخلق.

لا تحزن .. وإليك علاج الأرق والفزع

قد يصاب الإنسان بحالة من الأرق فلا يستطيع أن ينام ... أو يصاب بحالة من الفزع وهو نائم فماذا يصنع؟

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٩٨) كتاب الأدب، وأحمد (٢٣٨٣٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٠٨٢).

(٢) زعيم: ضامنٌ.

(٣) ربض الجنة: أدناها، وربض المدينة: ما حولها، وجمع ربض: أرباضٌ.

(٤) المراء: أصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما في ضرعها، وهو المنازعة في القول والعمل بقصد الباطل، فإذا كان بقصد الحق فهو جدال.

(٥) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠) كتاب الأدب، من حديث أبي أمامة، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٣).

(٦) صحيح: رواه الترمذي (١٩٧٥) كتاب البر والصلة، من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٨٦).

* ويأتى الجواب والعلاج من سنة النبى ﷺ :

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «**أعوذُ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**»(١).

- وفى رواية: جاء رجل إلى النبى ﷺ فشكا أنَّه يفزع فى منامه، فقال رسول الله ﷺ : «**إذا أويت إلى فراشك فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فقالها فذهب عنه**».

* وبالجملة: فماذا يفعل من أُصيب بالأرق؟

أقول لك: ها هو العلاج حتى لا تحزن:

١- الأذكار الشرعية: ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾(٢).

٢- هَجْر النوم بالنهار إلا للقيلولة أو لحاجة ماسَّة: ﴿ **وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا** ﴾(٣).

٣- القراءة والكتابة حتى النوم: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾(٤).

٤- إتعاب الجسم بالعمل النافع نهاراً: ﴿ **وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا** ﴾(٥).

٥- التقليل من شرب المنبِّهات كالقهوة والشاى.

اترك الذنوب والمعاصى حتى لا تحزن

يقول الإمام ابن القيم: إن من فوائد ترك الذنوب والمعاصى إقامة المروءة، وصَون العرض، وحفظ الجاه، وصيانة المال الذى جعله الله قوامًا لمصالح الدنيا والآخرة، ومحبة الخلق وجواز القول بينهم، وصلاح المعاش، وراحة البدن، وقوة القلب، وطيب النفس، ونعيم القلب، وانشراح الصدر، والأمن

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٩٣) كتاب الطب، والترمذى (٣٥٢٨) كتاب الدعوات، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٤).

(٢) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٣) سورة النبأ: آية (١١).

(٤) سورة طه: آية (١١٤).

(٥) سورة الفرقان: آية (٤٧).

من مخاوف الفسّاق والفجّار، وقلة الهم والغم والحزن، وعز النفس عن احتمال الذل، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية، وحصول المخرج له مما ضاق على الفساق والفجار، وتيسير الرزق عليه من حيث لا يحتسب، وتيسير ما عسر على أرباب الفسوق والمعاصى، وتسهيل الطاعات عليه، وتيسير العلم والثناء الحسن فى قلوب الناس، وكثرة الدعاء له، والحلاوة التى يكتسبها وجهه، والمهابة التى تُلقَى له فى قلوب الناس، وانتصارهم وحميّتهم له إذا أوذى وظُلِم، وذَبِّهم عن عِرضه إذا اغتابه مغتاب، وسرعة إجابة دعائه، وزوال الوحشة التى بينه وبين الله، وقرب الملائكة منه، وبعد شياطين الإنس والجن منه، وتنافس الناس على خدمته وقضاء حوائجه، وخطبتهم لمودته وصحبته، وعدم خوفه من الموت، بل يفرح به لقدومه على ربه ولقائه له ومصيره إليه، وصغر الدنيا فى قلبه، وكبر الآخرة عنده، وحرصه على الملك الكبير، والفوز العظيم فيها، وذوق حلاوة الطاعة، ووجْد حلاوة الإيمان، ودعاء حَمَلَة العرش ومن حوله من الملائكة له، وفرح الكاتبين به ودعاؤهم له كل وقت، والزيادة فى عقله وفهمه وإيمانه ومعرفته، وحصول محبة الله له وإقباله عليه، وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسرور لا نسبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه.

فهذه بعض آثار ترك المعاصى فى الدنيا، فإذا مات تلقَّته الملائكة بالبشرى من ربه بالجنة، وبأنه لا خوف عليه ولا حزن، وينتقل من سجن الدنيا وضيقها إلى روضة من رياض الجنة ينعم فيها إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة كان الناس فى الحر والعرق، وهو فى ظل العرش. فإذا انصرفوا من بين يدى الله، أخذ به ذات اليمين مع أوليائه المتقين وحزبه المفلحين. و﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** ﴾(١)(٢).

---

(١) سورة الحديد: آية (٢١).

(٢) الفوائد (ص: ٢٢١، ٢٢٢).

صيدلية خاصة

إذا شكوت من قسوة قلبك، وإعراضه وغلظته ولهوه فعليك بترياق مُجرَّب، ومرهم معروف، ودواء شهد بنفعه الرسل -عليهم السلام-، ونصح به الصالحون، وحمده المجربون، إنه الدعاء، فلا مثل الدعاء أبدًا، فاستمر عليه، وأكثر منه، وادع بصلاح قلبك وعملك خاصة فى السجود، وأدبار الصلوات، وساعة الجمعة بإخلاص وحضور، فسوف تجد فى قلبك من الرقة والخشية والإنابة خاصة إذا أدمنت الدعاء، وأكثرت فى المسألة، وألححت فى الطلب، فلا صلاح إلا من عنده سبحانه، ولا نفع إلا من هناك ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ (١)، ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٢)، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (٣)(٤).

أعظم الدنانير الذى تنفقه على أهلك

اعلم أيها الأخ الحبيب أنك مسئول عن رعيتك وأن الله -عزَّ وجلَّ- سيحاسبك على تلك الأمانة . . . فقد قال ﷺ -كما فى الصحيحين- **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»** (٥).

فاحرص على تلك الرعية وذكرهم بالله -جل وعلا- وعلمهم وأدبهم وأطعمهم من طعامك حتى لا تحزن عندما تلقى الله وأنت مُضيع لرعيتك.

* واعلم أن كل لقمة تقع فى فم زوجتك أو أولادك لك بها صدقة.

-وتأمل معى قول النبى ﷺ: «دينار أنفقته فى سبيل الله، ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا

---

(١) سورة النمل: آية (٦٢).

(٢) سورة غافر: آية (٦٠).

(٣) سورة الأعراف: آية (٥٥).

(٤) حدائق ذات بهجة (ص: ٢٠٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٨٩٣) كتاب الجمعة، ومواضع، ومسلم (١٨٢٩) كتاب الإمارة، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

الذى أنفقته على أهلك»[١].

* وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، هل لى أجر فى بنى أبى سلمة أن أنفق عليهم، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا، إنما هم بنى؟ فقال: «نعم لك أجر ما أنفقت عليهم»[٢].

* وعن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أُجرت بها حتى ما تجعل فى فى امرأتك»[٣].

* وعن أبى مسعود البدرى رضي الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة»[٤].

أحسِن إلى اليتامى حتى لا تحزن

إننى فى تلك السطور القليلة أدعو نفسى وإخوانى فى كل الأقطار والأمصار إلى إجابة نداء الواحد القهار للإحسان إلى اليتامى بالليل والنهار فإن الأمة المسلمة كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. ونحن فى دعوتنا هذه نريد أن تنهض الأمة من كبوتها ليحمل القوى فيها الضعيف ويحمل الغنى فيها الفقير ويحمل العالم فيها الجاهل وبذلك تتكامل سواعد الأمة وترجع مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

قال صلى الله عليه وسلم: «كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير متعتع»[٥]. فكيف يقدس الله أمة ضاعت فيها حقوق اليتامى الذين لا يجدون

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩٩٥) كتاب الزكاة باب: فضل النفقة على العيال، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٣٦٩) كتاب النفقات، ومسلم (١٠٠١) كتاب الزكاة، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦) كتاب الإيمان، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية، من حديث سعد ابن أبى وقاص رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى(٥٣٥١) كتاب النفقات، ومسلم (١٠٠٢) كتاب الزكاة، من حديث أبى مسعود البدرى رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٤٢٦) كتاب الأحكام، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤٢١).

لهم مُعينًا إلا الله -جل وعلا- بعد أن حُرموا من أبٍ رحيم يحنو عليهم ويمسح دمعتهم ويُشبع جوعتهم... ولقد قال النبي ﷺ: «**في كل ذات كبد حرّى أجر**»[١]، فإن لك أجرًا في كل لقمة أو شربة ماء تسوقها لحيوان أعجم فكيف بمن يسوق لقمة إلى فم يتيم يتجرع مرارة اليُتم؟!.. بل لقد أخبر النبي ﷺ أنه «غُفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث كاد يقتله العطش فنزعت خُفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغُفر لها بذلك»[٢]، فكيف بمن يحمل في كفه شربة ماء لطفلٍ يتيم ... فيا من أكرمك الله بنعمة المال لا تبخل وأقبل بمالك لتنقذ يتيمًا من مرارة الفقر والحرمان ولا تحرم نفسك من أن يكون مالك قائدًا لك إلى جنات الخلد ورضوان الرحيم الرحمن فإن «صدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفعل المعروف يقي مصارع السوء»[٣].

قصة تملأ القلب نورًا

قال أحد السلف: كنت في بداية أمري مُكبًّا على المعاصي وشرب الخمر فظفرت يومًا بصبي يتيم فقير فأخذته وأحسنت إليه وأطعمته وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبتُّ ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم أن القيامة قد قامت ودُعيت إلى الحساب وأُمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجرونني سحبًا إلى النار وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق وقال: خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي فإنه قد أحسن إليَّ وأكرمني ... فقالت الملائكة : إنا لم نؤمر بذلك وإذا النداء من قِبل الله

(١) **صحيح**: رواه ابن ماجه (٣٦٨٦) كتاب الأدب، وأحمد (١٧١٣١)، من حديث سراقة بن جعشم، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٢٦٣).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام، من حديث أم سلمة ﵂.

(٣) **صحيح**: رواه البيهقي في الشعب (٣/ ٢٤٥)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٦١)، والأوسط (٦/ ١٦٣)، من حديث أبي سعيد الخدري ﵁، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٧٦٠).

يقول: خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم وإحسانه إليه.

قال فاستيقظت وتبُت إلى الله -عز وجل- وبذلت جهدى فى إيصال الرحمة إلى الأيتام.

فيا إخوانى هيا بنا نبذل جهدنا لإيصال الرحمة إلى الأيتام فلعل الله أن ينفعنا بدعواتهم وشفاعتهم لنا يوم القيامة ... فلنُسرع الخُطا إلى هذا الخير ولسان حال كل واحد منا ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾(١).

من أراد أن يلين قلبه ويدرك حاجته فليرحم اليتيم وليمسح رأسه وليطعمه من طعامه

روى أن رجلا شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له ﷺ: **«أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك»**(٢).

وفى رواية قال: «أدن اليتيم منك وألطفه وامسح رأسه وأطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك ويدرك حاجتك»(٣). فيا من تشعر بقسوة قلبك ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك وأدنه منك وألطفه فسوف يلين قلبك وتدرك حاجتك بإذن الله - جل وعلا.

كافل اليتيم فى الجنة مع النبى محمد ﷺ

قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا -وأشار بالسبابة والوسطى

---

(١) سورة طه: آية (٨٤).

(٢) رواه البيهقى فى الشعب (٧/ ٣٨٠)، وذكره الهيثمى فى المجمع (٨/ ١٦٠) وقال: رواه الطبرانى وفى إسناده من لم يسم وبقية مدلس، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠).

(٣) **حسن**: رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق، وابن عساكر، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٥٠).

وفرج بينهما-»(١).

وفى رواية: **«أنا وكافل اليتيم له أو لغيره فى الجنة والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله»**(٢).

قال ابن حجر فى الفتح: قال ابن بطال: حقٌ على كل من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبى ﷺ فى الجنة ولا منزلة فى الآخرة أفضل من ذلك . . . ثم استشهد الإمام ابن حجر بالحديث الذى رواه أبو يعلى عن أبى هريرة (وقال ابن حجر فى الفتح: وإسناده لا بأس به) أن النبى ﷺ قال: **«أنا أول من يفتح باب الجنة فإذا امرأة تبادرنى فأقول من أنت؟ فتقول: أنا امرأة تأيمت على أيتامٍ لى»**... فقوله تبادرنى: أى لتدخل معى أو تدخل فى أثرى ويحتمل أن يكون المراد مجموع الأمرين: سرعة الدخول وعلو المنزلة . . فيا له من شرف عظيم(٣).

* رُوى أنه كان هناك رجل قد نزل فى بلد من بلاد العجم، وله زوجة وله منها بنات، وكانوا فى سعة ونعمة، فمات الزوج، وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة.

فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء، واتفق خروجها فى شدة البرد، فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها فى بعض المساجد المهجورة ومضت تحتال لهم فى القوت، فمرت بجمعين، جمع على رجل مسلم، وهو شيخ البلد، وجمع على رجل مجوسى، وهو ضامن البلد، فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له. وقالت: أنا امرأة مسلمة ومعى بنات أيتام أدخلتهم بعض المساجد المهجورة وأريد الليلة قوتهم، فقال لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٠٠٥) كتاب الأدب، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٨٣) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) أنا وكافل اليتيم فى الجنة/ للمصنف (ص: ٣-١٢) بتصرف.

فقالت: أنا امرأة غريبة ما فى البلد من يعرفنى، . . . . فأعرَض عنها.

فمـضت من عنده منكسرة الـقلب، فجاءت إلى ذلك الـرجل المجوسى فشرحت له حالها، وأخبرته أن معهـا بنات أيتامًا، وهى امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم، فقام وأرسل بعض نسائه، وأتوا بها وبناتها إلى داره فأطعمهن أطيب الطعـام، وألبسهن أفخر اللباس، وباتوا عنده فى نعمة وكرامة.

قال: فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم فى منامه كأن القيامة قد قـامت، وقد عُـقـد اللواء على رأس النبى ﷺ وإذا القـصر من الزمـرد الأخضر شرفاته مـن اللؤلؤ والياقـوت، وفيه قباب اللؤلؤ والمرجـان، فقـال يا رسول الله لمن هذا القصر؟ قال لرجل مسلم موحد. فقال: يا رسول الله، أنا رجل مسلم مـوحد. فقـال رسول الله ﷺ: لما قصـدتك المرأة المسلمة قلت لها: أقيمى عندى البينة أنك مسلمة شريفة فكذا أنت أقم عندى البينة أنك مسلم!: فانتبه الرجل حـزينًا على ردِّه المرأة خائبة، ثم جعل يطوف بالبلد، ويسأل عنها، حتى دُلَّ عليها أنها عـند المجوسى، فأرسل إليه فأتاه فقال له: أريد منك المرأة المسلمة الشـريفة وبناتها. فـقال: ما إلى هذا من سبـيل وقد لحقـنى من بركاتهن مـا لحقنى. قـال: خذ منى ألف دينار وسلمـهن إلىَّ. فقـال: لا أفعل. لا بـد منهن. فقـال له: إن الذى تريده أنت أنا أحق به، والقصر الذى رأيته فى منامك خُلِقَ لى. أتدل علىَّ بالإسلام؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل دارى حـتى أسلمنا كلنا على يد هذه المرأة المسلمة، ورأيت مـثل الذى رأيت فى منامك، وقـال لى رسـول الله ﷺ: «**المرأة وبناتهـا عندك**» قلت: نعم يا رسـول الله. قـال: «**القـصـر لك، ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة، خلقك الله مؤمنًا فى الأزل**»، قال: فـانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله، . . . فانظر -رحمك الله- إلى بركة

الإحسان إلى الأرملة والأيتام ما أعقب صاحبه من الكرامة فى الدنيا(١).

أنت قادر على السعادة -بإذن الله-

أكّد لنفسك دائـمًا أنك قادر -بإذن الله تعالى- على النجـاح والسعادة، وقادر على أن تكون حياتك خالية من المزعجات والبؤس والاضطراب، وأن السلام يسود وجودك، فإن لذلك فوائد عظيمة منها:

أ- أنه يساعـدك على اجتيـاز أكبر العـوائق التى تفصلك عن السـعادة، كالحقد والبغض والتشاؤم.

ب- أنه يساعدك أيضًـا على أن تغفر لنفسك ولا تيـأس من رحمة الله، بل تتابع العمل الخيّر أملاً فى الوصول إلى برّ السعادة. ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢)(٣).

البس نظارة الإنصاف

أريدك أن تكون مُنصفًـا ومن أجل ذلك قلت لك: البس نظارة الإنصاف؛ لترى كل شىء على حقيقته.

لأنك لو لم تكن منصفًا لرأيت المحاسن مساوئ ولكان حُكمك على كل من حولك فـيه ظلم لهم.. ولو كنت مُحـبًّا لكل من حولك بإفراط وبلا إنصاف لرأيت المساوئ محاسنًا، ولذلك ينـبغى عليك أن تكون منصفًا لترى المحاسن كما هى، فتثنى على أصحابـها، وترى المساوئ كما هى فتسأل الله أن يتوب على أصحابها وبـذلك تكون منصفًا وينفع الله بك كل من حولك فيسعدوا وتسعد معهم.

---

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ١٢١، ١٢٢).

(٢) سورة الزمر: آية (٥٣).

(٣) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٤٣، ٤٤).

احرص على زيارة القبور

اعلم أن زيارة القبور تجعلك زاهدًا فى الدنيا ولا تحزن على فوات أى لذة من لذاتها. . . وتجعلك مُقبلاً على الآخرة، فتحزن كل الحزن على فوات أى طاعة تقربك من الله -جل وعلا-.

- ومن المعلوم أن الدنيا هى دار الفناء وأن الجنة هى دار الخلود والبقاء. . . فزيارتك للقبور تجعلك مُقبلاً على دار الحبور والسرور فاحرص عليها حتى لا تحزن.

* **قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:**

زيارة الموحدين للقبور مقصودها ثلاثة أشياء:

أحدها: تَذَكُّر الآخرة والاعتبار، والاتعاظ. وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك بقوله: «**زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة**»(١).

الثانى: الإحسان إلى الميت، وأن لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه، كما إذا ترك زيارة الحى مدة طويلة تناساه، فإذا زاره الحى فرح بزيارته وسُرَّ بذلك، فالميت أولى؛ لأنه قد صار فى دار قد هجر أهلها إخوانهم وأهلهم ومعارفهم، فإذا زاره وأهدى إليه هدية من: دعاء، أو صدقة، أو أهدى قربة، ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحى من يزوره ويهدى له، ولهذا شرع النبى ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، وسؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا أن يدعوا بهم، ولا يصلى عندهم.

الثالث: إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السُّنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلى نفسه وإلى المَزور(٢). اهـ.

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (١٥٦٩) كتاب ما جاء فى الجنائز، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٥٧٧).

(٢) إغاثة اللهفان (ص: ٢٢٣).

ألا بذكر الله تطمئن القلوب

الصدق حبيب الله، والصراحة صابون القلوب، والتجربة برهان، والرائد لا يكذب أهله، ولم يوجد عمل أشرح للصدر وأعظم للأجر كالذكر ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[(١)] وذِكره سبحانه جنته في أرضه من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وهو إنقاذ للنفس من أوصابها وأتعابها واضطرابها بل هو طريق ميسّر مختصر إلى كل فوز وفلاح. . . . طالع دواوين الوحي؛ لترى فوائد الذكر، وجرب مع الأيام بلسمه لتنال الشفاء.

بذكره سبحانه تنقشع سُحب الخوف والفزع والهم والحزن. بذكره تزاح جبال الكرب والغم والأسى.

ولا عجب أن يرتاح الذاكرون فهذا هو الأصل الأصيل، لكن العجب العُجاب كيف يعيش الغافلون عن ذكره ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[(٢)].

يا من شكى الأرق وبكى من الألم وتفجّع من الحوادث، ورمته الخطوب هيا اهتف باسمه المقدس، هل تعلم له سَميًّا.

بقدر إكثارك من ذكره ينبسط خاطرك، يهدأ قلبك، تسعد نفسك، يرتاح ضميرك؛ **لأن** في ذكره -جل في علاه- معاني التوكل عليه والثقة به والاعتماد عليه والرجوع إليه، وحسن الظن فيه، وانتظار الفرج منه، فهو قريب إذا دُعي، سميع إذا نُودي، مجيب إذا سُئل، فاضرع واخضع واخشع، وردد اسمه الطيب المبارك على لسانك توحيدًا وثناءً ومدحًا ودعاءً وسؤالاً واستغفارًا، وسوف تجد -بحوله وقوته- السعادة والأمن والسرور

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٢).

(٢) سورة النحل: آية (٢١).

والنور والحبور ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾(١)(٢).

أفضل الذكر وأنفعه

من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطآ على الذكر.

ومنهم من لا يرى ذلك، ولا يبتدئ على غـفلة، بل يسكن حتى يحضر قلبه، فيشرع فى الذكر بقلبه، فإذا قوى، استتبع لسانه فتواطآ جميعًا.

فالأول: ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه.

والثانى: ينتقل من قلبـه إلى لسانه، من غير أن يـخلو قلبه منه، بل يسكن أولاً حتى يحسَّ بظهور الناطق فيه، فإذا أحسَّ بذلك نطق قلبه، ثم انتقل النطق القلبى إلى الذكر اللسانى، ثم يستغرق فى ذلك؛ حتى يجد كل شىء منه ذاكرًا.

وأفضـلُ الذكر وأنفـعُه: ما واطأ فـيه القلب اللسان، وكـان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكرُ معانيه ومقاصده(٣). اهـ.

وإليك الحروز المانعة من الشيطان .. حتى لا تحزن

وقد يسأل سائل ويقول: ما هي الحروز التي يعصمني الله بها من الشيطان؟

والجواب: إنها عشرة حروز أقدمها لك فى باقة من الورود:

● **الحرز الأول: الاستـعاذة بالله من الشيطان**: قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٤).

● **الحرز الثانى: قراءة المعوذتين**: فإن لهما تأثيرًا عجيبًا فى الاستعاذة بالله تعالى من شـره ودفعه والتـحصن منه. ولهـذا قال النبى ﷺ: «ما تـعوَّذ

(١) سورة آل عمران: آية (١٤٨).

(٢) لا تحزن (ص: ٣٥، ٣٦).

(٣) الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٢٧٢).

(٤) سورة فصلت: آية (٣٦).

متعوذٌ بمثلهما»(١)، وقد كان ﷺ يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم، وأمر عقبة أن يقرأ بهما دُبر كل صلاة.

• **الحرز الثالث: قراءة آية الكرسى:** ففى الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: وكَّلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتى آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، فذكر الحديث، فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى؛ فإنه **لن** يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبى ﷺ: **«صدقك، وهو كذوب، ذاك شيطان»**(٢).

• **الحرز الرابع: قراءة سورة البقرة:** ففى الصحيح من حديث سهل عن عبدالله عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر، وإن البيت الذى تُقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان»**(٣).

• **الحرز الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة:** فقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى موسى الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه»**(٤).

• **الحرز السادس: أول سورة حم (المؤمن) إلى قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**(٥)، مع آية الكرسى.

• **الحرز السابع: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير:** ففى الصحيحين من حديث سمى مولى أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من قال لا إله إلا الله وحده، لا شريك له،**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٣) كتاب الصلاة، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٩٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٢٧٥) كتاب بدء الخلق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٧٨٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠١٠) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى مسعود البدرى رضي الله عنه.

(٥) سورة غافر: آية (٣).

له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»(١) فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسره الله تعالى عليه.

● **الحرز الثامن:** كثرة ذكر الله وهو من أنفع الحروز من الشيطان.

● **الحرز التاسع: الوضوء والصلاة:** وهذا من أعظم ما يتحرز به منه، ولا سيما عند توارد قوة الغضب والشهوة؛ فإنها نار تغلى فى قلب ابن آدم فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة؛ فإنها نار، والوضوء يطفئها، والصلاة إذا وقعت بخشوعها، والإقبال فيها على الله ذهب أثر ذلك كله، وهذا أمر تجربته تغنى عن إقامة الدليل عليه.

● **الحرز العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس:**

فإن الشيطان إنما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة، فإن فضول النظر يدعو إلى الاستحسان، ووقوع صورة المنظور إليه فى القلب والاشتغال به والفكر فى الظفر به، فمبدأ الفتنة من فضول النظر.

وأما فضل الطعام فهو داعٍ إلى أنواع كثيرة من الشر؛ فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصى، ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شرًّا؛ فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وُقى شر بطنه، فقد وُقى شرًّا عظيمًا، والشيطان أعظم ما يتحكم فى الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام.

مخالطة الناس: إن فضول المخالطة هى الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست فى القلب من حزازات(٢)؟!!

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٦-٢٣٠) بتصرف.

وداعًا للقلق والاكتئاب

إننا نعيش فى عصر يشكل القلق فيه سمة رئيسية من سماته، حيث إنه عصر يميل إلى التعقيد والتركيب والبُعد عن البساطة فى كل شىء.

ولم يعد القلق مقتصرًا على طائفة معينة من الناس أو شريحة معينة من البشر، مثل شريحة الفقراء الذين يعانون فى حياتهم لتوفير ما هو ضرورى بالنسبة لهم، أو مثل طائفة رجال الأعمال الذين يعانون من ضغوط العمل المتواصل الذى لا يترك لهم مجالاً للراحة والاسترخاء، أو مثل طائفة الكُتَّاب والمفكرين والشعراء الذين يكابدون فى إخراج تجاربهم إلى الآخرين.

إن القلق يصيب كل شرائح المجتمع، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، الأصحاء والمرضى، الرجال والنساء، الصغار والكبار، المتعلمين وغير المتعلمين.

وإذا كان ربع العالم حسب إحدى الإحصائيات يعانون من القلق.

وإذا كانت تلك المواقف المحرجة من الكثرة بمكان بحيث لا يمكن تفاديها.

وإذا كان إيقاع العصر الذى نعيش فيه يدعو إلى القلق فكيف أستطيع التخلص من القلق؟

إن التخلص من القلق نهائيًّا أمر يخالف فطرة الإنسان، فأصدق الأسماء - كما روى عن النبى ﷺ -: «حارث وهمام»[1]؛ لأن الإنسان كثيرُ الحرث والهم وهذا بالطبع يدعو إلى القلق. والصالحون من عباد الله كذلك يقلقون بسبب خوفهم من الردِّ وعدم القبول.

فالذى نستطيعه فى هذا المجال هو: أن نجعل قلقنا من النمط الإيجابى

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٥٠) كتاب الأدب، والنسائى (٣٥٦٥) كتاب الخيل، وأحمد (١٨٥٥٣)، من حديث أبى وهب الجشمى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج الكلم الطيب (٢١٨).

الذى يدعو لإيجاد الحلول للمشكلات الطارئة ولا يقعد بصاحبه عن أى عمل مثمر وفكر جاد.

إن درجة تركيز الطلاب قبل الاختبارات تكون عالية جدًّا، وقدرتهم على التحصيل وصبرهم على الدراسة تكون كبيرة، بحيث إن الطالب يقرأ فى يوم أو يومين ما عجز عن مطالعته طوال العام، وكل ذلك بسبب القلق الذى انتابه بشأن مستقبله الدراسى. ولكنه حوَّل قلقه هذا إلى طاقة عظيمة ساعدته فى استدراك كثير مما فاته أثناء العام الدراسى.

إن القلق السلبى (المرضى) هو الذى يدعو إلى اليأس والكسل والخمول؛ بحيث يستسلم الإنسان للمخاوف والأوهام، ويصبح فريسة للأفكار السوداء، فيفقد السيطرة على نفسه ويدخل فى دوامة الأمراض النفسية المختلفة.

إن القلق السلبى هو بوابة الهموم والغموم والأحزان، وهو القاسم المشترك لمختلف الاضطرابات النفسية كحالات: الاكتئاب النفسى، والوسواس القهرى، والخوف المرضى، والهستريا، وتوهم المرض، والهوس، والفصام العقلى، وجنون العظمة (البارانويا) فكلّ هؤلاء كانوا يعانون من القلق، ثم تطورت حالاتهم إلى ما هو أخطر وأشد.

*** ومن الأمور التى يعالج الإنسان نفسه بها من القلق ما يلى:**

١- **الإيمان بالله تعالى**؛ لأن الإيمان يدعو إلى الرضا والثبات والهدوء والسكينة.

٢- تقوى الله. قال تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾[١].

٣- ذكر الله تعالى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٢].

٤- الصلاة الخاشعة. قال ﷺ: «**يا بلال! أقم الصلاة أرحنا بها**»[٣].

---

(١) سورة الطلاق: آية (٤).

(٢) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود (٤٩٨٥) كتاب الأدب، عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٩٢).

٥- تلاوة القرآن. قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(١).

٦- الدعاء واللجوء إلى الله. قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾(٢).

٧- التوكل على الله. قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾(٣)، أي: كافيه.

٨- الصبر، فإنه مفتاح الفرج.

٩- احتساب الأجر عند الله تعالى.

١٠- القناعة والرضى بالقليل.

١١- الابتسام للحياة بما فيها من منغصات.

١٢- ترك الغضب.

١٣- التذرع بالأمل.

١٤- علو الهمة.

١٥- الاستفادة من تجارب الآخرين.

١٦- شغل النفس بما هو مفيد من الأعمال.

١٧- عدم المبالغة فى سوء الظن بالآخرين.

١٨- التدرب على العفو والحلم والرحمة وسلامة الصدر.

١٩- تعلم مهارة الاسترخاء والتنزه فى الأماكن الواسعة حيث الخضرة والهواء النقى.

٢٠- التحلى بروح المرح، والتفاؤل، ولين الجانب، والموضوعية.

٢١- المشاركة فى الأعمال الخيرية.

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٢).

(٢) سورة النمل: آية (٦٢).

(٣) سورة الطلاق: آية (٣).

٢٢- التأمل فى الأشياء، والتفكر فى مخلوقات الله.
٢٣- ممارسة التمرينات الرياضية.
٢٤- عدم التسرع فى الحكم على الأشياء.
٢٥- الاعتراف بالخطأ، وعدم المجادلة بالباطل.
٢٦- عدم الاستسلام لضغوط الحياة وكثرة العمل.
٢٧- اكتشاف أسباب القلق، ومعالجتها بالحوار الهادئ مع النفس.
٢٨- النظر إلى الصفات الإيجابية فى الأشخاص، وترك التركيز على السلبيات[١].

وداعًا للتشاؤم

التشاؤم: النظر إلى الكون بكُره، والتطلع إلى الدنيا بمقت، فالمتشائم يرى كل شيء أسود، الزهرة عنده شوك، والسنبلة قنبلة، والنخلة حنظلة، والمطر نار.

المتشائم معقود الجبين، كالح الوجه، ضيق الصدر، فليس عنده أمل ولا رجاء ولا فرج ولا يسر، فهو يرى أن الليل سوف يبقى، والفقر سوف يستمر، والجوع سوف يدوم، والمرض لن يقلع، فى قاموس المتشائم الموت والسقم والهلاك والفشل والإحباط، والسقوط ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[٢].

المتشائم يموت كل يوم مرات، ويجوع وهو شبعان، ويفتقر وهو غنى؛ لأنه أطاع الشيطان: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[٣][٤].

(١) راجع كتاب: القلق آفة العصر من إصدارات دار الوطن للنشر.
(٢) سورة المنافقون: آية (٤).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٨).
(٤) حدائق ذات بهجة (ص: ٧٩، ٨٠).

* فإذا أردت أن تعيش حياة سعيـدة خالية من الأحزان فقل للتشاؤم: وداعًا بلا عودة. . . . وكُن راضيًـا عن كل ما يقدره الله -جل وعـلا- فهو أرحم بك من رحمـة الأم بطفلها الرضيع . . واعلم أنك سـواء كنت متشـائمًا أو متفائلاً فإنه لن يكون إلا ما قدره الله.

إرضاء الناس غاية لا تدرك

إن إرضاء الناس غاية لا تُدرك، نعم إرضاء البشر ليس فى الإمكان أبدًا؛ لأن علمهم قـاصر ولأن عـقولهم محـدودة، يعتـورهم الهوى، ويعـتورهم النقص، ويتفاوتون فى الفهـم والإدراك، فلا يمكن إرضاؤهم، فمن تُرضى إذن؟! ترضى الله -جل وعلا- وكفى.

ها هو رجل يبنى له بيـتًا، فـيضع بابه قِبل الـشرق، فيـمرُّ عليـه قوم، فقالوا: هـلاّ وضعته قِبل الغـرب لكان أنسب، فيمر آخـرون ويقولون: هلاّ وضعته جهة الشمال لكان أجمل، ويمـر آخرون فيقولون: لولا وضعته جهة الجنوب لكان أنسب، وكلٌّ له نظر ولن ترضيهم جميعًا فارض الله وكفى.

وها هو رجل وابنه معهما حمار، ركب الأب وترك الابن ماشيًا، فمروا على قوم فقالوا: يا له من أب ليس فيه شفقة ولا رحمة، يركب ويترك هذا الابن المسكين يمـشى وراءه، فـمـا كان منـه إلا أن نزل وأركب هذا الطفل ومشى، ومـر على نفر فقـالوا: يا له من ابن عاقٍ!! يتـرك أباه يمشى وراء الدابة وهو يـركب الدابة، فـركب الاثنـان على الدابة، ومـروا عـلى قـوم آخرين، فـقالوا: يا لهـم من فجرة، حـمَّلوها فوق طـاقتهـا، فنزل الاثنان ومشوا وراء الدابة، ومروا على قوم فقالوا: حمقى مغفلون، يُسخر الله لهم هذه الدابة ثم يتـركونها ويمـشون وراءها، ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾[1] مَنْ ترضى أخى فى الله؛ ارضِ الله وكفى.

---

(١) سورة المؤمنون: آية (٧١).

«من أرضَى الله بسـخط الناس رضى عنه وأرضى عنـه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»(١).

«لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق»(٢).

أما إرضـاء رب الناس فهو الممكن -سـبحانه وبحـمده- بل هو الواجب لأن سبيل الله واحد، ولأن دينه واحد ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾(٣).

يذكر الشيخ/ عمر الأشقـر فى كتابه حدثًا يناسب هذه النقطة، يذكر أن طفلة صغيرة عادت لأمها من المدرسـة ذات يوم، وعليها سحابة حزن وكآبة وهمٌّ وغمٌّ، فتسألـها أمها عن سبب ذلك فتقـول: «وهى من بيت محافظ»: إن مدرستى هددتنـى إن جئت مرة أخرى بمثل هذه الملابس الطويلة، فـتقول الأم: ولكنهـا الملابس التى يريدها الله -جلَّ وعـلا- فتـقـول الطفلة: لكن المدرسة لا تريدها، قالت: المدرسة لا تريـد، والله يريد، فمن تطيعين إذن؟ الذى خلقك وصورك وأنعم علـيك، أم مخلوق لا يملك ضـرًّا ولا نفـعًا، فقالت الطفلة بفطرتها السليمة: لا، بل أطيع الله وليكن ما يكون.

وفى اليوم الثانى تلبس تلك الملابس وتذهب بهـا إلى المدرسة، ولما رأتها المعلمة انفجرت غاضبة، تؤنب تلك الفتاة التى تتحدى إرادتها، ولا تستجيب لمطالبها ولا تخاف من تهديدها ووعيدها. . . . أكثرت عليها من الكلام، ولما زادت المعلمة من التأنيب والتبكيت، ثَقُلَ الأمـر على الطفلة المسكينة البريئة، فانفجرت فى بكاء عظيم شديد مرير أليم، أذهل المعـلمة، ثم كفَّفت دموعها وقالت كلمـة حق تخرج من فمهـا كالقذيفة تقـول: والله ما أدرى من أطيع

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤١٤) كتـاب الزهد، من حديث عائشة ﵂، وصححـه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٠١٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٠) كتاب الإمارة، من حديث على بن أبى طالب ﵁، ولفظه: **«لا طاعة فى معصية الله إنما الطاعة فى المعروف»**.

(٣) سورة الأنعام: آية (١٥٣).

أنت أم هو؟ قالت المعلمة: ومن هو؟ قالت: الله رب العالمين الذى خلقنى وخلقك، وصوَّرنى وصورك، أأطيعك فألبس ما تريدين وأُغضبه هو، أم أطيعه وأعصيك أنت؟! . . . لا . . . لا سأطيعه وليكن ما يكن.

إذا لم يكن إلا الأسنَّة مركبًا

فما حيلة المضطر إلا الركوب

ذُهلت المعلمة ودُهشت، هل هى تتكلم مع طفلة أم مع راشدة؟ ووقعت منها الكلمات موقعًا عظيمًا بليغًا وسكتت عنها المعلمة، وفى اليوم التالى تستدعى المعلمة أم البنت وتقول لها: لقد وعظتنى ابنتك أعظم موعظة سمعتها فى حياتى، لقد تُبت إلى الله، وأُنبت إلى الله، فقد جعلت نفسى ندًّا لله حتى عرفتنى ابنتُك من أنا! فجزاك الله من أمٍّ مربية خيرًا.

وهنا أقول -يا أيها الأحبة-: ما أحوجنا إلى أن نُرضى الله -جلَّ وعلا- وأن نعرف أن الحق إنما يصل إلى القلوب إذا خرج من القلوب التى تؤمن به وتعمل بمقتضاه، أما الكلمات الباردة فلن تؤثر فى السامعين أبدًا. . . . ألا فارضِ الله -جلَّ وعلا- وكفى.

فلست بناجٍ من مقالة طاعن

ولو كنت فى غارٍ على جبل وعر

ومن ذاك الذى ينجو من الناس سالمًا

ولو غاب عنهم بين خافيتى نَسْر

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٢)(٣).

* * *

(١) سورة الأنعام: آية (١١٦).

(٢) سورة يوسف: آية (١٠٣).

(٣) هكذا علمتنى الحياة (ص: ٧٩-٨١) بتصرف.

دعوة المضطر

قال الإمام ابن الجوزى -رحمه الله- فى كتابه (صيد الخاطر) تحت عنوان (دعوة المضطر):

تأملت حالة عجيبة، وهى: أن المؤمن تنزل به النازلة فيدعو، ويبالغ، فلا يرى أثرًا للإجابة.

فإذا قارب اليأس نُظر حينئذ إلى قلبه، فإن كان رضيًّا بالأقدار، غير قَنوط من فضل الله -عزَّ وجلَّ-، فالغالب تعجيل الإجابة حينئذٍ؛ لأن هناك يصلح الإيمان ويُهزم الشيطان، وهناك تتبين مقادير الرجال.

وقد أشير إلى هذا فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ﴾(١).

وكذلك جرى ليعقوب -عليه السلام- فإنه لما فقد ولدًا، وطال الأمر عليه، لم ييأس من الفرج، فأُخذ ولده الآخر، ولم ينقطع أمله من فضل ربه ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾(٢).

وكذلك قال زكريا -عليه السلام-: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾(٣).

فإياك أن تستطيل مدة الإجابة، وكن ناظرًا إلى أنه المالك، وإلى أنه الحكيم فى التدبير، والعالم بالمصالح، وإلى أنه يريد اختبارك ليبلو أسرارك، وإلى أنه يريد أن يرى تضرعك، وإلى أنه يريد أن يأجرج بصبرك، إلى غير ذلك. وإلى أنه يبتليك بالتأخير لتحارب وسوسة إبليس.

وكل واحدة من هذه الأشياء تقوِّى الظن فى فضله، وتوجب الشكر له، إذ أهَّلك بالبلاء للالتفات إلى سؤاله، وفقر المضطر إلى اللجأ إليه، غنًى كله(٤).

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٤).

(٢) سورة يوسف: آية (٨٣).

(٣) سورة مريم: آية (٤).

(٤) صيد الخاطر (ص: ١٣٦، ١٣٧).

العزلة النافعة

إن البُعد عن الشر وأهله غاية لكل مسلم تقى يريد أن ينجو بنفسه من بحار الفتن التى غرق فيها كثير من الناس.

* فمنهم من اختار الطريق السهل الذى لا يكلفه كثيراً فاعتزل الناس وأغلق عليه بابه فإذا سألته عن سبب ذلك قال لك: ألا تعلم أن عقبة بن عامر سأل النبى ﷺ عن النجاة فقال: يا رسول الله ما النجاة؟ فقال له النبى ﷺ: **«املُك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»**(١).

* والحقيقة أن العزلة والبعد عن الشر وأهله واللاهين والفارغين يجمع على العبد همه وشمله ويُصلح قلبه ويجعله هادئ البال مرتاح الخاطر منشرح الصدر مسروراً.

بل إن البعد عنهم يُسلم العمر من الضياع ويحفظ الوقت من الإهدار ويحفظ القلب من الأمراض واللسان من الغيبة والبهتان والنفس من سوء الظن بالأصحاب والإخوان.

* ومخالطتهم والانغماس فى مجالسهم يشتت القلب ويُفسده.

ولقد عقد الإمام ابن الجوزى ثلاثة فصول فى «صيد الخاطر»، ملخَّصها أنه قال: ما سمعتُ ولا رأيتُ كالعزلة، راحة وعزًّا وشرفًا، وبُعدًا عن السوء وعن الشرّ، وصونًا للجاه والوقت، وحِفظًا للعمر، وبعدًا عن الحُسَّاد والثقلاء والشامتين، وتفكُّرًا فى الآخرة، واستعدادًا للقاء الله عز وجل، واغتنامًا فى الطاعة، وجولان الفكر فيما ينفع، وإخراج كنوز الحِكَم، والاستنباط فى النصوص.

* إذًا فالعزلة عن كل ما يشغل العبد عن فعل الخير والطاعات دواءٌ عزيز

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٠٦) كتاب الزهد، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٢٧٤١).

يحتاج إليه كل مسلم . . . وكذلك فالخُلطة التى تعين العبد على تحصيل الخير وتوصيله للناس غذاء لا يستغنى عنه أى مسلم.

ومن ثَمَّ فقد قال ﷺ : «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»(١) .

* ولذلك فعلى المسلم أن يعتزل الناس فى فضول المباحات والقيل والقال ويختلط بهم فى الصلوات الخمس والجُمع ومجالس العلم والجنائز والمشاريع الخيرية . . . فهذا أنفع لقلبه وأحفظ لدينه ودنياه وآخرته.

انظر إلى صفحة الكون

مما يشرح الصدر ويزيح سُحب الهم والغمّ؛ السفر فى الديار، وقطع القفار، والتقلب فى الأرض الواسعة، والنظر فى كتاب الكون المفتوح لتشاهد أقلام القدرة وهى تكتب على صفحات الوجود آيات الجمال؛ لترى حدائق ذات بهجة، ورياضًا أنيقة، وجنات ألفافًا، اخرج من بيتك وتأمل ما حولك وما بين يديك وما خلفك، اصعد الجبال، اهبط الأودية، تسلّق الأشجار، عبٍّ من الماء النمير، ضع أنفك على أغصان الياسمين، حينها تجد روحك حرة طليقة، كالطائر الغرّيد تَسبح فى فضاء السعادة، اخرج من بيتك، ألق الغطاء الأسود عن عينيك، ثم سر فى فجاج الله الواسعة ذاكرًا مُسبِّحًا.

إن الانزواء فى الغرفة الضيّقة مع الفراغ القاتل طريق ناجح للانتحار، وليست غرفتك هى العالم، ولست أنت كل الناس، فلِمَ الاستسلام أمام كتائب الأحزان، ألا فاهتف ببصرك وسمعك وقلبك: انفروا خفافًا وثقالاً، تعال لتقرأ القرآن هنا بين الجداول والخمائل بين الطيور.

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٠٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٠٣٢) كتاب الفتن، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٣٩).

وبين الماء وهو يروى قصة وصوله إلى التل.

أيهـــا ذا الشـــاكى ومـــا بك داء
كن جـمـيـلاً ترىٰ الوجـود جمـيـلا
أترى الشـــوك فى الورود وتعـــمىٰ
أن ترىٰ فـــوقـــه الندىٰ إكـلـيـــلا

إن الترحال فى مسارب الأرض متعة يوصى بها الأطباء لمن ثقلت عليه نفسه، وأظلمت عليه غرفته الضيقة، فهيًا بنا نسافر لنسعد ونفرح ونفكر ونتدبّر، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾[1][2].

لـله فـى الآفـــاق آيات لـعـــ
ـــل أقـلهـا هـو مـا إليـه هـداكـا
ولـعل مـــا فـى النـفس مـن آياتـه
عـجـبٌ عُـجـابٌ لو ترى عـينـاكـا
والكون مـــشـــحـون بـأســرار إذا
حـاولـت تفـسـيرًا لهـا أعـيـاكـا
قل للـطبـيب تخطّـفـتـه يد الردى
يا شـافـى الأمـراض مَنْ أرداكـا؟
قل للمـريض نجـا وعـوفى بعـد مـا
عـجـزت فنون الطب مَنْ عـافـاكـا؟
قل للصـحـيح يمـوت لا من علة
مَنْ بالمنايا يا صـحـيح دهـاكـا؟

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٩١).

(٢) ثلاثون سببًا للسعادة (ص: ٥٦، ٥٧).

قل للبصير وكان يحذر حفرة
فهوى بها من ذا الذى أهواكا؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحا
م بلا اصطدام: مَن يقود خُطاكا؟
قل للجنين يعيش معزولا بلا
راعٍ ومرعى: ما الذى يرعاكا؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء
لدى الولادة: ما الذى أبكاكا؟
وإذا ترى الثعبان ينفث سُمه
فاسأله من ذا بالسموم حشاكا؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو
تحيا وهذا السمُّ يملأ فاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت
شهدًا وقل للشهد مَنْ حلاكا؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين
دم وفرث ما الذى صفاكا؟
وإذا رأيت الحى يخرج من حنا
يا ميت فاسأله: من أحياكا؟
قل للهواء تحسه الأيدى ويخـ
ـفى عن عيون الناس مَنْ أخفاكا؟
قل للنبات يجف بعد تعهد
ورعايَة: مَنْ بالجفاف رماكا؟
وإذا رأيت النبت فى الصحراء ير
بو وحده فاسأله: من أرباكا؟

وإذا رأيت البـــدر يســـرى نـاشــرًا

أنواره فـــاســـأله: من أســـراكـــا؟

واسأل شعـاع الشمس يدنو وهى أبـ

ـعــد كل شىء: مــا الذى أدناكـــا؟

قل للمـــرير من الـثـمـــار: مَنْ الذى

بالمُـرِّ من دون الثـــمـــار غـــذاك؟

وإذا رأيت النخـل مـشـقــوق النوى

فــاسـأله: مَـنْ يا نخل شقَّ نواكـــا؟

وإذا رأيت النـار شبَّ لهـيــبُـهـــا

فــاسـأل لهـيب النار من أوراكـــا؟

وإذا ترى الجـــبل الأشمَّ مـناطحًـــا

قمـم السحاب فـسله: من أرسـاكا؟

وإذا ترى صـــخـرًا تـفـجـــر بالميـاه

فــسله: مَنْ بالمـاء شقَّ صـــفـاكـــا؟

وإذا رأيت الـنهـــر بـالعــــذب الزُّلا

ل جـرى فـسله: مَنْ الذى أجـراكـا؟

وإذا رأيت البــحـــر بالملح الأُجـاج

طغى فــسلــه: مَنْ الذى أطغــاكـــا؟

وإذا رأيت اللـيل يغــشـى داجـيًـــا

فـاسـأله: من يـا ليلُ حـاك دجـاكـا؟

وإذا رأيت الصـبح يسـفـر ضـاحـيًـا

فاسـأله: مَنْ يا صبحُ صاغ ضحـاكا؟

هذى عجائب طالما أخذت بها
عيناك وانفتحت بها أذناكا
يا أيها الماء المهين مَنْ الذى سواكا؟
ومَنْ الذى فى ظُلمة الأحشاء قد والاكا؟
ومَنْ الذى تعصى ويغفر دائمًا؟
ومَنْ الذى تنسى ولا ينساكا؟
يا أيها الإنسان مهلاً ما الذى
بالله جلَّ جلاله أغراكا؟
يا مدرك الأبصار والأبصار لا
تدرى له ولكنهه إدراكا
أتراك عين والعيون لها مدى
ما جاوزته، ولا مدى لمداكا
إن لم تكن عينى تراك فإننى
فى كل شىء أستبين عُلاكا
يا منبت الأزهار عاطرة الشذا
هذا الشذا الفواح نفح شذاكا
يا مجرى الأنهار ما جريانها
إلا انفعالة قطرة لنداكا
فاقبل دعائى واستجب لرجاوتى
ما خاب يومًا من دعا ورجاكا

دعوة للتأمل

وهيا بنا لنتأمل فى بديع خلق الله لنزداد إيمانًا.

إنها دعوة، دعوة إلى التأمل، دعوة موجهة إلى القلوب الذاكرة العابدة

الخاشعة، دعوة إلى من يتفكرون ويسمعون ويعقلون ويفقهون ويؤمنون إلى أولى الألباب، إلى أولى الأبصار، إلى أولى الأحلام والنُّهى.

هى دعوة للتأمل فى بديع صُنع الله وخلق الله، وبيان ما فى هذا الكون من إبداع ينطق بعظمة الخالق -جل وعلا- ووحدانيته فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

كيف؟ والكون كتاب مفتوح يُقرأ بكل لغة، ويدرك بكل وسيلة .. يطالعه ساكن الخيمة وساكن الكوخ، وساكن العمارة والقصر، كلٌّ يطالعه فيجد فيه زادًا من الحق إن أراد التطلع إلى الحق.

إنه كتاب قائم مفتوح فى كل زمان ومكان، تبصرة وذكرى لكل عبد خضع وأناب.

يأخذك كتاب الله - إن تأملته - فى جولات وجولات، ترتاد آفاق السماء وتجول فى جنبات الأرض والأحياء.

يريك عظمة الله وقدرة الله وتقديره فى المخلوقات، ثم يكشف لك أسرار الخلق والتكوين، ويهديك إلى الحكمة من الخلق والتصوير، ثم يقرع الفؤاد بقوله: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١)(٢).

سل الواحة الخضراء والماء جاريا
وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سلِ الروض مُزدانا سلِ الزهر والندى
سلِ الليل والإصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام، والأرض والسما
وسل كل شىء تسمع الحمد ساريا

---
(١) سورة النمل: آية (٦٣).
(٢) دعوة للتأمل/ الشيخ على القرنى (ص: ٦-٩) بتصرف.

فلو جنَّ هذا الليل وامتد سرمدًا

فمن غير ربى يُرجع الصبح ثانيا

تأمل معى البحر بأمواجه وأحيائه تجده آية من آيات الله وعجائب مصنوعاته، وكم لله من آية.

ثم أضف إلى علمك أن الماء فى الأرض يملأ ثلاثة أرباع سطح الأرض، فما الأرض بجبالها ومدنها وسهولها وأوديتها بالنسبة إلى الماء إلا كجزيرة صغيرة فى بحر عظيم يعلوها الماء من كل جانب، وطبعه العُلُو، ولولا إمساك الرب - سبحانه وبحمده - له بقدرته ومشيئته لطفح على الأرض فأغرقها ودمرها، وجعل عاليها سالفها. فتبارك الله لا إله إلا هو رب العالمين.

- ثم تأمل معى أخرى عجائب البحر وما فيه من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأشكالها ومنافعها ومضارها وألوانها تجد عجبًا وقدرة قادر -جل وعلا-.

- فى البحار حيوانات كالجبال لا يقوم لها شىء، وفيه من الحيوانات ما يُرى ظهورها فَيُظن من عِظمها أنها جزيرة فينزل عليها الركاب ويشعلوا نارهم فتحس بالنار إذا أوقدت فتتحرك، فيُعلم أنه حيوان.

- ثم انظر إلى السفن وسيرها فى البحر تشقه وتمخر عبابه بلا قائد يقودها، ولا سائق يسوقها، وإنما قائدها وسائقها الريح التى سخرها الله لإجرائها - فإذا حُبست عنها الريح ظلت راكدة على وجه الماء، فذاك قول الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[(١)].

فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى صنع الإنجليز[(٢)] باخرة عظيمة كانت فخر صناعاتهم - كما يقولون - ثم انطلقت فى رحلة ترفيهية حاملة على

(١) سورة الشورى: آية (٣٢، ٣٣).

(٢) كانت إنجلترا فى ذلك الوقت تسمى سيدة البحار.

متنها علية القوم ونخبة المجتمع - كما يصفون أنفسهم - وقد بلغ الفخر والاعتزاز ببناة السفينة درجة كبيرة من الصلف والغرور فسموها: «الباخرة التى لا تُقهر» بل سُمع أحد أفراد طاقمها يتشدق فخرًا أمام بعض كبار ركابها بما ترجمته: حتى الله نفسه لا يستطيع أن يغرق هذا المركب .... جل الله وتعالى وتقدس، لا يُعجزه شيء فى الأرض و لا فى السماء ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

- وفى اليوم الثالث من سيرها فى المحيط الأطلسى - وفى خضم كبرياء صُنّاعها وركابها - تصطدم بجبل جليدى عائم فيفتح فيها فجوة بطول تسعين مترًا - طُعنت فانبجست - وبعد ساعتين وربع تستقر الباخرة التى لا تُقهر - كما زعموا - فى قعر المحيط ومعها ألف وخمسمائة وأربعة راكب «١٥٠٤ راكبًا»، وحمولة بلغت ستة وأربعين ألف طن «٤٦٠٠٠ طن».

تأمل معى مرة أخرى كيف مدَّ الله البحار وخلطها ومع ذلك جعل بينها حاجزًا، ومكانًا محفوظًا، فلا تبغى محتويات بحر على بحر، ولا خصائص بحر على بحر عندما يلتقيان .... إن فى ذلك لآيات لأولى النُّهى.

- فى إيران أنهار عندما تلتقى بمياه البحر ترجع مياهها عائدة إلى مجاريها التى أتت منها.

- ونهر الأمازون يجعل مياه المحيط الأطلسى عذب لمئات الكيلو مترات من مصبه فيه، فلا يختلط بمياه المحيط الأطلسي.

فتبارك ﴿الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾(٢).

- كشف علماء البحار فى النصف الثانى من القرن العشرين أن فى البحار أمواجًا عاتية دهماء مظلمة حالكة، إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها،

---

(١) سورة غافر: آية (٦٨).

(٢) سورة الفرقان: آية (٥٣).

فعلى عمق ستين متراً عن سطح البحر، يصبح كل شيء مظلمًا في البحار. . . . بمعنى أننا لا نستطيع رؤية الأشياء في أعماق تبعد ستين متراً عن سطح البحر.

- لذلك زوَّد الله الأحياء البحرية التي تعيش في أعماق البحار اللُّجية بنور تولده لنفسها، ومن لم يجعل الله له نوراً في تلك الظلمات فما له من نور.

- نسي هؤلاء المكتشفون أن الله - عزَّ وجلَّ- ذكر تلك الظلمات قبل أن يُخلقوا فقال: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[(١)].

تُرجم معنى هذه الآية لعالم من علماء البحار أفنى عمره في ذلك، وظن أنه على شيء، وأنه اكتشف شيئًا، وأنه جاد بشيء فيه إبداع، فقال - في دهشة - بعد ترجمة الآية: «إن هذا ليس من عند محمد الذي عاش حياته في الصحراء ولم يعانِ البحر ولُجَجه وظلماته وأمواجه وسُحبه، إن هذا من عند عليم خبير»، ثم شهد شهادة الحق، ودخل في دين الله.

*يذكر صاحب كتاب «من الثوابت العلمية في القرآن» بعض التصرفات الذكية الألمعية عند الحيوان، والتي تلقى الضوء على معنى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[(٢)].

- يذكر أن طبيبًا وجد في طريقه كلبًا كُسرت إحدى قوائمه، فأخذه إلى عيادته، واهتم به، قوّمها وجبّرها، واعتنى به حتى شُفي تمامًا، ثم أطلق سراحه، وبعد ذلك بزمن سمع الطبيب قرعًا لطيفًا على باب عيادته، فوجد الكلب نفسه مصطحبًا معه كلبًا آخر مكسور الرجل، جاء به للمعاينة والعلاج.

---

(١) سورة النور: آية (٤٠).

(٢) سورة طه: آية (٥٠).

- ويذكر أيضًا صاحب «عجائب الأحياء» أن فرسًا صغيرًا ماتت أمه عنه فقام صاحبه الأعرابى واسمه «الزعترى» الذى يسكن مصر برعاية الفرس ابتيم رعاية بلغت حد التدليل، فكان يقدم له الشعير مخلوطًا بالسكر، وإذا مرض استدعى له الطبيب البيطرى لفحصه إذا أصابه ما أصابه ... ولا غرابة فى ذلك الاهتمام إذا علمتم ما ثبت فى صحيح الجامع عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنه ليس من فرس عربى إلا يؤذَن له مع كل فجر، يدعو بدعوتين يقول: اللَّهُمَّ إنك خولتنى من خولتنى من بنى آدم، فاجعلنى من أحب أهله وماله إليه»**(١).

- ويمرض الأعرابى الزعترى فيفقد الفرس شهيته، ويترك حظيرته ليرابط أمام خيمة صاحبه، وظل كذلك أيامًا ثم مات الزعترى وحمل المشيعون جنازته، فسار الفرس خلفهم حزينًا منكّس الرأس حتى دُفن صاحبه العزيز عليه فى التراب، ولما هَمَّ المشيعون بالرجوع انطلق الفرس المفجوع - كالبرق - وظل منطلقًا حتى وصل إلى تلٍ عالٍ فصعده ثم ألقى بنفسه من قمته ليلقى حتفه وسط دهشة الجميع، ... فسبحان من رزقه تلك الأحاسيس والمشاعر التى سُلبها كثيرًا ممن كرمه الله من بنى آدم!!

- ومن عجيب أمر (الفأرة) ما ذكره صاحب كتاب «العقيدة فى الله» أنها إذا شربت من الزيت الذى فى أعلى الجرة ينقص ويعزّ عليها الوصول إليه فى أسفل الجرة، فتذهب وتحمل فى أفواهها الماء ثم تصبه فى الجرة حتى يرتفع الزيت ويقترب منها، ثم تشربه.

* مَنْ علمَّ الذئب إذا نام أن يناوب بين عينيه، فينام بإحداهما حتى إذا نعست الأخرى نام وفتح بها الثانية.

- من علَّم الطاووس أن يُلقى ريشه فى الخريف إذا ألقى الشجر ورقه، فإذا اكتسى الشجر اكتسى أيضًا بإذن مَنْ؟!.

---

(١) صحيح: رواه النسائى (٣٥٧٩) كتاب الخيل، وأحمد (٢٠٩٨٦)، من حديث أبى ذر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٢٤١٤).

- مَنْ علَّم العصفورة إذا سقط فرخها أن تستغيث فلا يسمعها عصفور حولها إلا ويجيء، فيطير الجميع حول الفرخ ويحركونه ويُحدثون له همة وقوة وحركة حتى يطير معهم.

ذاكم هو الله القائل: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾(١).

* النحل مأمور بالأكل من كل الثمرات - بخلاف كثير من الحشرات، فإنها تعيش على نوع معين من الغذاء - وتعجب أنها لا تأكل من التبغ، فلا تأكل إلا الطيبات.

- للنحلة عيون كثيرة، فى حافتى الرأس عينان، وعينان أخريان فى أعلى الرأس، وتحتهما عين ثالثة، مما جعل لها سعة أفق فى النظر، فالنحلة ترى أقصى اليمين وأقصى الشمال والبعيد والقريب فى وقتٍ واحد، علمًا أن عيونها لا تتحرك، ولذا فإن النحل يعيش فى مناطق يكسوها السحاب معظم شهور السنة، مع أن رؤية الشمس - كما هو معلوم - ضرورية لمعرفة مكان الحقول التى فيها غذاء النحل، وهنا تكمن الحكمة فى قوة رؤية النحل، فإنه بإمكانها رؤية الشمس من خلال السحب، كل ذلك لئلا يموت جوعًا فى حالة اختفاء الشمس خلف الغمام - كم هو فى بعض البلدان.

- أما فم النحلة فمن أعاجيب خلق الله فى خلقه، إذ هو مزود بما يمكنه من أداء جميع الوظائف الحيوية، فهو يقضم ويلحس ويمضغ ويمتص ومع ذلك فهو شديد الحساسية لما هو حلو الطعم طبيعيًّا، ولا يتحرج من المواد المرة، إذ يحولها إلى حلوة بإذن ربه الذى ألهمه، فسبحانه وبحمده لا شريك له.

- وهناك من النحل مرشدات عندما تجد مصدرًا للغذاء تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية الجانيات للرحيق، وعندما ينضب وينتهى الرحيق تفرز عليه المرشدات مواد منفرة منه حتى لا يضيع الوقت فى البحث فيه،

(١) سورة الأنعام: آية (٣٨).

ثم تنتقل إلى مصدر آخر.

- تستطيع العاملة خارج الخلية الرجوع إلى خليتها والتعرف عليها من بين عشرات الخلايا بلا عناء ولا تعب، ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال.

ولذا يقول أحد علماء الأحياء الكفار: وقد رصد النحل بمناظيره فترة طويلة: يا عجبًا لها تنطلق آلاف الأميال من شجرة إلى ثمرة إلى زهرة، ثم تعود ولا تخطئ طريقها . . . ربما أن لها ذبذبات تصلها بالخلية، أو أنها تحمل (لاسلكيًّا) يربطها بالخلية ربما . . . ربما. . . ثم يقف حائرًا بليدًا تائهًا.

أما نحن، فلا، إننا نوقن أن الله ألهمها ذلك وأوحى إليها، وعندنا سورة في كتاب الله تسمى سورة النحل، ﴿ **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾(١).

- والنحل من ألطف الحيوان وأنقاه وأنظفه، ولذلك لا تُلقى مخلفاتها في خليتها، بل تطير ثم تلقيها بعيدًا عنها، وتأبى النتن والروائح الكريهة، فهي تأبى القذارة، ولذلك إذا رجعت إلى الخلية في المساء وقف على باب الخلية بواب منها ومعه أعوان كثر، وكل نحلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدها؛ فإن وجد فيها رائحة منكرة أو رأى بها قذرًا منعها من الدخول وعزلها إلى أن يدخل النحل كله، ثم يرجع إلى هؤلاء الممنوعات المعزولات، فيتبين ويتثبت ويتفقدها مرة أخرى، فمن وجدها وقعت على شيء نجس أو منتن قدّها وقطعها نصفين، ومن كانت (جنايتها خفيفة) بها رائحة وليس عليها قذر تركها خارج الخلية حتى يزول ما بها، ثم يسمح لها بالدخول، وهذا دأب وطريقة البواب كل يوم في كل عشية، فتبارك الذي هداها أن تسلك سبل مراعيها لا تضلُّ عنه.

---

(١) سورة النحل: آية (٦٨، ٦٩).

* جعل الله لكل مخلوق قدرة وقوة يدافع بها عن نفسه، ومن تلك المخلوقات النحل، كيف يدافع عن نفسه ونتاجه؟

- يذكر أن ألدّ أعداء النحل هو الفأر يهاجم الخلية فيشرب العسل ويلوث الخلية، فماذا تفعل النحلة الصغيرة أمام هذا الفأر الذى هو لها كجبل عظيم، إنها تطلق عليه مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت. ولكن كيف تُخرجه؟

إن بقى أفسد العسل ولوَّث أجواء الخلية، ولو اجتمع نحل الدنيا كله على إخراجه ما استطاع، فماذا يفعل؟

جعل الله - عَزَّ وجلَّ- له مادة شمعية يفرزها، ويغلف بها ذلك الفأر فلا ينتن ولا يتغير لو بقى ألف عام حتى يأتى صاحب الخلية فيخرجه، فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى.

النملة تدَّخر قُوتها من الصيف للشتاء؛ لأنها لا تخرج فى الشتاء، فإذا خشيت أن تنبت الحبَّة، كسرتْها نصفيْن.

والحية فى الصحراء إذا لم تجد طعامًا، نصبت نفْسها كالعود، فيقع عليها الطائر فتأكله.

* ومن عجائب النبات ما ذكره صاحب «نوادر الكتب» من أن شجرة غريبة فى جنوب الصين تكون أوراقها فى الأحوال الجوية العادية خضراء كأوراق الأشجار، وقبل حدوث الفيضانات أو هطول الأمطار تتغير فتصبح حمراء، فأصبحت عند سكان تلك المنطقة كمراقبة للأحوال الجوية ... وبلا تعليق، فإنها بلسان حالها تقول: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[١][٢].

(١) سورة الأنعام: آية (١٠٢).

(٢) بتصرف من مفتاح دار السعادة للإمام ابن القيم، ودعوة للتأمل للشيخ على القرنى.

هداية الله للحيوان

الهدهد، من أهدى الحيوان وأبصره بمواضع الماء تحت الأرض حيث لا يراه غيره، ومن هدايته: ما حكاه الله سبحانه عنه فى كتابه أنه قال لنبى الله سليمان عليه السلام وقد فقده وتواعده، فلما جاءه بَدَرَه بالعُذر، قبل أن يبدره سليمان عليه السلام.

قال إياس: والديك الشاب يأخذ الحبة فيؤثر بها الدجاجة، حتى يلقيها من فيه، والهرم يبتلعها ولا يلقيها للدجاجة . . . وهداية الحيوانات إلى مصالح معاشها كالبحر، حدِّثْ عنه ولا حرج، ومن عجيب هدايتها أن الثعلب إذا امتلأ من البراغيث أخذ صوفة بفمه، ثم عمد إلى ماء رقيق، فنزل فيه قليلاً قليلاً، حتى ترتفع البراغيث إلى الصوفة، فيلقيها فى الماء ويخرج، ومن عجيب أمره: أن ذئبًا أكل أولاده، وكان للذئب أولاد، وهناك زبية[1] فعمد الثعلب وألقى نفسه فيها، وحفر فيها سردابًا يخرج منه، ثم عمد إلى أولاد الذئب فقتلهم وجلس ناحية ينتظر الذئب، فلما أقبل وعرف أنها فعلته هرب قدامه وهو يتبعه، فألقى نفسه فى الزبية ثم خرج من السرداب، فألقى الذئب نفسه وراءه فلم يجده، ولم يطق الخروج، فقتله أهل الناحية . . .

ومن عجيب أمر القرد، ما ذكره البخارى فى صحيحه، عن عمرو بن ميمون الأودى قال: «رأيت فى الجاهلية قردًا وقردة زنيا، فاجتمع عليهما القرود فرجموهما حتى ماتا» فهؤلاء القرود أقاموا حد الله حين عطله بنو آدم.

وهذه البقر يُضرب ببلادتها المثل، وقد أخبر النبى ﷺ: أن رجلاً بينا هو يسوق بقرة إذ ركبها، فقالت: إنّا لم نُخلق لهذا، فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم! فقال: «**فإنى أومن بهذا، أنا وأبو بكر وعمر**»، وما هُما ثم،

(١) الزبية: الحفرة.

قال: وبينا رجل يرعى غنمًا له، إذ عدا الذئب على شاة منها فاستنقذها منه، فقال الذئب: يا هذا استنقذتها منى؟ فمن لها يوم السَّبُعِ، يوم لا راعى لها غيرى؟ فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم! فقال رسول الله ﷺ: «**إنى أومن بهذا وأبو بكر وعمر**»(١).

ومن هداية الحمار الذى هو من أبلد الحيوان، أنّ الرجل يسير به، ويأتى به إلى منزله من البعد فى ليلة مظلمة فيعرف المنزل، فإذا خُلى جاء إليه، ويفرق بين الصوت الذى يستوقف به، والصوت الذى يحث به على السير...

وهذا الثعلب إذ اشتد به الجوع انتفخ ورمى نفسه فى الصحراء كأنه جيفة، فتدنو منه الطير فلا يُظهر حركة ولا نفسًا، فلا تشك أنّه ميت، حتى إذا نقرته بمناقيرها وثب عليها، فضمها ضمة الموت(٢). اهـ

[من علم الحيوان هذا؟]

كثير من العقلاء يتعلم من الحيوان البهيم أمورًا تنفعه فى معاشه وأخلاقه، وصناعته، وحربه، وحزمه، وصبره.

وهداية الحيوان فوق هداية أكثر الناس؛ قال تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾(٣).

قال أبو جعفر الباقر: والله ما اقتصر على تشبيههم بالأنعام، حتى جعلهم أضلَّ سبيلاً منها.

فمن هدى الأنثى من السباع، إذا وضعت ولدها أن ترفعه فى الهواء

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣٢٤) كتاب المزارعة، و(٣٦٦٣، ٣٦٩٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨٨) كتاب أحاديث الأنبياء، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٢) شفاء العليل: ١/٢٤١-٢٥١.

(٣) سورة الفرقان: آية (٤٤).

أيامًا تهرب به من الذرِّ والنمل؛ لأنها تضعه كفلذة من لحم، فهى تخاف عليه الذر والنمل، فلا تزال ترفعه وتضعه، وتحوله من مكان إلى مكان حتى يشتد.

وقال ابن الأعرابى: قيل لشيخ من قريش: من علَّمك هذا كله، وإنما يعرف مثله أصحاب التجارب والتكسب؟ قال: علَّمنى الله، من علَّم الحمامة تقليب بيضها حتى تعطى الوجهين جميعًا نصيبهما من حضانتها، ولخوف طباع الأرض على البيض إذا استمر على جانب واحد؟

وقيل لآخر: من علَّمك اللجاج فى الحاجة والصبر عليها وإن استعصت حتى تظفر بها؟ قال: من علَّم الخنفساء إذا صعدت فى الحائط تسقط، ثم تصعد ثم تسقط مرارًا عديدة، حتى تستمر صاعدة.

وقيل لآخر: من علَّمك البكور فى حوائجك أول النهار لا تُخلّ به؟ قال: من علم الطير تغدو كل بكرة فى طلب أقواتها على قربها وبعدها، لا تسأم ذلك، ولا تخاف ما يعرض لها فى الجو والأرض.

وقيل لآخر: من علمك السكون والتحفظ والتماوت، حتى تظفر بأربك، فإذا ظفرت به، وثبت وثوب الأسد على فريسته؟ فقال: الذى علَّم النسور أن ترصد جحر الفأرة، فلا تتحرك ولا تمور ولا تختلج، كأنها ميتة، حتى إذا برزت لها الفأرة وثبت عليها كالأسد.

وقيل لآخر: من علمك الصبر والجلد والاحتمال وعدم الشكوى؟ قال: من علم أبا أيوب[(١)] صبره على الأثقال والأحمال الثقيلة، والمشى بها على ظهره من بلد إلى بلد، مادًّا عنقه مستسلمًا صابرًا على الجوع والعطش والتعب، وغلظة الجَمَّال وضربه، فالثقل والكل على ظهره ومرارة الجوع والعطش فى كبده، وجهد التعب والمشقة ملأ جوارحه، ولا معول له غير الصبر.

---

(١) كنية الحمار.

وقيل لآخر: من علَّمك حسن الإيثار والسماحة بالبذل؟ قال: من علم الديك يصادف الحبة فى الأرض -وهو محتاج إليها- فلا يأكلها بل يستدعى الدجاج ويطلبهن طلبًا حثيثًا، حتى تجيء الواحدة منهن فتلتقطها وهو مسرور بذلك طيب النفس به، وإذا وُضع له الحب الكثير فرقه ههنا وههنا، وإن لم يكن هناك دجاج؛ لأن طبعه قد ألف البذل والجود، فهو يرى من اللؤم أن يستبد وحده بالطعام.

وقيل لآخر: من علَّمك هذا التحيل فى طلب الرزق، ووجوه تحصيله؟ قال: من علم الثعلب تلك الحيل التى يعجز العقلاء عن علمها وعملها، وهى أكثر من أن تُذكر، ومن علَّم الأسد إذا مشى وخاف أن يقتص أثره ويُطلب عفا على أثر مشيته بذنبه، ومن علمه أن يأتى إلى شبله فى اليوم الثالث من وضعه، فينفخ فى منخريه فيتحرك لأن اللبؤة تضعه خَورًا كالميت، فلا تزال تحرسه حتى يأتى أبوه فيفعل به ذلك، ومن ألهم كرام الأُسود وأشرافها أن لا تأكل إلا من فريستها، وإذا مر بفريسة غيره لم يدن منها، ولو جهده الجوع...

ومن علَّم الثعلب إذا اشتد به الجوع أن يستلقى على ظهره، ويختلس نفسه إلى داخل بدنه حتى ينتفخ، فيظن الطير أنه ميت، فيقع عليه فيثب على من انقضى عمره منها؟

ومن علَّمه إذا أصابه صدع أو جرح، أن يأتى إلى صبغ معروف، فيأخذ منه ويضعه على جرحه كالمرهم؟

ومن علم الدب إذا أصابه كَلْم - أى: جُرح- أن يأتى إلى نبت قد عرفه، وجهله صاحب الحشائش، فيتداوى به، فيبرأ؟

ومن علم الأنثى من الفيلة إذا دنا وقت ولادها، أن تأتى إلى الماء فتلده فيه؛ لأنها -دون سائر الحيوانات- لا تلد إلا قائمة؛ لأن أوصالها على خلاف أوصال الحيوان، وهى عالية، فتخاف أن تسقطه على الأرض فيتصدع أو ينشق، فتأتى إلى ماء وسط، فتضعه فيه، يكون كالفراش اللين والوطاء الناعم؟

ومن علم الذباب إذا سقط فى ماء أن يتقى بالجناح الذى فيه الداء دون الآخر؟

ومن علم الكلب إذا عاين الظباء، أن يعرف المعتل من غيره، والذكر من

الأنثى، فيقصد الذكر مع علمه بأن عدوه أشد وأبعد وثبة، ويدع الأنثى على نقصان عدها؛ لأنه قد علم أن الذكر إذا عدا شوطًا أو شوطين حقب ببوله، وكل حيوان إذا اشتدّ فزعه فإنه يدركه الحقب، وإذا حقب الذكر لم يستطع البول مع شدة العدو، فيقل عَدْوه فيدركه الكلب، وأما الأنثى فإنها تحذف بولها لسعة القبل وسهولة المخرج فيدوم عَدوها؟

ومن علَّمه أنه إذا كسا الثلج الأرض، أن يتأمل الموضع الرقيق الذى قد انخسف فيعلم أنه تحته جحر الأرنب فينبشه ويصطادها، علمًا منه بأن حرارة أنفاسها تذيب بعض الثلج فوقها فيرق؟

ومن علَّم العصفورة، إذا سقط فرخها أن تستغيث، فلا يبقى عصفور بجوارها حتى يجيء، فيطيرون حول الفرخ ويحركونه بأفعالهم ويحدثون له قوة وهمة وحركة حتى يطير معهم؟ . .

ومن علَّم العنكبوت نسج تلك الشبكة الرفيعة المحكمة، ويجعل فى أعلاها خيطًا، ثم يتعلق به، فإذا تعرقلت البعوضة فى الشبكة نزل إليها فاصطادها؟ . . .

ومن علَّم اليربوع أن يحفر بيته فى سفح الوادى، حيث يرتفع عن مجرى السيل، ليسلم من مدق الحافر، ومجرى الماء، ويعمقه ثم يتخذ فى زواياه أبوابًا عديدة، ويجعل بينها وبين وجه الأرض حاجزًا رقيقًا، فإذا أحس بالشر، فتح بعضها بأيسر شيء وخرج منه، ولما كان كثير النسيان، لم يحفر بيته إلا عند أكمة أو صخرة أو شجرة، علامة له على البيت إذا ضلَّ عنه؟

ومن علم الفهد إذا سمن أن يتوارى لثقل الحركة عليه، حتى يذهب ذلك السمن ثم يظهر؟

ومن علم الأيّل إذا سقط قرنه أن يتوارى؛ لأن سلاحه قد ذهب فيسمن لذلك، فإذا كمل نبات قرنه تعرض للشمس والريح، وأكثر الحركة ليشتد

لحمه ويزول السمن المانع له من العدو؟

وهذا باب واسع جدًّا، ويكفى فيه قوله سبحانه: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۝٣٨ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1][2]. اهـ.

سعادة العلماء

قال كميل بن زياد: أخذ بيدى أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ، فأخرجنى إلى «الجبَّان»، وتنفس الصعداء ثم قال: يا كميل بن زياد! إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عنى ما أقول لك:

الناس ثلاثة: عالم ربانى، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق..

يا كميل..

العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال.

العلم يزكو على الإنفاق والمال تنقصه النفقة.

العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومحبة العلم دين يُدان بها.

العلم يكسب العالم الطاعة فى حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته، وصنيعة المال تزول بزواله..

مات خُزَّان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة[3].

---

(١) شفاء العليل: ١/ ٢٥٢-٢٥٧ .

(٢) سورة الأنعام: آية (٣٨، ٣٩).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٧٩).

قال الزمخشري المفسر:

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى
من وصل غنية وطيب عناق
وتمايلى طربًا لحل عويصة
أشهى وأحلى من مدامة ساقى
وصرير أقلامى على أوراقها
أحلى من الدوكاء والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها
نقرى لألقى الرمل عن أوراقى
يا من يحاول بالأمانى رتبتى
كم بين مستغل وآخر راقى
أأبيت سهران الدجى وتبيته
نومًا وتبغى بعد ذاك لحاقى

* إن العلم يشرح صدرك ويسعد قلبك وينير لك الطريق إلى الله فهو حياة للروح وزاد لك على الطريق ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[1].

– بالعلم تتعرف على أشياء لم تكن تعرفها من قبل وتكشف لك غوامض الأشياء فتسعد بذلك لأن النفس مولعة بمعرفة كل جديد.

– **أما الجهل** فهو الذى يُدخل عليك الحزن والملل والسآمة؛ لأن حياتك تصبح كالماء الراكد.. لا جديد فيها ولا طريف.. فأمس كاليوم واليوم كالغد.

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٢٢).

- فاطلب العلم حتى لا تحزن وتعرَّف على كل ما هو جديد لتزداد معرفة بالله وقُربًا من الله -جلَّ وعلا- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[١] ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٢] . «من يُرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين»[٣] .

*** قال الإمام ابن الجوزى -رحمه الله-:**

تأملت أحوال الناس فى حالة علو شأنهم، فرأيت أكثر الخلق تبين خسارتهم حينئذ.

فمنهم من بالغ فى المعاصى من الشباب، ومنهم من فرط فى اكتساب العلم، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات.

فكلهم نادم فى حالة الكبر حين فوات الاستدراك لذنوب سلفت، أو قوى ضعفت، أو فضيلة فاتت، فيمضى زمان الكبر فى حسرات.

فأما من أنفق عصر الشباب فى العلم فإنه فى زمن الشيخوخة يحمد جنى ما غرس، ويلتذ بتصنيف ما جمع، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئًا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم.

ولقد تأملت نفسى بالإضافة إلى عشيرتى الذين أنفقوا أعمارهم فى اكتساب الدنيا، وأنفقت زمن الصبوة والشباب فى طلب العلم، فرأيتنى لم يفتنى مما نالوه إلا ما لو حصل لى ندمت عليه.

ثم تأملت حالى فإذا عيشى فى الدنيا أجود من عيشهم، وجاهى بين الناس أعلى من جاههم. وما نلته من معرفة العلم لا يقاوم.

فقال لى إبليس: ونسيت تعبك وسهرك؟

فقلت له: أيها الجاهل، تقطيع الأيدى لا وقع له عند رؤية يوسف.

وما طالت طريق أدت إلى صديق.

---

(١) سورة العلق: آية (١).

(٢) سورة طه: آية (١١٤).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة، وكتاب الإمارة، من حديث معاوية بن أبى سفيان ﷺ.

ولقد كنت فى حلاوة طلبى العلم ألـقى من الشدائد ما هو عندى أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو.

كنت زمان الصبا آخذ معى أرغفة يابسة فأخرج فى طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء.

ولقد تاب على يدىَّ فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف. وأسلم على يدى أكثر من مائتى نفس.

وكم سألت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل. ويحق لمن تلمَّح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وذللى.

ولقد جلست يومًا فرأيت حولى أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رق قلبه، أو دمعت عينه. فقلت لنفسى: كيف بك إن نجوا وهلكت: فصحت بلسان وجدى: إلهى وسيدى إن قضيت علىّ بالعذاب غدًا فلا تُعلمهم بعذابى، صيانة لكرمك لا لأجلى، لئلا يقولوا عذَّب الله من دل عليه[١].

أسعد الأوقات مع كتاب رب الأرض والسموات

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾[٤].

---

(١) صيد الخاطر/ للإمام ابن الجوزى (ص: ٢٤٧-٢٤٩) بتصرف.

(٢) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٣) سورة الإسراء: آية (٨٢).

(٤) سورة فاطر: آية (٢٩).

وعن أبى أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»(١).

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الذى يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: آلم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»(٤).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «يُقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»(٥).

* قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: والله لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا.

* نعم والله: فالاستماع للقرآن له حلاوة وطلاوة يملأ القلب بالراحة والسعادة والاطمئنان.

* إن الإنسان فى ظل هذه الحياة التى طغت فيها الماديات والشهوات وكثرت فيها الفتن وأمراض القلوب بسبب البعد الشديد عن طاعة علام

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٠٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى أمامة رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٥٠٢٧) كتاب فضائل القرآن، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٩٣٧) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٧٩٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح: رواه الترمذى (٢٩١٠) كتاب فضائل القرآن، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٣٣٢٧).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (١٤٦٤) كتاب الصلاة، والترمذى (٢٩١٤) كتاب فضائل القرآن، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٢٦).

الغيوب كان لا بد له من علاج فورى يسكب فى قلبه السكينة ويشرح صدره بنور الإيمان . . . فإذا بحثنا ودققنا البحث فلن نجد إلا كتاب الله -جلَّ وعلا- الذى جعله الله شفاءً ورحمة للمؤمنين.

* وتعالوا بنا لنتأمل سويًّا كيف كان حال سلفنا الصالح مع القرآن.

- فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان رجلاً بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن.

وهذا عمر بن الخطاب قرأ سورة الطور إلى أن بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾(١) فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه، وقال لابنه وهو فى الموت: ويحك ضع خدى على الأرض، عساه أن يرحمنى ثم قال: بل ويل أمى، إن لم يغفر الله لى، (ثلاثًا) ثم قضى -مات-.

وكان يمر بالآية فى وِرده بالليل فتخيفه، فيبقى فى البيت أيامًا يُعاد - يزوره الناس- يحسبونه مريضًا.

- **وهذا على بن الفضيل بن عياض يموت لما سمع أباه يقرأ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ﴾**(٢).

- **قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(٣).

* ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن كثيرًا بل ويحب أن يسمع القرآن من غيره.

- فها هو يأمر صلى الله عليه وسلم ابن مسعود، فيقرأ عليه من سورة النساء، فيبكى صلى الله عليه وسلم حتى تنهمر دموعه على خده، ويقول: «**حسبك الآن**».

ويمر بأبى موسى الأشعرى، وهو يقرأ فى المسجد، فيُنصت له، فيقول

(١) سورة الطور: آية (٧).

(٢) سورة الصافات: آية (٢٤، ٢٥).

(٣) سورة الحشر: آية (٢١).

له فى الصباح: «لو رأيتنى البارحة وأنا أستمع لقراءتك»، قال أبو موسى: لو أعلم يا رسول الله أنك تستمع لى، لحَبَّرْته لك تحبيرًا.

* فيا من أردت السعادة هيا لتقضى أسعد الأوقات مع كتاب رب الأرض والسماوات.. حتى لا تحزن.

عمرك الثانى

إن البذل والعطاء وكثرة الإنفاق وإيثار من حولك على نفسك يضمن لك -بإذن الله- نصيبًا وافرًا من السعادة .. لأنك سترى الثمرة العاجلة أمام عينيك فى التوِّ واللحظة: من دعاء الناس لك وثنائهم عليك وحبهم لك... وكل هذا تستطيع أن تستثمره فى دعوة هؤلاء الناس إلى كل خير وسيكون هذا كله فى ميزان حسناتك وستكون من أسعد الناس لأن هذا كله هو الخير الذى سيُدخر لك من بعد موتك وكأنك عشت أعمارًا فوق عمرك.

* فلا تبخل وكُن كريمًا وستجنى الثمرات المباركة فى الدنيا والآخرة.

* قال الشاعر يمدح كريمًا:

كأنك فى الكتاب وجدت لاءَ
مُحرمة عليك فلا تحلُّ
إذا حضر الشتاء فأنت شمسٌ
وإن حل المصيف فأنت ظلُّ
وما تدرى إذا أنفقت مالاً
أيكثر فى عطائك أم يقلُّ
جُزيت عن البرية كل خير
فأنت الماجد البطل الأجلُّ
بوجهك نستضىء إذا سرينا
جبينٌ فى الليالى مشمعلُّ

وذكــرك فى المســامع خـيـــرُ هاد
يكـرر فى الجـمـــوع فــلا يُـمَلُّ
فـــدتك نفـــوسنا عن كـل هول
ويفـــدّيـك الحـــجـيج إذا أهــلُّوا

احرص على الرقية الشرعية

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعًا مضرًا وإن كان مؤذيًا، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء، فالتعوّذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوّذ وقوّته وضعفه، فالرُّقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض»(١) اهـ.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

- **وإليك -أخى الحبيب- طائفة من الآيات والأدعية التى وردت فى السنة عسى الله أن ينفعك بها وأن يجعلها سببًا للشفاء:**

١- **قراءة فاتحة الكتاب:** لقد ثبت فى الصحيحين أن صحابيًا رقى رجلاً كان قد لُدغ فشفى بإذن الله.

٢- **قراءة المعوّذات (ثلاث مرات):** والمعوّذات هى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

عن **عائشة** ﵂: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده، رجاء بركتها»(٣).

قال النووى -رحمه الله-: «إنما رقى بالمعوّذات لأنهن جامعات للاستعاذة

---

(١) زاد المعاد (٤/ ١٨٢).

(٢) سورة الإسراء: آية (٨٢).

(٣) **متفق عليه:** رواه البخارى (٥٠١٦) كتاب فضائل القرآن، ومسلم (٢١٩٢) كتاب السلام، من حديث عائشة ﵂.

من كل المكروهات جملة وتفصيلاً، ففيها الاستعاذة من شر ما خلق، فيدخل فيه كل شيء، ومن شر النفاثات في العقد، ومن السواحر، ومن شر الحاسدين، ومن شر الوسواس الخناس... والله أعلم»[(١)].

٣- وفي الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى منّا إنسان مسحه بيمينه، ثم قال: «**أذهب البأس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[(٢)].

قال ابن القيم -رحمه الله-: «في هذه الرقية توسل إلى الله بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء، وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلا شفاؤه فتضمّنت التوسل إليه بتوحيده وإحسانه وربوبيته»[(٣)].

٤- الدعاء للمريض بالشفاء ثلاثًا: كما فعل النبي ﷺ مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حينما عاده في مرضه[(٤)].

٥- وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: «يا محمد، اشتكيت؟ فقال: «**نعم**» قال: «**بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك**»[(٥)].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا اشتكى رسول الله ﷺ رقاه جبريل، قال: «**بسم الله يبْرِيك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين**»[(٦)].

٦- وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ:

---

(١) مسلم بشرح النووي (٤/ ٤٣٣).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٦٧٥) كتاب المرضى، ومسلم (٢١٩١) كتاب السلام، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) زاد المعاد (٤/ ١٨٨).

(٤) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥٦٥٩) كتاب المرضى، ومسلم (١٦٢٨) كتاب الوصية، من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٥) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٨٦) كتاب السلام، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٦) **صحيح:** رواه مسلم (٢١٨٥) كتاب السلام، من حديث عائشة رضي الله عنها.

«ضع يدك على الذى تألم من جسدك، وقل: بسم الله ثلاثًا ثم قل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».

وفى رواية: قال عثمان: «فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بى، فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم». وفى رواية: «امسحه بيمينك سبع مرات»[(١)].

٧- عن عبد الله بن عمرو قال: قال النبى ﷺ: «إذا جاء الرجل يعود مريضًا فليقل: اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدوًا أو يمش لك إلى صلاة»[(٢)].

وقوله ينكأ: أى: يؤلم ويوجع.

٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبى ﷺ: «من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده -سبع مرات-: أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك، إلا عافاه الله -سبحانه وتعالى- من ذلك المرض»[(٣)].

وفى رواية: «فإن كان فى أجله تأخير عُوفى من وجعه ذلك».

٩- وفى صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق - لم يضرّه شىء، حتى يرتحل من منزله ذلك»[(٤)].

١٠- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشرّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»[(٥)].

١١- وعند البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان النبى ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: إن أباكما كان يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٠٢) كتاب السلام، من حديث عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٣١٠٧) كتاب الجنائز، وأحمد (٦٥٦٤)، من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٣٠٤).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٣١٠٦) كتاب الجنائز، والترمذى (٢٠٨٣) كتاب الطب، وأحمد (٢١٣٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٧٦٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٨) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٩٣) كتاب الطب، والترمذى (٣٥٢٨) كتاب الدعوات، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٦٤).

بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامّة ومن كل عين لامة»(١).

١٢- «أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ فى الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمان»(٢).

١٣- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) فيضره شىء»(٣).

وفى رواية: «لم تصبه فجأة بلاء».

احمل همَّ الإسلام لتطرد الأحزان من قلبك

إن العبد إذا حمل همَّ هذا الدين وانشغل بالدعوة إلى الله -جل وعلا- فإن من بركة الدعوة إلى الله أن تطرد الهموم والأحزان من قلبه.

* فإذا كنت تعلم أن أكثر أهل الأرض يكفرون بالخالق -جل وعلا- ولا يعرفون للسعادة طريقًا فلماذا لا تأخذ بأيديهم إلى هذا الدين العظيم الذى يكفل للبشرية كلها السعادة فى الدنيا والآخرة -بإذن الله-؟

* يخبر أحد العلماء أن سُودانيًا مسلمًا قَدِم من البادية إلى العاصمة الخرطوم فى أثناء الاستعمار الإنكليزى، فرأى رجل مرور بريطانيًا فى وسط المدينة، فسأل هذا المسلم: من هذا؟ قالوا: كافر.

قال: كافر بماذا؟ قالوا: بالله. قال: وهل أحد يكفر بالله؟! فأمسك على

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٧١) كتاب أحاديث الأنبياء، من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) صحيح: رواه أحمد (١٥٠٣٤، ١٥٠٣٥)، من حديث عبد الرحمن بن خنبش، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٨٤٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٥٠٨٨) كتاب الأدب، والترمذى (٣٣٨٨) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٣٨٦٩) كتاب الدعاء، وأحمد (٤٤٨)، من حديث عثمان بن عفان ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٢٣٩١).

بطنه ثم تقيَّأ مما سمع ورأى، ثم عاد إلى البادية.

* سكن داعية مسلم شهير مدينة ميونخ الألمانية، وعند مدخل المدينة تُوجد لائحة كبرى مكتوب عليها بالألمانية: «أنت لا تعرف كفرات يوكوهاما». فنصب هذا الداعية لوحة كبرى بجانب هذه اللوحة كتب عليها: «أنت لا تعرف الإسلام، إن أردت معرفته، فاتصل بنا على هاتف كذا وكذا». وانهالت عليه الاتصالات من الألمان من كل حدب وصوب، حتى أسلم على يده فى سنة واحدة عدد كبير من الشعب الألمانى بين رجل وامرأة، وأقام مسجدًا ومركزًا إسلاميًّا، ودارًا للتعليم.

الخطة الذهبية للصحة النفسية

١- عش دقائق يومك وساعاته، واستمتع بذلك، ولا يؤرقك الماضى، ولا تقلق على المستقبل، وسلم كلّ أمورك لله.

٢- لا تدع أيةَ مشكلة تقضى على أعصابك مهما عظمت، وفكر بهدوء فى حلها والتغلب عليها.

٣- تذكر الثمن الباهظ الذى ستدفعه من صحتك، عندما تكون أسير القلق والتوتر والانفعال.

٤- عندما تقلق وتتوتر بسبب مشكلة ما؛ أمسك ورقة وقلمًا، وسجل عليها الجواب على الأسئلة التالية:

ما الذى يُقلقنى؟

وماذا أستطيع أن أفعل بشأنه؟

ومتى أفعل ذلك؟

وكيف؟

٥- لا تشك فى أنك سعيد، ولا تسأل نفسك إن كنت سعيدًا أم لا، فأنت سعيد حقًّا طالما أنك مع الله فى الطاعة والعبادة والعلم.

٦- عليك أن تنهمك بالعلم والعمل، وأن تستمتع بذلك، وأن تجعله مستوعبًا لكلّ وقتك، عندها لن تشعر بالقلق.

٧- انسَ الأشياء الصغيرة، ولا تهتم بالأشياء التافهة، ولا تغضب لأجلها أو تجعلها تهزمك، وتنكّد عليك حياتك.

٨- لا تقلق بشأن المستقبل، وآمن بقضاء الله وقدره، وأيقن بحكمة الله، وارض بكل ما قدره الله لك، وتعامل مع الخير بالشكر والرضى، ومع الضر بالصبر والتسليم.

٩- فكر جيدًا قبل الإقدام على الفعل، وزِن الحقائق بعناية قبل صنع القرار، وبعد ذلك سارع بالتنفيذ مستعينًا بالله، ولا تقلق بشأن العواقب..

١٠ - عش حياتك بمرح وبساطة، وتصرف بهدوء وطمأنينة.

١١- حاول أن تتكيف مع الأمر الواقع دون أن تتنازل عن شيء من قناعاتك الإيمانية، ولا تكلف نفسك فوق ما تطيق.

١٢- لا تكثر من انتقاد الآخرين والجدال معهم بلا فائدة، ولا تحاول تضخيم أخطائهم.

١٣- كن هادئًا فى تصرفاتك وأقوالك وحركاتك، وتعامل مع الآخرين ببشاشة وابتسامة وسماحة.

١٤- ثمن الانتقام من الخصوم مرتفع تدفعه من صحتك وأعصابك ومشاعرك، فاترك ذلك ولا تحاول الاقتصاص منهم؛ لأنك تؤذى نفسك أكثر مما تؤذيهم.

١٥- لا تسمح لخصومك بالسيطرة على حياتك وأفكارك ومشاعرك، فاتركهم وأسقطهم من حسابك.

١٦- انس نفسك، وتخلَّ عن أنانيتك، وقدم الخير للناس لترسم الابتسامة على وجوههم.

١٧- عندما تقدم الخير للناس اجعله خالصًا لله، ولا تنتظر الشكر منهم حتى لا تخسر ثمرة ذلك الخير.

١٨- لا تنزعج أو تقلق بشأن جحود الآخرين لمعروفك، بل توقع هذا؛ لأن معظم الناس لا يعترفون بالجميل، ويكفيك أن الله هو الذى يقبل عملك المخلص ويثيبك عليه.

١٩- كن قدوة لغيرك فى الاعتراف بالجميل والشكر عليه والثناء على المحسن.

٢٠- لا تكثر من الشكوى والتأوّه، وانظر إلى الحياة بتفاؤل وإيجابية، وركّز على إيجابيات الحياة دون سلبياتها.

٢١- تذكر نِعم الله عليك، لتشكره عليها، وتستمتع بها.

٢٢- تعرَّف على نفسك وطبيعتك ومواهبك وقدراتك ووظّفها لتستمتع بحياتك.

٢٣- احرص على أن تفعل الصواب وعند ذلك لا تهتم بسخرية الآخرين وانتقادهم.

٢٤- انقد نفسك بنفسك ولا تهمل نقد الآخرين البنَّاء(١).

السخط باب الهم والحزن

والسّخط بابُ الهمِّ والغمِّ والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسُوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله... والرضا يُخلِّصه من ذلك كلِّه، ويفتح له باب جنة الدنيا قبل الآخرة، فإن الارتياح النفسى لا يتمُّ بمعاكسة الأقدار ومضادة القضاء، بل بالتسليم والإذعان والقبول لأن مدبر الأمر حكيم لا يُتَّهم فى قضائه وقدره... ولا زلت أذكر قصة ابن الراوندى الفيلسوف الذكى الملحد، وكان فقيرًا، فرأى عاميًّا جاهلاً مع الدور والقصور والأموال الطائلة، فنظر إلى السماء وقال: أنا فيلسوف الدنيا وأعيش فقيرًا، وهذا بليدٌ جاهل ويحيا غنيًّا، هذه قسمة ضيزى. فما زاده الله إلا مقتًا وذُلاًّ وضنكًا ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾(٢)(٣).

---

(١) انظر «الخطة البراقة لذى النفس التواقة» ص (١٥٥ - ١٦٠) باختصار.

(٢) سورة فصلت: آية (١٦).

(٣) لا تحزن (ص: ٣٥٦ ، ٣٥٧).

فالساخطون والشاكون لا يذوقون للسرور طعمًا. إن حياتهم كلها سواد ممتد، وظلام متصل، وليل حالك لا يعقبه نهار ولا يُرتقب له فجر صادق.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله-: قلَّ أن يسلم الساخط من شك يُداخل قلبه ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به، فلو فتش نفسه غاية التفتيش، لوجد يقينه معلولاً مدخولاً. فإن الرضا واليقين أخوان مصطحبان، والشك والسخط قرينان.

الساخط إنسان دائم الحزن، دائم الكآبة. ضيق الصدر، ضيق الحياة، ضيق بالناس، ضيق بنفسه، ضيق بكل شيء، كأن الدنيا - على سعتها - فى عينيه سَم الخِياط - ثقب الإبرة-.

إن المؤمن قد تصيبه الكآبة، وقد يعتريه الحزن، ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ**﴾ ...[١] ﴿**وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ**﴾[٢]... ولكن حزن المؤمن لغيره أكثر من حزنه لنفسه، وإذا حزن لنفسه فلآخرته قبل دنياه. وإذا حزن لدنياه فهو حزن عارض موقوت كغمام الصيف، سرعان ما ينقشع إذا هبت عليه ريح الإيمان. حتى النفوس المنقبضة والطبائع المتشائمة، ينشر الإيمان عليها من ضيائه وإشراقه، فيبدد كثيرًا من ظلامها ويُخفف كثيرًا من انقباضها ويُطارد أسباب السخط والتشاؤم من وجودها.

أما المرتاب فى الله والآخرة، فهو يعيش فى مأتم مستمر، ومناحة دائمة؛ لأنه يعيش فى سخط دائم، وغضب مستمر. ساخط على الناس، ساخط على نفسه، ساخط على الدهر، ساخط على كل شيء. وقديمًا قالوا: من غضب على الدهر طال غضبه. ولهذا هو فى مأتم مستمر، يبكى دائمًا حظه وينعى نفسه، وينوح على دنياه، ويولول على وجوده[٣].

---

(١) سورة النمل: آية (٧٠)

(٢) سورة يونس: آية (٦٥).

(٣) الإيمان والحياة (ص: ١٢٥، ١٢٦).

الخلاص من الهموم

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:

ضاق بى أمـر أوجب غـمًّـا لازمًـا دائمًا، وأخـذت أبالغ فى الفكر فى الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه. فما رأيت طريقًا للخلاص، فعرضت لى هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[1] فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم. فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى فوجدت المخرج.

فلا ينبغى لمخلوق أن يتوكل أو يتسـبب أو يتفكر إلا فى طاعة الله تعالى وامتثال أمره، فإن ذلك سبب لفتح كل مُرتجٍ.

ثم ينبـغى للمتـقى أن يعلم أن الله -عز وجل- كـافيـه فلا يعلق قلـبه بالأسباب، فقد قال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2][3].

لا تحسد أحداً حتى لا تحزن

ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الـناس ولا تنظر إلى نعمة أنعمـها الله على عبـدٍ من عباده حتى لا تتـهم الحق - جل وعلا- فى عدله وحكمـته. قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[4].

إن الحسد يُهلك صـاحبه وينغص عليه حيـاته ويجعله فى همٍّ لازم وغمٍّ دائمٍ .... فهو لا يرضى بقسمة الله - جلَّ وعلا - ولا يرتاح إلا إذا زالت كل النعم من عند من يحسدهم.

---

(١) سورة الطلاق: آية (٢) .

(٢) سورة الطلاق: آية (٣).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٢٠٤ ، ٢٠٥).

(٤) سورة النساء: آية (٥٤).

- فاحذر - أخي الحبيب - من هذا الداء العضال الذى يعيث فى القلب والجسد فسادًا ويجعل صاحبه فى شقاءٍ دائم.

* **قال معاوية** ﷺ: ليس فى خصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود[1].

* **وقال معاوية** ﷺ: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها، ولذلك قيل:

كل العداوات قد تُرجى إماتَتُها

إلا عداوة من عاداك عن حسد[2]

* قال الحسن: يا ابن آدم لِمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الذى أعطاه لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار[3].

* قال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغتم فى وقت سرورك.

* قال عبد الله بن المعتز رحمه الله:

اصبر على كيد الحسود

فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها

إن لم تجد ما تأكله[4]

* وقال آخر:

يا حاسدًا لى على نعمتى

أتدرى على من أسأت الأدب؟

---

(١) أدب الدنيا والدين (١٧٦).

(٢) الإحياء للغزالى (٣/ ٢٠١).

(٣) الإحياء (٣/ ٢٠١).

(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ١٧٦).

أســـأت علـى اللـه فى حـكمــــه
لأنـك لم تـرض لـى مـــــا وهـب
فـــــأخـــــزاك ربـى بأن زادنـى
وســـد عـليك وجـــوه الطـلب[1]

كفانا الله شر كل حاسدٍ

لو قدّمت له حذاءه، وأحضرت له طعامه، وناولته شرابه، وألبسته ثوبه، وهيأت له وضوءه، وفرشت له بساطه، وكنست له بيته، فإنك لا تزال عدوه أبدًا؛ لأن سـبب العداوة لا زال فـيك، وهو فـضلك أو علمك أو أدبك أو مالك أو منصـبك، فكيف تطلب الصلح معـه وأنت لم تتب من مواهبك؟ والحاسد ينظر متى تتعثر، ويتحرى متى تسقط، ويتمنى متى تهوى.

أحسن أيامـه يوم تمرض، أجمل لياليه يوم تفـتقر، وأسعد سـاعاته يوم تنكب، وأحب وقت لديه يوم يراك مهمومًا مـغمومًا حزينًا منكسرًا، وأتعس لحظة عنده إذا اغتنيـت، وأفظع خبر عنده إذا علوت، وأشـد كارثة لديه إذا ارتقيت، ضحكك بكاء له، وعيدك مأتم له، ونجاحك فشل لديه، ينسى كل شيء عنك إلا الهـفـوات، ويغـفل عن كل أمـر فـيك إلا الزلات، خطأك الصغير عنده أكبر من جـبل أُحد، وذنبك الحقير لديه أثقل من ثهلان، الذى يمدحك عنده كذاب، والذى يثنى عليك لديه منافق، والذى يَذُبُّ عنك فى مجلسـه ثقيل حقيـر، يُصدق من يسبك، ويحب من يبغـضك، ويقرب من يعاديك، ويسـاعد من يكرهك ويجـافيك، الأبيض فى عـينك سواد عنده، والنهار فى نظرك ليل فى نظره، لا تجعله حكمًا بينك وبين الآخرين فيحكم عليك قبل سماع الدعـوى وحضور البينة، ولا تطلعه على سرك فـأكبر همِّه

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى (٣/ ٥٥٧).

أن يذاع ويشاع، ويحـفظ عليك الزلة ليـوم الحاجة، ويسـجل عليك الغلطة ليوم الفـاقة لا حيلة فـيه إلا العزلة عنـه، والفرار منه، والاختـفاء عن نظره والبعد عن بيته، والانزواء عن مكانه.

أنت الذى أمـرضه وأسـقمـه، أنت الذى أسهـره وأضناه، أنت الذى جلب له همه، وحزنه وتعبه ووصبه، وهو الظالم فى صورة مظلوم، لكن يكفيك ما هو فيه من غصصن وما يعايشه من آلام، وما يعالجه من أحزان، وما يذوقه من ويلات:

أبدو فـيـسجـد من بالسـوء يذكـرنى
فـلا أعـاتبـه صـفـحًـا وإهوانا
كذاك قـد كنت فى أهلى وفى وطنى
إن النفـيس غـريب حـيثـمـا كـانا
مـحسـد الضل مـكذوب على أثرى
اغـتـاب سـرًّا ويثنى فـىَّ إعـلانا(١)

ماذا يفعل من خاف حاسداً؟

وحتى لا تحزن فها أنا أخبرك ماذا تفعل إذا كنت تخاف حسد الحاسدين

* أولاً: أن تستعيذ بالله من شره ليصرفه عنك.

* ثانيًا: عليك أن تُحسن إليه حتى يكف أذاه عنك . . . وذلك من باب قول الله - جل وعلا -: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢).

* ثالثًا: فإن لم ينفع مـعه الإحسـان فابتعـد عنه قدر اسـتطاعتك . . . وذلك من باب قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾(٣).

* رابعًا: ألا تخـبره بما تفـعل . . . وذلك من باب قـول النبى ﷺ:

---

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٩٩ - ٢٠٠).

(٢) سورة فصلت: آية (٣٤).

(٣) سورة الدخان: آية (٢١).

«استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود»[١].

* **خامسًا:** وإياك أن تنسى أذكار الصباح والمساء والمعوذات . . . وأكثر من الدعاء ليحفظك الله من شر كل حاسد وحاقد.

كيف تحافظ على صحتك النفسية

يستطيع الإنسان أن يحافظ على صحته النفسية عن طريق اتخاذ بعض الخطوات التى تساعده على الهدوء والاستقرار والراحة النفسية ومن ذلك:

١- الإيمان بالله، ومعلوم أن الإيمان له أكبر الأثر فى الهدوء النفسى وراحة البال وطمأنينة الضمير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[٢].

٢- الرضى والقناعة، وهذا أيضًا له كبير الأثر فى طيب العيش وراحة البال كما قيل:

إن القناعة من يحلل بساحتها

لم يلق فى ظلّها همًّا يؤرقه

٣- إيجاد بعض الهوايات والانشغال فى العمل.

٤- المشاركة فى الأنشطة الاجتماعية.

٥- تقدير الفوارق بين الناس.

٦- تعود الاستقلال بالنفس.

٧- الحرص على صديق وفىّ.

٨- أن يكون للإنسان هدف نبيل فى الحياة.

٩- عدم التشتت بسبب القيام بأكثر من عمل فى وقت واحد.

١٠- اختيار ما يلائم النفس من الأعمال والمهن.

---

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير (٢٠/ ٩٤)، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٤٥٣).

(٢) سورة التغابن: آية (١١).

١١- القيام بالواجب خير قيام.

١٢- تقبل الحياة كما هي بحلوها ومرّها [١].

لابد من أخٍ حبيب تأنس إليه

إن العبد يحتاج دائمًا إلى أخٍ مخلص يأنس إليه ويشاركه أفراحه وأتراحه ويعينه على طاعة الله ويذُكره إذا نسى ويأخذ بيديه إلى جنة الرحمن - جلّ وعلا -.

* لقد عبر القرآن أصدق التعبير عن الأخ فى الله ونعته بالنفس وليس بعد القرآن وعُلو بيانه وعلو رياضه علو.

* **قال الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾** [٢] أى: إخوانكم.... فى توبة بنى إسرائيل.

* **وقال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾** [٣] أى: إخوانكم.

* **وقال تعالى: ﴿لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾** [٤] أى: بإخوانهم خيرًا.

* **وقال تعالى: ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾** [٥] أى: إخوانكم.

ولقد عظَّم الله تعالى المنة بإيقاع المحبة بين أهل الملة فقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [٦]، **وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾** [٧].

---

(١) الصحة والوقاية/ د. نبيه الغبرة (ص: ٥٢ - ٥٧) بتصرف.

(٢) سورة البقرة: آية (٥٤).

(٣) سورة النور: آية (٦١).

(٤) سورة النور: آية (١٢).

(٥) سورة الحجرات: آية (١١).

(٦) سورة الأنفال: آية (٦٣).

(٧) سورة مريم: آية (٩٦).

أخى الحبيب: كُلك لأخيك إلا ما حرمه الله ورسوله ﷺ، ولا تكتمل الصحبة حتى تقول لأخيك: يا أنا إلا ما حرمه الله ورسوله ﷺ.

* أيها الأخ الحبيب:

إن الاجتماع والألفة بين المؤمنين قوة، وإن التفرق والتشتت ضعف، فإن الإنسان قليل بنفسه كثير بإخوانه.

وما المرء إلا بإخوانه
كما تقبض الكف بالمعصم
ولا خير فى اليد مقطوعة
ولا خير فى الساعد الأجذم

يقول عمر رضي الله عنه: «ما أُعطى عبدٌ بعد الإسلام خيرٌ من أخٍ صالح يُذكرُه بالله، فإذا رأى أحدكم من أخيه وُدًّا فليتمسك به».

احرص على أخيك حتى لا تحزن

تمسك به مسك البخيل بماله
وعض عليه بالنواجذ تغنم

ويقول الحسن - عليه رحمة الله -: «إخواننا أحبُّ إلينا من أهلنا وأولادنا، لأن أهلنا يذكرونا بالدنيا، وإخواننا يُذكرونا بالآخرة، ويعينونا على الشدائد فى العاجلة».

إن يختلف نسبٌ يؤلف بيننا
دينٌ أقمناه مقام الوالدِ
أو يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذبٌ تحدَّر من غمامٍ واحدِ

يقول عمر ﷺ: «والله لولا أن أجلس مع أخوةً لى ينتقون أطايب القول، كما يُلتقط أطايب الثمر لأحببت أن ألحق بالله الآن»(١).

* ومن ثَم فإياك أن تفقد أخاك من أجل دنيا أو لموقفٍ عابرٍ أغضبك فإن الأخ الصالح كنز فى هذا الزمان.

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لى الشافعى -رحمه الله- ذات يوم: يا يونس: إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه، فإياك أن تبادره بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن ألقه وقل له: بلغنى عنك كذا وكذا، واحذر أن تسمى له المُبَلِّغ، فإن أنكر ذلك، فقل له: أنت أصدق وأبر، ولا تزيدنَّ على ذلك شيئًا، وإن اعترف بذلك، فرأيت له فى ذلك وجهًا لعذر، فاقبل منه، وإن لم ترَ ذلك، فقل له: ماذا أردت بما بلغنى عنك؟

فإن ذكر ما له وجه من العذر فاقبل منه، وإن لم تر لذلك وجهًا لعذر، وضاق عليك المسلك، فحينئذ أثبتها عليه سيئة أتاها، ثم أنت فى ذلك بالخيار، إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة، وإن شئت عفوت عنه، والعفو أقرب للتقوى، وأبلغ فى الكرم لقول الله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾(٢).

فإن نازعتك نفسك بالمكافأة، فاذكر فيما سبق له لديك من الإحسان ولا تبخس باقى إحسانه السالف بهذه السيئة، فإن ذلك الظلم بعينه، وقد كان الرجل الصالح يقول: رحم الله من كافأنى على إساءتى من غير أن يزيد، ولا يبخس حقًّا لى.

يا يونس! إذا كان لك صديق فشدَّ يديك به، فإن اتخاذ الصديق

(١) هكذا علمتنى الحياة (ص: ٦٧).
(٢) سورة الشورى: آية (٤٠).

صعب، ومفارقته سهل.

وقد كان الرجل الصالح يشبِّه سهولة مفارقة الصديق بصبى يطرح فى البئر حجراً عظيمًا، فيسهل طرحه عليه، ويصعب إخراجه على الرجال.

فهذه وصيتى إليك، والسلام(١).

كلمات من ذهب

قال عمران بن حطان: لقد أحببت فى الله عز وجل ألف أخ كلهم أعرف اسمه واسم أبيه وقبيلته ومكان داره.

وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير: ما تحاب رجلان فى الله -عز وجل- إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه.

وكان يقول: اصحب من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإذا أصابتك خصاصة مانك، وإن رأى منك حسنة سُرَّ بها، وإن رأى منك سقطة سترها، ومن إذا قلت له صدَّق قولك، ومن هو فوقك فى الدين ودونك فى الدنيا، . . . وكل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه فى دينك خيراً فانبذ عنك صحبته.

وقال يحيى بن معاذ: بئس الصديق تحتاج أن تقول له: اذكرنى فى دعائك، وأن تعيش معه بالمداراة، أو تحتاج أن تعتذر إليه.

ودخل جماعة على الحسن وهو نائم، فجعل بعضهم يأكل من فاكهة فى البيت، فقال: رحمك الله، هذا والله فعل الإخوان.

وقال أبو جعفر لأصحابه: أيُدخل أحدكم يده فى كُم أخيه فيأخذ منه ما

(١) مواعظ الإمام الشافعى ص: (٣٧، ٣٨).

يريد؟ قالوا: لا؟ قال: فلستم بإخوان كما تزعمون.

ويروى أن فتحًا الموصلى جاء إلى صديق له يقال له: عيسى التمار، فلم يجده فى المنزل، فقال للخادمة: أخرجى لى كيس أخى، فأخرجته، فأخذ منه درهمين، وجاء عيسى إلى منزله فأخبرته الجارية بذلك، فقال: إن كنت صادقة، فأنت حرة، فنظر فإذا هى قد صدقت، فعُتقت.

وقد كان عمر بن الخطاب يذكر الأخ من إخوانه فى بعض الليل فيقول يا طولها من ليلة! فإذا صلى المكتوبة غدا إليه فاعتنقه.

وقال مجاهد: إذا مشى أحد المتحابين إلى الآخر فأخذ بيده فضحك إليه تحاتت خطاياه كما يتحات ورق الشجر (أى: تسقط الخطايا).

* على هيئة الأمم المتحدة بنيويورك لوحةٌ، مكتوب عليها قطعةٌ جميلة للشاعر العالمى السعدى الشيرازى، وقد تُرجمت إلى الإنجليزية وهى تدعو إلى الإخاء والألُفة والاتحاد، يقول:

قال لى المحبوبُ لمَّا زُرتُهُ
مَن ببابى قلتُ بالباب أنا
قال لى أخطأت تعريف الهوى
حينما فرَّقتَ فيه بيننا
ومضى عامٌ فلما جئتُهُ
أطرقُ الباب عليه مُوهِنَا
قال لى من أنت قلتُ انظُرْ فما
ثَمَّ إلا أنت بالباب هُنا
قال لى أحسنت تعريف الهوى
وعَرَفتَ الحُبَّ فادخُل يا أنا

كُن سليم الصدر لإخوانك

يقال إن أطول الناس أعـمارًا وأسعدهم عيـشًا وأهدأهم بالاً من سلمت صـدورهم وطهـرت سرائرهـم وزكت بواطنهم، فـلا يحسـدون أحـدًا ولا يحملون الغلّ والحقد على أحـد . . . ينامون ملء جفونهم بلا غم ولا قلق ولا أرق، . . . ويسهر غيرهم، لأن قلوبهم قد امتلأت غشًّا وحقدًا وحسدًا، فقلوبهم مشتعلة، فكيف يقرّ لهم قرار، وكيف يغمض لهم جفن؟ (١).

* فالمؤمن سليم الصدر لا يحسد ولا يحقد.

وإن أدنى ثمرات المحبة التى يغرسها الإيمان فى قلب المؤمن هى سلامته من الغل والحسد، فإن أنوار الإيمان كفيلـة أن تُبدد دياجير الحسد من قلبه، وبذلك يُمـسى ويُصـبح سليم الـصـدر، نقى الفـؤاد، يدعـو بما دعـا به الصالحون: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢).

المؤمن لا يحسد، لأن الحسد - كـما سمّاه رسول الله - «داء» من أدواء الأمم، داء نفسى يصنـع بالروح ما تصنع الأوبئة بالأجـسام، فـهو غم على صاحـبه، ونكد دائم له، وغـيظ لقلبه لا ينتـهى أمده، بل هو داء جـسدى أيضًا، يُنهك القُوى، ويُؤذى البدن، ويُغيِّر الوجه.

والمؤمن لا يحسد، لأنه يحب الخـير لعباد الله جميـعًا، وهو لا يعارض ربه فى رعاية خلقه أو تقـسيم رزقه ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٣).

إنه مؤمن بعدل ربه فيما قسم من حظوظ، وما وزع من مواهب، ويعتقد أن قضاءه تعالى فى خلقه صادر عن حكمـة بالغة يعرف منها ويجهل، وقد

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٢٩).
(٢) سورة الحشر: آية (١٠).
(٣) سورة الإسراء: آية (٣٠).

قيل: «الحاسد جاحد، لأنه لم يرض بقضاء الواحد» ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾(١) .

ومن هنا نرى المؤمن لا يفرح بالمصيبة تنزل بغيره، ولا يحزن للنعمة يسوقها الله إلى عبد من عباده.

والمؤمن لا يحسد، لأن همته منوطة بما هو أرفع وأبقى من الدنيا التى يتنافس عليها الناس، ويتحاسدون، وإنما يوجه همته إلى معالى الأمور، إلى المعانى الباقية: إلى الآخرة والجنة.

روى البخارى عن النبى ﷺ أنه قال: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويُعلمها»(٢) . . . ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾(٣) .

وقال ابن سيرين: ما حسدتُ أحداً على شىء من أمر الدنيا . . . إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهى حقيرة فى جنب الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على الدنيا وهو يصير إلى النار؟

والمؤمن لا يحقد، لأنه عفو كريم، يكظم غيظه وهو يستطيع أن يُمضيه، ويعفو وهو قادر على الانتقام، ويتسامح وهو صاحب الحق، لا يشغل نفسه بالخصام والعداوات، فالعمر لا يتسع لمثل هذا العداء، والدنيا لا تستحق عنده هذا العناء. فكيف يُسلم قلبه للعداوة والأحقاد فتنهشه أفاعيها السامة؟

وكيف يبيت وفى قلبه لأخيه شحناء العداء فيبيت بعيداً عن رحمة الله؟ فى الحديث: **«تُعرضُ الأعمال كل يوم اثنين وخميس، فيغفر اللهُ عز وجل فى ذلك اليوم لكل امرئ لا يُشرك بالله شيئًا، إلا امرءاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا»**(٤) .

---

(١) سورة النساء: آية (٥٤).

(٢) **متفق عليه:** رواه البخارى (٧٣) كتاب العلم، ومسلم (٨١٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) سورة المطففين: آية (٢٦).

(٤) **صحيح:** رواه مسلم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

والمؤمن لا يحسد ولا يبغض، لأن الحسد والبغضاء من بذور الشيطان، والمحبة والصفاء من غرس الرحمن: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ**﴾(١).

هذا - وسلامة القلب من الضغن والحسد أول ما يتصف به المؤمن، بل أدنى ما يتصف به. ولا يكمل إيمان المؤمن حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه(٢).

إن سلامة صدرك لإخوانك سبب في دخول الجنة

عن أنس بن مالك ﷺ **قال:** كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ فقال: «**يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة**»، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته(٣) من وضوئه، وقد تعلق نعليه في يديه الشمال، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى. فلما قام النبيُّ ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي(٤) فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال: نعم.

قال أنس: وكان عبد الله يحدّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث، فلم يره يقوم من الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارّ وتقلب على فراشه ذكر الله - عزَّ وجلَّ- حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا.

---

(١) سورة المائدة: آية (٩١).
(٢) الإيمان والحياة (ص: ١٧٦ ، ١٧٨) بتصرف.
(٣) تنطف لحيته: يتساقط منها الماء.
(٤) لاحيت أبي: أي: نازعته.

فلما مضت الثلاث ليالٍ، وكدتُ أحتقر عمله قلت: يا عبد الله! إنى لم يكن بينى وبين أبى غـضبٌ ولا هجْر، ولكنى سـمعت رسـول الله ﷺ يقول لـك ثلاث مرارٍ: «**يطلُع عليكـم الآن رجلٌ من أهل الجنة**» فطلعت أنت الثلاث مـرارٍ، فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عـملك فأقـتدى به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت!!

قال: فلما ولَّيتُ دعانى فقال: مـا هو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحدٍ من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التى بلغت بك، وهى التى لا نطيق(١).

* **فيا أخى الحبيب:**

- كن سليم الصدر لإخوانك لتسعد فى الدنيا والآخرة.
- ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس.
- ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس.
- لا تحمل فى قلبك غلاًّ ولا غشًّا ولا حقدًا لأحـدٍ من المسلمين ولا تحسد أحدًا.
- لا تحزن على ما فاتك من الدنيا ... فالدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

لا تظاهر بالعداوة

إن الدنيـا لا تخلو أبدًا من الخيـر والشر ... وما زال الأشـرار يدبرون المكائد والمؤامرات للأخيار ومع ذلك: إياك إياك أن تظاهر أحدًا بالعداوة فإن ذلك يُمرض القلب ويشغله.

---

(١) **صحيح:** رواه أحمد (١٢٢٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- فى تفسيره (٤/ ٣٣٨): وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين.

* **قال رجل لعمرو بن العاص:** لأتفرغنَّ لحربك. قال عمرو: الآن وقعتَ في الشغل الشاغل.

وقال رجل لأبي بكر: والله لأسبنَّك سبًّا يدخل معك قبرك! فقال أبوبكر: بل يدخلُ معك قبرك أنت!!

قالت البعوضة للنخلة: تماسكي، فإني أريد أن أطير وأدعك. قالت النخلة: والله ما شعرتُ بك حين هبطتي عليَّ، فكيف أشعر بك إذا طرتي؟!

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾(٢).

وفي الحديث: «لا تغضبْ، لا تغضبْ، لا تغضبْ».

* **قال الإمام ابن الجوزي - رحمه الله-:**

مما أفادتني تجارب الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحدًا ما استطاع، فإنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.

وإن الإنسان ربما لا يظن الحاجة إلى مثله يومًا ما كما يحتاج إلى عويد منبوذ لا يلتفت إليه. لكن كم من محتقر احتيج إليه. فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص في جلب نفع وقعت الحاجة في دفع ضر.

ولقد احتجت في عمري إلى ملاحظة أقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة إلى التلطف بهم.

واعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذى من حيث لا تعلم؛ لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربًا. وقد يلوح منه مضرب خفي، وإن اجتهد المتدرع في ستر نفسه فيغتنمه ذلك العدو.

فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في ألا يظاهر بالعداوة أحدًا (٣).

---

(١) سورة الفرقان: آية (٧٢).

(٢) سورة الفرقان: آية (٦٣).

(٣) صيد الخاطر (ص: ٢٣٠).

أطفئ نار العداوة قبل أن تضطرم

قال الشيخ الحبيب عائض القرني - حفظه الله -:

وجدتُ في حياتي القصيرة العادية أنني ما ذهبتُ لاستيفاء حقي، أو ردِّ اعتباري نحو نقد أو مضايقة، إلاَّ وجدتُ الخسارة أعظم، والندمَ أجلَّ، بمعنى: أنني كنتُ أظنُّ أنني إذا مَحَّصتُ في ثبوت ما بلغني من سوء عن شخص، أو نالني من مضايقة عن طريق رجل ما، أنني بهذا التمحيص والمطالبة والسؤال، أُعيد لنفسي حقَّها واعتبارها ومكانها، فإذا الأمر على العكس، والمسألة على الضدِّ، تقع الوحشة بيني وبين هذا الإنسان، ويستمرُّ العداء، وتستقر الخصومة، ويلِجُّ هو في خطئه، وأتمنى أنني ما طالبتُ أو تحققتُ أو تساءلتُ... وأن أجمل من هذا كله وأحسن وأطيب: العفو والصفح والإعراض والصبر والتحمُّل، وتجاهُل هذا الشيء، وهذا منطق الوحي الصادق: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[1]، ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ﴾[2]، ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾[3]، ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾[4]، ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[5]، ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[6].

إذن: فإذا سمعتَ من شخص كلمة نابية، فلا تردَّها فتصبح عشرًا، وإذا هُجيتَ بقصيدة، فكنْ كأنَّك لم تسمع، لأنك لو ناقضتَها بقصيدة من عندك تشاغل بها الناس، وحفِظها الأدباء، وإذا كُتب عنك مقالة لاذعة فأمِتْها

(١) سورة الأعراف: آية (١٩٩).

(٢) سورة النور: آية (٢٢).

(٣) سورة آل عمران: آية (١٣٤).

(٤) سورة الشورى: آية (٣٧).

(٥) سورة فصلت: آية (٣٤).

(٦) سورة الفرقان: آية (٦٣).

طبخًا بالتجاهل، وكأنه يقصد غيرك، وإذا انتقدك ناقد حاقد، فتغافلْ، كأنه يريد بكلامه حائط الجيران. وقديمًا قال السلف: الاحتمال دفْنٌ للمعائب.

لا يضر البحر أمسى زاخرًا

أن رمى فيه غلامٌ بِحَجَر

البحر: طهورٌ ماؤه حِلٌ ميتتُه، لأن كثير الماء إذا تجاوز القلَّتين لم يحمل الخبث، وكذلك الرجل الشهم الصبور، عنده مناعة من نبذ الشانئين، ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾(١)، ولديه حصانة من هرَج الفارغين، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٢)(٣).

احذر عداء الأقارب

اعلم أيها الأخ الحبيب أن عداوة الأقارب صعبة؛ لأنها قد تدوم لسنوات طويلة وتكون سببًا فى قطيعة الرحم.

ولعل السبب فى عداء الأقارب أن كل واحد من الأقارب يكره أن يفوقه قريبه، فيقع التحاسد. فينبغى لمن فضل على أقاربه أن يتواضع لهم، ويرفعهم جهده، ويرفق بهم، لعله يَسلم.

* **عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال:** يا رسول الله إنَّ لى قرابةً أصلُهُم ويقطعونى، وأُحسن إليهم ويُسيئون إلىَّ، وأحلم عنهم ويجهلون علىَّ، فقال: **«لئن كُنت كما قُلت، فكأنما تُسفُّهُمُ الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك»**(٤)(٥).

---

(١) سورة الكوثر: آية (٣).

(٢) سورة الطور: آية (٤٨).

(٣) لا تحزن (ص: ٤٧٨، ٤٧٩).

(٤) صحيح: رواه مسلم: (٢٥٥٨) كتاب البر، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٥) «تُسِفُّهُم» بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء. و«الملّ» بفتح الميم، وتشديد اللام وهو الرماد الحار: أى: كأنما تُطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شىء على هذا المحسن إليهم، لكن ينالهم إثمٌ عظيمٌ بتقصيرهم فى حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

* ومن أجل ذلك أوجب الله علينا صلة الرحم وحرم علينا قطيعة الرحم بل وأخبر النبى ﷺ أن الصدقة على الأقارب هى أفضل الصدقات.

قال ﷺ : «أفضل الصدقة الصدقةُ على ذى الرحم الكاشح»(١).

وقال ﷺ : «الصدقة علَى المسكين صدقة وهى على ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة»(٢).

لا ظلم اليوم

لا تحزن إن سُلب مالك فى الدنيا فسوف تجده يوم القيامة حسنات كثيرة....

ولا تحزن إن ظُلمت فى الدنيا فسوف يقتص الله لك ممن ظلمك يوم القيامة...

ولا تحزن إن بخسك الناس حقك فى الدنيا فسوف تأخذ حقك كاملاً يوم القيامة.

إذا جار الوزيرُ وكاتباهُ
وقاضى الأرض أجحف فى القضاءِ
فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ
لقاضى الأرض من قاضى السماء

نُقل عن «كانت» الفيلسوف الألمانى أنه قال: «إن مسرحيَّة الحياة الدنيا لم تكتمل بعد، ولا بدَّ من مشهد ثانٍ، لأننا نرى هنا ظالمًا ومظلومًا ولم نجد الإنصاف، وغالبًا ومغلوبًا ولم نجد الانتقام، فلا بدَّ إذن من عالم آخر يتمُّ فيه العدل».

قال الشيخ على الطنطاوى معلقًا: وهذا الكلام اعتراف ضمنى باليوم الآخر والقيامة، من هذا الأجنبى.

* إن يقين العبد فى أن الله سيجمع الأولين والآخرين يوم القيامة فى

---

(١) **صحيح**: رواه أحمد (٢٣٠١٩) من حديث أبى أيوب الأنصارى ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١١١٠) والكاشح، هو الذى يضمر عداوته ويطوى عليها باطنه، والكشح: الخصر.

(٢) **صحيح**: رواه الترمذى (٦٥٨) كتاب الزكاة، والنسائى (٢٥٨٢) كتاب الزكاة، وابن ماجه (١٨٤٤) كتاب الزكاة، وأحمد (٢٧٧٤٨)، من حديث سلمان بن عامر ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٨٥٨).

أرض المحشر - فى محكمة العدل الإلهية - يجعله مطمئنًا قرير العين هادئ البال لأنه يعلم أن الله سيقتص له ممن ظلمه.

- إذن فلا داعى للحزن ما دام العبد لن يضيع حقه أبدًا . . . وسيشفى الله صدره ممن ظلمه فى الدنيا أو الآخرة.

أثر الإيمان فى تكوين الضمير

والإيمان - بلا ريب - هو أعظم مدد للضمير، وأقوى «مُولِّد» يُغذيه ويمده «بالتيار» الذى يمنحه الضوء والحرارة والقوة والمحرِّكة.

فعقيدة المؤمن فى الله أولاً. وعقيدته فى الحساب والجزاء ثانيًا. تجعل ضميره فى حياة دائمًا وفى صحو أبدًا.

إنه يعتقد أن الله معه حيث كان، فى السفر أو فى الحضر، فى الجلوة أو فى الخلوة، لا يخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١) .

ويعتقد المؤمن لذلك أنه محاسب يوم القيامة على عمله، مجزىٌّ به إن خيرًا أو شرًّا فما تقدم من عمل لم يذهب بذهاب أيامه، بل كتبه «قلم التسجيل» الإلهى، الذى يُحصى له وعليه الصغيرة والكبيرة: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٢)، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٣)، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾(٤) .

(١) سورة المجادلة: آية (٧).

(٢) سورة ق: آية (١٧، ١٨).

(٣) سورة الانفطار: آية (١٠ - ١٢).

(٤) سورة الزخرف: آية (٨٠) .

وهذه السجلات الوافية لن يضيعها الإهمال، أو يمحوها مرور الزمان.

إنها ستُحفظ عند الله حتى يتلقاها صاحبها يوم الجزاء: ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[1].

وحينذاك يجد ما كان يحسبه هينًا وهو عند الله عظيم، ويذكر من الأعمال ما كان ناسيًا: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[2].

هناك توزن الأعمال من خير أو شر، من حسنات وسيئات، بميزان إلهى دقيق لا يُعرف كنهه ولا كيفيته... ثم الحساب الإلهى العادل: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[3]، ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[4].

وبعد ذلك. فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾[5].

بهذه العقيدة فى الله، وفى الجزاء فى الآخرة يُصبح المؤمن ويُمسى مراقبًا لربه محاسبًا لنفسه، متيقظًا لأمره متدبرًا فى عاقبته، لا يظلم ولا يخون، لا يتطاول ولا يستكبر، لا يجحد ما عليه، ولا يدَّعى ما ليس له، لا يفعل

---

(١) سورة الإسراء: آية (١٣، ١٤).

(٢) سورة الكهف: آية (٤٩).

(٣) سورة الأنبياء: آية (٤٧).

(٤) سورة الأعراف: آية (٨، ٩).

(٥) سورة النساء: آية (١٧٣).

اليوم ما يخاف من حسابه غدًا، ولا يعمل فى السر ما يستحى منه فى العلانية(١).

* قال عمر ﷺ: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر . . . وكتب إلى أبى موسى الأشعرى: حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشِّدة.

* وقال أبو عثمان: قال لى أبو حفص: إذا جلست للناس فكن واعظًا لنفسك وقلبك ولا يغرّنك اجتماعهم عليك، فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك.

وقال محمد بن على الترمذى: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن مُلكه وسلطانه.

وقال سهل: لم يتزين القلب بشىء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده، حيث كان . . . وسُئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(٢)، فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربه- عز وجل- وحاسب نفسه وتزود لمعاده.

وسُئِل ذو النون: بمَ ينال العبد الجنة؟ قال: بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة لله فى السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تُحاسَب.

* وكان أبو مسلم الخولانى قد علق سوطًا فى مسجد بيته يُخوّف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومى فوالله لأزحفن بك زحفًا حتى يكون الكلل منك لا منى، فإذا دخلت الفترة - أى: إذا أصابه الفتور والكسل - تناول سوطه وضرب به ساقه، ويقول: أنت أولى بالضرب من دابتى وكان يقول:

(١) الإيمان والحياة (ص: ٢٢٣ - ٢٢٥) بتصرف.
(٢) سورة البينة: آية (٨).

أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا، كلا والله لنزاحمنهم عليه زحامًا حتى يعلموا أنهم قد خلَّفوا وراءهم رجالاً.

وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له: القيامة غدًا ما وجد متزايدًا.

وقيل للحسن: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهًا؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره.

وقال إبراهيم التيمي: مثّلتُ نفسي في الجنة آكل من ثمراتها، وأشرب من أنهارها، وأُعانق أبكارها .. ثم مثلتها في النار آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأُعالج سلاسلها وأغلالها ... ثم قلتُ لنفسي: يا نفس، أي شيء تريدين؟ قالت: أُريد أن أُرَدَّ إلى الدنيا، فأعمل صالحًا، قال: فأنتِ في الأمنية فاعملي!!

* **وعن الأوزاعي قال**: سمعت بلال بن سعد يقول: «لا تكن وليًّا لله -عز وجل- في العلانية، وعدوَّه في السر».

وإذا خلوتَ بريبة في ظلمة
والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها
إن الذي خلق الظلام يراني

* استوصى رجل بعض السلف، فقال: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وتذكر قوله -عز وجل-: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾**(١).

وإذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل
خلوت، ولكن قل: عليَّ رقيبُ

---

(١) سورة الأنعام: آية (٦٠).

ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما تُخْفيه عنه يغيبُ

وهناك طريقة أُخرى كان الأحنف بن قيس يصطنعها لِيُذَكِّر نفسه بنار الآخرة وعذابها. كان يجيء إلى المصباح فيضع إصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حُنيف، ما حملكَ على ما صنعتَ يوم كذا؟ ما حملكَ على ما صنعت يوم كذا؟

ومن أساليب محاسبة النفس ما رُوِيَ عن توبة بن الصمة وكان محاسبًا لنفسه أنه حاسبها يومًا، فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها، فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتى؟ ألقى الله بأحد وعشرين ألف ذنب! فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب!

اعمل بما تقول حتى لا تحزن

إن من سعادة العبد أن يستعمله الله - جل وعلا - فى نُصرة دينه فتراه آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر . . . وهو مع ذلك لا ينسى حظ نفسه أبدًا من الامتثال للأمر واجتناب النهي.

* فإن العبد إذا أمر الناس من حوله بالمعروف ولم يفعله هو . . . ونهاهم عن المنكر وكان واقعًا فى هذا المنكر فإنه بذلك يُعرض نفسه لسخط الله وعقابه.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(٢).

يا أيها الرجلُ المعلِّمُ غيرَهُ
هلاَّ لنفسكَ كان ذا التعليمُ

(١) سورة البقرة: آية (٤٤).
(٢) سورة الصف: آية (٢، ٣).

وقف الواعظ الشهير أبو معاذ الرازى، فبكى وأبكى الناس، ثم قال:

وغــيــر تقىٍّ يأمــرُ النـاسَ بالتُّــقى
طبــيــبٌ يداوى النـاسَ وهُوَ علـيلٌ

كان بعض السلف إذا أراد أن يأمر الناس بالصدقة، تصدَّق هو أولاً، ثم أمرهم، فاستجابوا طواعية.

وقرأتُ أنَّ واعظًا فى عهد القـرون المفضَّلة، أراد أن يأمر الناس بالعتق، وقد طلب منه كثير من الرقـيق أن يسأل الناس ذلك، فجمع نقودًا فى وقت طويل ثم أعتق رقبة، ثم أمَّ فأمر بالعتق، وأعتق الناسُ رقابًا كثيرًا [١].

* وتأمل معى تلك المشـاهد التى أخبر عنها النبى ﷺ لمن كـان عمله يخالف قوله.

*** قال ﷺ : «رأيتُ ليلة أُسـرى بى رجالاً تُقـرضُ شفاههم بمقـاريض من نار، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جـبريل؟ فقـال: الخُطباء من أمتكَ، يأمـرون الناس بالبر وينسون أنفُسهم، وهُمْ يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟!»[٢].**

وعند البيهقى: «أتيت ليلة أُسرى بى على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرضت وفَّـت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطـباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به»[٣].

*** وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «يُجاءُ بالرجل يوم القيامة فيُلقى فى النار، فتندلق أقتابه، فيدور بها فى الـنار، كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهلُ النار، فيقولون: يا فلان! ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟**

---

(١) لا تحزن (ص: ٤٦٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد (١١٨٠١)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وصحـحه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٩١).

(٣) حسن: رواه البيـهقى فى الشـعب (٢/ ٢٨٣، ٤/ ٢٥٠)، من حديث أنس بن مـالك ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٢٩).

فيقول: بلى، قد كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»(١).

كالعيس(٢) فى البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمولٌ
كحاملٍ لثياب الناس يغسلها
وثوبه غارقٌ فى الرجس والنجسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تمشى على اليبس
ركوبك النعش يُنسيك الركوب على
ما كنت تركبُ من نعلٍ ومن فرسِ
يومُ القيامة لا مالٌ ولا ولدُ
وضمةُ القبر تُنسى ليلة العُرسِ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك ينفع ما تقول ويُشتفى
بالوعظ منك وينفع التعليم
لا تنه عن خُلُقٍ وتأتى مثلَهُ
عارٌ عليك إذا فعلت عظيمٌ

من دق عليه الصراط فى الدنيا عرض له فى الآخرة

أيها الأخ الحبيب ... أيتها الأخت الفاضلة:

استقيموا على الصلاة والصيام والزكاة والحج وقراءة القرآن وصلة الرحم وسائر الطاعات لتفوزوا بالمغفرة والرحمات ولتظفروا برضوان رب الأرض

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٦٧) كتاب بدء الخلق، (٧٠٩٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٩٨٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٢) العيس: كرام الإبل.

والسماوات فيكشف عنكم الكُربات ويكتب لكم الخلود فى نعيم الجنات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢].

فنحن جميعًا نسأل الله - جلَّ وعلا - فى كل صلاة أن يهدينا وأن يوفقنا إلى السير على صراطه المستقيم وذلك عندما نقرأ: **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾**.

فوالله لو استقامت قلوبنا وجوارحنا على الصراط المستقيم فى الدنيا لاستقام لنا الصراط فى الآخرة - والجزاء من جنس العمل-.

قال سهل التُسترى: من دق عليه الصراط فى الدنيا عرض له فى الآخرة، ومن عرض عليه الصراط فى الدنيا دق عليه فى الآخرة. ومعنى هذا أن من ضيَّق على نفسه فى الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهى وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم فى الدنيا، كان جزاؤه أن يتسع له الصراط فى الآخرة، ومن وسع على نفسه فى الدنيا باتباع الشهوات المحرمة المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم ضاق عليه الصراط في الآخرة بحسبِ ذلك، والله أعلم.

رأى بعض السلف رجلاً يضحك، فقال له: ما أضحكك؟ إنك لن تقر عينك أبدًا حتى تترك جهنم وراءك[٣].

فسعادة من لزم الصراط المستقيم أنه مطمئنٌّ لحسن العاقبة، واثق من طيب المصير، ساكن إلى موعود ربه، راضٍ بقضاء مولاه، مُخبت فى

(١) سورة فصلت: آية (٣٠ - ٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: آية (١٣، ١٤).

(٣) التخويف من النار للإمام ابن رجب الحنبلى - (ص: ١٨٦، ١٨٧) بتصرف.

سلوكه هذا السبيل، يعلم أن له هاديًا يهديه على هذا الصراط، وهو معصوم لا ينطق عن الهوى، ولا يتبع مَن غوى، قوله حُـجَّة على الورى، محفوظ من نزغات الشيطان، وعثـرات الأقران، وسقَطَات الإنسان: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(١).

وهذا العبـد يجد السعـادة فى سلوكه هذا الصراط، لأنـه يعلم أن له إلهًا، وأمـامه أسـوة. . . والكتـاب فى يده والنور فى قلبـه، وهو ذاهب إلى نعـيم، وعامل فى طاعة، وساعٍ إلى خير: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾(٢).

أين ما يُدعى ظلامًا يا رفيق الدرب أيْنا
إنَّ نورَ الـله فى قلـبى وهذا مـــا أراهُ

وهما صراطان: معنوى، وحسى، فالمعـنوى: صراط الهداية والإيمان، والحسى: الصراط على متْن جهنم، فصراط الإيمان على متن الدنيا الفانية له كـلاليب من الشهـوات، والصـراط الأخروى على متن جـهنم له كـلاليب كشـوْك السعدان، فمَن تجـاوز هذا الصراط بإيمانه تجـاوز ذاك الصراط على حسب إيقانه، وإذا اهتدى العبد إلى الصراط المسـتقيم زالت همومه وغمومه وأحزانه(٣).

قبل أن تحاسَبوا

أقولُ لكم عن تجربةٍ وذوقٍ ومعرفة عانيتها، كم خُدعنا بالأمانى الكاذبة، والخيالات الفارغة، وغفلنا عن الحقائق، والشرع يخبرنا بالأصلح، ويحذِّرنا من مصارع البـغى، ومراتع الغفلة، ولكن العـقل فى حجابٍ كثـيف يحتاج إلى مطارق قوية تهزّه هزًّا، وتقلقه حتى يرعوى.

(١) سورة الرعد: آية (١١).
(٢) سورة الأنعام: آية (٨٨).
(٣) لا تحزن: (ص: ١٩٠، ١٩١).

كم رأينا من شاب أعرضَ عن المسجد، وعقَّ الوالد، ونسى القُدوم، ثم قُبضت روحه بغتة، وسار لأهله حسرة، كم زهت بيوت بأهلها وأموالها وحشمها، ثم وقعت بهم الواقعة، فصاروا أثرًا بعد عين.

ألا يا من نصح نفسه لا تنفق العمر بكف التبذير، وتوزّع الأوقات على المتسولين، فإنّ ضياع الزمن ضالة لا تُردّ.

بالله لو جلستَ بعد الفجر، حتى تطلع الشمس، فى المسجد كل يوم، هل تخسر من أموالك درهمًا؟! أو تفقد من دنياك مغنمًا؟! بل تكسب الأجر والمثوبة والحسنى.

بالله لو مكثت بعد كل صلاة ثلث ساعة مسبحًا، كم تكسب من الأجور، وتخزن من الثواب، ويصعد لك من الكلم الطيب؟!

رأيت كثيرًا من الناس يجلسون فى المجامع العامة ومجالس السمر، والأندية، لتقضية الوقت مع غيبة وفحش من القول، وضحك، ولهو، وكأن الأمر لا يعنيهم، أو كأن عندهم عهدًا وثيقًا بالبقاء، فيا لفجأة الرحيل عليهم، ويا لهول الموت على قلوبهم.

الصدق منجاة، والرائد لا يكذب أهله، والحقائق أقوى من الخيال، وقد نصحت نفسى ونصحتك، وما بقى من أعمارنا إلا كما ذهب أو أقل وهل اليوم إلا مثل أمس.

أين الطعام اللذيذ الذى أكلناه أمس؟! لا نجد لذته، أين الماء البارد الذى شربناه؟! لا نحس ببرودته، إن جُعْنا كأنا ما شبعنا، وإن ظمئنا كأنّا ما رُوينا، وإن حزنا كأنّا ما سُررنا.

وقد قيل:

شقينا بالنوى زمنًا فلما

تلاقينا كأنَّ ما شقينا

بكـينـا عندمــــا جـنت الليــــالي
فــمــا زالـت بنا حـتَّى رضــــينا[١]

اتهام النفس

في محاسبة النفس عدة مـصالح؛ منها: الاطلاع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته، فإذا اطلع على عـيبها مقتها في ذات الله تعالى.

وقد روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ قال: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتًا».

وقال مطرف بن عبد الله: لولا ما أعلم من نفسي لقليت الناس».

وقال مطرف في دعائه بعرفة: «اللَّهم لا ترد الناس لأجلي».

وقال بكر بن عـبد الله المزني: «لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم، لولا أني كنت فيهم».

وقال أيوب السختياني: «إذا ذُكر الصالحون كنت عنهم بمعزل».

ولما احتضر سـفيان الثوري دخل عليه أبو الأشهب، وحـماد بن سلمة، فقال له حماد: «يا أبا عبـد الله، أليس قد أمنت مما كنت تخافه وتقَدم على من ترجوه، وهو أرحم الراحمين، فقال: يا أبا سلمة، أتطمع لمثلي أن ينجو من النار؟ قال: أي والله، إني لأرجو لك ذلك».

وذُكر عن مسلم بن سعيد الواسطي قال: أخبرني حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال: «خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العـتـمـة، فصلوا ثم اضطـجع. فقلت: لأرمـقن عـمله، فالتـمس غفلة الناس، حتى إذا قلت: هدأت العـيون، وثب فدخل غيـضة

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٦٣ - ٦٥).

قريبًا منا، فدخلت على أثره، فتوضأ، ثم قام يصلى، وجاء أسدٌ حتى دنا منه، فصعدت فى شجرة فتراه التفت أو عدَّه جروًا؟! فلما سجد قلت: الآن يفترسه، فجلس ثم سلم، ثم قال: أيها السبع، اطلب الرزق من مكان آخر. فولى وإن له لزئيرًا، أقول: تصدع الجبال منه. قال: فما زال كذلك يصلى حتى كان عند الصبح جلس، فحمد الله تعالى بمحامد لم أسمع بمثلها، ثم قال: اللَّهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار. ومثلى يصغر أن يجترئ أن يسألك الجنة. قال: ثم رجع وأصبح كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وبى من الفترة شىء الله به عالم».

وقال يونس بن عبيد: «إنى لأجد مائة خصلة من خصال الخير، ما أعلم أن فى نفسى منها واحدة».

وقال محمد بن واسع: «لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إلىَّ».

وذكر ابن أبى الدنيا عن الخلد بن أيوب قال: «كان راهب فى بنى إسرائيل فى صومعة منذ ستين سنة. فَأُتى فى منامه، فقيل له: إن فلانًا الإسكافى خير منك - ليلة بعد ليلة - فأتى الإسكافى، فسأله عن عمله. فقال: إنى رجل لا يكاد يمر بى أحد إلا ظننت أنه فى الجنة وأنا فى النار، ففضل على الراهب بازدرائه على نفسه».

وذُكِرَ داود الطائى عند بعض الأمراء، فأثنوا عليه، فقال: «لو يعلم الناس بعض ما نحن فيه ما ذل لنا لسان بذكر خير أبدًا».

وقال أبو حفص: «من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها فى جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها فى سائر أوقاته، كان مغرورًا، ومن نظر إليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها».

فالنفس داعية إلى المهالك، مُعينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، مُتبعة لكل سوء، فهى تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة.

فالنعمة التى لا خطر لها: الخروج منها، والتخلص من رِقها؛ فإنها أعظم حجاب بين العبد وبين الله تعالى، وأعرف الناس بها أشدهم إزراءً عليها، ومقتًا لها.

* **عن عقبة بن صهبان الهنائى قال:** «سألت عائشة رضى الله عنها عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(١)، فقالت: يا بُنى، هؤلاء فى الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلكم،... فجعلت نفسها معنا».

ومقت النفس فى ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى فى لحظة واحدة أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل.

ذكر ابن أبى الدنيا عن مالك بن دينار قال: «إن قومًا من بنى إسرائيل كانوا فى مسجد لهم فى يوم عيد، فجاء شاب حتى قام على باب المسجد، فقال: ليس مثلى يدخل معكم، أنا صاحب كذا، أنا صاحب كذا، يزرى على نفسه، فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم: أن فلانًا صِدِّيق»(٢). اهـ.

أربع دور للنفس

لهذه الأنفس أربع [دور] كل دار منها أعظم من التى قبلها.

الدار الأولى: فى بطن الأم وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

---

(١) سورة فاطر: آية (٣٢).

(٢) إغاثة اللهفان (ص: ٩٣ - ٩٦) بتصرف.

والدار الثانية: هى الدار التى نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة.

والدار الثالثة: دار البرزخ، وهى أوسع من هذه الدار وأعظم، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى.

والدار الرابعة: دار القرار؛ وهى الجنة أو النار، فلا دار بعدها.

الله ينقلها فى هذه الدور طبقًا بعد طبق حتى يبلغها الدار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها، وهى التى خُلقت لها وهُيئت للعمل الموصل لها إليها. ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى، فتبارك الله فاطرها ومُنشؤها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها، الذى فاوت بينها فى درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها فى مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها، فمن عرفها كما ينبغى شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى له الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمر كله، وله القوة كلها، والقدرة كلها، والعز كله، والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله، وأن الذى جاءوا به هو الحق الذى تشهد به العقول وتقرّ به الفطر، وما خالفه فهو الباطل. وبالله التوفيق[1] . اهـ.

لا تيأس

* يا من مارس المعصية دهرًا وأدمن المحرمات . . . لا تيأس.
* يا من بارز ربّه بالمحاربة وخالف أوامره وارتكب نواهيه . . . لا تيأس.
* يا من ضلّ عن الصراط المستقيم وتمسك بصراط المغضوب عليهم والضالين . . . لا تيأس.

---

(١) الروح (ص: ١٤٣).

* يا مَن صاحبَ الفُجّار وعادى الأخيار . . . لا تيأس.
* يا مَن مارسَ الفواحش وأدمن الشهوات . . . لا تيأس.
* يا مَن مشيتِ فى الطرقات متبرجة متزينة متعطرة متهتكة . . . لا تيأسى.
* يا مَن ولغتِ فى أعراض المسلمات الصالحات العفيفات . . . لا تيأسى.
* يا مَن مشيتِ بين الناس بالكذب والغيبة والنميمة . . . لا تيأسى.
* يا مَن تركتِ سماع القرآن، وأدمنت سماع المعازف والألحان . . . لا تيأسى.

إن باب التوبة مفتوح، وإن فضل الله لراغبه ممنوح.

وإن رحمته سبحانه تغلب غضبه، والعفو أحب إليه سبحانه من الأخذ..

فالمرء مهما فعل، ومهما ارتكب من المعاصى والمحرمات، إذا تاب توبة صادقة إلى الله، فإن الله يقبل توبته، ويغسل حوبته، ويمحو ذنبه.

قال تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾**(1).

«هناك كثيرون ارتكبوا المعاصى، ثم تتابعوا فى الحرام، وكلما خطر لأحدهم خاطر التوبة قالت له نفسه الأمارة بالسوء: لقد فعلت كل ما يغضب الله، فما الفائدة الآن من التوبة؟

ولدينا قصة المرأة من بنى إسرائيل التى كانت تمارس البغاء والفجور، فرأت موقفًا أثار مشاعر كانت كامنة لديها، فصار سببًا فى مغفرة الله تعالى لها. . . . عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما كلبٌ يطيفُ بركيَّة** - أى: بئر- **كاد يقتله العطش، إذ رأته بغى من بغايا بنى إسرائيل فنزعت موقَها** - أى: خُفَّها- **فسقته فغفر لها به**»(2).

---

(1) سورة الزمر: آية (٥٣).

(2) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٢٤٥) كتاب السلام، من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

أخي وأختي: إن الشيطان يحرص كل الحرص على أن يصل بالمرء إلى حالة من اليأس من التوبة، ويرى أن الواقع الذى صار إليه أصبح سمةً ملازمة له، لا يمكن أن يتجاوزه، فتتحول الرغبة فى التوبة إلى أمنية تعيش فى الخيال، بدلاً من أن تكون قوة تدفع بصاحبها إلى اتخاذ قرار حاسم فى تغيير واقعه، وهذا من عمل الشيطان، فليدافعه وليعلم أن طائفة من المؤمنين بشرع الله كانوا يعاقرون الخمر، ويأتون الفاحشة ويسيرون فى لهاثٍ وراء ما تدعوهم إليه رغباتهم ونزواتهم، وما أن نوّر الله قلوبهم بالإيمان حتى انتصروا على أهوائهم وشهواتهم، والتزموا أمر الله تبارك وتعالى.

وتذكر متى ما وقعت فى المعصية التوبة، فبادر إليها كلما وقعتَ، وإياك إياك أن تصرَّ على المعصية يائسًا من رحمة الله، أو قانطًا، فإن ذلك من أخلاق الكافرين. أما المؤمن فرجّاع أواب إلى ربّه.

وإليك هذا الحديث الذى يملأ نفوس أهل التوبة الصادقة رضًا وانشراحًا.

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: «أن رجلاً أذنب ذنبًا، فقال: رب إنى أذنبت ذنبًا فاغفره، فقال عزَّ وجلَّ: عبدى عمل ذنبًا، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدى.

ثم عمل ذنبًا آخر فقال: ربِّ إنى عملت ذنبًا فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدى أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدى.

ثم عمل ذنبًا آخر فقال: ربِّ إنى عملت ذنبًا فاغفره، فقال الله: علم عبدى أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، قد غفرت لعبدى، فليعمل ما شاء»(١)(٢).

* * *

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧٥٠٧) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥٨) كتاب التوبة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: صراع مع الشهوات للشيخ محمد المنجد ص(٧٦ - ٧٨) باختصار.

اعمل الخير لوجه الله

قد يعمل العبد معروفًا لمن حوله ثم يفاجأ بالجحود والنكران والجفاء وكفران النعمة .... وقد كان يتوقع خلاف ذلك وإذا به يزهد بعد ذلك فى فعل الخير .... وهذا خطأ كبير.

أيها الأخ الحبيب: افعل الخير فى أهله وفى غير أهله فإذا كان فى أهله فهم أهله وإن كان فى غير أهله فأنت أهلٌ لأن تفعل الخير.

* افعل الخير ولا تندم فالخير والأجر سيصل إليك لا محالة وإن خذلك الناس وجحدوا فضلك وإحسانك.

* ألا تعلم أن الله خلق العباد ليعبدوه ويوحدوه ورزقهم ليشكروه ومع ذلك فإن أكثر أهل الأرض عبدوا غيره وشكروا سواه، ... وطالع سجل العالم المشهود، فإذا فى فصوله قصة أب ربَّى ابنه وغذّاه وكساه وأطعمه وسقاه، وأدَّبه، وعلَّمه، سهر لينام، وجاع ليشبع، وتعب ليرتاح، فلما طرَّ شارب هذا الابن وقوى ساعده، أصبح لوالده كالكلب العقور، استخفافًا، وازدراءً ، ومقتًا، وعقوقًا صارخًا، وعذابًا وبيلاً.

ألا فليهدأ الذين احترقت أوراق جميلهم عند منكوسى الفِطَر، ومحطِّمى الإرادات، وليهنأوا بعوض المثوبة عند من لا تنفذ خزائنه.

إن هذا الخطاب الحار لا يدعوك لترك الجميل، وعدم الإحسان للغير، وإنما يوطنك على انتظار الجحود، والتنكر لهذا الجميل والإحسان، فلا تبتئس بما كانوا يصنعون.

اعمل الخير لوجه الله، لأنك الفائز على كل حال، ثم لا يضر غمط من غمطه، ولا جحود من جحده، واحمد الله لأنك المحسن، وهو المسىء

واليد العليا خير من اليد السفلى ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾(١).

وقد ذُهل كثير من العقلاء من جبلَّة الجحود عند الغوغاء، وكأنهم ما سمعوا الوحى الجليل وهو ينعى على الصنف عُتوَّه وتمرده ﴿مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ﴾ لا تُفاجأ إذا أهديتَ بليداً قلماً فكتب به هجاءك، أو منحت جافياً عصاً يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، فشج بها رأسك، هذا هو الأصل عند هذه البشرية المحنّطة فى كفن الجحود مع باريها جل فى علاه، فكيف بها معى ومعك(٢).

اعرف ربك

إن العبد إذا عرف ربه استحيا أن يعصاه.

* ومن ثَم فأنا أسألك: هل تعرف ربك؟.

إن الله هو فاطر السماوات والأرض وبيده مقاليد كل شىء.

أحاط بكل شىء علماً لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السموات ولا فى قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال.

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

أحاط بكل شىء علماً، وأحصى كل شىء عدداً، ووسع كل شىء رحمة وحكمة. وسع سمعه الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. لا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف

(١) سورة الإنسان: آية (٩).

(٢) لا تحزن / للشيخ عائض القرنى (ص: ٢٠، ٢١).

(٣) سورة الأنعام: آية (٥٩).

لغاتها على كثرة حاجاتها، لا يشغله سمعٌ عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بإلحاح ذوى الحاجات وسواء عنده من أسَرّ القول ومن جهر به، لا يشغله جهرُ من جَهَرَ عن سمعه لصوت من أسّر، بل هى عنده كلها كصوت واحد، كما أن الخلق جميعهم خلقهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٢).

يعلم السر وأخفى من السـر، فالسر ما انطوى عليه ضمـير العبد وخطر بقلبه ولـم تتحرك به شفتاه، وأخـفى منه ما لم يخطر بعد فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا فى وقت كذا وكذا.

بأبى أنت وأمـى يا رسـول الله حيـن تقـول: «يا أيُّهـا النـاسُ أربعـوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ، ولا غائبًا ولكنكم تدعون سميعًا قريبًا»(٣).

تقول الصديقة عائشة أم المؤمنين ﷺ: تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها: إن امرأة تنـاجى رسول الله ﷺ أسمع بعض كلامهـا ويخفى علىَّ بعض إذ أنزل الله عز وجل: **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾(٤).**

ولله در الإمام ابن القيم - رحمه الله- حين يقول:

وهو السـميع يـرى ويسـمع كل مـا
فى الـكون من سـر ومـن إعـلانِ
ولكل صـوت منه سـمع حـاضـر
فـالسـر والإعـلان مـسـتـويانِ

---

(١) سورة النحل: آية (١٩).

(٢) سورة الملك: آية (١٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٩٩٢) كتـاب الجهاد والسير، ومواضع، ومـسلم (٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى موسى الأشعرى ﷺ.

(٤) رواه ابن أبى عاصم فى «السنة» واللفظ له بإسـناد حسنه الألبانى (١/ ٢٧٨) ورواه أحمـد وابن ماجة وابن جرير وأخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وتابعه الألبانى.

والسـمع منه واسع الأصـوات لا
يخـفى عليه بعـيـدها والدانى[١]

الغيب عنده شهادة والسر عنده علانية:

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٢] .

• البصر:

وأحـاط بصره بجمـيع المرئيات فـيرى دبيب النملة السـوداء فى الليلة الظلماء، يرى خلقهـا مخها وعروقهـا ولحمها وحركتهـا، يرى من البعوض جناحها فى ظلمة الليل.

يا من يرى مـد البـعـوض جناحـه
فى ظلـمـة الليـل البـهـيـم الأليلِ
ويرى نيـاط عـروقـهـا فى نحـرها
والمخ فـى تـلـك العـظـام النُّـحَّـل

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[٣] .

له الخلق والأمر، ولـه الملك والحمد، وله الدنيـا والآخرة، وله النعـمة والفضل، والثنـاء الحسن، له الملك كله، وله الحمـد كله، وبيده الخـير كله شملت قدرته كل شىء ووسعت رحمته كل شىء.

يرفع أقوامًا ويضع آخرين، لا ينام ولا ينبغى له أن ينام.

يقول رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعـه، ويُرفع إليه عـمل الليل قبل عـمل النهار، وعـمل النهار قبل عـمل الليل،

---

(١) النونية للإمام ابن القيم.
(٢) سورة هود: آية (١٢٣).
(٣) سورة غافر: آية (١٩).

حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهِ ما انتهى إليه بصره من خلقه»(١).

* يمينه ملأى لا تغيضها نفقة:

قال ﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحَّاء الليل والنهار - وقال - أرأيتكم ما أنفق منذ خلق السماء والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه - قال - وعرشه على الماء بيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»(٢).

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره. الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة والأرض بيده الأخرى، ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك . . . أنا الملك، أنا الذى بدأت الدنيا ولم تكن شيئًا وأنا الذى أعيدها كما بدأتها. يضع السموات على أصبع من أصبع يده، والأرض على أصبع، والجبال على أصبع، والشجر على أصبع، والماء على أصبع. والسموات السبع فى كفه كخردلة فى كف العبد. ولو أن الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفًّا واحدًا ما أحاطوا بالله عز وجل.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(٣).

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٤).

قال ﷺ: «يقبض اللهُ الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٩) كتاب الإيمان، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤١٩) كتاب التوحيد، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الأنبياء: آية (١٠٤).

(٤) سورة الزمر: آية (٦٧).

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٧٣٨٢) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٨٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

«أطت السماء ويحق لها أن تئط والذى نفسُ محمد بيده ما فيها موضع شبرٍ إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده»(١) .

لو أن أهل سماواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيئًا، ولو أن خلقه أولهم وآخرهم إنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئًا.

أخى: لو أن أشجار الأرض كلها من حين وُجدت إلى أن تنقضى الدنيا أقلام، والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد لفنيت الأقلام ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق - تبارك وتعالى - وكيف تفنى كلماته - جل جلاله - وهى لا بداية لها ولا نهاية، والمخلوق له بداية ونهاية فهو أحق بالفناء والنفاد؟ وكيف يُفنى المخلوق غير المخلوق؟!

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٢) .

* هو الأول الذى ليس قبله شىء، والآخر الذى ليس بعده شىء والظاهر الذى ليس فوقه شىء، والباطن الذى ليس دونه شىء تبارك وتعالى.

* كل شىء هالك إلا وجهه وكل مُلك زائل إلا ملكه، وكل ظل قالص إلا ظله وكل فضل منقطع إلا فضله، لن يُطاع إلا بإذنه ورحمته، ولن يُعصى إلا بعلمه وحكمته. يُطاع فيشكر، ويُعصى فيتجاوز ويغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل.

---

(١) رواه ابن مردويه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٢٠).

(٢) سورة لقمان: آية (٢٦ - ٢٨).

أحق من ذُكر، وأحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأولى من شُكر، وأنصر من ابتُغى، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قُصد، وأعدل من انتقم، حلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزته، ومنعه عن حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته.

ما للعباد عليه حق واجب
كلا ولا سعى لديه ضائعُ
إن عُذبوا فبعدله، أو نُعِّموا
فبفضله وهو الكريم الواسعُ

أكبر من كل شئ، وأعظم من كل شيء، وأعز من كل شيء، وأقدر من كل شيء، وأعلم من كل شيء، وأحكم من كل شيء.

لكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسه من لغوب.

ولا يُعجزه أحد من خلقه ولا يفوته، بل هو فى قبضته أين كان، صفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال.

كل شيء من مخلوقاته دال عليه، ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه.

لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ولا ترك الإنسان سُدى عاطلاً:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[1] .

* أيجدر بك أيها الأخ الكريم بعد كل هذا أن تعصى هذا الإله العظيم الجليل.

* * *

(١) سورة المؤمنون: آية (١١٥، ١١٦).

لا تحزن وكفى بنعمة الإسلام

اعلم يا أخى أن حب الله لك سبق حبك له ... قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(١) فأنعم عليك بنعمة الإسلام إذ أنشأك وسط أبوين مسلمين **﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ﴾**(٢).

فمن ذا الذى يشفع لك فى الأزل حيث لم تكن شيئًا مذكورًا حتى سمَّاك باسم الإسلام، ووسمك بسِمة الإيمان.

فاضرع إلى الذى عصمك من السجود للصنم. وقضى لك بقدم الصدق فى القِدم، أن يتم عليك نعمة هو ابتدأها، وكانت أوليتها منه بلا سبب منك.

بل هو الذى جاد عليك بالأسباب، وهيأ لك وصرف عنك موانعها، وأوصلك بها إلى غايتك المحمودة، فتوكل عليه وحده، وعامله وحده، وآثر رضاه وحده، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التى لا تزال طائفًا بها، مستلمًا لأركانها واقفًا بملتزمها.

وقد جاء فى أثر إلهى يقول الله - عز وجل -: «يا ابن آدم خلقتك لنفسى فلا تلعب، وتكفلت لك برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبنى تجدنى، فإن وجدتنى وجدت كل شىء، وإن فُتُّك فاتك كل شىء، وأنا أحب إليك من كل شىء».

لكل شىء إذا فارقته عِوضُ

وليس لله إن فارقت من عوضِ

من فقد الله فماذا وجد؟! ومن وجد الله فماذا فقد؟!

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

(١) سورة المائدة: آية (٥٤).

(٢) سورة الحشر: آية (٦).

الإِسْلامَ دِينًا﴾(١).

فأعظم وأجل نعمة فى الكون هى نعمة الإسلام...

واعلم أخى الحبيب أننا يجب علينا جميعًا أن نفتخر بأننا نتسب لهذا الدين العظيم فيكون لسان حالنا ومقالنا فى كل وقت:

أبى الإسلام لا أب لى سواه

إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

* وها هو شاب أظهر هويته الإسلامية وافتخر بانتسابه لهذا الدين فأكرمه الله - عز وجل - ويسر له كل أسباب الخير.

يحدث أحد الشباب، وهو من الذين ذهبوا للدراسة فى أوربا: أن هناك رجلاً أسلم من الأوروبيين وحسن إسلامه وصار حريصًا على تطبيق شعائر الإسلام كلها، حريصًا على أن يظهر إسلامه ويعتز به أمام الكفار دون خجل أو حياء أو تردد، حتى ولو لم يكن هناك مناسبة، فإنه يحرص على ذلك يقول: فأُعلن فى إحدى المؤسسات الكافرة عن فرصة وظيفية فتقدم لها هذا المسلم الفخور بإسلامه، وكان لابد من المقابلة الشخصية، والتنافس قائم على هذه الوظيفة فلما بدأت المقابلة سألته اللجنة الخاصة بالمؤسسة عدة أسئلة كان منها: هل تشرب الخمر؟ فأجاب قائلاً: لا أشرب الخمر؛ لأننى أسلمت ودينى يمنعنى من معاقرة الخمر وشربها. قالت اللجنة: «هل لك خليلات وصديقات؟».

قال صاحبنا: «لا... لأن دينى الإسلام الذى أنتسب إليه يحرم علىَّ ذلك ويقصر علاقتى على زوجتى التى نكحتها بمقتضى شريعة الله -عز وجل- وخرج وهو شبه يائس من أن ينجح فى هذه المسابقة، ولكن النتيجة أن جميع هؤلاء المتسابقين - وكان عددهم كبيرًا - فشلوا ونجح هو وحده

(١) سورة المائدة: آية (٣).

فى هذه المسابقة؛ فذهب إلى مسؤول اللجنة وسأله قائلاً: كنت أنتظر أن تحرمونى من هذه الوظيفة عقابًا لى على مخالفتى لكم فى دينكم، وعلى اعتناق الإسلام، ولكنى فوجئت بقبولى على إخوانكم من النصارى فما سر ذلك؟!

قال: إن المرشح لهذه الوظيفة كان يشترط فيه أن يكون شخصًا منتبهًا فى جميع الحالات حاضر الذهن، والشخص الذى يتعاطى الخمر لا يمكن أن يكون كذلك، فكنا نترقب شخصًا من الذين لا يشربون الخمر، ونظرًا لتوفر هذا فيك فلقد وقع الاختيار عليك فى هذه الوظيفة.

فما الذى منع هذا المسلم من أن يكذب، أو يخفى أمره، أو يتلاعب بالألفاظ، إنها التقوى فما كان من بركة الله للمتقين أمثاله إلا التيسير والرزق من حيث لا يحتسبون[١].

لا تحزن فالدين منصور والدعوة باقية

كثير من الناس يظن أن الدنيا انتهت، وأن القيامة قد قامت، وأن الإسلام قد انكسر فلا يستقيم له شأن... كل ذلك بسبب موت بعض المعظَّمين لديه، من علماء أفاضل وشيوخ كرام، وهذا فهم خاطئ نتج عن جهل بحقيقة هذا الدين، فهذا الدين لا يرتبط بقاؤه ببقاء رجل بعينه، أو رجال بأعينهم، ولو كان كذلك لانتهى بموت النبى ﷺ.

ولقد كان القرآن صريحًا فى تقرير هذا المبدأ، فبعدما أشُيع أن رسول الله ﷺ قُتل فى يوم أُحد انكسر بعض المسلمين وتخاذلوا، وظنوا أن الإسلام قد أُتى من قِبل الكفار، فعاتبهم الله على ذلك بقوله: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**

(١) قصص وعبر (الجزء الثانى) / للمصنف (ص: ٣٥، ٣٦).

فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[(١)(٢)].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: لما انهزم مَن انهزم من المسلمين يوم أُحد، وقُتل مَن قُتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين، فقال لهم: قتلتُ محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجّه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وجوّزوا عليه ذلك، كما قد قصَّ الله عن كثير من الأنبياء عليهم السلام، فحصل ضعف ووهن، وتأخُّر عن القتال، ففي ذلك أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾[(٣)] أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه.

قال ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه فقال له: يا فلان! أشعرت أن محمدًا قد قُتل؟

فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قُتل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزلت الآية.

ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف: ﴿**أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ**﴾[(٤)] أي: رجعتم القهقرى، ﴿**وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[(٥)] أي: الذين قاموا بطاعته، وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله ﷺ حيًّا وميتًا»[(٦)].

فإذا كان هذا في شأن رسول الله ﷺ فما الحال بغيره ممن لا يساوي قطرة في بحر بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ؟!

* * *

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٤٤).

(٢) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٦٣).

(٣، ٤، ٥) سورة آل عمران: آية (١٤٤).

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٣٣).

ميزان الرجولة

لا يغرّك من الرجل طنطنته، وما تراه يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعُزلة عن الخلق.

إنما الرجل هو الذى يراعى شيئين: حفظ الحدود، وإخلاص العمل.

فكم قد رأينا متعبداً يحرق الحدود بالغيبة، وفعل ما لا يجوز مما يوافق هواه!

وكم قد اعتبرنا على صاحب دين أنه يقصد بفعله غير الله تعالى.

وهذه الآفة تزيد وتنقص فى الخلق.

فالرجل كل الرجل: هو الذى يراعى حدود الله، وهى ما فرض عليه وألزم به.

والذى يحسن القصد، فيكون عمله وقوله خالصًا لله تعالى، لا يريد به الخلق ولا تعظيمهم له.

فرُبَّ خاشع ليقال: ناسك، وصامت ليقال: خائف، وتارك للدنيا ليقال: زاهد.

وعلامة المخلص أن يكون فى جلوته كخلوته، وربما تكلف بين الناس التبسم والانبساط لينمحى عنه اسم زاهد.

فقد كان ابن سيرين يضحك بالنهار، فإذا جن الليل فكأنه قتل أهل القرية من كثرة البكاء.

واعلم أن المعمول معه لا يريد الشركاء، فالمخلص مفرد له بالقصد، والمرائى قد أشرك ليحصل له مدح الناس.

وذلك ينقلب؛ لأن قلوبهم بيد مَن أشرك معه، فهو يقلبها عليه لا إليه.

فالموفق مَن كانت معاملته باطنة وأعماله خالصة.

وذلك الذى تحبه الناس وإن لم يبالهم، كما يمقتون المرائى وإن زاد تعبُّده.

ثم إن الرجل الموصوف بهذه الخصال لا يتناهى عن كمال العلوم ولا يقصر عن طلب الفضائل.

فملأ الزمان أكثر ما يسعه من الخير، وقلبه لا يفتر عن العمل القلبى إلى أن يصير شغله بالحق سبحانه وتعالى(١).

لا تحزن.... وسأخبرك كيف تسقط العقوبة عنك

إذا وقع العبد المؤمن فى المعصية فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، إذا أخلصوا واتقوا.

هذا وقد استقرأ بعض العلماء الأسباب التى تُسقط العقوبة عن المعاصى فى نصوص القرآن والسنة، ونلخص للأخ القارئ ما خلص إليه شارح العقيدة الطحاوية فى هذا الموضوع.

فقد قال: «إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة»، ثم ذكر منها ما يلى:

• السبب الأول: التوبة:

فقد قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾(٢).

وقال أيضًا: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٣).

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٤٣٧، ٤٣٨).

(٢) سورة مريم: آية (٥٩، ٦٠).

(٣) سورة البقرة: آية (١٦٠).

والتوبة التى تُسقط العقوبة هى التوبة النصوح، وهى الخالصة النابعة من القلب، لا المقتصرة على النطق باللسان، ..... وهى ما يصحبها الندم على ما فات من المعاصى، والعزم على عدم العودة إليها، وعمل الصالحات.

وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بها مما لا خلاف فيه بين الأمة. وليس شىء يكون سببًا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١).

• السبب الثانى: الاستغفار:

فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢) والواقع أن الاستغفار يدخل فى معنى التوبة، فإن الاستغفار طلب مغفرة الذنوب التى وقع فيها العبد، وهو ما يدخل فى الندم على ما قدم الإنسان، فإن طلب المغفرة عنوان هذا الندم، وتزيد التوبة عن الاستغفار أن فى معناها العزم على اجتناب المعاصى فى المستقبل.

• السبب الثالث: فعل الحسنات:

فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(٣).

• السبب الرابع: الوقوع فى المصائب الدنيوية:

لقوله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصَب، ولا نصب، ولا غم، ولا هم، ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»(٤).

واعلم أن تكفير الخطايا يكون بسبب وقوع المعصية نفسها، فإذا صبر

---

(١) سورة الزمر: آية (٥٣).

(٢) سورة الأنفال: آية (٣٣).

(٣) سورة هود: آية (١١٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما.

المبتلى فاز بثواب جديد فوق تكفير خطاياه، وإن سخط اكتسب إثمًا جديدًا، ويبقى تكفير خطاياه بوقوع المصيبة.

• السبب الخامس: عذاب القبر.

• السبب السادس: أهوال يوم القيامة وشدائده.

• السبب السابع: شفاعة من أذن الله لهم بالشفاعة يوم القيامة.

• السبب الثامن: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة.

كما قال تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[(١)].

• السبب التاسع: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

• السبب العاشر:

ما رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نُقوا وهُذبوا أُذن لهم بدخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل منه بمسكنه كان له في الدنيا»[(٢)].

• السبب الحادي عشر: ما يُهدَى للعبد المؤمن من ثواب الصدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك.

فقد اتفق أهل السنة على أن الأموات من المؤمنين ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

الأمر الأول: ما تسبب إليه الميت في حياته، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم يُنتفع به من بعده»[(٣)].[(٤)].

الأمر الثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم والصدقة والحج.

---

(١) سورة النساء: آية (٤٨).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٠) كتاب المظالم والغصب، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) كتاب الوصية، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٣٢٧-٣٢٩) بتصرف.

من أراد المنزلة العليا فى الجنة

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله -: من أراد المنزلة العليا فى الجنة، فعليه أن يكون فى المنزلة العليا فى الدعوة إلى الله - جلَّ وعلا -.

قال تعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾[1].

والربانى مَنْ اجتمعت فيه ثلاث خصال وهى: العلم، والعمل، والتعليم، فاحرصـوا يا أيها الأبرار، على طلب العلم ما حييتم، وليكن طلبكم العلم وسيلةً للعمل الصالح.

اعلم أن العامل بلا علم كـالسائر بلا دليل، ومـعلوم أن عطب مثل هذا أقرب من سلامته اتفاقًا فهو غير محمود بل مذموم عند العقلاء.

وكان شيخ الإسلام ابن تيـمية يقول: مَنْ فارق الدليل، ضلَّ السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ.

* قال الخطيب البـغدادى فى «الفقيـه والمتفقـه» ونقل ذلك ابن القيم فى «مفتاح دار السعادة»:

فالعـالم الربانى هو: الذى لا زيادة على فضله لفـاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجـتهد، وقد دخـل فى الوصف له بأنه ربانى وصفه بالصـفات التى يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفهُ بما يخالفها.

وقـال أبو عمـرو الزاهد: سألـت ثعلبًا عن هذا الحـرف، وهو الربانى، فقال: سألت ابن الأعـرابى، فقال: إذا كان الرجل عالمًا عامـلاً معلمًا، قيل له: هذا ربانى، فإن خرم عن خصلة منها، لم نقل له: ربانى[2].

(١) سورة آل عمران: آية (٧٩).

(٢) الفقيه والمتفقه (١/ ٥١)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٢٤)..

- **جزاء العلماء الربانيين:**

إنما تعظم الجائزة على قدر عظم المهمة، ولما كان لطلب العلم الشرعى منزلة عظيمة فى هذا الدين، فقد أعدَّ الله للعلماء وطلاب العلم الربانيين الصادقين، ثوابًا عظيمًا جزيلاً إذا سمعته قلوب المؤمنين، اهتزت فرحًا وطربًا له، واشتاقت إلى نيله وتحصيله، فهلُمَّ يا أخا الإسلام، لنتأمل معًا فى الجوائز والنفائس التى تنتظر أهل العلم الصادقين.

قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة»**(١).

وقال ﷺ: **«فضلُ العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ بحظٍّ وافر»**(٢).

وبلغ من منزلة أهله عند الله - جلَّ فى علاه - أن كل شىء فى الأرض، وفى السماء يستغفر لهم، حتى البهائم والدواب.

قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وملائكته - حتى النملة فى جُحرها، وحتى الحوت فى البحر - ليصلُّون على مُعلم الناس الخير»**(٣).

وقال ﷺ: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ،أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**(٤).

وقال ﷺ: **«من جاء مسجدى هذا، لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يُعلِّمه، فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله»**(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٤٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٣٦٤١) كتاب العلم، وابن ماجه (٢٢٣) فى المقدمة، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الترغيب والترهيب (٧٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٨٥) كتاب العلم، من حديث أبى أمامة الباهلى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٦٨٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٢٧) فى المقدمة، وأحمد (٩١٣٨)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦١٨٤).

وصايا غالية

• من وصايا الإمام على بن أبى طالب لابنه الحسين « رضي الله عنهما »:

* يا بنى! أوصيك بتقوى الله فى الغيب والشهادة.
* وكلمة الحق فى الرضا والغضب.
* والقصد فى الغنى والفقر.
* والعدل فى الصديق والعدو.
* والرضا عن الله - عزَّ وجلَّ - فى الشدة والرخاء.
* يا بنى! كلّ نعيم دون الجنة محقور.
* وكل بلاء دون النار عافية.
* ومَنْ أبصر عيب نفسه، شُغِلَ عن غيره.
* ومَنْ رضى بما قسم الله له، لم يحزن على ما فاته.
* ومَنْ سلَّ سيف البغى، قُتل به.
* ومَنْ حفر بئرًا لأخيه، وقع فيها.
* ومَنْ هتك حجاب غيره، انكشفت عورات بيته.
* ومَنْ أُعجب برأيه، ضلّ.
* ومَنْ كابد الأمور، عطب.
* ومَنْ نسى خطيئته، استعظم خطيئة غيره.
* ومَنْ اقتحم البحر، غرق.
* ومَنْ استغنى بعقله، زلّ.
* ومَنْ تكبر على الناس، ذَلَّ.
* ومَنْ سفه عليهم، شُتم.
* ومَنْ دخل مداخل السوء، اتُّهم.
* ومَنْ جالس الأنذال، حقر.

* ومَنْ جالس العلماء، وقر.
* ومَنْ مزح، استُخف به.
* ومَنْ اعتزل، سلم، ومَنْ ترك الشهوات، كان حراً.
* ومَنْ ترك الحسد، كان له محبة فى الناس»[١].

فوائد السعادة

١- السعادة تمنح الإنسان راحة نفسية وقبول ذاتى.
٢- السعادة تُدخل على الأسرة السرور والروح والهدوء.
٣- السعادة تربى الأولاد على طبيعة الحياة الإيجابية.
٤- السعادة تساعد الإنسان على الاهتمام بالأهداف السامية بدلاً من الانشغال بالنفس والجسد.
٥- السعادة تمنح الجسد انسجامية رائعة، مما يجعل أجهزة الجسد المتنوعة تعمل بكفاءة.
٦- السعادة تعطى الشخص الفرصة لأن يكون مبدعًا ومخترعًا.
٧- السعادة تضفى على المجتمع الفرحة، فينسجم وينتج[٢].

من طلب الراحة، ترك الراحة

ولو تساءلت: إذا كانت ثمرة هذه السعادة ما ذكرت فلماذا أعرض أكثر الناس عنها؟

والجواب: إنما رغب أكثر الخلق عن اكتساب هذه السعادة وتحصيلها وعُورة طريقها وتعب تحصيلها، وأنها لا تُنال إلا على جسر من التعب، ولا تحصل إلا بالجدّ.

---

(١) دليلك إلى السعادة النفسية ص (٩ - ١٧) بتصرف.
(٢) «١٠٠ فكرة للحصول على السعادة الحقيقية»/ د. صلاح الراشد (ص: ٢١).

قال الشاعر:

لولا المشـــقــةُ ســـاد الناس كـلهم
الجـــود يفـــقـــر والإقـــدام قـــتـــالُ

فالمكارمُ منوطة بالمكاره، والسعـادة لا يُعبَر إليها إلا على جسـر المشقة، فلا تقطع مسافتها إلا سفينة الجدِّ والاجتهاد.

* **قال مسلم في صحيحه**: قال يحيى بن أبي كثير: لا يُنال العلم براحة الجسم.
* **وقد قيل**: مَنْ طلب الراحة، ترك الراحة.

فـــيـا وصلَ الحـبـيـب أمـا إليـه
بغـــيـــر مـــشـــقـــة أبدًا طـريق

ولولا جهل الأكثـرين بحلاوة هذه اللذة وعظم قدرها؛ لتجـالدوا عليها بالسيـوف، ولكن حُفّت بحجـابٍ من المكاره، وحُجـبوا عنها بحـجابٍ من الجهل؛ ليختص الله بها من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم(١).

من مقومات السعادة

إن من مقومات السعادة: قلب شاكر، ولسان ذاكر، وزوجة مؤمنة.

قال ﷺ: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا: المرأة الصالحة»(٢).

وقال: «ليتخـذ أحدُكُم قلبًا شاكـرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مـؤمنة تعينه على أمر الآخرة»(٣).

وفي رواية: «وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك، خير ما اكتنز الناس»(٤).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.

(٢) **صحيح**: رواه مسلم (١٤٦٧) كتاب الرضاع، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذي (٣٠٩٤) كتاب تفسير القرآن، وابن ماجه (١٨٥٦) كتاب النكاح، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢١٧٦).

(٤) **صحيح**: رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٠٥)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٤٤٠٩).

وقال عن أركان السعادة الأربع: «فمن السعادة: المرأة الصالحة تراها تعجبك، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك»(١).

* وصدق من قال:

من خير ما يتخذ الإنسان في
دُنياه كيما يستقيم دينُه
قلب شكور ولسان ذاكر
وزوجة صالحة تُعينُه

* وقال الإمام ابن عبد القوى فى «منظومة الآداب»:

وخير النسا مَن سَرَّت الزوجَ منظرًا
ومَن حفظته فى مَغيب ومشهدِ
قصيرةُ ألفاظٍ قصيرةُ بيتها
قصيرةُ طرف العين عن كل أبعدِ
عليك بذات الدين تظفر بالمنى الـ
ـودود الولود الأصل ذات التعبدِ(٢)

السجن أخو القبر من الرضاع

السجن بيت الوحدة، وأخو القبر من الرضاع، شماتة للحاسد، ومناحة للصديق، يطوى العمر فيه طى السجل للكتب، تقف فيه عقارب الساعة فكأن اليوم شهر، والشهر سنة، وكأن الشمس شُدت بيد، بل فى السجن يركد الخاطر ركود حائطى السجن، وتذوب النفس، وتلين العريكة وتنقطع الآمال. فى الحبس تُذاق حياة البرزخ... كل شىء قديم، لا جديد إلا

(١) حسن: رواه الحاكم فى المستدرك (٢/ ١٧٥)، من حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٠٥٦).
(٢) انظر: «غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب» (٢/ ٣٤٢-٣٥٠).

وجه السجان إذا استلم نوبته، ولا أخبار إلا رؤى المنام، ولا براهين إلا أماني وإن هُمْ إلا يظنون، يقول أحد المسجونين:

إذا جاءنا السَّجان يومًا لحاجة
فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فَجُل حديثنا
إذا ما تحدثنا الحديث عن الرؤيا

السجن يستحثُّ الشيب ويجلب الهِرم، ويساوم على النفس في سوق الموت، السجين لا حي فيُدعى، ولا ميت فيُنعى، ولا مريض فيعاد، ولا صحيح فيُزار.

ولكن الحبس أيضًا مدرسة للصبر، ومجلبة للأجر، وكتاتيب للتجارب، فيه تُغرر الفكرة، وتُدر العَبرة، وتُقلم أظفار الشهوات، وتُباد خضراء المعاصي.

في السجن تعرف الحياة كما هي، وتنزل النفس منزلتها فتجتث فيه شجرة الكبر، وتحرق فيه أسمال الرياء، وتظهر فيه زهادة المال، وحقارة المنصب وتفاهة الجاه، وضآلة الناس، الحبس كير يُذهب خبث الحديد، وكيٌّ للروح بميسم القدرة يحرق غدد الغرور، وفي الحبس تتسابق الدموع الصادقة؛ لتروي خدود اللوعة، وأجفان الانتظار، ولسان الحال يقول: ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله[١].

تعلم مهارة الاسترخاء

حينما تطل المشكلات برؤوسها، وتكثر الفوضى النفسية بداخلك، ولا تستطيع إيجاد الحلول المناسبة، مما يحول بينك وبين الهدوء والطمأنينة والسعادة؛ فعليك بالاسترخاء ودع الصمت يخيم على نفسك . . .

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ٣٢٨، ٣٢٩).

كُف عن التفكير بضع ساعات . . .

-اتجه بكُليتك إلى الله واطلب منه المدد العاجل، وسترى أن قوة الله قاهرة، وأن دليلاً هاديًا سوف يدل على الحل الصحيح (١).

وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم

قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

فى هذه الآية عدة حِكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتى بالمحبوب، والمحبوب قد يأتى بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد. ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضى من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له؛ لما يرجو فيه من حُسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يقترح على ربه، ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له، فلعلَّ مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختار على ربه شيئًا، بل يسأله حُسن الاختيار له، وأن يُرضيه بما يختاره، فلا أنفع له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فوض إلى ربه، ورضى بما يختاره له، أمده فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصرف عنه الآفات التى هى عُرضة اختيار العبد لنفسه، وأراه من حُسن عواقب اختياره له، ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنها: أنه يريحه من الأفكار المتعبة فى أنواع الاختيارات، فلو رضى باختيار الله أصابه القدر وهو محمود مشكور ملطوف به فيه، وإلا جرى

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٤٩، ٥٠).

(٢) سورة البقرة: آية (٢١٦).

عليه القدر وهو مذموم غير ملطوف به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه، ومتى صح تفويضه ورضاه، اكتنفه فى المقدور العطف عليه واللطف به فيصير بين عطفه ولطفه، فعطفه يقيه ما يحذره، ولطفه يهون عليه ما قدَّره[(١)].

* يقول الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:

إن الرضا من جملة ثمرات المعرفة، فإذا عرفته رضيت بقضائه، وقد يجرى ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الرّضى.

أما العارف فتقل عنده المرارة، لقوة حلاوة المعرفة.

فإذا ترقَّى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة، كما قال القائل:

عذابه فيك عَذْبٌ
وبُعده فيك قُرب
وأنت عندى كروحى
بل أنت منها أحب
حسبى من الحب أنى
لما تحب أحب[(٢)]

الجنة ودرجاتها

والله إنى لأتخايل دخول الجنة ودوام الإقامة فيها من غير مرض ولا بُصاق ولا نوم ولا آفة تطرأ، بل صحة دائمة وأغراض متصلة لا يعتريها منغص، فى نعيم متجدد فى كل لحظة، إلى زيادة لا تتناهى. فأطيش ويكاد الطبع يضيق عن تصديق ذلك، لولا أن الشرع قد ضمنه.

---

(١) «الفوائد»: الإمام ابن القيم (ص: ٢٠٠ - ٢٠٢) بتصرف.

(٢) صيد الخاطر (ص: ١٠٥).

معلوم أن تلك المنازل إنما تكون على قدر الاجتهاد ههنا. فواعجبًا من مضيع لحظة فيها.

فتسبيحة تغرس له فى الجنة نخلة أُكلها دائم وظلها.

فيا أيها الخائف من فوت ذلك، شجع قلبك بالرجاء.

ويا أيها المنزعج لذكر الموت تلمح ما بعد مرارة الشربة من العافية.

فإنه من ساعة خروج الروح، لا بل قبل خروجها تنكشف المنازل لأصحابها فيهون سير المجذوب للذة المنتقل إليه.

ثم الأرواح فى حواصل طير تعلق فى أشجار الجنة.

فكل الآفات والمخافات فى نهار الأجل، وقد اصفرت شمس العمر. فالبدار البدار قبل الغروب ولا معين يرافق على تلك الطريق إلا الفكر، إذا جلس مع العقل فتذاكرا العواقب.

فإذا فرغ ذلك المجلس، فالنظر فى سير المجدّين فإنه يعود مستجلبًا للفكر منها للفضائل، والتوفيق من وراء ذلك.

ومتى أرادك لشيء، هيأك له.

فأما مخالطة الذين ليس عندهم خبر إلا العاجلة فهو من أكبر أسباب مرض الفهم وعلل العقل.

والعزلة عن الشر حمية، والحمية سبب العافية(١).

اليد العليا خير من اليد السفلى

المسلم يعيش حياة الوسطية بلا إفراط ولا تفريط، فهو إن كان يمتلك المال الكثير لا يُبذر ولا يستعمل المال فى معصية الله - جلَّ وعلا - بل إنه يجمع المال ابتداءً من الحلال، ثم يخرج منه زكاة المال إن بلغ النِّصاب وحال عليه

(١) صيد الخاطر (ص: ٣٤٥ ، ٣٤٦).

الحول. . . . ولا يستعمل هذا المال فى معصية الله بل ينفقه فى الحلال الطيب ولا يبذر. . . ممتثلاً بذلك قول النبى ﷺ : «نعمَ المال الصالح للرجل الصالح»(١).

* وهو فى نفس الوقت إن كان فقيراً لا يسأل الناس شيئًا، فقد قال ﷺ : **«لا تزال المسألة بأحدكم؛ حتى يلقى الله تعالى وليس فى وجهه مُزعة لحم»(٢).**

* **وعن أبى هريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«من سأل الناس تكثرًا، فإنما يسأل جمرًا، فليستقلَّ أو ليستكثرَ»(٣).**

* **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«من أصابته فاقةٌ فأنزلها بالناس لم تُسدَّ فاقته، ومَنْ أنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل، أو آجل»(٤).**

* ومن هنا جاء الحثُّ على الأكل من عمل اليد. . . والتعفف عن السؤال.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥).

* **وعن أبى عبد الله الزبير بن العوام** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ : **«لأن يأخذ أحدكم أحبُلَهُ ثم يأتى الجبل، فيأتى بحزمة من حطب على ظهره**

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٧٣٠٩) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى المشكاة (٣٧٥٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٧٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٤٠) كتاب الزكاة، من حديث عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما.

* قيل: معناه يأتى يوم القيامة ذليلاً لا وجه له عند الله. وقيل: هو على ظاهره فيُحشر ووجهه عظمٌ لا لحم فيه، عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه كما جاءت الأحاديث الأخرى بالعقوبات فى الأعضاء التى كانت بها معاصى، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالاً منهيًا عنه وأكثر منه. كما قال فى الرواية الأخرى «من سأل الناس تكثرًا» والله أعلم.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٤١) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

*تكثرًا: أى: ليكثر ماله لا للاحتياج.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (١٦٤٥) كتاب الزكاة، والترمذى (٢٣٢٦) كتاب الزهد، وأحمد (٣٦٨٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٨٧).

(٥) سورة الجمعة: آية (١٠).

فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه»(١).

* **وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدًا، فيعطيه أو يمنعه»(٢).**

* **وعنه عن النبى ﷺ قال: «كان داود - عليه السلام - لا يأكل إلا من عمل يده»(٣).**

* **وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان زكريا - عليه السلام - نجارًا»(٤).**

* **وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ عن النبى ﷺ قال: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده»(٥).**

* لكن يجوز له أن يأخذ من غير مسألة ولا تطلع.

* عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يعطينى العطاء، فأقول: أعطه من هو أفقر إليه منى، فقال: **«خذه... إذا جاءك من هذا المال شىء، وأنت غير مشرف ولا سائل، فخذه فتموله فإن شئت كله، وإن شئت تصدق به، وما لا، فلا تُتبعه نفسك»** قال سالم: فكان عبد الله لا يسأل أحدًا شيئًا، ولا يرد شيئًا أُعطيه... (٦).

* * *

(١) صحيح: رواه البخارى (١٤٧١) كتاب الزكاة، من حديث الزبير ﷺ.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٠٧٤) كتاب البيوع، ومسلم (١٠٤٢) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٣) كتاب البيوع، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٣٧٩) كتاب الفضائل، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٥) صحيح: رواه البخارى (٢٠٧٢) كتاب البيوع، من حديث المقدام ﷺ.

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٧٣) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٤٥) كتاب الزكاة، من حديث عبدالله ابن عمر ﷺ.

ما نقص مال عبدٍ من صدقة

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(١).

وقال ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مالُ عبد من صدقة.....»(٢).

* وتعالوا بنا لنقف وقفة مع قول النبي ﷺ: «ما نقصَ مالُ عبد من صدقة».

أقول يا إخواني: إن كثيرًا من أهل هذا الزمان أحسنوا الظَّنَّ بأنفسهم وأساءوا الظنِّ بالله - جلَّ وعلا -.

وأكبر دليلٍ على هذا الكلام أنه عندما ظهرت شركات توظيف الأموال وعرضت على الناس أن يعطوهم أموالهم ليستثمروها مقابل فائدة وربحٍ كبير؛ فإن الناس أسرعوا ووضعوا أموالهم طمعًا في الربح الوفير ... وفي المقابل فإن الملك - جلَّ جلاله - ينادي على عباده منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، ويقول: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(٣).

ومع ذلك لا تجد أحدًا - إلا مَنْ رحم الله - يتاجر مع ربه تلك التجارة الرابحة، ... فكانت النتيجة والعقوبة أن ضاعت الأموال حتى قال بعضهم: يا ليتني تصدقت بمالي كله بدلاً من ضياعه بغير حسنة واحدة.

- ويذكر الشيخ «على الطنطاوي» أنه عندما دخل الاستعمار إلى بعض بلاد الشام ... قام الشيخ ليجمع التبرعات لشراء الطعام والسلاح للشعب... وبينما كان الشيخ يمر على التجار؛ ليطلب منهم المساعدة لإخوانه المسلمين،

---

(١) سورة سبأ: آية (٣٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٥) كتاب الزهد، من حديث أبو كبشة الأنماري ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٢٨٧).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٤٥).

إذ قال له تاجر من الأثرياء: أنا لن أدفع شيئًا؛ لأن الأمر لا يهمني.

يقول الشيخ: وتمر الأيام، وبينما أنا في أحد المعسكرات أوزع الماء والطعام على الناس وإذا بي أرى رجلاً يهرب مني، فلما اقتربت منه وقدمت له الطعام وجدته يبكي، فنظرت في وجهه؛ فإذا هو التاجر الثرى الذى رفض مساعدة إخوانه... فقال لي ودموعه على خده: يا ليتك أخذت مالي كله في سبيل الله، فقد استولى المستعمرون على مالي ولم يبق لي درهم ولا دينار.

بالكرم ينشرح صدرك

من المعلوم أن غلَّ الروح جزء من غل اليد... قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[1] والبخلاء هم أضيق الناس صدورًا وأخلاقًا.... وأهل الكرم هم أشرح الناس صدورًا وأسعدهم قلوبًا.

- لقد كان الرجل البدوى في الصحراء يوقد النار رغبةً في أن يأتيه الضيفان؛ ليأكلوا معه من زاده وطعامه ويكره أن يأكل وحده، فلما جاء النبي ﷺ بأعظم رسالة وأسلم هؤلاء الناس ربَّاهم النبي ﷺ على البذل والإيثار فكان الرجل ينفق أكثر وأكثر راغبًا فيما عند الله - جلَّ وعلا-.

* فالشاهد أنه كلما أنفقت على من حولك فإن السعادة تملأ قلبك.

وقد وصف ﷺ البخيل والكريم برجلين عليهما جُبَّتان، فلا يزال الكريم يعطى ويبذل، فتتوسَّع عليه الجـبَّة والدرع من الحديد حتى يعفو أثره، ولا يزال البخيل يمسك ويمنع، فتتقلَّص عليه، فتخنقه حتى تضيق عليه روحه!

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثُديهما إلى تراقيهما، فأما المنفق، فلا ينفق إلا سَبَغت، أو وَفَرت على جلده حتى تُخفى بنانه، وتعفو أثره، وأما البخيل،

---

(١) سورة الإسراء: آية (٢٩).

فلا يريد أن ينفق شيئًا إلاَّ لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع»(١) .

طعام بطعام

كان شيخ كريم، فقير في حاله لكنه لا يرد سائلاً قط، ولطالما لبس الجبة أو الفروة، فلقى بَردان يرتجف، فنزعها فدفعها إليه وعاد إلى البيت بالإزار، وطالما أخذ السفرة من بين أولاده فيعطيها السائل، وفي يوم من أيام رمضان وقد وُضعت المائدة انتظاراً للأذان فجاءه السائل يقسم أنه وعياله بلا طعام، فابتغى الشيخ غفلة من امرأته وفتح له وأعطاه الطعام كله، فلما رأت امرأته صرخت وأقسمت - من الغضب - أنها لا تبقى عنده بينما هو ساكت، ولم تمر نصف ساعة حتى قرع الباب وجاء من يحمل الأطباق فيها ألوان الطعام والحلوى والفاكهة، فسألوا: ما الخبر؟ وإذا هو أن أحد الأغنياء كان قد دعا بعض الكبار فاعتذروا، فغضب وحلف ألا يأكل أحد من الطعام، وأمر بحمله كله إلى دار الشيخ الفقير الكريم.

أخي الحبيب: أنفق ولا تخشَ الفاقة، فلقد قال - جلَّ وعلا - كما في الصحيحين: **«أنفق، أُنفق عليك»**(٢) وقال تعالى: **﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**(٣) .

وقال ﷺ : «ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة.....»(٤) .

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (١٤٤٤) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٢١) كتاب الزكاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

* و«الجنة» الدِّرعُ، ومَعنَاهُ: أن المنفق كلما أنفق سبغت، وطالت حتى تجر وراءه، وتخفى رجليه وأثر مشيه وخطواته.

(٢) **متفق عليه:** رواه البخاري (٤٦٨٤) كتاب تفسير القرآن، ومسلم (٩٩٣) كتاب الزكاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة سبأ: آية (٣٩).

(٤) **صحيح:** رواه الترمذي (٢٣٢٥) كتاب الزهد، من حديث أبو كبشة الأنماري رضي الله عنه ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في المشكاة (٥٢٨٧).

لا تحرص على الشهرة ... حتى لا تحزن

فالشهرة لها ضريبة حاضرة من الهمِّ والغمِّ والكدر.

* وانظر إلى حال سلفنا الصالح وخوفهم من الشهرة:

مَنْ أخمل النفس أحياها وروَّحها
ولم يبتْ طاويًا منها على ضَجَرِ
إنَّ الرياح إذا اشتدت عواصفُها
فليس ترمى سوى العالى من الشجر

«كان العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغِلوا، فإذا شُغلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبوا، فإذا طُلِبوا هربوا».

* وقال شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك: «قال لى سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحدًا إلا وقد نهانى عن الشهرة»(١).

* وعن إبراهيم النخعى والحسن قالا: كفى بالمرء شرًّا أن يُشار إليه بالأصابع فى دين أو دنيا إلا من عَصِمَ الله؛ .... التقوى هاهنا يومئ إلى صدره ثلاث مرات»(٢).

ولما كان المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة فى القلوب، وحب الجاه هو منشأ كل فساد، لذا كان الهرب والخوف من الشهرة من دلائل الإخلاص.

* عن ثابت البنانى قال: «قال لى محمد بن سيرين: يا أبا محمد، لم يكن يمنعنى من مجالستكم إلا مخافة الشهرة»(٣).

* وانظر إلى أبى مُحيريز عبد الله بن مُحيريز الذى قال فيه رجاء بن

(١) «الحلية» (٧/ ٢٣).
(٢) «تهذيب الحلية» (٢/ ١٩٣).
(٣) «تهذيب الحلية» (١/ ٣٩٠).

حيوة: إن كنتُ لأعدُّ بقاء ابن محيريز أمانًا لأهل الأرض.

* **عن بشير بن صالح قال:** «دخل ابن محيريز حانوتًا بدانق، وهو يريد أن يشترى ثوبًا، فقال رجل لصاحب الحانوت: هذا ابن محيريز، فأحسن بيعه، فغضب ابن محيريز وخرج، وقال: إنما نشترى بأموالنا، لسنا نشترى بديننا!!

وكان ابن محيريز يقول: اللهُم إنى أسألك ذِكرًا خاملاً».

* **عن ابن محيريز قال:** «صحبت فضالة بن عبيد صاحب رسول الله ﷺ فقلت: أوصنى -رحمك الله-، قال: احفظ عنى ثلاث خصال، ينفعك الله بهن: إن استطعت أن تعرف ولا تُعْرَف فافعل، وإن استطعت أن تستمع ولا تتكلم فافعل، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلس إليك فافعل».

* **وكان أبو هريرة ؓ يقول:** «لولا آية فى كتاب الله ما حدّثتكم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ**﴾(١) (٢).

وقد كان عبد الرحمن بن أبى ليلى - رحمه الله تعالى - يقول: «أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم - رضى الله تعالى عنهم - محدث إلا ويودّ أنَّ أخاه كان كفاه الحديث ولا مُفتٍ إلا ويودّ أنَّ أخاه كان كفاه الفُتيا».

• الهرب من الشهرة خوفًا من العُجب:

* كان سفيان الثورى - رحمه الله تعالى - يقول: «قَلّ عالم تكبر حلقة درسه إلا ويطرقه العجب بنفسه. وقد مرّ الحسن البصرى على طاوس - رحمهما الله تعالى - وهو يملى الحديث فى الحرم فى حلقة كبيرة، فقرب منه وقال له فى أذنه: إن كانت نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس، فقام طاوس فوراً .... وقد مرّ إبراهيم بن أدهم على حلقة بشر الحافى -

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٩).

(٢) تنبيه المغترين (ص: ٢٧).

رحمهما الله تعالى - فأنكر عليه لكبر حلقة درسه، وقال: لو كانت هذه الحلقة لأحد من الصحابة ما أمن على نفسه العجب».

قال الفضيل بن عياض -رحمه الله -: «من أحب أن يُذكر لم يُذكر، ومن كرِه أن يُذكر ذُكر»(١).

وقال بشر بن الحارث: «لا أعلم رجلاً أحب أن يُعرف، إلا ذهب دينه فافتضح. . . . وقال: ما اتقى الله من أحب الشهرة».

وقال بشر: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس»(٢).

* وقال الحسن: «كانت دار ابن المبارك بمرو كبيرة. . . صحن الدار نحو خمسين ذراعًا فى خمسين ذراعًا، كنت لا تحب أن ترى فى داره صاحب علم، أو صاحب عبادة، أو رجلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته فى داره يجتمعون فى كل يوم حِلَقًا يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه، فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل فى دار صغيرة، وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه، ولا يأتيه كثير أحد. فقلت له: يا أبا عبد الرحمن، ألا تستوحش ها هنا مع الذى كنت فيه بمرو؟ فقال: إنما فررت من مرو من ذاك الذى أراك تحبه، وأحببت ما ها هنا للذى أراك تكرهه لى، فكنت بمرو لا يكون أمرٌ إلا أتونى فيه، ولا مسألة إلا قالوا: اسألوا ابن المبارك، وأنا ها هنا فى عافية من ذلك».

قال: «وكنت مع ابن المبارك يومًا فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب، ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه، فلما خرج قال لى: ما العيش إلا هكذا. يعنى: حيث لم نُعرف ولم نوقّر»(٣).

---

(١) «تهذيب الحلية» (٣/ ٧، ٨).

(٢) «تهذيب الحلية» (٣/ ٩٣، ٩٤).

(٣) صفة الصفوة (٤/ ١٣٤، ١٣٥).

إذا أوذيت فتذكر تلك المشاهد

* إذا أوذيت فلا تحزن . . . وتذكَّر مشاهد التوحيد عند استقبال الأذى من الناس:

أول مشهد العفو: وهو مشهد سلامة القلب، وصفائه ونقائه لمن آذاك، وحبُّ الخير وهى درجة زائدة. وإيصال الخير والنفع له، وهى درجة أعلى وأعظم، فهى تبدأ بكظم الغيظ وهو: أن لا تُؤذى من آذاك، ثم العفو، وهو أن تسامحه، وأن تغفر له زلَّته، والإحسان، وهو: أن تبادله مكان الإساءة منه إحسانًا منك، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[2]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾[3].

وفى الأثر: «إن الله أمرنى أن أصل مَن قطعنى، وأن أعفوَ عمن ظلمنى، وأن أُعطى من حرمنى».

ومشهد القضاء: وهى أن تعلم أنه ما آذاك إلا بقضاء من الله وقدر، فإن العبد سبب من الأسباب، وأن المقدر والقاضى هو الله، فتسلِّم وتُذْعن لمولاك.

ومشهد الكفارة: وهى أن هذا الأذى كفارة من ذنوبك وحطٌّ من سيئاتك، ومحوٌ لزلاتك، ورفعة لدرجاتك ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾[4].

من الحكمة التى يؤتاها كثير من المؤمنين، نزع فتيل العداوة، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي

(١) سورة آل عمران: آية (١٣٤).

(٢) سورة الشورى: آية (٤٠).

(٣) سورة النور: آية (٢٢).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٩٥).

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١) ، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»(٢) .

أي: أن تلقى من آذاك ببشْر وبكلمة لينة، وبوجه طليق، لتنزع منه أتون العداوة، وتطفئ نار الخصومة، ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾(٣) .

كن ريِّقَ البِشْرِ إنَّ الحُرَّ شيمتُهُ
صحيفةٌ وعليها البِشْرُ عنوانُ

● ومن مشاهد التوحيد في أذى من يؤذيك:

مشهد معرفة تقصير النفس: وهو أن هذا لم يُسلَّط عليك إلا بذنوب منك أنت، ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾(٤) ، ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾(٥) .

وهناك مشهد عظيم، وهو مشهدٌ تحمدُ الله عليه وتشكره، وهو: أن جعلك مظلومًا لا ظالمًا.

وبعض السلف كان يقول: اللهم اجعلني مظلومًا لا ظالمًا. وهذا كابنَي آدم، إذ قال خيرُهما: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(٦) .

وهناك مشهد لطيف آخر، وهو: مشهد الرحمة وهو: أن ترحم من آذاك، فإنه يستحق الرحمة، فإن إصراره على الأذى، وجرأته على مجاهرة الله بأذية مسلم: يستحق أن ترقَّ له، وأن ترحمه، وأن تنقذه من هذا،

---

(١) سورة فصلت: آية (٣٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٠) كتاب الإيمان، ومسلم (٤٠) كتاب الإيمان، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) سورة الإسراء: آية (٥٣).

(٤) سورة آل عمران: آية (١٦٥).

(٥) سورة الشورى: آية (٣٠).

(٦) سورة المائدة: آية (٢٨).

«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»(١) .

ولما آذى مسطح أبا بكر في عرضه وفي ابنته عائشة، حلف أبو بكر لا ينفق على مسطح، وكان فقيرًا ينفق عليه أبو بكر، فأنزل الله: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٢) قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي. فأعاد له النفقة وعفا عنه.

وقال عُيينة بن حُصن لعمر: هيه يا عمر؟ والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فهمَّ به عمر، فقال الحرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٣)، قال: فوالله ما جاوزها عمر، وكان وقَّافًا عند كتاب الله(٤).

وقال يوسف لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٥).

وأعلنها ﷺ في الملإ فيمن آذاه وطرده وحاربه من كفار قريش، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». قالها يوم الفتح، وفي الحديث: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»(٦).

قال ابن المبارك:

إذا صاحبت قومًا أهلَ ودٍّ
فكن لهمُ كذي الرَّحِمِ الشفيقِ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٣) كتاب المظالم والغصب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) سورة النور: آية (٢٢).

(٣) سورة الأعراف: آية (١٩٩).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٦٤٢) كتاب تفسير القرآن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سورة يوسف: آية (٩٢).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولا تأخذ بزلة كل قوم
فتبقى في الزمان بلا رفيق

قال بعضهم: موجود في الإنجيل: اغفر لمن أخطأ عليك مرةً سبعَ مرات. ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾(١).

أي: من أخطأ عليك مرة، فكرِّرْ عليه العفو سبع مرات؛ ليسلم لك دينك وعرضك، ويرتاح قلبك، فإن القصاص من أعصابك ومن دمك، ومن نومك ومن راحتك ومن عِرضك، وليس من الآخرين.

قال الهنود في مَثَلٍ لهم: «الذي يقهر نفسه، أشجع من الذي يفتح مدينة». ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(٢)(٣).

لا خير في مُلك لا يساوي شربة ماء

* دخل ابن السَّماك الواعظ على هارون الرشيد، فظمئ هارون وطلب شربة ماء، فقال ابن السَّماك: لو مُنعت هذه الشربة يا أمير المؤمنين، أتفتديها بنصف ملكك؟ قال: نعم. فلما شربها، قال: لو مُنعت إخراجها، أتدفع نصف ملكك لتخرج؟ قال: نعم. قال ابن السَّماك: فلا خير في ملك لا يساوي شربة ماء.

أجل والله إن الحياة لا تستحق أن نحزن على فواتها فالدنيا بكل ما فيها من متاع زائل لا تساوي عند الله جناح بعوضة فلماذا الحزن عليها، فالحياة لا تستحق الحزن!

قال هشام بن عبد الملك - الخليفة -: «عددت أيام سعادتي فوجدتها ثلاثة عشر يومًا».

وكان أبوه عبد الملك يتأوه ويقول: «يا ليتني لم أتولَّ الخلافة».

قال سعيد بن المسيب: الحمد لله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم.

---

(١) سورة الشورى: آية (٤٠).

(٢) سورة يوسف: آية (٥٣).

(٣) لا تحزن (ص: ٢٣٥- ٢٣٨).

أنكحوا فقراء المؤمنين حتى لا يحزنوا

ولا تحزن إن كنت فقيرًا مُعدمًا لا تجد ما تُعف به فرجك وتتزوج فتاة مؤمنة فإن الله جاعلٌ لك من ذلك فرجًا ومخرجًا.

- أما علمت أن أبا طلحة تزوج أم سُليم رضي الله عنها وكان مهرها الإسلام.
- أما علمت أن النبى ﷺ زوَّج رجلاً بما معه من القرآن.

* بل وأسوق لك مثلاً رائعًا يفتح أمامك الأمل فى أن نجد فى أمتنا من يصنع مثلما صنع النبى ﷺ وأصحابه.

* مرَّ هذا الرجل الفقير المعدم، وعليه أسمالٌ بالية وثيابٌ رَثَّة، جائع البطن، حافى القدم، مغمور النَّسَب، لا جاه ولا مال ولا عشيرة، ليس له بيتٌ يأوى إليه، ولا أثاث ولا متاع، يشرب من الحياض العامَّة بكفَّيه مع الواردين، وينام فى المسجد، مخدَّتُه ذراعه، وفراشه البطحاء، لكنَّه صاحب ذِكرٍ لربِّه وتلاوةٍ لكتاب مولاه، لا يغيب عن الصَّفِّ الأول فى الصلاة والقتال، مرَّ ذات يوم برسول الله ﷺ فناداه باسمه وصاح به: «**يا جُلَيبيب ألا تتزوَّج؟**». قال: يا رسول الله، ومن يزَوِّجُنى؟ ولا مال ولا جاه؟ ثم مرَّ به أخرى، فقال له: مثْل قوله الأول، وأجاب بنفس الجواب، ومرَّ ثالثةً، فأعاد عليه السؤال وأعاد هو الجواب، فقال ﷺ: «**يا جليبيب، انطلق إلى بيت فلان الأنصارى وقُل له: رسول الله ﷺ يُقرئك السلام، ويطلب منك أن تُزوِّجنى ابنتك**».

وهذا الأنصارى من بيتٍ شريف وأسرة موقرة، فقال الأنصارى: على رسول الله ﷺ السلام، وكيف أُزوِّجك ابنتى يا جليبيب ولا مال ولا جاه؟ وتسمع زوجته الخبر فتَعجَب وتتساءل: جليبيب! لا مال ولا جاه؟ فتسمع البنت المؤمنة كلام جليبيب ورسالة الرسول ﷺ فتقول لأبويها: أتردَّان طلب رسول الله ﷺ، لا والذى نفسى بيده... وحصل الزواج المبارك والذُّرِّيَّة المباركة والبيت العامر، المؤسَّس على تقوى من الله ورضوان، ونادى منادى

الجهاد، وحضرَ جليبيب المعركة، وقتلَ بيده سبعةً من الكفار، ثم قُتل في سبيل الله، وتوسدَّ الثرى راضيا عن ربِّه وعن رسوله ﷺ وعن مبدئه الذى مات من أجله، ويتفقّد الرسول ﷺ القتلى، فيخبره الناس بأسمائهم، وينسون جليبيًا فى غمرةِ الحديث، لأنه ليس لامعًا ولا مشهورًا، لكن الرسول ﷺ يذكُر جليبيًا ولا ينساه، ويحفظ اسمه فى الزحام ولا يغفله، ويقول: **«لكنّنى أفقد جليبيًا»**. ويجده وقد تدثَّر بالتراب، فينفض التراب عن وجهه ويقول له: **«قَتلتَ سبعة ثم قُتلت؟ أنت منى وأنا منك أنت منى وأنا منك أنت منى وأنا منك»**[(١)]. ويكفى هذا الوسامُ النبوى جليبيًا عطاءً ومكافأة وجائزة[(٢)].

* فلا تحزن . . . وها نحن نادى على أولياء الأمور؛ لينفذوا أمر الله - جلَّ وعلا - ووصية رسول الله ﷺ .

قال تعالى: **﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[(٣)].

وقال ﷺ : **«إذا أتاكم من ترضون خُلقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض»**[(٤)].

وقال ﷺ : **«خير النكاح أيسره»**[(٥)].

* وأنا على يقين من أن هذه الكلمة ستجد صدى فى قلوب الآباء والأمهات ليسروا الزواج لشباب المسلمين حتى لا يحزنوا . . . وحتى لا تحزن أى أخت مسلمة من إعراض كثير من الشباب عن الزواج؛ لضيق ذات اليد.

* فاللهم يسِّر العفاف لشباب وبنات المسلمين.

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٩٢٨٥) من حديث أبى برزة الأسلمى رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تلخيص أحكام الجنائز ص (٣٢).

(٢) لا تحزن (ص: ٤٠٦، ٤٠٧).

(٣) سورة النور: آية (٣٢).

(٤) حسن: رواه الترمذى (١٠٨٤) كتاب النكاح، وابن ماجه (١٩٦٧) كتاب النكاح، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٠٢٢).

(٥) صحيح: رواه أبو داود (٢١١٧) كتاب النكاح، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٣٣٠٠).

لا تحزن لكثرة الأشرار

لا تحـزن لكثرة الأشـرار فإن بعض الناس يغـلب عليهم البـغي والحقـد والحسد؛ فـإذا رأيت باغيًا أو حاقـدًا أو حاسدًا فاحمـد الله - جلّ وعلا - أنك لم تكن مثله وابتعد عنه قدر استطاعتك واعلم أنه لولا هؤلاء لم نعرف قدر المحبين الطيبين فلولا اللون الأسود لم نشعر بجمال اللون الأبيض.

لا تحزن وكن رفيقًا

* **عن عائشـة ﵂ أن النبى ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه»**(١) .

* **وعنهـا أن الـنبى ﷺ قـال: «إن الرفق لا يكـون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»**(٢) .

* **قال ابن الجوزى - رحمه الله تعالى -:** «الكمـال عـزيز والكامـل قليل الوجود، وأول أسباب الكمال تناسب أعضاء البدن وحسن صورة الباطـن، فصورة البـدن تسمى خَلـقًا، وصورة البـاطن تسمى خُـلقًا، ودليل كمال صورة البدن حسن السمت واستعمال الأدب، ودليل كمال صورة البـاطن حُسن الطبـائع والأخلاق، فـالطبائع: العفـة، والنزاهة والأنفة من الجهل، ومـباعدة الشره، والأخلاق: الكرم والإيثـار وستر العيـوب وابتداء المعروف والحلـم عن الجاهل. فَمَن رُزق هذه الأشـياء رَقَّته إلى الكمال، وظهر عنـه أشرف الخلال، وإن نقصت خُلة أوجبت النقص»(٣).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عائشة ﵂.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) كتاب البر والصلة والآداب من حديث عائشة ﵂.

(٣) صيد الخاطر (ص: ٢٨٩).

* قال محمود الوراق -رحمه الله تعالى-:

سأُلزم نفسى الصفح عن كُلِّ مُذنب
وإن كَثرت منه على الجرائمُ
وما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريفٌ ومشروفٌ ومثلى مقاومُ
فأما الذى فوقى فأعرف قدره
وأتبع فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ
وأما الذى دُونى فإن قال صُنت عن
إجابته عرضى وإن لام لائمُ
وأما الذى مثلى فإن زلَّ أو هفا
تفضلت إن الفضل بالحِلْمَ حاكمُ(١)

* عن على بن الحسين ﷺ أن رجلاً سبَّه فرمى إليه بخميصةٍ كانت عليه وأمر له بألف درهم . . . فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده عن الله -عز وجل- وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى مدح بعد الذم، اشترى جميع ذلك بشىء من الدنيا يسير»(٢).

* قال لقمان الحكيم: «ثلاثة لا يُعرفون إلا عند ثلاثة: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه»(٣).

* قال معاوية بن أبى سفيان ﷺ: «لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم»(٤).

* وقال مرة لعرابة بن أوس: بم سُدت قومك يا عرابة؟ قال: «كنت أحلم

(١) الإحياء (٣/ ١٧٩).
(٢) الإحياء (٣/ ١٧٨).
(٣) الإحياء (٣/ ١٧٩).
(٤) الإحياء (٣/ ١٧٨).

عن جاهلهم وأعطى سائلهم وأسعى فى حوائجهم، فمن فعل فعلى فهو مثلى، ومن جاوزنى فهو أفضل، ومن قصَّرَ عنى فأنا خيرٌ منه»[(١)].

* **قال على بن أبى طالب** ﷺ: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهى الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى»[(٢)].

لا تأخذك العزة بالإثم

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - :

أعظم المعاقبة ألا يحس المعاقَب بالعقوبة. وأشد من ذلك السرور بما هو عقوبة، كالفرح بالمال الحرام، والتمكن من الذنوب. ومَن هذه حاله، لا يفوز بطاعة. وإنى تدبرت أحوال أكثر العلماء والمتزهدين فرأيتهم فى عقوبات لا يحسون بها، ومعظمها من قِبل طلبهم للرياسة.

فالعالم منهم، يغضب إن رُدّ عليه خطؤه، والواعظ متصنع بوعظه، والمتزهد منافق أو مُراءٍ. فأول عقوباتهم: إعراضهم عن الحق شغلاً بالخلق. ومن خفى عقوباتهم، سلب حلاوة المناجاة، ولذَّة التعبد، إلا رجال مؤمنون، ونساء مؤمنات، يحفظ الله بهم الأرض، بواطنهم كظواهرهم، بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم، بل أحلى، وهممهم عند الثريا، بل أعلى.

إن عرفُوا تنكروا، وإن رُئيت لهم كرامة، أنكروا. فالناس فى غفلاتهم، وهم فى قطع فلاتهم[(٣)]، تحبهم بقاع الأرض، وتفرح بهم أملاك السماء. نسأل الله -عز وجل- التوفيق لاتباعهم، وأن يجعلنا من أتباعهم[(٤)].

(١) الإحياء (٣/١٧٨).

(٢) الإحياء (٣/١٧٨).

(٣) فلاتهم: الأفلات: يكون بمعنى الانفلات، لازمًا وقد يكون واقعًا. يقال: أفلته من الهلكة أى: خلصته. كما فى اللسان مادة (فلت).

(٤) صيد الخاطر (ص: ١٤).

عليك بالقرآن فإنه شفاء للقلب

فيا من تشكو من الآلام والأحزان عليك بكتاب الرحيم الرحمن، ففيه الشفاء وفيه الهداية.... قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَارًا﴾[1].

- فيا أيها الحزين، أين أنت من تلاوة القرآن الكريم؟!!

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -:

«فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كلُّ أحدٍ يؤهّل ولا يوفّق للاستشفاء به. وإذا أحسن العليل التداوى به، ووضعه على دائه بصدقٍ وإيمانٍ وقبولٍ تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تقاوم الأدواء كلام ربّ الأرض والسماء؟ الذى لو نزل على الجبال لصدّعها، أو على الأرض لقطّعها، فما من مرضٍ من أمراض القلوب والأبدان إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه، والحمية منه لمن رزقه الله فهمًا فى كتابه.

وأما الأدوية القلبية، فإنه يذكرها مفصلة، ويذكر أسباب أدوائها وعلاجها. قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[2].

فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله»[3].

إن القرآن الكريم شفاء للصدور من أمراض الشبهات والشهوات، وشفاء للأبدان من الأسقام والعلل... قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٨٢).

(٢) سورة العنكبوت: آية (٥١).

(٣) زاد المعاد (٤/ ٣٥٢).

(٤) سورة الإسراء: آية (٨٢).

لقد قام فريق طبى بأبحاث قرآنية فى «عيادات أكبر» فى مدينة بنَما سيتى بولاية فلوريدا، وقد استُخدمت فى هذه الأبحاث أجهزة المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية فى عدد من المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوة قرآنية.

ولقد أثبتت النتائج المبدئية للبحوث القرآنية أن للقرآن تأثيرًا إيجابيًّا مؤكدًا لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعًا وكمًّا، وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات فى التيار الكهربائى، وتغيرات فى الدورة الدموية، وما يصحب ذلك من تغير فى عدد ضربات القلب، وكمية الدم الجارى فى الجلد، ودرجة حرارة الجلد.

وفى المجموعة التى كانت تستمع وتفهم، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين، أو كانوا يتحدثون العربية أم غيرها، كانت النتائج إيجابية بنسبة ٩٧٪.

وفى مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة آيات القرآن الكريم أثرًا واضحًا على تهدئة التوتر، ولو لم يفهم معناها، إذ حقق إيجابية قدرها ٦٥ ٪.

كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها بغضِّ النظر عن مفهوم معناها، لها أثر فسيولوجى مهدئ للتوتر فى الجسم البشرى، فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر.

ولذلك كله نستطيع أن نؤمن إيمانًا لا يعتريه شك فى حقيقة أثر القرآن الكريم تلاوة أو سماعًا أو حفظًا فى الإنسان وتهذيب سلوكه، وشفاء أمراضه وسعادته[١].

* * *

(١) القرآن معجزة أمنية ص (٣٥، ٣٦) باختصار.

أحب الأعمال أدومها

ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ»(١).

* والمعنى: ألا يُقبل العبد على نافلة من النوافل بشدة ثم يتركها مرة واحدة بل الأفضل أن يبدأ بالتدريج من الأقل إلى الأكثر دون أن يكلف نفسه فوق الطاقة . . . وكذلك عليه أن يداوم على الطاعة، أو أى عمل صالح ولا ينقطع أبدًا ولو اكتفى بقدرٍ قليل يستطيع أن يداوم عليه.

* وإليك بعض الأمثلة من سُنّة الحبيب ﷺ والتى تدل على أن الاقتصاد فى النوافل مع المداومة أفضل من الإقبال والإدبار.

* عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إنَّ الدين يسر، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدُّلجة»(٢).

* وعن عائشة رضي الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «من هذه؟» قالت: هذه فلانة تذكر من صلاتها قال: «مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا ...وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه»(٣).

* وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل النبى ﷺ المسجد فإذا حبل ممدوم بين

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٧٨٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٩) كتاب الإيمان. وفى رواية له: «سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا، وشىء من الدلجة، القصد القصد تبلغوا». قوله: «الدين» هو مرفوع على ما لم يسم فاعله. وروى منصوبًا، وروى: «لن يشاد الدين أحد». وقوله ﷺ: «إلا غلبه»: أى: غلبه الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه. و«الغدوة»: سير أول النهار. و«الروحة»: آخر النهار. و«الدلجة» آخر الليل. وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: استعينوا على طاعة الله -عز وجل- بالأعمال فى وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها، فيصل إلى المقصود بغير تعب، والله أعلم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٤٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٨٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها. (ومه) كلمة نهى وزجر. ومعنى «لا يمل الله» أى: لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم، ويعاملكم معاملة المالّ؛ حتى تملوا فتتركوا، فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم.

الساريتين فقال: «ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به. فقال النبى ﷺ: «**حُلُّوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»(١).

* **وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نعس أحدكم وهو يصلى، فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه إذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه»**(٢).

* **وعن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال**: آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا. فجاء أبوالدرداء فصنع له طعامًا، فقال له: كُل فإنى صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، . . . فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال له: نم، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا جميعًا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذى حقٍّ حقه، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبى ﷺ: «**صدق سلمان**»(٣).

* **وعن أبى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال**: أخبر النبى ﷺ أنى أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، فقال رسول الله ﷺ: «**أنت الذى تقول ذلك؟**» فقلت له: قد قلته بأبى أنت وأمى يا رسول الله. قال: «**فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر**» قلت: فإنى أطيق

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (١١٥٠) كتاب الجمعة، ومسلم (٧٨٤) كتاب صلاة المسافرين، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢١٢) كتاب الوضوء، ومسلم (٧٨٦) صلاة المسافرين، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) **صحيح**: رواه البخارى (١٩٦٨) كتاب الصوم/ باب: من أقسم على أخيه ليفطر من حديث أبى جحيفة رضي الله عنه.

(*) متبذلة: تاركة للزينة . . . وفى هذا الحديث من الفوائد الحث على القيام بالحقوق بالعدل ومشروعية المؤاخاة فى الله وزيارة الإخوان والمبيت عندهم وجواز مخاطبة الأجنبية لحاجة. والنصح للمسلم وتنبيه من غفل عن فضل قيام الليل.

أفضل من ذلك قال: «فصم يومًا وأفطر يومين» قلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك، قال: «فصم يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيام داود ﷺ، وهو أعدل الصيام». وفى رواية: «هو أفضل الصيام» فقلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك!»... قال ابن عمرو: ولأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التى قال رسول الله ﷺ أحب إلىَّ من أهلى ومالى(١).

ثمرات المداومة على العمل الصالح

إنما السيل اجتماع النقط، بمعنى داوم ولو على القليل، قليل دائم خير من كثير منقطع.

ومن ثمرات المداومة ما يلى:

أولاً: نيل محبة الله المؤمنين التى هى غاية كل مؤمن يريد حب الله.

وذلك كما فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى: **«لا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه»**. يستمر ويداوم حتى يحبه الله، والنتيجة **«فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله الذى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه»**(٢)، وفوق هذا ما رواه الشيخان **«إذا أحب الله العبد نادى جبريل، إن الله يحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادى جبريل فى أهل السماء، إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض»**(٣).

أهيب بقومى إلى المكرمات

ألا هل ملبٍّ ألا هل من مجيب؟

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٤١٨) كتاب أحاديث الأنبياء / باب: قول الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾، ومسلم (١١٥٩) كتاب الصيام / باب: النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقًا.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٠٩) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٣٧) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

ثانيا: ترويض النفس على مكابدة الهوى حتى تعتاد الخير، فالنفس من طبعها حب التفلت والانطلاق لكنها إذا رُوضت ذلت واستجابت إلى ما تكره فتمزق حُجب البطالة، وتقفز على أسوار المكاره وتستمر على ما رُوضت عليه، وتداوم دون كلل ولا ملل، حتى وإن استغرقت هذه المداومة العمر كله.

يقول أحد السلف: عالجت لسانى عشرين سنة قبل أن يستقيم لى.

ويقول: عالجت الصمت عمًا لا يعنينى عشرين سنة قبل أن أقدر منه على ما أريد.

وجاء عن التابعى الجليل ابن المنكدر -رحمه الله-:

كابدت نفسى أربعين سنة حتى استقامت لى.

وما يردع النفس اللجوج عن الهوى
من النفس إلا حازم النفس كامله
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
فإن أطمعت ساقت وإلا تفلتت

ثالثًا: الأمن من الحسرة عند العجز، أو المرض، أو الفتنة، فالمداوم حين يُحال بينه وبين العمل يجرى له ما كان يعمله... يُستشعر هذا مما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا»**[(١)]. فلا حسرة ولا ندم.

رابعًا: تربية النفس على أخذ معالى الأمور وعدم الرضا بالدون، وكما ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله ﷺ قال: **«أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»**[(٢)].

خامسًا: إملال الشيطان وإضعافه وقطع الطريق عليه.

يقول الحسن -رحمه الله- كما فى الزهد لابن المبارك: «إذا نظر إليك

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٩٩٦) كتاب الجهاد والسير، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٦٤) كتاب الرقاق، ومسلم (٧٨٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث عائشة رضي الله عنها.

الشيطان فـرآك مداومًـا على طاعة الله فـبغاك وبغـاك فرآك مـداومًا مَلَّك ورفضك، وإن كنت مـرة هكذا ومرة هكذا تتقدم خطوة وتتـأخر خطوتين طمع فيك».

هذه بعض ثمرات المداومة عـلى العمل، ومن عرف الثمرة قـدّرها فبادر إلى الشجـرة لقطفها. . . يقـال لابن المبارك: إلى متى تـطلب العلم؟ قال: حتى الممـات. وقال له آخر إلى مـتى تكتب العلم؟ قال: لعل الـكلمة التى تنفعنى لم تُـكتب بعد.

والأعمش يروى فيه وكيع، أنه لم تفته تكبـيرة الإحرام مع الإمام سبعين سنة.

من منا يلقى الله وقد أدرك تكبـيرة الإحرام مع الإمام أربعـين يومًا، مع أن له براءتين، براءة من النفاق وبراءة من النار[1].

من مفاتيح السعادة

* اعلم - أخى الحبيب - أن من أعظم مفاتيح السعادة: العلم الشرعى.

فالعلم قرين اليسر والبسـاطة والسهولة فى حياة الإنسان . . . وإن أردت دليلاً على ذلك فانظر إلى حـياة علماء الأمة النابغين تجد أن حـياتهم سهلة بسيطة أبعـد ما تكون عن التعقـيد والتكلف وذلك لأنهم فهمـوا الغاية التى خُلقوا من أجلها وغاصوا فى أعماق هذا الدين فوجدوا أن الدين جاء لسعادة الإنسان فى دنياه وآخرته . . . وعلموا أن الله - عـز وجل - قد أعدَّ لعباده الصالحين فى الجنة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلماذا الحزن على حُطام الدنيا الفانية؟!

* وفى المقابل تجد أن أكثر الناس تكـلفًا وتعقيدًا هم أقل الناس حظًا من

(١) إشارات على الطريق / الشيخ على القرنى (٥٣ - ٥٦) بتصرف.

العلم الشرعى وذلك لأنهم لم يفهموا مقاصد هذه الشريعة على حقيقتها ولم يقعوا على الحقائق . . . .

- ومن هنا كان العلم من أعظم مفاتيح السعادة . . . وما ضلت أى فرقة من الفرق إلا بسبب الجهل المركب وذلك بأنهم فهموا النصوص فهمًا خاطئًا فغيروا وبدلوا وأساءوا من حيث أرادوا أن يحسنوا.

نصيحة غالية للعلماء والدعاة

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - :

رأيت من الرأى القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة.

لأنى أشافه فى عمرى عددًا من المتعلمين وأشافه بتصنيفى خلقًا لا تُحصى ما خُلقوا بعد.

ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم.

فينبغى للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وُفِّق للتصنيف المفيد، فإنه ليس كل من صنَّفَ صنَّفَ.

وليس المقصود جمع شىء كيف كان، وإنما هى أسرار يطلع الله - عز وجل- عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها، فيجمع ما فُرق، أو يرتب ما شُتت، أو يشرح ما أُهمل، هذا هو التصنيف المفيد.

وينبغى اغتنام التصنيف فى وسط العمر، لأن أوائل العمر زمن الطلب، وآخره كلال الحواس.

وربما خان الفهم والعقل من قدر عمره، وإنما يكون التقدير على العادات الغالبة، لأنه لا يعلم الغيب فيكون زمان الطلب والحفظ والتشاغل إلى الأربعين، ثم يبتدئ بعد الأربعين بالتصانيف والتعليم.

هذا إذا كان قد بلغ ما يريد من الجمع والحفظ، وأُعين على تحصيل المطالب.

فأما إذا قلت الآلات عنده من الكتب، أو كان فى أول عمره ضعيف الطلب فلم ينل ما يريده فى هذا الأوان، أخَّر التصانيف إلى تمام خمسين سنة.

ثم ابتدأ بعد الخمسين فى التصنيف إلى رأس الستين. ثم يزيد فيما بعد الستين فى التعليم ويسمع الحديث والعلم ويعلل التصانيف إلى أن يصل إلى رأس السبعين، فإذا جاوز السبعين جعل الغالب عليه ذكر الآخرة والتهيؤ للرحيل، فيوفر نفسه على نفسه إلا من تعليم يحتسبه، أو تصنيف يفتقر إليه، فلذلك أشرف العدد للآخرة.

ولتكن همته فى تنظيف نفسه، وتهذيب خلاله، والمبالغة فى استدراك زلاته، فإن اختُطف فى خلال ما ذكرنا، فنية المؤمن خير من عمله.

وإن بلغ إلى هذه المنازل، فقد بيَّنا ما يصلح لكل منزل.

فإن تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة إلى تنظيف خلاله، وتهيئة زاده وليجعل الاستغفار حليفه، والذكر أليفه، وليدقق فى محاسبة النفس وفى بذل العلم، أو مخالطة الخلق.

فإن قُرب الاستعراض للجيش يوجب عليه الحذر من العارض.

وليبالغ فى إبقاء أثره قبل رحيله، مثل بث علمه، وإنفاق كتبه، وشىء من ماله.

وبعد، فمن تولاه الله - عز وجل- علَّمه، ومن أراده ألهمه.

نسأل الله -عز وجل- أن ينعم علينا بأن يتولانا ولا يتولى عنا إنه قريب مجيب[١].

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٤١، ٢٤٢).

استعينوا بالصبر والصلاة

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾(١).

إذا داهمك الخوف وطوَّقك الحزن، وأخذ الهم بتلابيبك، فقم حالاً إلى الصلاة، تثوب لك روحك وتطمئن نفسك، إن الصلاة كفيلة بإذن الله باجتياح مستعمرات الأحزان والغموم ومطاردة فلول الاكتئاب.

كان ﷺ إذا حزَبَه أمرٌ قال: **«أرحنا بالصلاة يا بلال»**(٢) فكانت قرة عينه وسعادته وبهجته.

وقد طالعت سير قوم أفذاذ كانت إذا ضاقت بهم الضوائق وكشرت فى وجوههم الخطوب، فزعوا إلى صلاة خاشعة فتعود لهم قواهم وإراداتهم وهِمَمهم.

إن صلاة الخوف فُرضت لتؤدَّى فى ساعة الرعب، يوم تتطاير الجماجم، وتسيل النفوس على شفرات السيوف، فإذا أعظم تثبيت وأجلّ سكينة صلاة خاشعة.

إن على الجيل الذى عصفت به الأمراض النفسية أن يتعرّف على المسجد، وأن يمرّغ جبينه ليرُضى ربَّه أولاً ولينقذ نفسه من هذا العذاب الواصب وإلا فإن الدمع سوف يحرق جفنه والحزن سوف يحطم أعصابه وليس لديه طاقة تمده بالسكينة والأمن إلا الصلاة.

من أعظم النعم -لو كنا نعقل- هذه الصلوات الخمس كل يوم وليلة كفارة لذنوبنا، رفع لدرجاتنا عند ربنا، ثم هى علاج عظيم لمآسينا ودواء ناجع لأمراضنا، تكسب فى ضمائرنا مقادير زاكية من اليقين وتملؤ

---

(١) سورة البقرة: آية (١٥٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٨٥) كتاب الأدب، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٧٨٩٢).

جوانحنا بالرضا. أما أولئك الذين جانبوا المسجد وتركوا الصلاة، فمن نكد إلى نكد، ومن حزن إلى حزن، ومن شقاء إلى شقاء ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [(١)][(٢)].

أسباب انشراح الصدر

لا تحزن.... وسأخبرك بأسباب انشراح الصدر

• التوحيد:

فإنه بحسب صفائه ونقائه يوسع الصدر، حتى يكون أوسع من الدنيا وما فيها.

ولا حياة لمشرك أو ملحد،... يقول -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [(٣)]. وقال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [(٤)]. وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [(٥)].

وتوعّد الله أعداءه بضيق الصدر والرهبة والخوف والقلق والاضطراب، ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [(٦)]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [(٧)]، ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [(٨)].

---

(١) سورة محمد: آية (٨).
(٢) حدائق ذات بهجة (ص: ٢٦٢، ٢٦٣).
(٣) سورة طه: آية (١٢٤).
(٤) سورة الأنعام: آية (١٢٥).
(٥) سورة الزمر: آية (٢٢)
(٦) سورة آل عمران: آية (١٥١).
(٧) سورة الزمر: آية (٢٢).
(٨) سورة الأنعام: آية (١٢٥).

• ذكر الله:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(١).

فالذكر فيه حياة القلب لأنك إذا ذكرت الله -جلّ وعلا- فإنك تفوز بمعيته.

- قال الله تعالى: «عبدى أنا عند ظنك بى وأنا معك إذا ذكرتنى»(٢).

• طلب العلم وقراءة القرآن:

فالعلماء هم أشرح الناس صدورًا وأعظمهم سرورًا فهم ورثة الأنبياء.

- ومن المعلوم أن العلم لا يكون إلا من النبعين الصافيين: القرآن والسنة.

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ . . . ولذا قال بعدها: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٣).

- ففى أعتى المشاكل والأزمات أوصيك أن تأخذ مصحفًا وأن تقرأ فيه بتدبر فى مكانٍ هادئ وسترى الراحة والسعادة تغمران قلبك.

• العمل الصالح:

فإن للحسنة نورًا فى القلب، وضياءً فى الوجه، وسعة فى الرزق، ومحبة فى قلوب الخلق، ﴿لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾(٤).

• الرضا بالقضاء والقدر:

فالرضا بالقضاء والقدر هو بلسم الجراحات.

روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير،

---

(١) سورة الرعد: آية (٢٨).

(٢) صحيح: رواه الحاكم فى المستدرك (١/ ٦٧٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٤٣٢٥).

(٣) سورة يونس: آية (٥٧، ٥٨).

(٤) سورة الجن: آية (١٦).

وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[١].

المؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه... يعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء فلن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على أن يضروه بشيء فلن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه رُفعت الأقلام وجفت الصحف... فلماذا الاعتراض والتسخُّط على أقدار الله - جل وعلا -؟!

سأل أحد المرضى بالهواجس والهموم طبيبَ القلق والاضطراب، فقال له الطبيب المسلم: اعلم أن العالم قد فُرِغ من خلقه وتدبيره، ولا يقع فيه حركة ولا همس إلا بإذن الله، فلِمَ الهمُّ والغمُّ؟! «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة**»[٢].

قال المتنبى على هذا:

وتكبرُ فى عينِ الصغيرِ صغارُها

وتَصغرُ فى عينِ العظيمِ العظائمُ

• طرفة نادرة:

يذكر الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - فى أخبار الحمقى والمغفلين أنه كان لبعض المغفلين حمار فمرض الحمار، فنذر إن عُوفى حماره أن يصوم عشرة أيام فعوفى الحمار فصام الرجل عشرة أيام، فلما تمت مات الحمار فى اليوم العاشر.

فقال الأعرابى: أيموت حمارى بعدما صُمت عشرة أيام والله لأحسبنها من رمضان القادم!

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

• ترك المعاصي:

فإن المعاصي تزرع أمـثالها، ويولد بعضـها بعضًا، حتى يعـز على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة، السيئة بعدها. وإن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها.

وكـان من دعـاء بعـض السلف: اللهم أعـزنى بطاعـتـك، ولا تذلنى بمعصيتك.

وقال الحسن البصرى: إنهم إن طقطقت[1] بهم البغال وهملجت[2] بهم البراذين[3] فـإن ذل المعـصـية لا يفـارق قلوبـهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

وقال عبد الله بن المبارك:

رأيتُ الذنوبَ تميتُ القلوبَ
وقد يورث الذلَّ إدمانُها
وتركُ الذنوبِ حياة القلوبِ
وخيرٌ لنفسِك عصيانُها
وهل أفسدَ الدينَ إلا الملوكُ
وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها[4]

قال ابن عباس ﷺ: «إن للحسنة ضياء فى الوجه ونورًا فى القلب وسعة فى الرزق وقوة فى البـدن ومحبـة فى قلوب الخلق، وإن للسيئـة سوادًا فى الوجه وظلمة فى القلب ووهنًا فى البدن ونقصًا فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق».

---

(١) طقطقت: الطقطقة: هى صوت حوافر البغال.

(٢) هملجت: أسرعت فى خفة وتبختر.

(٣) البراذين: نوع من الخيل، وهو ما كان من غير نتاج العرب.

(٤) الداء والدواء / للإمام ابن القيم (ص: ٧٨).

• ترك فضول المباحات:

وذلك فى خمسة أشياء: النظر والكلام والمخالطة والأكل والنوم.

* فأما بالنسبة للكلام: فاجعل كلامك بقدر ولا تسترسل فإن من كَثُر كلامه كَثُر لغطه ولذا قال ﷺ: «**من صمت نجا**»(١).

* وأما بالنسبة للنظر: فاستعمل النظر فى طاعة الله واحذر أن تستعمله فى معصية الله - جلَّ وعلا-.

* وأما بالنسبة للمخالطة: فخالط الناس فى الصلوات الخمس والجمعة والأعياد وفى الدعوة إلى الله واجتنبهم فى مجالس اللهو والغيبة وفضول المباحات.

* وأما بالنسبة للأكل: فاحرص على ألا تزيد على الثلث فإن كثرة الطعام تسبب الأمراض وإن كثرة الأمراض تقلل العبادة وإن قلة العبادة تضيق الصدر.

* وأما بالنسبة للنوم: فاحرص على ألا تُكثر من النوم فإن كثرة النوم تُفوِّت عليك الخير الكثير فيضيق صدرك.

- فاحرص على أن تنام أول الليل وتقوم آخر الليل لتتعرض لتلك النفحات والرحمات فى هذا الوقت المبارك.

- روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له؟ من ذا الذى يسألنى فأعطيه؟ من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر**»(٢).

• تصفية القلب من الصفات الذميمة:

كالحقد والحسد والكبر والغضب وغيرها .... فإن من اتصف بمثل هذه

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٠١) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وأحمد (٦٤٤٥)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٥٣٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

الصفات لا يكاد يهنأ بعيش ولا يكاد تغمض له عين.

• القناعة بما رزقك الله:

روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «قد أفلح من أسلم ورُزق كفافًا وقنّعه الله بما آتاه»(١).

- وليس معنى ذلك أن تترك الدنيا ولكن عليك أن تجتهد قدر استطاعتك فى أن تكون راضيا بقسم الله لك لأن عدم رضاك عما رزقك الله إياه سيجعل صدرك ضيقًا وستجد نفسك حاسدًا لكل من حولك. ومُحالٌ أن ينشرح صدر إنسان حاسدٍ وغير راضٍ عن قضاء الله.

• الإحسان إلى الناس:

بالقول والفعل . . . واعلم أن كل شىء تفعله مع الناس خيرًا كان أو شرًّا فإن مردوده على قلبك . . . إن أحسنت إليهم سينشرح صدرك وإن أسأت إليهم سيضيق صدرك.

- فإن مررت على إنسان فسلمت عليه ستشعر براحة وسعادة.

- ولو مررت على إنسان فلم تُسلِّم عليه أو آذيته ستشعر بضيق.

* تلك عشرة كاملة لمن أراد أن ينشرح صدره فافعلها حتى لا تحزن.

* **ومنها**: النور الذى يقذفه الله فى قلب العبد، وهو نور الإيمان؛ فإنه يشرح الصدر ويوسعه، ويُفرح القلب، فإذا فُقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج، وصار فى أضيق سجن وأصعبه.

* **ومنها**: العلم؛ فإنه يشرح الصدر ويوسِّعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس؛ فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول ﷺ، وهو العلم النافع؛ فأهله أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلوبًا، وأحسنُهم أخلاقًا، وأطيبُهم عيشًا.

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

* ومنها: الإنابة إلى الله -سبحانه وتعالى-، ومحبته بكل القلب، والإقبال عليه، والتنعُّم بعبادته؛ فلا شيء أشرحُ لصدر العبد من ذلك. حتى إنه ليقول أحيانًا: إن كنتُ فى الجنة فى مثل هذه الحالة، فإنى إذًا فى عيش طيب... وللمحبة تأثير عجيب فى انشراح الصدر، وطيب النفس، ونعيم القلب، لا يعرفه إلا من له حسٌّ به، وكلما كانت المحبة أقوى وأشدَّ، كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن؛ فرؤيتهم قذى عينه ومخالطتهم حمى روحه.

* ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه؛ فإن من أحب شيئًا غير الله عُذِّب به، وسُجِنَ قلبه فى محبة ذلك الغير، فما فى الأرض أشقى منه، ولا أكسف بالاً، ولا أنكد عيشًا، ولا أتعب قلبًا؛... فهما محبتان: محبة هى جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح، وغذاؤها، ودواؤها، بل حياتها وقرة عينها؛ وهى محبة الله وحده بكل القلب، وانجذاب قوى الميل والإرادة والمحبة كلها إليه.

ومحبة هى عذاب الروح، وغم النفس، وسجن القلب، وضيق الصدر، وهى سبب الألم والنكد والعناء؛ وهى محبة ما سواه سبحانه(١).

لا تكن عصبيًّا حتى لا تحزن

* العصبيون هم الفئة التى تواجه الصدمات بانتفاضات فورية عنيفة، وليس لهذه الفئة أن تندب سوء حظّها، فانفعاليتها دليل حيوية دافقة يحسن بها أن تروّض نفسها على عدم تبديدها فى انفجارات لا فائدة منها.

* العصبى: شديد الحساسية، لا يتمالك أعصابه، ولا قدرة له على ضبط

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٣-٢٥) بتصرف.

شعوره، فتراه يعبّر عن هذا الشعور بلهجة بعيدة عن الاعتدال، فإذا غضب عبّر عن غضبه بالصراخ، وإذا ضحك تجاوز فى ضحكه حدود المعقول.

* أبرز عيوب العصبى تهويله للأشياء والحوادث.

* العصبى بفعل مزاجه المتقلب، يستعجل ثمار مجهوده، وليس له صبر الرجل الذى يعمل لغده ويتطلع إلى أهداف بعيدة.

* العصبى دائم الحركة، ولكن حركته ليست نشاطًا ذاتيًا، فهو كالريشة تتقاذفها الرياح، وتتلاعب بمصيره تيارات الحوادث المتلاحقة.

* العصبى دائم التنقل من رأى إلى رأى ومن فكرة إلى فكرة.

* العصبى عاجز عن ضبط النفس والكتمان.

العلاج

يستطيع العصبى أن يتحرر من عيوبه، وأن يفيد إلى أبعد حد من مزاجه الغنى بالإمكانات، يستطيع بلوغ هذه النتيجة بتمرين إرادته، وهذا التمرين يتطلب مجهودًا للوصول إلى النتيجة المرضية بإذن الله.

والآن إليك ما ينبغى لك فعله لتتوصل إلى ضبط نفسك، وتوجيه القوة التى تنطلق مع تفجّر انفعالاتك:

١- لا تنجرف مع انفعالاتك وتذكر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[١].

٢- تذكر أنك فى صراع مع الذين يثيرون أعصابك، فإذا ما استطاعوا تهييج أعصابك وإخراجك عن هدوئك فقد تغلبوا عليك ونجحوا فى هزيمتك.

٣- اصمت، ولا تتكلم ولا تنجرف مع انفعالاتك معبرًا بالكلمات والحركات عن مكنونات صدرك.

---

(١) سورة الشورى: آية (٣٧).

٤- تذكر قوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(١).

٥- عليك بلجم الفورات التى تدفعك إلى العمل العفوى الارتجالى.

٦- تجنب البوح بما يحسن بك كتمانه من حوادث مزعجة أو مفرحة.

٧- لا تبدّل مواقفك وتغير عاداتك ومجال نشاطك وأنت تحت تأثير انفعالاتك.

٨- تذكر قول النبى ﷺ: **«ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»**(٢).

٩- تذكر أن العصبية ستجر إليك الحزن والتعاسة والشقاء وعداوة البشر.

١٠- اطرد الأفكار السوداء وعوامل اليأس التى تكون وليدة حساسيتك.

١١- لا تهرب من الناس مخافة أن يكتشفوا فيك ما تريد ستره أو إخفاءه، فليست هذه هى الوسيلة الصحيحة للعلاج.

١٢- كن واقعيًا، ولا تضع خططًا لمشاريع تعلم يقينًا ألا سبيل لتحقيقها.

١٣- الجأ إلى التأمل فى أقوال الآخرين بدلاً من الانفعال، فربما تجد لكلامهم وتصرفاتهم وجهًا.

١٤- التمس للآخرين المعاذير، فإن لم تجد لهم عذرًا فقل: لعل لهم عذرًا لم أطلع عليه.

١٥- احمل أقوال الناس وتصرفاتهم دائمًا على المحمل الحسن، ولا تكن سيئ الظن(٣).

* * *

---

(١) سورة فصلت: آية (٣٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١١٤) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: السلسلة السيكلوجية (تغلب على القلق) ص (١٠، ١١، ٢٢ - ٢٧) بتصرف واختصار..

وداعًا للقلق

سلِّم أمرك لله وارض باختيار الله لك ولا داعى للقلق.

- قد تدخل امتحانًا أو تقدم ورقك من أجل الحصول على وظيفة ثم تنتظر النتيجة بعد ذلك ... فتجد نفسك فى غاية القلق والاضطراب ... يا ترى هل أجبت على الأسئلة كما ينبغى أم لا ... وتعيد إجابة الأسئلة فى بيتك مرة أخرى وتضع لنفسك الدرجات التى تتوقعها.

* وإن كانت الأخرى - وهى الوظيفة - تجد نفسك فى حيرة وقلق يا تُرى هل سأحصل على الوظيفة أم لا؟

* وفى النهاية لن يكون إلا ما قدره الله - جلَّ وعلا - سواء كان ذلك فى الامتحان أو الوظيفة فلا داعى للقلق ... وما عليك إلا أن تبذل ما فى وسعك، وتأخذ بالأسباب ثم تفوض أمرك لله وترضى باختياره لك وإن كان على غير مرادك فاعلم أنه هو عين الخير.

البحث عن السعادة

يقول صاحب القصة:

فى عام ٢٠٠١م سافر أخونا فهد مع صديق له يدعى خالد إلى دولة البحرين فى رحلة علاجية لأحدهما، وكان الاثنان من أهل الخير والصلاح.

وبعد وصولهما للبحرين أقاما فى أحد الفنادق هناك، فاستسلم خالد للنوم على الفور من أثر التعب والإجهاد.

أما فهد فقد خرج وحده للسوق، سيرًا على الأقدام، باحثًا عن طعام يدفع به جوعته.

قال فهد: وبينما أنا أسير فى منتصف السوق تقريبًا، إذ لفت انتباهى

مطعم فخم صغير ومزدحم كثيرًا. فقلت فى نفسى لو لم يكن هذا المطعم متميزًا، لما كان عليه هذا الإقبال الشديد رغم ضيق مساحته.

فاتجهت إلى المطعم، ودفعت بابه لكى أدخل، فأخذت أنظر يمينًا وشمالاً، فى صالة المطعم لعلى أجد مكانًا خاليا أجلس فيه، ولكن للأسف لم أجد.

وفجأة وجدت مدير المطعم يبتسم لى ويرحب بى ويقول: هل أجعل لك طاولة خاصة أمام واجهة المطعم؟

فقلت وبلا تردد: نعم . . . لو سمحت.

فجلست وحيدًا أنتظر العشاء.

وفى هذه اللحظات توقفت أمام المطعم سيارة فارهة جدًا، نزل منها صاحبها الذى بانت عليه علامات الثراء، فهرع له عدد من موظفى المطعم ليستقبلوه ويرحبوا به.

فلما وقعت عيناه على عينى استمر ينظر إلىَّ، وأخذ يرمقنى من بعيد إلى أن أقبل علىَّ، ثم استأذننى بالجلوس، فأذنت له.

وعندما جلس أمامى على طاولة واحدة، أخذت تفوح من فمه رائحة كريهة ونتنة جدًا، حتى أننى رجعت بالكرسى للخلف، محاولاً الابتعاد عنه، ولكن لا فائدة.

وبعد صمت دام لمدة... بدّد الرجل غيوم الصمت فقال: يا شيخ! أشعر بأنك متضايق من رائحة فمى المزعجة، هل هذا صحيح؟

فقلت له بلطف: نعم صدقت.

فقال: يا شيخ أنا مُبتلى بشرب الخمر منذ اثنى عشر عامًا، ولا أستطيع مفارقتها، وكيف أستطيع التخلى عنها، وهى الآن تسرى فى شرايينى؟!

قلت له: لا حول ولا قوة إلا بالله، والله إنه أمر عظيمٌ جدًا.

فسكتنا نحن الاثنين . . وبعد لحظات أخذ الرجل يتأفف ويتنهد بنفس طويل. . .

فقلت له: استغفر اللـه يا أخى، ولا تتأفف وتنفخ، بل اذكر الله وادعه أن يفرج همك، ويشرح صدرك، ويعينك على بلواك.

فقال: يا شيخ أنا عندى ملايين كثيرة، ومتزوج ولدىَّ خمسة أولاد، لا يزورونى ولا يسألون عنى مطلقًا ولو عن طريق الهاتف !!

وأخذ يشتكى لى ويبوح بما فى داخله، ثم قال: لعن اللـه المخدرات، لعن الله المخدرات.

فقاطعته وقلت: وما دخل المخدرات فى الأمر.

قال: أنا من تجار المخدرات يا شيخ!!

فأُسقط فى يدى، واندهشت من أمره كثيراً.

فقال لى: يا شيخ! إن أردت أن أذهب وأتركك، سأذهب بسرعة، ولن أغضب منك.

فقلت بعد لحظات من الصمت الممزوج بالحيرة: لا اجلس ولا تذهب حتى نتعشى.

وما هى إلا لحظات حتى جاء العشاء، فأكلنا حتى شبعنا. ثم أتى «الجرسون» بالفاتورة. فأدخل الرجل المليونير يديه فى جيبه، فأخرج منه مجموعة كبيرة من الأوراق المالية، فوضعها أمامى على الطاولة وقال: انظر يا شيخ إنها ٣٢ ألف دولار، كلها من الحرام، فبالله عليك أن تدفع أنت حساب الفاتورة، حتى ينفعنى الله بما أكلت من مالك الطيب الحلال.

فسددت الفاتورة وخرجنا.

فقال لى المليونير: يا شيخ أنا محتاج لك جدًّا جدًّا. أرجوك ثم أرجوك ألا تتركنى للحيرة والعذاب.

فقلت له: سأساعدك بما أقدر عليه بإذن الله.

قال: يا شيخ! أنا ارتحت لك كثيرًا، وقد انشرح صدرى لجلوسى معك... هيا لنجلس معًا فى أى مكان أنت تختاره...

فقلت له: أما الآن فلا أستطيع، ولكن أعدك بإذن الله أن ألتقى بك غدًا صباحًا، حيث إننى متعب من السفر، ثم إن صاحبى «خالد» تركته فى الفندق وحيدًا، وربما يكون الآن مشغول الذهن علىَّ.

فتمعر وجهه، واعتراه الأسى ثم قال: حسنًا حسنًا، إليك «كارتى» فيه أرقام هواتفى. فأخذت منه الكارت، واتجهت للفندق.

وما هى إلا لحظات حتى مر بى الرجل نفسه يقود سيارته الفخمة، فتوقف بجانبى وأنزل زجاج السيارة وقال: يا شيخ اعذرنى، أقسم بالله العظيم أننى أتشرف بركوبك بجانبى، ولكن هذه السيارة جلبتها بالمال الحرام، وكلها حرام فى حرام، ولا أريد أن أُجلسك على مقعد حرام. فتركنى وذهب لحال سبيله.

وعند وصولى الفندق وجدت صديقى «خالد» قد استيقظ، فأخبرته بالذى جرى بينى وبين ذلك الرجل المليونير. فتعجب خالد جدًّا من أمر ذلك الرجل، وعزمنا أن ندعوه على الفطور، وأن نحاول أن نسحبه إلى عالم الخير والهداية والصلاح.

وفى الساعة التاسعة صباحًا اتصلت بالرجل المليونير، ودعوته على الفطور فى الفندق الذى نقيم فيه. فحضر وجلسنا معه. وأخذ صديقى خالد يعظه ويكلمه بكلام جميل وطيب يؤثر فى الصخر، حتى تأثر ذلك الرجل تأثرًا بالغًا قد بان عليه، وقد رأيت دموعًا صادقة تلألأت فى عينيه، ثم انحدرت على خديه.

فرفع الرجل المليونير كفيه للسماء وأخذ يقول: اللهم إنى أستغفرك. اللهم اغفر لى. اللهم اغفر لى.

فعرضت عليه أن نزور بيت الله الحرام للعمرة، وأخذت أحدثه عن فضل العمرة، وما لها من أثر نفسى وراحة للمعتمر.

فقال الرجل: أعطونى فرصة للتفكير، وسوف أقوم بالاتصال بكم قبل الساعة الواحدة ظهرًا، ثم انفضَّ مجلسنا.

وفى تمام الساعة الثانية عشرة، أخذ هاتف الغرفة يرنّ، فرفع خالد السماعة، وأشار إلى أن هذا المتصل هو صاحبنا المليونير. وسمعت «خالد» يشترط على الرجل ألا يأخذ معه للعمرة ولا درهمًا واحدًا.

وفى الساعة التاسعة والنصف مساءً، انطلقنا نحن الثلاثة نحو مكة المكرمة. وهناك عند الميقات تجرد الرجل من ثيابه، ولبس إحرامًا اشتريناه له، فأخذ كل ملابسه التى كان يرتديها ورمى بها فى حاوية النفايات وقال: لابد أن تفارق هذه الملابس الحرام جسدى.

وبعد أن انتهينا من تأدية مناسك العمرة قررنا أن نخرج من الحرم؛ لكى نتحلل من الإحرام، ونبحث عن سكن لنا.

فقال الرجل المليونير بصوت حزين: اتركونى أجلس هنا واذهبا أنتما. فقلنا له: حسنًا ووصيناه ألا يغادر مكانه.

فلما عدنا لصاحبنا بعد أكثر من ساعة، وجدناه فى مكانه نائمًا، وقد نزل منه عرق غزير، فأيقظناه من النوم، وذهبنا به لبئر زمزم، فلما شرب منه طلب منا أن نفيض عليه من ماء زمزم، فأخذنا نصب عليه الماء حتى بللنا جسده بالكامل.

ثم ذهبنا للسكن لكى نرتاح، ولكن بعد لحظات طلب منا أن نسمح له بالرجوع للحرم المكى، فسمحنا له، فخرج للحرم، بعدما ارتدى ثوبًا بسيطًا

بعشرة ريالات، وقد كان يرتدى ما يزيد سعره عن الـ ٥٠٠ ريال دفعة واحدة.

وبعد صلاة الفجر التقينا به فى الحرم، فسلمنا عليه، وإذا بالنور يشعّ من وجهه، والابتسامة السمحاء طغت على ثغره.

فطلب منا أن نوصله بأحد أئمة الحرم المكى لأمر ضرورى خاص به.

وبعد جهد استطعنا تحديد موعد مع أحد أئمة الحرم القدماء بعد صلاة العشاء فى مكتبه بالحرم.

فلما أتى الموعد، ودخلنا سويًّا على إمام الحرم الذى كان ينتظرنا، فسلمنا عليه، ثم اقترب منه صاحبنا فقال له: يا شيخنا الكريم! إنى أملك ثلاثين مليون دولار - أكثر من مائة مليون ريال - كلّها من مكسب حرام. واليوم أنا تبت لله توبة صادقة، وأنبت إليه، فما أفعل بها؟

قال الشيخ بكل هدوء: تبرّع بها على الفقراء والمحتاجين.

فقال المليونير: إن المبلغ كبير وأنا لا أعرف كيف أصرفه، فهلا ساعدتنى على ذلك؟

فقال الشيخ: سوف أدلك على بعض أهل الخير ليساعدوك على توزيع المال.

ثم عدنا فى نفس اليوم إلى البحرين، وقمنا بإجراءات تحويل المبلغ إلى أحد البنوك فى السعودية.

وبعد يومين رجعنا إلى مكة، ومكثنا فيها ثلاثة أيام، ثم ودّعنا صاحبنا وأخبرناه بأن علينا العودة للكويت، ووعدناه أن نرجع إليه بعد بضعة أيام.

وبعد أربعة أيام رجعنا إلى مكة المكرمة، وهناك فى الحرم، وبعد البحث الطويل . . . وجدنا صاحبنا الذى كان مليونيراً واقفًا عند أحد ممرات الحرم، مرتديًا لباس عمال النظافة المخصصين لنظافة الحرم، ممسكًا بيده مكنسة!!

يكنس الممر بهـا !! فلما اقتـربنا منه وسلمنا عليه، اعـتنقنا عناقًا حـارًا وهو يرحّب بنا ويقول: باركا لى . . . باركا لى . . . فلما سألناه: عن ماذا نبارك لك؟ قال: لقد توظفت هنا بالحرم فى وظيفـة عامل نظافة، وأجرى الشهرى ٦٠٠ ريال، كما أن السكن عليـهم، وهى غرفة صغيرة يشاركـنى فيها اثنان من الإخوة الأفارقة كما أن المواصلات عليهم.

فباركنا لـه، وهنأناه على هذه الوظيفة الشريفـة التى تجرُّ المكسب الطيب الحلال.

واليوم وبعد مرور عامٍ كـامل، لا يزال هذا الرجل عامل نظافة فى الحرم المكى الشريف، وهو الآن يحفظ كتاب الله العـزيز وقد بدأ بحفظ صحيحى البخارى ومسلم.

قال تعـالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[1][2].

لا تحزن ... واذكر مُصابك بموت النبى ﷺ

ومن أعظم المصائب فى الدين موت النبى ﷺ ؛ لأن المصـيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم؛ لأن بموته ﷺ انقطع الوحى من السماء إلى يوم القيـامة، وانقطعت النبـوات، وكان موته أول ظـهور الشر والفـساد، بارتداد العرب عن الدين، فهـو أول انقطاع عُرَى الدين ونقصانه، وفيـها غاية التسلية عن كل مصيبة تصيب العبد، وغير ذلك من الأمور التى لا أحصيها.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما نفضنا أيدينا من التـراب من قبر رسول الله ﷺ حتى أنكرنا قلوبنا.

---

(١) سورة فصلت: آية (٣٠).

(٢) نقلاً عن: شبكة قصة الإسلامية: موسوعة القصص الواقعية.

قال ﷺ : «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبته بى، فإنها من أعظم المصائب»(١).

ولقد أحسن أبو العتاهية فى نظمه موافقًا لهذا الحديث، حيث يقول:

اصبر لكلِّ مُصيبة وتجلد
واعلم بأن المرء غيرُ مخلَّدِ
أو ما ترى أن المصائب جَمَّة
وترى المنية للعباد بمرصدِ
من لم يصَب ممن ترى بمصيبة
هذا سبيل لست عنه بأوحدِ
فإذا ذكرت محمدًا ومصابه
فاذكر مصابك بالنبى محمد

والمقصود أن المصائب تتفاوت، فأعظمها المصيبة فى الدين، ثم بعد مصيبة الدين المصيبة فى النفس، ثم فى المال؛ . . . . . أما المال فيخلفه الله تعالى، وهو فداء الأنفس، والنفس فداء الدين، والدين لا فداء له.

بل هو خيرٌ لكم

* قد تكون المحنة هى عين المنحة، وقد يكون الخير كله فى هذا البلاء. . . فالله أدرى بما يصلح عباده وهو أرحم بهم من رحمة الأم بطفلها الرضيع، ﴿ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٢).

﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾(٣).

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٧).
(٢) سورة النور: آية (١١).
(٣) سورة البقرة: آية (٢١٦).

• **لا تحزن من الشدائد:**

فإنَّ الشدائد تقوِّى القلب، وتمحو الذنب، وتقصم العُجْب، وتنسف الكِبْر، وهى ذوبان للغفلة، وإشعال للتذكُّر، وجلبُ عطف المخلوقين، ودعاءٌ من الصالحين، وخضوع للجبروت، واستسلام للواحد القهار، وزجرٌ حاضر، ونذير مقدم، وإحياء للذكر، وتضرُّع بالصبر، واحتساب للغصص، وتهيئة للقدوم على المولى، وإزعاج عن الركون إلى الدنيا، والرضا بها والاطمئنان إليها، وما خفى من اللطف أعظم ،وما سُتِر من الذنب أكبر، وما عُفى من الخطإ أجلُّ[(١)].

وبضدها تتميز الأشياء

هل تخيلت يومًا أنك لم تكن مسلمًا - عافاك الله - وعشت كافرًا تحارب الله ورسوله ﷺ وتجحد آياته، وتعصى أوامره، وتُكذب رسله، ولا تفعل شيئًا يقربك من الله - جلَّ وعلا - وعشت على ذلك حتى دخل عليك ملك الموت فَمُتَّ على ذلك، ورأيت فى قبرك من العذاب ألوانًا ثم بُعثت ووقفت فى أرض المحشر خمسين ألف سنة حافيًا عاريًا لا تجد لقمة خبز، ولا شربة ماء، ثم حاسبك الله حسابًا عسيرًا ثم أدخلك النار خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.

* ثم تذكَّر أنك الآن مسلم موحد تحب الله ورسوله، وتؤمن بالله واليوم الآخر، وتعبد الله وتتقرب إليه بكل ما أمرك به فعشت على ذلك ومُت على ذلك؛ فرأيت النعيم الذى لا يوصف فى القبر ثم بُعثت يوم القيامة لتكون فى ظل عرش الرحمن - جلَّ وعلا- وشربت من حوض النبى ﷺ ثم حاسبك الله حسابًا يسيرًا وأدخلك الجنة لترى فيها النعيم المقيم وعشت خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.

---

(١) لا تحزن (ص: ١١٨).

* بل ومن كمال النعيم أن أهل الجنة ينظرون إلى عذاب أهل النار فيشكرون ربهم على هذا النعيم المقيم.

* ولقد صور لنا النبى ﷺ رحلة السعداء ورحلة الأشقياء فى حديث جامع يصور لنا تلك الرحلة.

* قال ﷺ: **«إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فِىِّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدَعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، وأعيدوا عبدى إلى الأرض، فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام؟ فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما علمك فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها ويُفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه**

حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة! اخرجى إلى سخط من الله وغضب، فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدَعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يُسمَّى بها فى الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح له -ثم قرأ-: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتُطرح روحه طرحًا فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له :من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تُقم الساعة»(١).

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٧٥٣) كتاب السنة، وأحمد (١٨٠٦٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن

* احرص - أخى الحبيب - على أن تسأل الله - جلَّ وعلا - أن ينعم عليك بالحياة الطيبة المليئة بالسرور والسعادة وراحة البال وصفاء الخاطر فإن الحياة الطيبة فى ظل الإيمان هى جنة الدنيا.

- فالحزن ليس مطلوبًا شرعًا ولا مقصودًا أصلاً فإنه يعطل العبد عن سيره ولذلك نجد أن النبى ﷺ كان يستعيذ بالله منه.

قال ﷺ: «**اللهم إنى أعوذ بك من الهمِّ والحزن**»، فهو قرين الهمِّ، والفرق بينهما: أن المكروه الذى يرد على القلب إن كان لما يُستقبل أورثه الهمَّ، وإن كان لما مضى أورثه الحزن، وكلاهما مُضعف للقلب عن السير، مُفتِّر للعزم.

أما قوله ﷺ **فى الحديث الصحيح**: «**ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا نَصَب ولا حَزن، إلا كفر الله به من خطاياه**»(١). فهذا يدلُّ على أنه مصيبة من عند الله يصيب الله بها العبد، يكفر بها من سيئاته.

ولا يدل على أنه مقام ينبغى على العبد أن يطلبه ويحرص عليه، بل ينبغى على العبد أن يدفعه قدر استطاعته.

* فالحزن من أحب الأشياء إلى الشيطان: أن يُحزن العبد ليوقفه أو يعطله عن سيره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢). ونهى النبى ﷺ الثلاثة: «أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث، لأن ذلك يحزنه»(٣).

* أما الحزن المحمود فى الشرع هو أن يحزن المؤمن إذا وقع فى أى ذنب

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٥٦٤٢) كتاب المرضى، ومسلم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما.

(٢) سورة المجادلة: آية (١٠).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (٦٢٨٨) كتاب الاستئذان، ومسلم (٢١٨٣) كتاب السلام، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

أو كان مقصراً فى طاعة الله . . . بخلاف أهل الدنيا الذين يحزنون على فوات الشهوات والملذات، ولا يحزنون على التقصير فى حق الله أو الوقوع فى معصية الله - جلَّ وعلا -.

* فإذا نزل الحزن بالإنسان، ولم يكن له حيلة فى ذلك فعليه أن يدفعه قدر استطاعته بالدعاء وغيره . . . وليعلم أنه مأجور على ذلك؛ لأن الحزن ينغص على الإنسان عيشه ويكدر عليه حياته، ويصيب نفسه بالسآمة والفتور فإذا صبر واحتسب وحاول دفعه بالوسائل الشرعية كان مأجوراً.

* وإذا أصيب العبد بالحزن ولم يكن له حيلة فى ذلك فليعلم أن هذا هو حال الدنيا التى لا تستقيم على حالٍ أبدًا . . . وأن السعادة والنعيم والسرور لا يكون إلا فى الجنة ولذلك يقول أهل الجنة إذا دخلوها: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ**﴾(١).

عنوان السعادة

* ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله- أن عنوان سعادة العبد ثلاثة أمور هى:

١- إذا أنعم عليه شكر.

٢- إذا ابتُلى صبر.

٣- إذا أذنب استغفر.

قال: «فإن هذه الأمور الثلاثة هى عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه فى دنياه وأُخراه، لا ينفك عبد عنها أبدًا».

كلمات من القلب إلى القلب

* ما ضُرِب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب، والبعد عن الله.

* خُلقت النار لإذابة القلوب القاسية.

---

(١) سورة فاطر: آية (٣٤).

* أبعد القلوب من الله القلب القاسى.

* إذا قسا القلب قحطت العين.

* قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل، والنوم، والكلام، والمخالطة. كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ.

* من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.

* القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلُّقها بها.

* خراب القلب من الأمن والغفلة، وعمارته من الخشية والذكر.

* الشوق إلى الله ولقائه نسيم يهبُّ على القلب يُروِّح عنه وهج الدنيا.

* من وطَّن قلبه عند ربه سكن واستراح، ومن أرسله فى الناس اضطرب واشتد به القلق.

* لا تدخل محبة الله فى قلب فيه حب الدنيا إلا كما يدخل الجمل فى سَم الإبرة - ثقب الإبرة-.

* إذا أحب الله عبدًا اصطنعه لنفسه، واجتباه لمحبته، واستخلصه لعبادته؛ فشغل همَّهُ، ولسانه بذكره، وجوارحه بخدمته.

* القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه فى التوبة والحمية، ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر، ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته التقوى، ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه المعرفة والمحبة والتوكل والإنابة والخدمة(١).

حسبنا الله ونعم الوكيل

فى صحيح البخارى عن ابن عباس ﷺ قال: حسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) الفوائد: (١٤٦، ١٤٧).

قالها إبراهيم ﷺ، حين أُلقى فى النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[(١)] [(٢)].

وفى رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آخر قول إبراهيم ﷺ حين أُلقى فى النار: «حسبى الله ونعم الوكيل»[(٣)].

* فيا أيها الأخ الحبيب: إذا تسلط عليك ظالم وخشيت أن يبطش بك فقل: حسبى الله ونعم الوكيل.

- إذا قَلَّ مالك وكثرت ديونك فقل: حسبى الله ونعم الوكيل.

- إذا كنت فى كرب وشدة وبلاء فقل: حسبى الله ونعم الوكيل.

* إنك لن تستطيع أن تواجه متاعب الحياة وحدك إلا إذا أويت إلى ركنٍ شديد . . . إلا إذا استعنت بالملك - جلَّ وعلا -.

* ففوض أمرك إلى الله وليكن شعارك دائمًا:

اللهم إنى أبرأ إليك من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك ومن الذل إلا فى طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين.

العدل فى الغضب والرضا

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[(٤)].

فالإسلام جاء بميزان القيم والأخلاق والسلوك، كما جاء بالمنهج السوى.

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٧٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٤٥٦٣) كتاب تفسير القرآن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٥٦٤) كتاب تفسير القرآن، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) سورة البقرة: آية (١٤٣).

- وكما أن المسلم مطالب بأن يكون عادلاً فى الأحكام فهو أيضًا مطالب بأن يكون عادلاً فى عالم المُثل والأخلاق.

* بمعنى أنه ينبغى على كل مسلم أن يكون عادلاً فى عواطفه وانفعالاته عند الحزن والفرح .... عند الحب والبغض .... عند التآخى وعند الخصام ....

- فنحن أمة وسط فى الحب والبغض .... فلا ينبغى للمسلم إذا خاصم أخاه أن يذمه وينسى كل محاسنه وفضائله ... وإذا أحب آخر مدحه وبالغ فى مدحه، وخلع عليه أوسمة الشرف.

قال على ﷺ: «أَحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»(١).

* ومن ثمَّ فعليك - أخى الحبيب - أن تضبط عواطفك عند الرضا والغضب، وعند الحزن والفرح، وعند الحب والبغض ... وأن تكون عادلاً مع كل من حولك فلا يحملك الغضب على ظلم الناس ولا يحملك الرضا على محاباة بعضهم على حساب البعض الآخر.

ولا يحملك الحزن على الاعتراض على قضاء الله ... ولا يحملك الفرح على الأشر والبطر واستعمال النعم فى معصية الله ... ولا يحملك الحب على كثرة المدح والثناء ولا يحملك الهجر والبغض على ذم الناس من حولك.

-كن عادلاً فى عواطفك وأخلاقك، وفى كل شىء فلقد كان النبى ﷺ يقول: **«وأسألك العدل فى الغضب والرضا»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (١٩٩٧) كتاب البر والصلة، من حديث أبى هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٧٨).

(٢) حسن: حسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٢)، من حديث ابن عمر ﷺ.

تخير من يساعدك

* لا تجعل من متاعبك وهمومك موضوعًا للحديث؛ لأن أفكار محدثيك السلبية مهما كانت شريفة المقصد تجعل حاجزًا بينك وبين الحلول السعيدة.

إنك لا تخرج مبتهجًا إلا فى النادر من حديث يدور موضوعه حول مخاوفك وهمومك.

* لا تُفض بمتاعبك إلا لأولئك الذين يساعدونك بتفكيرهم الوقّاد، ورؤيتهم المستنيرة، وكلامهم الذى يشرق الروح ويبعث الأمل فى النفس(١).

يحبهم ويحبونه

ليس الشأن أن تُحب ولكن الشأن أن تُحَب.

قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(٢).

قال بعضهم: ليس العَجَب من قوله: يحبُّونه، ولكن العجب من قوله: يحبُّهم. هو الذى خلقهم ورزقهم وتولاهم وأعطاهم، ثم يحبهم.

* **أخى الحبيب:** اعلم أن الله سبحانه غرس شجرة محبته ومعرفته وتوحيده فى قلوب من اختارهم لربوبيته، واختصَّهم بنعمته، وفضَّلهم على سائر خليقته. فهى ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾(٣).

---

(١) دليلك إلى السعادة النفسية (ص: ٥١، ٥٢).

(٢) سورة المائدة: آية (٥٤).

(٣) سورة إبراهيم: آية (٢٤، ٢٥).

واعلم يا أخى: «أن من قرَّت عينه بالله سبحانه قرَّت به كل عين، وأنس به كل مستوحش، وطاب به كل خبيث، وفرح به كل حزين، وأمن به كل خائف، وشهد به كل غائب، وذكرت رؤيته بالله، ومن اشتاق إلى الله اشتاقت إليه جميع الأشياء».

وحب الله لعبد من عبيده، أمر لا يقدر على إدراك قيمته إلا من يعرف الله - سبحانه - بصفاته كما وصف نفسه، وإلا من وجد إيقاع هذه الصفات فى حسه ونفسه وشعوره وكينونته كلها . . أجل لا يقدر حقيقة هذا العطاء إلا الذى يعرف حقيقة المعطى . . . الذى يعرف من هو الله . . . من هو صانع هذا الكون الهائل.

من هو . . . ومن هذا العبد الذى يتفضل الله عليه منه بالحب . . . والعبد من صنع يديه - سبحانه - وهو الجليل العظيم، الحى الدائم، الأزلى الأبدى، الأول والآخر، والظاهر والباطن.

وحب العبد لربه نعمة لهذا العبد لا يدركها كذلك إلا من ذاقها . . . وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا هائلاً عظيمًا، وفضلاً غامرًا جزيلاً، فإن إنعام الله على العبد بهدايته لحبه، وتعريفه هذا المذاق الجميل الفريد، الذى لا نظير له فى مذاقات الحب كلها ولا شبيه . . . هو إنعام هائل عظيم . . . وفضل غامر جزيل.

وإذا كان حب الله لعبد من عبيده أمرًا فوق التعبير أن يصفه، فإن حب العبد لربه أمر قلما استطاعت العبارة أن تصوره إلا فى فلتات قليلة من كلام المحبين.

* **عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله».** قال: فبات الناس ليلتهم، أيهم يُعطاها؟

- وفى رواية: أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه**». قال عمر بن الخطاب: ما أحببتُ الإمارة إلاّ يومئذ. قال: فتساورت لها رجاء أن أُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فأعطاه إياها ....»(١).

اجن العسل ولا تكسر الخليَّة

الرفق ما كان فى شىء إلا زانه، وما نُزع من شىء إلا شانه، اللين فى الخطاب، البسمة الرائقة على المُحيَّا، الكلمة الطيبة عند اللقاء، هذه حُلل منسوجة يرتديها السعداء، وهى صفات المؤمن... كالنحلة تأكل طيبًا، وتصنع طيبًا، وإذا وقعت على زهرها لا تكسرها؛ لأن الله يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف... إن من الناس مَن تشرئب لقدومهم الأعناق، وتشخص إلى طلعاتهم الأبصار، وتحييهم الأفئدة، وتشيعهم الأرواح؛ لأنهم محبوبون فى كلامهم فى أخذهم وعطائهم، فى بيعهم وشرائهم، فى لقائهم ووداعهم.

إن اكتساب الأصدقاء فن مدروس يجيده النبلاء الأبرار، فهم محفوفون دائمًا وأبدًا بهالة من الناس إن حضروا فالبشر والأُنس، وإن غابوا فالسؤال والدعاء.

سهرنا ونام الركب والليل مسرف
وكنت حديث الركب فى كل منزل

إن هؤلاء السعداء لهم دستور أخلاق عنوانه: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازى، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) سورة فصلت: آية (٣٤).

فهم يمتصّون الأحقاد بعاطفتهم الجياشة، وحلمهم الدافئ، وصفحهم البرىء، يتناسون الإساءة ويحفظون الإحسان، تمر بهم الكلمات النابية فلا تلج آذانهم بل تذهب بعيدًا هناك إلى غير رجعة.

هم فى راحة والناس منهم فى أمن والمسلمون منهم فى سلام **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»**[1] **«إن الله أمرنى أن أصل من قطعنى، وأن أعفو عمَّن ظلمنى، وأن أعطى من حرمنى»**[2] ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[3].

بشِّر هؤلاء بثواب عاجل من الطمأنينة والسكينة والهدوء.

من سالم الناس يسلم من غوائلهم
ونام وهو قرير العين جذلان

وبشرهم بثواب أخروى كبير فى جوار رب غفور فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر[4].

* * *

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٢٦٢٧) كتاب الإيمان، والنسائى (٤٩٩٥) كتاب الإيمان وشرائعه، وأحمد (٨٧١٢)، من حديث أبى هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٧١٠).

(٢) ذكره الخطيب التبريزى فى المشكاة (٣/١٦٢) وعزاه لرزين.

(٣) سورة آل عمران: آية (١٣٤).

(٤) ثلاثون سببًا للسعادة (ص: ٤١، ٤٢).

اذهبوا فأنتم الطلقاء

إياك أن تنشغل بكلمات الحاسدين والحاقدين فإنك ستخسر وقتك وعمرك، وقبل ذلك ستخسر قلبك .... لا تلتفت إلى هؤلاء فإنهم قُطاع طُرق يريدون أن يؤخروك عن دعوتك وأن يشغلوك عن السير قدر الاستطاعة.... بل اجعل كل ذلك دافعًا لك لأن تنجح أكثر وأكثر.

كان قائد البحرية الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية رجلاً لامعًا، يحرص على الشهرة، فتعامل مع مرؤوسيه الذين كالوا له الشتائم والسباب والإهانات، حتى قال: أصبح اليوم عندى من النقد مناعة، لقد عجم عودى، وكبرت سنى، وعلمتُ أن الكلام لا يهدم مجدًا ولا ينسف سُورًا حصينًا.

وكان **الرئيس الأمريكى «إبراهام لينكولن» يقول** : أنا لا أقرأ رسائل الشتم التى تُوجَّه إلىَّ، لا أفتح مظروفها فضلاً عن الرد عليها، لأننى لو اشتغلت بها لما قدَّمت شيئًا لشعبى. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[1] .

* **فالشاهد:** أننى أريد منك أن تعفو عن كل هؤلاء ولا تنشغل بما يقولون حتى لا تُضيع وقتك فى الرد عليهم والتشفِّى منهم فوقتك أثمن من ذلك ... فافعل معهم كما فعل النبى ﷺ بأهل مكة الذين آذوه وطردوه وقتلوا أصحابه فلما عاد إليهم فاتحًا منتصرًا قال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

- ولو انشغل النبى ﷺ بما يقولون ويفعلون لما وجد وقتًا لإقامة الدولة الإسلامية .... ولما وجد وقتًا لتعليم أصحابه وأمته من بعده.

* * *

(١) سورة النساء: آية (٨١).

حتى تكون سعيدًا في حياتك الاجتماعية

- **لكى تكون سعيدًا فى حياتك الاجتماعية:**

١- أعط كلّ ذى حق حقه.

٢- اقبل النصح ولو من عدوك.

٣- أحب لأخيك ما تحب لنفسك.

٤- التمس للناس الأعذار كما تلتمسها لنفسك.

٥- لا تجعل خطأً واحدًا يُنسيك معروفًا كثيرًا.

٦- تواضع للناس ولا تكن متعاظمًا.

٧- إياك والغرور فإنه يورث الضغينة.

٨- أحب الناس بلا مقابل.

٩- كن إيجابيًّا وشارك فى نجاحات الآخرين.

١٠- ليكن لك نشاطات اجتماعية مفيدة.

١١- اشكر من قدم إليك معروفًا.

١٢- كن حسن الاستماع للآخرين.

١٣- أشعر الآخرين باهتمامك بهم.

١٤- أشعر الآخرين بقيمة آرائهم.

١٥- لا تنتقد الآخرين بغير حق، ولا تنصحهم على الملإ، والتزم قول الشافعى.

تغمدنى بنصحك فى انفرادى

وجنبنى النصيحة فى الجماعة

فإن النصح بين الناس أمر
من التوبيخ لا أرضى استماعه

١٦- لا تجادل إلا بالتى هى أحسن.

١٧- كن محاوراً جيداً.

١٨- تعلم من تجارب الآخرين.

١٩- لا تكن سيئ الظن، كذلك لا تكن سطحيًّا.

٢٠- لا تغضب، ولا تغدر، ولا تكذب، ولا تحسد، ولا تغتب أحداً.

٢١- عليك بالهدية فإنها تُذهب ما فى الصدور.

٢٢- لا تنم إلا وأنت سليم الصدر على إخوانك.

٢٣- ليكن الرفق زادك فى نصح الآخرين.

٢٤- إذا لم تستطع أن يحبك بعض الناس، فلا أقلَّ من أن يحترموك.

٢٥- لا تكن مخادعاً فينفر الناس منك.

٢٦- افهم الآخرين قبل أن تطلب منهم أن يفهموك.

٢٧- شارك الآخرين مشاعرهم.

٢٨- ابتسم دائماً للناس، فإن ذلك صدقة.

٢٩- لا تُكثر الحديث عن نفسك.

٣٠- تمتع بروح الدعابة والفكاهة، ولا تكثر من المزاح فيستخف بك.

٣١- أصلح نيتك دائماً، واجعل جميع علاقاتك لله وفى الله.

٣٢- كن سهلاً، هيناً، ليناً، صبوراً، رحيماً، خدوماً، مبدعاً.

٣٣- تناس مساوئ أصدقائك، يدم لك ودّهم.

٣٤- الحقد لا يؤذى الآخرين، ولكن الأذى الذى يقع على الحاقد لا مفرَّ منه.

٣٥- أدّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك.

٣٦- احتسب الأجر فى كلّ ما يصيبك من أذى.
٣٧- كن وفيًّا بوعودك، فإن إخلاف الوعد يُسقطك.
٣٨- أنَزل الناس منازلهم، ولا تعامل الشريف معاملة السوقة.
٣٩- حاول أن ترى الأمور بعين الآخرين لتعرف وجهة نظرهم.
٤٠- لا تتدخلِ فى شؤون غيرك الخاصة، ولا تسأل عن أموره الخاصة.
٤١- الصواب ليس حكرًا عليك، فلا تُسفِّه آراء غيرك[١].

من صفات المؤمن

هو فى واد والناس فى وادٍ؛ خاضع متواضع سليم القلب، سلس القياد لحقّ، سريع القلب إلى ذكر الله، برىء من الدعاوى لا يدعى بلسانه ولا بقلبه ولا بحاله، زاهد فى كل ما سوى الله، راغب فى كل ما يقرب على الله، قريب من الناس أبعد شىء منهم، يأنس بما يستوحشون منه، ويستوحش مما يأنسون به، منفرد فى طريق طلبه ... لا يفرح بموجود ولا يأسف على مفقود، من جالسه قرَّت عينه به، ومن رآه ذكَّرته رؤيته بالله سبحانه، قد حمل كَلَّهُ ومؤنته عن الناس، واحتمل أذاهم وكف أذاه عنهم، وبذل لهم نصيحته وسبَّل لهم عِرضه ونفسه لا لمعاوضة ولا لذلة وعجز، لا يدخل فيما يعنيه ولا يبخل بما لا ينقصه، وصفه الصدق والعفة والإيثار والتواضع والحلم والوقار والاحتمال، لا يتوقع لما يبذله للناس عوضًا منهم ولا مدحة، لا يعاتب ولا يخاصم ولا يطالب ولا يرى له على أحد حقًّا، ولا يرى على أحد فضلاً، مُقبل على شأنه، مُكرم لإخوانه، بخيل بزمانه، حافظ للسانه[٢].

(١) الصعود إلى قمة النجاح ص (٥٦-٦٢).
(٢) طريق الهجرتين: (٥١).

الإيمان مصدر الأمان

إن الناس يخافون من أشياء كثيرة، وأمور شتى، ولكن المؤمن سد أبواب الخوف كلها. فلم يعد يخاف إلا الله وحده، يخافه أن يكون فرَّط فى حقه، أو اعتدى على خلقه، أما الناس فلا يخافهم؛ لأنهم لا يملكون له ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

دعا أبو الأنبياء إبراهيم إلى توحيد الله، وتحطيم الأصنام، فخوَّفه قومه من آلهتهم التى دعا إلى نبذها، فقال إبراهيم متعجبًا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(1) . . . وقد عقَّب الله على ذلك حاكمًا بين الفريقين فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(2) . .

وفسر النبى ﷺ الظلم فى هذه الآية بالشرك: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(3).

فبيَّن لنا أن الإيمان والتوحيد هما أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، وبالتالى يكون الجحود بالله أو الشك فيه، أو الشرك به، أعظم أسباب الخوف والاضطراب والرعب، وصدق الله إذ قال: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾(4).

• أهمية الأمن النفسى لتحقيق السعادة والسكينة:

كما لا يتحسر المؤمن على الماضى باكيًا حزينًا، ولا يلقى الحاضر جزوعًا ساخطًا، لا يواجه المستقبل خائفًا وجلاً، ولا يعيش فى فزع منه، ورهبة من

(1) سورة الأنعام: آية (81).
(2) سورة الأنعام: آية (82).
(3) سورة لقمان: آية (13).
(4) سورة آل عمران: آية (151).

غموضه، وتوجّس من جبروته، كأنه عدو شرير متربص، بل يعيش آمن النفس كأنه فى الجنة . . . إن إيمانه كان مصدر أمنه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة بل هو نوع منها، إنه طمأنينة تتعلق بالمستقبل، بكل ما يتوقعه الإنسان ويخاف منه، أو يخاف عليه، ولا سعادة بدون هذا الأمن النفسى . . . وقد قيل لحكيم: ما السرور؟ فقال: الأمن. فإنى وجدت الخائف لا عيش له.

ولا عجب أن جعل الله الجنة دار أمن وسلام كاملين، فأهلها فى الغرفات آمنون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وتتلقاهم الملائكة منذ اللحظة الأولى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[1][2].

وعند الصباح يُحمد السرى

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:

لا ينبغى للمؤمن أن ينزعج من مرض أو نزول موت، وإن كان الطبع لا يملك.

إلا أنه ينبغى له التصبر مهما أمكن إما لطلب الأجر بما يعانى، أو لبيان أثر الرضى بالقضاء، وما هى إلا لحظات ثم تنقضى.

وليتفكر المعافَى من المرض فى الساعات التى كان يقلق فيها أين هى فى زمان العافية؟ . . . ذهب البلاء وحصل الثواب.

كما تذهب حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر. ويمضى زمان التسخط بالأقدار، ويبقى العتاب.

وهل الموت إلا آلام تزيد فتعجز النفس عن حملها فتذهب.

---

(١) سورة الحجر: آية (٤٦).

(٢) الإيمان والحياة (ص:١٤٩، ١٥٠).

فليتصور المريض وجود الراحة بعد رحيل النفس، وقد هان ما يلقى.

كما يتصور العافية بعد شرب الشربة المرة.

فالسعيد من وفُق لاغتنام العافية، ثم يختار تحصيل الأفضل فى زمن الاغتنام.

وليعلم أن زيادة المنازل فى الجنة على قدر التزيد من الفضائل ههنا. والعمر قصير، والفضائل كثيرة فليبالغ فى البدار.

فيا طول راحة التَّعِب، ويا فرحة المغموم، ويا سرور المحزون.

ومتى تخايل دوام اللذة فى الجنة من غير منغص ولا قاطع، هان عليه كل بلاء وشدة(١).

عروة بن الزبير رضي الله عنهما ...

ونعمة الرضا

وها هو عروة بن الزبير رضي الله عنهما الذى يُضرب به المثل فى الصبر على البلاء والرضا بقضاء الله تعالى . . . ها هو يتعرض لهذا البلاء الشديد الذى سيظل العلماء والخطباء يرددونه من على المنابر وفى مجالس العلم فى كل زمان، بل وفى كل مكان.

فعن هشام بن عروة عن أبيه: وقعت الأكلة فى رجله فقيل له: ألا ندعوا لك طبيبًا؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب فقال: أسقيك شرابًا يزول فيه عقلك. فقال: امضِ لشأنك، ما ظننت أن خلقًا يشرب شرابًا ويزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حسًّا، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٩١).

ابتليت لقد عافيت، . . . . وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة(١).

وقـال عامـر بن صـالح عن هشام بن عـروة: إن أباه خرج إلى الـوليد بن عبدالملك حتى إذا كان بوادى القرى وجد فـى رجله شيئًا فظهرت به قرحة، ثم ترقّى به الوجع، فلما قدم على الوليد قال: يا أبا عبد الله اقطعها. قال: دونك.

فدعـا له الطبيـب وقال له: اشرب المُرقـد فلم يفعل، فقطعـها من نصف الساق، فما زاد على قوله: حَسِّ حَسِّ. فقال الوليـد: ما رأيت شيخًا أصبر من هذا.

وأصيب عروة فى هذا السـفر بابنه محمد، ركضـته بغلة فى اسطبل فلم نسمع منه كلمة فى ذلك، فلمـا كان بوادى القرى قال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾(٢).

اللهم كان لى بنون سبـعة فأخذت منهم واحدًا وأبقيت لـى ستة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت طرفًا وأبقـيت ثلاثًا، فإن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت(٣).

قصة الحيّة والسّكران

إن الإنسان لا يسـتغنى عن ربِّه طرفة عـين، حتى العصـاة المذنبون، بل حتى الكفار، يتقلبون فيـما أنعم الله به عليهم من أنواع الحفظ والرعاية إلى أجلٍ هم بالغوه . . . ولو كـشف الله ستره عن عباده؛ لابـتلعتهم الأرض، وأغرقتهم البحار، ودمرتهم الرياح والعواصف.

---

(١) تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٠، ٢١).
(٢) سورة الكهف: آية (٦٢).
(٣) تاريخ الإسلام (٦/ ٢٤٧).

عن يوسف بن الحسين يقول: كنت مع ذى النون المصرى على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبتها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت، فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأنًا فامض بنا، فجعلنا نقفو أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حية قد جاءت فصعدت من ناحية سُرته إلى صدره وهى تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتها: فانقلبت وانفسخت، ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت، فحرك ذو النون الرجل النائم، ففتح عينيه، فقال: يا فتى، انظر مما نجاك الله! هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التى أرادتك، ثم أنشأ ذو النون يقول:

يا غافلاً والجليل يحرسه
من كل سوء يدب فى الظُّلَمِ
كيف تنام العيون عن ملك
تأتيه منه فوائدُ النّعَمِ

فنهض الشاب وقال: إلهى، هذا فعلك بمن عصاك!، فكيف رفقك بمن يطيعك؟! ثم ولى، فقلت: إلى أين؟، قال: إلى طاعة الله[1].

الله يراك

حُكى أن رجلاً تعلّق قلبه بامرأة بدوية، وفى أحد الأيام ذهبت إلى حاجة لها، فتبعها.

فلما خلا بها فى البادية والناس نيام حوله، راودها عن نفسها فقالت له: انظر... أنام الناس جميعًا؟

(١) كتاب التوابين (ص: ٢٢٦).

ففرح الرجل، وظن أنها قد أجابته، فقام، وطاف حول مضارب الحى، فإذا الناس نيام، فرجع إليها وأخبرها.

فقالت له: ما تقول فى الله تعالى؟ أنائم هو فى هذه الساعة؟ فانتبه الرجل من غفلته، وأثر كلامها فى قلبه، فملأه خشية ورهبة من الله تعالى، وأجابها وهو يرتعد خوفًا من الله: إن الله لا ينام، ولا تأخذه سنة ولا نوم.

فقالت المرأة: إن الذى لم ينم ولا ينام يرانا، وإن كان الناس لا يروننا، فهو أولى أن يُخاف منه.

فاتعظ الرجل وتركها وندم وتاب، ثم بكى على فعلته، ولسان حاله يقول:

بكيت على الذنوب لعظم جُرمى
وحق لكل من يعصى البكاء
ولو كان البكاء يردُّ همى
لأسعدت الدموع معًا دماء

* وقال الإمام الشنقيطى -رحمه الله تعالى-: قوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١).

يبين الله تعالى فى هذه الآية الكريمة: أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوى عليه الضمائر، وما يعلن، وما يُسر، والآيات المبينة لهذا كثيرة جدًّا، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾(٢) قوله -جلَّ وعلا-: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾(٣).

---

(١) سورة هود: آية (٥).

(٢) سورة ق: آية (١٦).

(٣) سورة البقرة: آية (٢٣٥).

واعلم أن الله تبارك وتعالى ما أنزل من السماء إلى الأرض واعظًا أكبر، ولا زاجرًا أعظم مما تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها فى القرآن، من أنه تعالى عالم بكل ما يعمله خلقه، رقيب عليهم، ليس بغائب عما يفعلون.

وضرب العلماء لهذا الواعظ الأكبر، والزاجر الأعظم مثلاً ليصير به كالمحسوس، فقالوا: لو فرضنا أن ملكًا قتَّالاً للرجال، سفاكًا للدماء شديد البطش والنكال على من انتهك حرمته ظلمًا، وسيافه قائم على رأسه، والنطع مبسوط للقتل، والسيف يقطر دمًا، وحول هذا الملك الذى هذه صفته جواريه وأزواجه وبناته، فهل ترى أن أحدًا من الحاضرين يهم بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملك وأزواجه، وهو ينظر إليه، عالم بأنه مطلع عليه؟! لا، وكلا، بل جميع الحاضرين يكونون خائفين، وجلة قلوبهم، خاشعةً عيونهم، ساكنة جوارحهم خوفًا من بطش ذلك الملك[١].

ولا شك - ولله المثل الأعلى - أن رب السموات والأرض - جلَّ وعلا- أشد علمًا، وأعظم مراقبة، وأشد بطشًا، وأعظم نكالاً وعقوبة من ذلك الملك، وحماه فى أرضه محارمه»[٢]. اهـ.

● **فيا أخى المذنب**، وكلنا مذنبون . . .

إن التوبة هى بداية رحلة السعادة ونهاية رحلة الشقاء . . . فاغسل وجهك بماء عينك، ولسانك بذكر خالقك، وقلبك بخشية ربك، وذنوبك بالتوبة الصادقة . . .

فالله تعالى ينادى:

مَن الذى تاب إلينا فما قبلناه؟

---

(١) ونظير ذلك ما استحدث فى المستشفيات والمصانع والمحلات التجارية حيث تبث الكاميرات التلفزيونية فى شتَّى المواقع لمراقبة العمال واللصوص، الذين ينزجرون بذلك لاحتمال تسلط الكاميرا عليهم وبالتالى انكشاف أمرهم، . . . ولله المثل الأعلى.

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٩، ١٠) بتصرف.

مَن الذى طلب منا فما أعطيناه؟

مَن الذى استقال من ذنبه فما غفرناه؟

أنا الذى أغـفر الذنـوب، وأستـر العيـوب، وأغـيث المكروب، وأرحم الباكى النَّدوب، وأنا علام الغيوب . . (١)

أسعد قلبك بغض البصر

* إذا كـان النظر إلى النسـاء الجـميلات لذة وفـرصـة لا تُعـوَّض عند أصحاب القلوب المريضـة فإن الامتثال لأمر الله بغض البـصر عن المحرمات يجلب السعادة والسرور إلى قلب العبد المؤمن.

* ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - عن غض البصر فوائد كثيرة كان منها:

أنه يورث القلب سـروراً وفـرحة وانشـراحـًا أعظم من اللذة والسـرور الحاصل بالنظر؛ وذلك لقهره عدوّه بمخالفته، ومخالفة نفسه وهواه.

وأيضًا فإنه لما كف لذته، وحبس شهوته لله - وفيـها مسرة نفسه الأمارة بالسوء - أعاضه الله سبحانه مسرةً ولذةً أكمل منها. كما قال بعضهم: والله للذة العفة أعظم من لذة الذنب.

ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها، أعقبـها ذلك فرحًا وسروراً ولذة أكمل من لذة مـوافقـة الهوى بما لا نسبـة بينهمـا، وهاهنا يمتـاز العقل من الهوى(٢).

* * *

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ٢٤٩).

(٢) روضة المحبين (ص: ١١٩).

وإياك وعشق الصور

أخى الحبيب: إن العين مفتاح القلب فمن شغل عينيه بالنظر إلى الحرام أفسد قلبه لا محالة ومن حفظ عينيه من النظر إلى الحرام سَلِمَ قلبه من الآفات التى تفسده.

* فعشق الصور همٌّ حاضر وكَدَرٌ مستمر.

إن للعشق أسبابًا، منها:

١- فراغ القلب من حبِّه - سبحانه وتعالى- وذكْره وشُكره وعبادته.

٢- إطلاق البصر، فإنه رائد يجلب على القلب أحزانًا وهمومًا ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(١)، «النظرة سهم من سهام إبليس».

وأنت متى أرسلت طرفك رائدًا
إلى كل عين أتعبتك المناظرُ
رأيت الذى لا كُلُّه أنت قادر
عليه ولا عن بعضه أنت صابرُ

٣- التقصير فى العبودية، والتقصير فى الذكر والدعاء، والنوافل: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾(٢).

ويقول شيخ الإسلام وعلمُ الأعلام ابن القيم - رحمه الله تعالى - فى المفاسد العاجلة والآجلة لعشق الصور:

«والله - سبحانه وتعالى - إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس وهم قوم لوط، والنساء، فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به وأخبر عن الحال التى صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه مع أن الذى ابتُلى به أمر لا يصبر عليه إلا من صبَّره الله عليه فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعى

(١) سورة النور: آية (٣٠).

(٢) سورة العنكبوت: آية (٤٥).

وزوال المانع وكان الداعى ها هنا فى غاية القوة وذلك لوجوه:

أحدها: ما ركب الله سبحانه فى طبع الرجل من ميله الى المرأة كما يميل العطشان إلى الماء والجائع إلى الطعام حتى إن كثيراً من الناس يصبر عن الطعام والشراب ولا يصبر عن النساء وهذا لا يُذم إذا صادف حلالاً.

الثانى: أن يوسف عليه السلام كان شابًا وشهوة الشباب وحدته أقوى.

الثالث: أنه كان عزبًا لا زوجة له ولا سرية تكسر شدة الشهوة.

الرابع: أنه كان فى بلاد غربة لا يتأتى للغريب فيها من قضاء الوطر ما يتأتى لغيره فى وطنه وأهله ومعارفه.

الخامس: أن المرأة كانت ذات منصب وجمال بحيث إن كل واحد من هذين الأمرين يدعو إلى موافقتها.

السادس: أنها غير آبية ولا ممتنعة فإن كثيراً من الناس يزيل رغبته فى المرأة إباؤها وامتناعها لما يجد فى نفسه من ذل النفس والخضوع والسؤال لها.

السابع: أنها طلبت وأرادت وبذلت الجهد فكفته مؤنة الطلب وذل الرغبة إليها بل كانت هى الراغبة الذليلة وهو العزيز المرغوب إليه.

الثامن: إنه فى دارها وتحت سلطانها وقهرها بحيث يخشى إن لم يطاوعها من أذاها له فاجتمع داعى الرغبة والرهبة.

التاسع: إنه لا يخشى أن تنم عليه هى ولا أحد من جهتها فإنها هى الطالبة والراغبة وقد غلقت الأبواب وغيبت الرقباء.

العاشر: أنه كان مملوكًا لها فى الدار بحيث يدخل ويخرج ويحضر معها ولا ينكر عليه وكان الأمن سابقًا على الطلب وهو أقوى الدواعى.

الحادى عشر: أنها استعانت عليه بأئمة المكر والاحتيال فأرته إياهن وشكت حالها إليهن لتستعين بهن عليه فاستعان هو بالله عليهن فقال: ﴿ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(١).

---

(١) سورة يوسف: آية (٣٣).

الثانى عشر: أنها توعدته بالسجن والصغار وهذا نوع إكراه إذ هو تهديد ممن يغلب على الظن وقوع ما هدد به فيجتمع داعى الشهوة وداعى حب السلامة من ضيق السجن والصغار.

الثالث عشر: أن الزوج لم يُظهر من الغيرة والنخوة ما يفرق به بينهما ويبعد كلا منهما عن صاحبه.

ومع هذه الدواعى كلها فقد آثر مرضات الله وخوفه وحمله حبه لله على أن اختار السجن على الزنا فقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾(١) وعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن صبا إليهن بطبعه، وكان من الجاهلين وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه»(٢).

- **أما دواء العشق، فمنه:**

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(٣).

١- الانطراح على عتبات العبودية، وسؤال المولى الشِّفاء والعافية.

٢- وغضُّ البصر، وحفظ الفرج؛ ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾(٤)، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾(٥).

٣- وهجر ديار من تعلَّق به القلب، وترك بيته وموطنه وذكره.

٤- والاشتغال بالأعمال الصالحة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(٦).

---

(١) سورة يوسف: آية (٣٣).

(٢) الداء والدواء (١٨٥- ١٨٧) بتصرف.

(٣) سورة يوسف: آية (٢٤).

(٤) سورة النور: آية (٣٠).

(٥) سورة المؤمنون: آية (٥).

(٦) سورة الأنبياء: آية (٩٠).

٥- والزواج الشرعي ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾(١)، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾(٢)، «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج»(٣).

المعاصي تزيل النعم

أعرف أُناسًا كانوا يتقلبون في النعم ليل نهار وفجأة فقدوا كل ذلك بسبب بُعدهم عن الله - جلَّ وعلا - فتبدل الحال من الغنى إلى الفقر ومن القوة إلى الضعف ومن العز إلى الذل.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾(٤).

*** يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:**

ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم فمازالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة».

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾(٥)وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٦).

فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمته التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب رضاه

(١)سورة النساء: آية (٣).

(٢)سورة الروم: آية (٢١).

(٣) **متفق عليه**:رواه البخاري (١٩٠٥) كتاب الصوم، ومسلم (١٤٠٠) كتاب النكاح، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤)سورة طه: آية (١٢٤).

(٥)سورة الشورى: آية (٣٠).

(٦)سورة الأنفال: آية (٥٣).

بأسباب سخطه فإذا غَيَّر غُيِّر عليه ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾(١) ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٢).

فإن غير المعصية بالطاعة غَيَّر الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾(٣).

وفي بعض الآثار الإلهية عن الرب - تبارك وتعالى - أنه قال: «وعزتي وجلالي لا يكون عبد من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل عنه إلى ما أكره إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره ولا يكون عبد من عبيدي على ما أكره ثم ينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب».

وقد أحسن القائل حيث يقول:

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن الذنوب تزيل النعم

وحُطها بطاعة رب العباد
فرب العباد سريع النقم

وإياك والظلم مهما استطعت
فظلم العباد شديد الوخم

وسافر بقلبك بين الورى
لتبصر آثار من قد ظلم

فتلك مساكنهم بعدهم
شهود عليهم ولا

---

(١) سورة النبأ: آية (٢٦).

(٢) سورة فصلت: آية (٤٦).

(٣) سورة الرعد: آية (١١).

وما كان شيء عليهم أضر

من الظلم وهو الذى قد قصم

فكم تركوا من جنان ومن

قصور وأخرى عليهم أطم

صلوا بالجحيم وفات النعيم

وكان الذى نالهم كالحلم

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للحسنة ضياءً في الوجه ونورًا في القلب وسعة في الرزق وقوة في البدن ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمة في القلب ووهنًا في البدن ونقصًا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق».

* وفى موضع آخر يقول الإمام ابن القيم:

ومن عقوباتها: أنها تزيل النعم الحاضرة وتقطع النعم الواصلة، فتزيل الحاصل وتمنع الواصل، فإن نعم الله ما حفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استُجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عنده لا يُنال إلا بطاعته، وقد جعل الله سبحانه لكل شيء سببًا، وآفة تبطله فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته وآفاتها المانعة منها معصيته فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها.

ومن العجيب: علم العبد بذلك مشاهدة فى نفسه وغيره وسماعًا لما غاب عنه من أخبار من أُزيلت نعم الله عنهم بمعاصيه وهو مقيم على معصية الله كأنه مُستثنَى من هذه الجملة أو مخصوص من هذا العموم وكأن هذا أمرٌ جارٍ على الناس لا عليه وواصل الى الخلق لا إليه فأى جهل أبلغ من هذا وأى ظلم للنفس فوق هذا فالحكم لله العلى الكبير[1].

[illegible] الداء والدواء للإمام ابن القيم (ص: ٩٦، ٩٧، ١٣٧، ١٣٨) بتصرف.

من علامات الشقاء

• **من علامات الشقاء إحدى عشرة خصلة:**

١- أن يكون حريصًا على جمع المال.

٢- أن تكون نهمته فى الشهوات واللذات فى الدنيا.

٣- أن يكون فاحشًا فى القول مكثارًا.

٤- أن يكون متهاونًا فى الصلوات.

٥- أن يكون أكله من الحرام والشبهات، وصحبته مع الفجار.

٦- أن يكون سيئ الخلق.

٧- أن يكون مختالاً متكبرًا فخوراً.

٨- أن يمنع منفعته عن الناس.

٩- أن يكون قليل الرحمة للمسلمين.

١٠- أن يكون بخيلاً.

١١- أن يكون ناسيا للموت[١].

الجزاء من جنس العمل

* احذر أيها الأخ الحبيب من عقوق الوالدين حتى لا تحزن . . . فلقد أمرنا الله - عزَّ وجلَّ - ببر الوالدين فقال تعالى: ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ**

---

(١) تنبيه الغافلين ص (١٩٤).

(٢) سورة الإسراء: آية (٢٣، ٢٤).

وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (١).

* **وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه **قال:** سألت النبى ﷺ: أى العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أى؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أى؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**» (٢).

* **وعن أبى هريرة** رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزى ولد والدًا إلا أن يجده مملوكًا، فيشتريه فيُعتقه**» (٣).

* **وعنه** رضي الله عنه **قال:** جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحُسن صحابتى؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**» (٤).

* **وعنه عن النبى** ﷺ **قال:** «**رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، فلم يدخل الجنة**» (٥).

* **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما **قال:** أقبل رجل إلى نبى الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى. قال: «**فهل لك من والديك أحد حى؟**» قال: نعم بل كلاهما قال: «**فتبتغى الأجر من الله تعالى؟**» قال: نعم. قال: «**فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما**» (٦).

وفى رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه فى الجهاد، قال: «**أحىٌّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**».

* وفى المقابل فلقد حذرنا الحق - جل وعلا - من عقوق الوالدين فقال

---

(١) سورة لقمان: آية (١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٢٧) كتاب مواقيت الصلاة، ومسلم (٨٥) كتاب الإيمان، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٥١٠) كتاب العتق، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٥٩٧١) كتاب الأدب، ومسلم (٢٥٤٨) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥١) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٩) كتاب البر والصلة والآداب، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[١].

وعن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** - ثلاثًا - قلنا: بلى يا رسول الله. قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»** وكان متكئًا فجلس، فقال: **«ألا وقول الزور وشهادة الزور»** فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٢].

* وها أنا أسوق لك هذه القصة لتعلم أن الجزاء من جنس العمل.

اعلم أيها الأخ الكريم أنه كما تدين تدان وكما تزرع تحصد.

ذكر العلماء أن رجلاً كان عنده والد كبير، فتأفف من خدمته ومن القيام بأمره، فأخذه وخرج إلى الصحراء ليذبحه، فلما وصل إلى صخرة أنزله هناك فقال: يا بنى، ماذا تريد أن تفعل بى؟ قال: أريد أن أذبحك، قال: يا بنى هل هذا جزاء الإحسان؟ قال الابن: لا بد من ذبحك فقد أسأمتنى وأمللتنى . . . فقال الأب: يا بنى هل إن أبيت إلا ذبحى فاذبحنى عند الصخرة التالية ولا تذبحنى هنا، فقال الابن لأبيه: وما ضرك أن أذبحك هنا أو هناك؟ قال: يا بنى إن كان الجزاء من جنس العمل فاذبحنى عند الصخرة التالية فلقد ذبحت أبى هناك . . . ولك يا بنى مثلها.

فاحرص أخى الحبيب على بر الوالدين لتظفر بالخير فى الدنيا والآخرة فبر الوالدين سبب لتفريج الكربات ومجلبة للتوفيق فى الدنيا والنجاة فى الآخرة، وهو سبب لسعة الرزق وزيادة العمر وهو سبب للفوز برحمة الله ومغفرته، وهو سبب لدخول جنة الرحمن كما قال سيد الأنام صلى الله عليه وسلم: **«الوالد أوسط أبواب الجنة»**[٣].

---

(١) سورة الإسراء: آية (٢٣، ٢٤).

(٢) **متفق عليه**: رواه البخارى (٢٦٥٤) كتاب الشهادات، ومسلم (٨٧) كتاب الإيمان، من حديث أبى بكرة رضي الله عنه.

(٣) **صحيح**: رواه الترمذى (١٩٠٠) كتاب البر والصلة، وابن ماجه (٢٠٨٩) كتاب الطلاق، وأحمد (٢١٢١٠)، من حديث أبى الدرداء رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩١٤).

واحذر أخي الحبيب من مغبة العقوق، فالعقوق يجلب لك العقوبة في الدنيا والآخرة فقد قال ﷺ: **«بابان مُعجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق»**(١).

والعقوق من أكبر الكبائر . . . بل إن العاق لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً كما قال ﷺ: **«ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلاً: عاق ومنان ومكذب بالقدر»**(٢).

واعلم أنه كما تدين تُدان وأن الجزاء من جنس العمل.

وتأمل معي تلك الأبيات التي تجعل القلب يبكي الدماء بدل الدموع:

أغرى امرؤ يومًا غلامًا جاهلاً
بنقوده كيما ينال به الوطر
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى
ولك الجواهر والدراهم والدُّرر
فمضى وأغرز خنجرًا في صدرها
والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط سرعته هوى
فتدحرج القلب المقطع إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو مُعفَّرٌ
ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر؟
فكأن هذا الصوت رغم حنوِّه
غضب السماء على الغلام قد انهمر
فدرى فظيع جناية لم يجنها
ولد سواه منذ تاريخ البشر

---

(١) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك (٤/١٩٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١١٢٠).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الكبير (٨/١١٩)، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٧٨٥).

فـارتد نحـو القلب يـغـسلـه بما
فـاضت به عـيناه من سيل الـعِبَـر
ويقـول يا قلب انـتـقم مـنى ولا
تغـفـر فـإن جـريمـتى لا تُغـتـفـر
واسـتل خنجـره لـيطعـن قلبـه
طعنًا فـيبـقى عِبـرة لمن اعـتـبـر
نـاداه قـلـب الأم كُـف يـدًا، ولا
تطعـن فـؤادى مـرتين علـى الأثر

ويرزقه من حيث لا يحتسب

* ذكر التنوخى فى كتابه «الفرج بعد الشدة» ما يناسب هذا المقام: أن رجلاً ضاقت عليه الحيل، وأُغلقت عليه أبواب المعيشة، وأصبح ذات يوم هو وأهله لا شيء فى بيتهم، قال: فبقيت أنا وأهلى اليوم الأول جَوْعَى وفى الثانى، فلما دنت الشمس للمغيب، قالت لى زوجتى: اذهب وانطلق، والتمس لنا رزقًا أو طعامًا أو أكلاً، فقد أشرفنا على الموت. قال: فتذكرت قريبة لى امرأة، فذهبت إليها وأخبرتها الخبر، قالت: ما فى بيتنا إلا هذه السمكة وقد أنتنت. قلت: علىَّ بها، فإنا قد أشرفنا على الهلاك. وذهبت بها وبقرت بطنها، فأخرجت منها لؤلؤة، بعتُها بآلاف الدنانير، وأخبرت قريبتى، قالت: لا آخذ معكم إلا قسمى. قال: فاغتنيت فيما بعد، وأثثت من ذلك بيتى، وأصلحت حالى، وتوسعت فى رزقى. فهو لطف الله سبحانه وتعالى ليس غيره.

فقد قال الله – عزَّ وجلَّ –: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(١).

(١) سورة هود: آية (٦).

وقال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾[١].

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[٢].

* وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «يُجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ثم يؤمر بكتب أربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[٣].

* ومن لطيف ما قرأت أن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - جلس يومًا ليتناول طعامه، فأقبلت عليه قطة فخطفت قطعة لحم وفرت هاربة، فقام وراءها ليراقبها فرآها تضع قطعة اللحم أمام جحر في أعماق الأرض!! فازداد عجبه وبعد لحظات قليلة رأى ثعبانًا أعمى يخرج من هذا الجحر ليأخذ قطعة اللحم ويعود إلى جُحره مرة أخرى، فبكى إبراهيم بن أدهم ورفع رأسه إلى السماء وقال: سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضًا!!!

نعم ... ما أحلى اليقين ... في الرزاق ذي القوة المتين!!

إن الله -جل وعلا- يرزق الفجار والكفار. فهل ينسى مَنْ وحَّدوا العزيز الغفار؟!!

* بل تأمل معي هذه القصة فقد ذهب مجموعة من البحارة من أهل الجبيل إلى البحر، يريدون اصطياد السمك، ومكثوا ثلاثة أيام بلياليهن لم

(١) سورة الذاريات: آية (٢٢، ٢٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٣) كتاب القدر، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٢٠٨) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦٤٣) كتاب القدر، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

يحصلوا على سـمكة واحدة، وكانوا يصلون الصلوات الخمس، وبجـانبهم مجموعة أخرى لا تسجد لله سجدة، ولا تصلّى صلاة، وإذا هم يصيدون، ويحصلون على طلبهم من هذا البحر، فقال بعض هؤلاء المجموعة: سبحان الله! نحن نـصلى لله عـز وجل كلَّ صـلاة، ومـا حـصلنـا على شىء من الصيـد، وهؤلاء لا يسجدون لله سجـدة وها هو صيدهم!! فـوسوس لهم الشيطان بتـرك الصلاة، فتـركوا صلاة الفـجر، ثم صلاة الظهـر، ثم صلاة العصـر، وبعد صلاة العـصر أتوا إلى البـحر فصـادوا سمكة، فأخـرجوها وبقروا بطنها، فوجدوا فيها لؤلؤة ثمينة، فأخذها أحدهم بيده، وقلَّبها ونظر إليهـا، وقال: سبـحان الله! لما أطعنا اللـه ما حصلنا عليـها، ولما عـصيناه حـصلنا عليـها!! إن هـذا الرزق فيـه نظر. ثم أخـذ اللؤلؤة ورمى بهـا فى البحر، وقـال: يعوضنا الله، والله لا آخذها وقد حـصلت لنا بعد أن تركنا الصلاة، هيـا ارتحلوا بنا من هذا المكان الذى عـصينا الله فـيه، فـارتحلوا ما يقارب ثلاثة أميال، ونـزلوا هناك فى خيمتهم، ثم اقتربوا مـن البحر ثانية، فصادوا سمكة الكنعد، فبقروا بطنها فوجدوا اللؤلؤة فى بطن تلك السمكة، وقالوا: الحمد لله الذى رزقنا رزقًا طيبًا. بعد أن بدؤوا يصلون ويذكرون الله ويستغفرونه، فأخذوا اللؤلؤة. اهـ.

* وها هى أختٌ فاضلة من أخواتنا نحسبهـا تقية ولا نزكيها على الله. غاب عنها زوجها لسببٍ ما. ومرضت ابنتهـا الوحيدة الصغيرة مرضًا شديدًا وزادت عليها الحُمَّى فجلَست إلى جـوارها تبكى وتتضرع إلى الله عز وجل لأنها نامت من غير عشاء فكيف ستأتى لابنتها بالطبيب والدواء؟!

تقول: وفى الساعة الثانية ليلاً دق الباب!!

فقلت: من؟

فقال الطارق: الطبيب!!

تقول: فـفتـحت البـاب بعد أن ارتديـت حجـابى. . . ووالدى واقف بجوارى وأنا أرتجف فدخل الطبيب وهو يحمل حقيبته فى يده، ثم قال: أين الطفلة المريضة؟!

فقلت: ها هى!!!

فكشف علـيـهـا وكـتب الدواء . . . ثم وقف على باب البـيـت ينتظر الأجر، والأم تقف فى دهشة وخجل!!

ثم قال لها: أين الأجر؟!

فقالت المرأة الطيبة: لا أملك!!

فصرخ الطبيب فى وجهها قائلاً: أليس عندك حياء؟!

تُخرجـينى من بيتى فى هذه الساعـة المتأخرة ثم تزعـمين أنك لا تملكين أجر الطبيب؟!

فـبكت المرأة وقـالت: والله مـا اتصلت عليك يا دكـتور؛ لأنه لا يوجـد عندى تليفون أصلاً!!!

فقال الطبيب: أليس هذا بيت فلان؟!!

قالت: لا. بل هو البيت المجاور لى مباشرة !!!

فعجب الطبيب جداً لهذا الأمر وسأل المرأة عن خبرهـا فأخبرته بخبرها فخرج فأحضر الدواء والطعام وما تحتاج إليه الأم وابنتها!!!

حـقًا ما أحـوجنا إلى اليقين فى الرزاق ذى القـوة المتين، لكن العقـيدة مختلة فى قلوب كثيرة . . . بسبب ضعف الإيمان بالرزاق -جل وعلا- من ناحية وبسبب النظرة القاصرة لحقيقة الرزق من ناحية أخرى.

قال رسول الله ﷺ: **«إذا أنفق الرجل على أهله نفـقة يحـتسـبها فـهى له صدقة»**[1].

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥) كتاب الإيمان، ومسلم (١٠٠٢) كتاب الزكاة، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يُضيع من يقوت»(١).

لا تسأل عن الغد حتى يأتيك

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾(٢) لا تسبق الأحداث، أتريد إجهاض الحمل قبل تمامه، وقطف الثمرة قبل النضج، إنَّ غدًا مفقود لا حقيقة له، ليس له وجود ولا طعم، ولا لون، فلماذا نشغل أنفسنا به، ونتوجس من مصائبه ونهتم لحوادثه، ونتوقع كوارثه، ولا ندرى هل يحال بيننا وبينه، أو نلقاه، فإذا هو سرور وحبور، المهم أنه فى عالم الغيب لم يصل إلى الأرض بعد، إن علينا أن لا نعبر جسرًا حتى نأتيه، ومن يدرى؟ لعلنا نقف قبل وصول الجسر، أو لعلَّ الجسر ينهار قبل وصولنا، وربما وصلنا الجسر ومررنا عليه بسلام.

إن إعطاء الذهن مساحة أوسع للتفكير فى المستقبل وفتح كتاب الغيب ثم الاكتواء بالمزعجات المتوقعة ممقوتٌ شرعًا؛ لأنه طول أمل، ومذموم عقلاً؛ لأنه مصارعة للظلِّ.

إن كثيرًا من هذا العالم يتوقع فى مستقبله الجوع والعرى والمرض والفقر والمصائب، وهذا كله من مقررات مدارس الشيطان ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً﴾(٣).

كثيرٌ هم الذين يبكون؛ لأنهم سوف يجوعون غدًا، وسوف يمرضون بعد سنة، وسوف ينتهى العالم بعد مائة عام. إن الذى عمره فى يد غيره لا

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٢/ ١٦٩٢) فى الزكاة / باب: فى صلة الرحم، وحسنه الشيخ الألبانى فى «صحيح سنن أبى داود» (١٤٨٤).
(٢) سورة النحل: آية (١).
(٣) سورة البقرة: آية (٢٦٨).

ينبغى له أن يراهن على العدم، والذى لا يدرى متى يموت، لا يجوز له الاشتغال بشىء مفقود لا حقيقة له.

اترك غداً حتى يأتيك، لا تسأل عن أخباره، لا تنتظر زحوفه؛ لأنك مشغول باليوم.

وإن تعجب فعجبٌ هؤلاء يقترضون الهمَّ نقدًا؛ ليقضوه نسيئة فى يوم لم تشرق شمسه ولم ير النور، فحذارِ، حذارِ من طول الأمل[١].

فن الطلب

● لطلب العلم طرق وآداب أختزلها فى هذه القواعد:

١- همَّة فى الطلب تُسهل الصعاب، وتستعذب العذاب، وتشرق فى النفس إشراق الشهاب، وتمر مر السحاب.

٢- الاشتغال به ليلاً ونهارًا، وسرًّا وجهارًا، وتناوله أطوارًا.

٣- الإعادة والتكرار، والدرس بالغدو والإبكار، ومباحثة أهل العلم من الكبار والصغار، ومساءلتهم على سبيل الادِّكار.

٤- اعتبار الكيف لا الكم، والبدء بالأهم فالمهم، وإحكام كل فصل حتى يتم، واختيار الفن الأفيد الأعم.

٥- جرد المطولات؛ لكثرة الفوائد والإحالات، وإمتاع الذهن بالمبسوطات، وترسيخ المعلومات بكثرة الإيرادات.

٦- الإعراض عن المتون التى أفرطت فى الإيجاز، حتى كأنها ألغاز، فهى كَدٌّ للذهن بلا إحراز، وضياع للوقت بلا امتياز.

٧- اختيار الفن الذى ترغبه النفس، فإنه ينغرس بها أحسن غرس، ويزول بمعرفته اللَّبس، ويعمق فيه الفهم على كثرة الدرس.

---

(١) ثلاثون سببًا للسعادة ص (١٣، ١٤).

٨- عدم الإغراق فى الوسائل على حساب المقاصد، وعدم الإعراض عن العلم ولو عَظُمَ الوارد، وتذكر فضل العالم على العابد، وإن طالبه مثل المجاهد.

٩- كثرة الاستغفار؛ لتمطر سحائب الذهن كالمدرار، وكلما وقع ذنب فالبدار بالتوبة البدار.

١٠- اعتقاد أن العلم أنفس نفيس، وأعز جليس، وأحلى أنيس، وأنه السيف إذا حمى الوطيس، والذخر إذا ذهب ما فى الكيس.

١١- وجمال العلم الصيانة، وثمرته الديانة، وتاجه الأمانة، والعمل به أعظم إعانة، والمعصية ثلمة له وإهانة.

١٢- ولا يثبت العلم إلا بالتعليم، ولا يرسخ إلا بالتفهيم، ولا ينفع إلا بالتقويم، ومن لا يعظمه لا يُقابَل بالتعظيم.

١٣- والمقصود منه طاعة الرحمن، وآفته النسيان، ومرارته حسد الأقران، وظلمته الكذب والبهتان.

١٤- وكتب المتقدمين أنفع، وما سهلت لغتها أوقع، وتآليف الأئمة أبدع، ومصنفات الشرع أروع وأرفع وأجمع.

١٥- وكتب الفلسفة تعقيد، الذكى منها لا يستفيد، ولا تنفع البليد، وإنما ألَّفها أهل التكلف والتفنيد، وكل غريب عن الوحى بعيد.

١٦- وخُذْ من التفسير ما شرح لك معانى الكلمات، ومقاصد الآيات، وحلَّ الغريب من العبارات، ولطائف الإشارات.

١٧- وعليك بحديث المصطفى ﷺ، فإنه النجاة وكفى، ومقصد أهل الوفاء، ومطلب أهل الصفاء، وفيه الدواء والهناء والشفاء.

١٨- وأحسن كتب الفقه ما عضدها الدليل، وابتعدت عن القال والقيل، وسلمت من الكلام الثقيل، ووردت بلفظ جميل.

١٩- وأكثر كتب أصول الفقه ضجر وملالة، إلا أعلام الموقعين والموافقات والرسالة، لعمقها في سهالة، ووضوحها في جزالة.

٢٠- وطالب العلم يمر بالفنون، فالحديث ذو شجون، ولو لم يكن إلا معرفة عامة بالمضمون، فإنه يقبح به أن يسأل عن فن فيقول: اخسؤوا ولا تكلمون.

٢١- وإذا تأهل للتأليف، فعليه أن يعتنى بالتصنيف، فيختار اللفظ اللطيف، والمعنى الشريف، وليحذر التطفيف بين الإكثار والتخفيف.

٢٢- وليكثر من مصاحبة الكتاب، ولا يشغله عنه طعام ولا شراب، ولا أهل ولا أصحاب، فيقطف ما لذَّ وطاب، وينفق على الكتب المال بغير حساب.

٢٣- ولا ينهمك فى فنونٍ، الانهماكُ فيها غير جميل، كمن صرف كل عمره فى النحو الثقيل، أو عروض الخليل، أو الشعر الرذيل، أو القصص والقال والقيل.

٢٤- واعلم أن النبوغ عقل صحيح، وحفظ مليح، ولسان فصيح، ففهم بلا حفظ كالوجه الجريح، وحفظ بلا فهم كالقدح الكسيح، وحفظ وفهم بلا فصاحة جسد طريح(١).

فضل عزلة العالم

قال الإمام ابن الجوزى - رحمه الله -:

ما أعرف للعالم قط لذة ولا عزًّا ولا شرفًا ولا راحة ولا سلامة أفضل من العزلة، فإنه ينال بها سلامة بدنه ودينه وجاهه عند الله -عز وجل- وعند الخلق؛ لأن الخلق يهون عليهم من يخالطهم، ولا يعظم عندهم قول المخالط لهم.

(١) حدائق ذات بهجة (ص: ١٣٣- ١٣٥).

وإذا رأى العوام أحد العلماء مترخصًا فى أمر مباح هان عندهم، فالواجب عليه صيانة علمه وإقامة قدر العالم عندهم.

فقد قال بعض السلف: كنا نمزح ونضحك، فإذا صرنا يُقتدى بنا فما أراه يسعنا ذلك.

وقال سفيان الثورى: تعلموا هذا العلم واكظموا عليه، ولا تخلطوه بهزل فتمُجَّه القلوب .. فمراعاة الناس لا ينبغى أن تُنكَر.

وقد قال ﷺ لعائشة: «لولا حدثان قومك فى الكفر لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين»(١).

وقال أحمد بن حنبل فى الركعتين قبل المغرب: «رأيت الناس يكرهونهما فتركتهما».

ولا تسمع من جاهل يرى مثل هذه الأشياء رياء، إنما هذه صيانة للعلم.

وبيان هذا أنه لو خرج العالم إلى الناس مكشوف الرأس أو فى يده كسرة يأكلها قلَّ عندهم وإن كان مباحًا.

فلا ينبغى للعالم أن ينبسط عند العوام حفظًا لهم، ومتى أراد مباحًا فليستتر به عنهم.

وهذا القدر الذى لاحظه أبو عبيدة حين رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قدم الشام راكبًا على حمار ورجلاه من جانب، فقال: «يا أمير المؤمنين يتلقاك عظماء الناس»... فما أحسن ما لاحظ.

إلا أن عمر رضي الله عنه أراد تأديب أبى عُبيدة بحفظ الأصل فقال: «إن الله أعزكم بالإسلام فمهما طلبتم العز فى غيره أذلكم».

فإن أردت اللذة والراحة فعليك أيها العالم بقعر بيتك، وكن معتزلاً عن أهلك يطب لك عيشك، واجعل للقاء الأهل وقتًا فإذا عرفوه تصنعوا للقائك، فكانت المعاشرة بذلك أجود.

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٥٨٣) كتاب الحج، ومسلم (٣٩٩) كتاب الحج، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وليكن لك مكان فى بيتك تخلو فيه، وتحادث سطور كتبك، وتجرى فى حلبات فكرك.

واجتهد فى كسب يعفك عن الطمع، فهذه نهاية لذة العالم فى الدنيا.

وقد قيل لابن المبارك: ما لك لا تجالسنا؟ فقال: «أنا أذهب فأجالس الصحابة والتابعين». وأشار بذلك إلى أنه ينظر فى كتبه.

ومتى رُزق العالم الغِنى عن الناس والخلوة، فإن كان له فهم يجلب التصانيف فقد تكاملت لذته.

وإن رُزق فهمًا يرتقى إلى معاملة الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- همة عالية تسمو إلى الكمال، وتوفيقًا لصالح الأعمال، فالسالكون طرق الحق أفراد[1].

* وتعقيبًا على دُرر الإمام ابن الجوزى - رحمه الله - أقول:

ومع أن النبى ﷺ قال: **«المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»**[2].

وقال ﷺ: **«المؤمن يَألف ويُؤلف ولا خير فيمن لا يَألف ولا يُؤلف»**[3].

- فالشاهد أنه على الداعية أن يختلط بالناس فى الصلوات الخمس والجُمع والجماعات وفى دعوتهم إلى الله - جل وعلا - .... وما سوى ذلك من المباحات فالأفضل أن يعتزل الناس حتى لا تسقط هيبته ولا يصله أى شىء من أذى بعض الناس... والله أعلم.

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٤٤-٢٤٦) بتصرف.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٠٧) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، وابن ماجه (٤٠٣٢) كتاب الفتن، وأحمد (٥٠٠٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٣٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٨٩٤٥، ٢٢٣٣٣) من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٤٢٥).

فى العزلة طيب العيش

العزلة عن الخلق سبب طيب العيش.

ولا بدَّ من مخالطة بمقدار، فدارِ العدوَّ واستحله، فربما كادك فأهلكك.

وأَحِسن إلى مَنْ أساء إليك. واستعن على أمورك بالكتمان، ولتكن الناس عندك معارف، فأما أصدقاء فلا.

لأن أعز الأشياء وجود صديق، ذاك أن الصديق يجب أن يكون فى مرتبة مماثل.

فإن صادفته عاميًّا لم تنتفع به لسوء أخلاقه، وقلة علمه وأدبه، وإن صادفته مماثلاً أو مقاربًا حسدك.

وإذا كان لك يقظة تلمحت من أفعاله وأقواله ما يدل على حسدك ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[1].

وإذا أردت تأكيد ذلك فضع عليه من يضعك[2] عنده، فلا يُخرج إليه إلا بما فى قلبه.

فإن أردت العيش فابعد عن الحسود؛ لأنه يرى نعمتك، فربما أصابها بالعين.

فإن اضطررت إلى مخالطته فلا تُفشِ له سرك ولا تشاوره، ولا يُغرَّنك تملقه لك، ولا ما يظهره من الدِّين والتعبد، فإن الحسد يغلب الدِّين.

وقد عرفت أن قابيل أخرجه الحسد إلى القتل.

وإن إخوة يوسف باعوه بثمن بخس.

وكان أبو عامر الراهب من المتعبدين العقلاء، وعبد الله بن أُبى من

(١) سورة محمد: آية (٣٠).

(٢) أى: يذمك.

الرؤساء، أخرجهما حسد رسول الله ﷺ إلى النفاق وترك الصواب.

ولا ينبغى أن تطلب لحاسدك عقوبة أكثر مما هو فيه، فإنه فى أمر عظيم متصل لا يرضيه إلا زوال نعمتك. وكلما امتدت امتدت عذابه، فلا عيش له.

وما طاب عيش أهل الجنة، إلا حين نزع الحسد والغلّ من صدورهم.

ولولا أنه نُزع تحاسدوا، وتنغص عيشهم(١).

خير الوعظ ما كان سهلاً

إن قلوب العوام تميل إلى الداعية الذى يخاطبهم على قدر عقولهم، وفهمهم، وثقافتهم، ولذلك فإن خير الوعظ ما كان سهلاً ميسورًا حتى يفهمه الناس وينتفعون به

أما إذا اختار الداعية أسلوبًا وكلامًا لا يفهمه العوام فلن يستفيدوا شيئًا.

- ومن ثَم فالكيِّس الفَطِن هو الذى يخاطب الناس من حوله على قدر عقولهم، وفهمهم، وثقافتهم.

الرجل المناسب فى المكان المناسب

والمعنى أن تضع نفسك فى المكان الذى تبرع فيه فالعمر قصير ولا يحتمل أن تضيعه فى محاولات وتجارب فاشلة.

- كلنا ركاب سفينة واحدة فإذا كنت بارعًا فى الطب فكن طبيبًا ولا تكن مهندسًا . . . وإن كنت تبرع فى الكيمياء فلا تضيع وقتك فى دراسة علم النفس . . . فالذكى هو الذى يكتشف ميوله، وقدراته ويضعها فى الشىء الذى ينجح فيه ويكون بارعًا متفوقًا فيه.

- ولقد كان النبى ﷺ أعلم الناس بمقادير ومواهب الرجال فكان يضع الرجل المناسب فى المكان المناسب.

---

(١) صيد الخاطر (ص: ٤٦٧، ٤٦٨).

قال ﷺ : «أرحم أمتى بأمتى أبو بكر، وأشدهم فى أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبى بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمةٍ أمين وأمين هذه الأمة: أبو عبيدة بن الجراح»(١).

* فعمر بن الخطاب لا يجيد الأذان لأنه ليس بلالاً . . . وعثمان لا يقسم المواريث لأنه ليس زيد بن ثابت . . . . وهكذا كل واحد له موقعه.

* فنصيحتى لك حتى لا يضيع عمرك . . . ابحث عن شيء تكون بارعًا فيه واجتهد فيه لتكون بارزًا فيه فيعود ذلك بالخير على دينك ووطنك.

- **قال ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»(٢).**

همسات غالية

* إن العمر قصير فلا تُقصره بالذنوب والهموم والغموم . . . بل اغتنم كل لحظة فى أى عمل ينفعك فى دنياك وآخرتك ولا تغتم لما كان بالأمس ولا تهتم بما سيكون غدًا بل انشغل بيومك الذى تعيشه الآن واغرس فيه غرسًا ينفعك فى الدنيا والآخرة.

* **قال على بن أبى طالب** رضي الله عنه : قيمة المرء ما يُحسن . . . فإذا علمت هذا فاحرص على أن تكون فى الذروة والمكانة العليا فى العبادة وطلب العلم والدعوة إلى الله والأخلاق الرفيعة.

* إنك تستطيع أن تصنع تاريخك - بإذن الله - من خلال أعمالك الجليلة

---

(١) **صحيح**: رواه الترمذى (٣٧٩٠) كتاب المناقب، وابن ماجه (١٥٥) فى المقدمة، وأحمد (١١٨٥٢)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٢٤).

(٢) **حسن**: رواه البيهقى فى الشعب (٤/ ٣٣٤، ٣٣٥)، والطبرانى فى الكبير (٢٤/ ٣٠٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٨٨٠).

وأقوالك الجميلة وإحسانك لكل من حولك ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(١).

إنه بقدر ذلك وتضحيتك وهمتك العالية تكون مكانتك فى الدنيا ومنزلتك فى الآخرة فاحرص على أن تكون فى المنزلة العُليا فى الجنة.

- روى البخارى أن النبى ﷺ قال: **«إن فى الجنة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة»**(٢).

أربع من السعادة

قال ﷺ : **«أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: المرأة السوء، والجار السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق»**(٣).

* فمن أسباب السعادة:

١- العمل الصالح:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾(٤).

٢- الزوجة الصالحة:

فالزوجة الصالحة تعُينك على أمر دينك ودنياك وتأخذ بيديك إلى رضوان الله تعالى وجنته ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾(٥).

---

(١) سورة يس: آية (١٢).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٠) كتاب الجهاد والسير، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٤٤٨) من حديث سعد بن أبى وقاص، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٨٢).

(٤) سورة النحل آية (٩٧).

(٥) سورة الفرقان: آية (٧٤).

٣- الجار الصالح:

فقد يأتيك جار يؤذيك ويكدر عليك حياتك ويجعلك لا تذوق طعم النوم أو الراحة . . . ولذلك كان من السعادة الجار الصالح الذى إن لم ينفعك فلن يضرك.

٤- المركب الهنىء:

فقد تُبتلى بسيارة تعطل مصالحك وتجعلك تقضى الليل والنهار فى إصلاحها فضلاً عن إنفاق الأموال الكثيرة عليها . . . ولذلك كان من سعادة العبد أن يرزقه الله - جل وعلا - بسيارة سريعة قليلة الأعطال توصله إلى مصالحه ولا تكون سببًا فى تعطيله . . . سواء كانت جديدة أو قديمة.

٥- حُسن الخلق ومحبة الناس:

فإن العبد إذا كان حَسن الخلق مع الناس من حوله فإنه سيفوز بمحبة الناس من حوله وسيسعى الكل جاهدًا - بإذن الله - لإدخال السرور عليه. . . ومن ثَمَّ سيعيش سعيدًا مرتاح البال.

٦- المسكن الواسع:

فالمسكن الواسع يوفر للأسرة أسباب الاستقرار . . . فهذا مكان خاصٌ بالأولاد . . . وتلك غرفة خاصة بالزوج والزوجة . . . وهذا مكان خاص بالضيوف . . . ومن ثَمَّ فلا يطلع أحد على سرٍّ أحد بل يبقى الكل فى هدوء وسعادة واطمئنان.

٧- السلامة من كثرة الدُّيون:

فإن كثرة الديون هَمٌّ بالليل وغمٌّ بالنهار ولذلك كان من السعادة أن يسلم المرء من الديون ومن الإسراف فى المال ﴿ **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾[١].

(١) سورة الإسراء: آية (٢٩).

وقال ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(١).

مفاجأة عجيبة

دخل واحدٌ من السلف أحد المزارع وكان جائعًا مُتعبًا فشدته نفسه، لأن يأكل وبدأت المعدة تقرقر، فأطلق عينيه فى الأشجار فرأى تفاحة، فمد يده إليها ثم أكل نصفها، ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، لكنه انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع وقال لنفسه: ويحك كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة فبحث حتى وجد داره فطرق عليه الباب فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عن ما يريد، قال صاحبنا: «دخلت بستانك الذى بجوار النهر وأخذت هذه التفاحة وأكلت نصفها ثم تذكرت أنها ليست لى وأريد منك أن تعذرنى فى أكلها وأن تسامحنى عن هذا الخطأ فقال الرجل: لا أسامحك، ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد، قال صاحبنا: وهو (ثابت بن النعمان): وما هو هذا الشرط؟ قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتى... قال ثابت: أتزوجها، قال الرجل: ولكن انتبه إن ابنتى عمياء لا تبصر، خرساء لا تتكلم، صمَّاء لا تسمع، وبدأ ثابت بن النعمان يفكر ويقدر - أنعِم بها من ورطة - ماذا يفعل؟ ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها وخدمتها خير من أن يأكل الصديد فى جهنَّمَ جزاء ما أكله من التفاحة وما الأيام وما الدنيا إلا أيامًا معدودات، فقبل الزواج على مضض وهو يحتسب الأجر والثواب من الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف وقد غلب الهمُّ على صاحبنا كيف أدخل على امرأة لا

(١) حسن: رواه الترمذى (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، من حديث عبد الله ابن محصن ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

تتكلم ولا تبصر ولا تسمع فاضطرب حاله وتمنى أن لو ابتلعته الأرض قبل هذه الحادثة ولكنه توكل على الله وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله وإنا لله وإنا إليه راجعون» ودخل عليها يوم الزفاف فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحُور العين فى الجنة. قال بعد صمت: ما هذا؟ إنها تتكلم وتسمع وتبصر فأخبرها بما قال عنها أبوها قالت: «صدق أبى ولم يكذب». قال: اصدقينى الخبر قالت: أبى قال عنى: إننى خرساء؛ لأننى لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لى، وإننى صماء؛ لأننى ما جلست فى مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإننى عمياء؛ لأنى لم أنظر إلى أى رجل لا يحل لى. فانظر واعتبر بحال هذا الرجل التقى وهذه المرأة التقية وكيف جمع الله بينهما.

إن خير الرجال الفطن المتغافل

إن من أعظم أسباب المشاكل التى تدور فى أكثر البيوت بين الزوج والزوجة أن أحدهما ينسى عند الخصام محاسن الطرف الآخر . . . أو أنه لا يمتص غضبه حتى يهدأ عند ثورته . . . أو أنه يسلط الضوء على النقائص وينسى المحاسن.

* والعلاج يبدأ من لحظة دخول الزوج إلى بيته فإنه ينبغى أن يقول: بسم الله عند دخوله وعند طعامه حتى لا يدخل الشيطان بيته ولا يطعم من طعامه.

* **قال جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاء!!**».

وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت.

وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعَشاء»(١).

* ثم يُسلِّم الزوج على أهله حتى تعم البركة على البيت وأهله.

قال أنس رضي الله عنه: قال لى رسول الله ﷺ: «**يا بنى! إذا دخلت على أهلك فسلم؛ يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك**»(٢).

* ويا ليت الزوج والزوجة يحرص كل واحد منهما على أن ينتقى أطايب الكلام فلا يجرح مشاعر الآخر.

* ويا ليت الزوج لا يسلط الضوء على كل شيء فى المنزل لا يعجبه وإنما ينبه تنبيهًا رقيقًا لا يُشعر الزوجة بالنقص وإنما يشعرها بأنها زوجة فاضلة وأنه يريد المزيد ... ولذا قال أحدهم: إن خير الرجال الفطن المتغافل ... أى: الذى يتغافل عن بعض العيوب وكأنه لا يراها حتى لا يجرح مشاعر زوجته.

* وعلى الزوج أن يوازن بين حسنات زوجته وسيئاتها فإذا وجد أن حسناتها أكثر فليحافظ عليها وليحاول إصلاح الباقى بكل رحمة وحنان.

وفى الحديث: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رضى منها آخر**»(٣).

ومعنى لا يفرك: لا يبغض ولا يكره.

من ذا الذى ما ساء قط

ومن له الحسنى فقط

* فإذا حدث خلاف بين الاثنين فلا بد أن يلين أحدهما أمام حدة الآخر.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٨) كتاب الأشربة، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٩٨) كتاب الاستئذان والآداب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى تخريج الكلم الطيب (٦٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٩) كتاب الرضاع، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

إن على الرجل أن يسكت إذا غضبت زوجته، وعليها أن تسكت هى إذا غضب؛ حتى تهدأ الثائرة، وتبرد المشاعر، وتسكن اضطرابات النفس.

قال ابن الجوزى فى «صيد الخاطر»: متى رأيت صاحبك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح، فـلا ينبغى أن تعقـد على ما يقـوله خنصراً، (أى: لا تعتد به ولا تلتفت إليه) ولا أن تؤاخذه به.

فإن حاله حال السكران، لا يدرى ما يجرى.

بل اصبر ولو فترة، ولا تعول عليهـا، فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر.

ومتى أخذت فى نفسك عليه، أو أجبتـه بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنونًا، أو مفيق عاتب مُغمًى عليه. . . فالذنب لك.

بل انظر بعين الرحمة، وتلمح تصريف القدر له، وتفرج فى لعب الطبع به. واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر.

وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل فى غضبه إلى ما يستريح به.

وهذه الحالة ينبـغى أن يتلمحها الولد عند غـضب الوالد، والزوجة عند غضب الزوج، فتتركه يشتفى بما يـقول، ولا تُعوِّل على ذلك، فسيعود نادمًا معتذرًا.

ومتى قُوبـل على حالته ومقالـته، صارت العداوة متـمكنة، وجازى فى الإفاقة على ما فعل فى حقه وقت السُّكر.

وأكثر الناس على غير هذا الطريق!.

متـى رأوا غضبـان قابلوه بما يـقول ويعمـل، وهذا على غيـر مقتـضى الحكمة؛ بل الحكمة ما ذكرته، ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ (١).

* * *

(١) سورة العنكبوت: آية (٤٣).

هذا حال الدنيا

طُبعت على كدر وأنت تريدها
صفوًا من الأقذاء والأكدار

هذا حال الدنيا منغصة اللذات، كثيرة التبعات، جاهمة المحيا، كثيرة التلون، مزجت بالكدر، وخُلطت بالنكد، وأنت منها فى كبد.

ولن تجد ولدًا أو زوجة، أو صديقًا، أو نبيلاً، ولا مسكنًا، ولا وظيفة إلا وفيه ما يكدر وعنده ما يسوء أحيانًا، فأطفئ حر شرِّه ببرد خيره؛ لتنجو رأسًا برأس والجروح قصاص.

أراد الله لهذه الدنيا أن تكون جامعة للضدين والنوعين والفريقين والرأيين: خيرٌ وشر، صلاح وفساد، سرور وحزن، ثم يصفو الخير كله والصلاح والسرور فى الجنة ويجمع الشر كله والفساد والحزن فى النار.

وفى الحديث: **«الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا أو متعلمًا»**(١) فعش واقعك ولا تسرح مع الخيال وتُحلِّق فى عالم المثاليات، اقبل دنياك كما هى، وطوّع نفسك لمعايشتها ومواطنتها، فسوف لا يصفو لك فيها صاحب ولا يكمل لك فيها أمر؛ لأن الصفو والكمال والتمام ليس من شأنها ولا من صفاتها.

لن تكمل لك زوجة... وفى الحديث: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها آخر».

فينبغى أن نُسدِّد ونقارب، ونعفو ونصفح، ونأخذ ما تيسر، ونذر ما تعسر، ونغمض الطرف أحيانًا ونسدد الخُطى، ونتغافل عن أمور(٢).

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٩) كتاب الرضاع، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

هكذا تفعل الدنيا بأهلها

إن الله يعطى الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولكنه لا يُعطى الآخرة إلا لمن أحب.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(١)] .

فهذه هى حقيقة الدنيا وهذا هو قدرها ولو كانت الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء.

* وتأمل معى هذا الموقف المؤثر عندما يدخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ فيراه نائمًا على الحصير وقد أثَّر الحصير فى جنبه الشريف وليس فى بيت النبى ﷺ أى شىء من متاع الدنيا سوى شعير مُعلَّق فدمعت عينا عمر وقال: يا رسول الله،... كسرى وقيصر فى الديباج والحرير وأنت يا رسول الله تنام على الحصير؟!... وإذا بالنبى ﷺ يوضح له قيمة الدنيا فيقول له: **«أفى شكٍّ أنت يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟!»**[(٢)] .

إذًا فى الأمر شىء، وفى المسألة سرٌّ، إنها تفاهة الدنيا فحسب ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[(٣)] .

وها أنا أسوق لحضراتكم قصة عجيبة توضح لكم كيف تكون العاقبة الوخيمة لكل من كان حريصًا على زهرة الدنيا الفانية.

---

(١) سورة الزخرف: آية (٣٣-٣٥).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٦٨) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (١٤٧٩) كتاب الطلاق، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سورة المؤمنون: آية (٥٥، ٥٦).

قال وهب بن منبه: خرج عيسى - عليه السلام - يسيح فى الأرض فصحبه يهودى وكان معه رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى: تشاركنى فى طعامك؟ قال اليهودى: نعم. فلما علم أن ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم. فقام عيسى - عليه السلام- إلى الصلاة. فذهب صاحبه وأكل رغيفًا، فلما أتمَّ عيسى قدما طعامهما، فقال عيسى لصاحبه: أين الرغيف الآخر؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فأكل عيسى رغيفًا وصاحبه رغيفًا، ثم انطلقا فجاءوا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه: لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال: افعل. فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتى يُردَّ الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم. فمسَّ بصره ودعا الله له فأبصر، فقال عيسى لليهودى: بالذى أراك الأعمى يبصر أما كان معك من رغيف؟ فقال: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فسكت عيسى عنه، فمراً بظباء ترعى فدعا عيسى - عليه السلام - ظبيا منها فذبحه، ثم أكلا منه ثم قال عيسى للظبى: قم بإذن الله فقام فقال الرجل: سبحان الله!، فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية من أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلا رغيفًا واحداً فمضيا فمراً بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه، فقال الرجل: سبحان الله، فقال عيسى: بالذى أراك هذه الآية مَنْ صاحب الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: والله ما كان إلا رغيفًا واحدًا، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منهما ثلاثة أحجار كبيرة من ذهب فقال عيسى - عليه السلام -: واحدة لى وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف الثالث فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى. فقال عيسى: هى لك كلها وفارقه فأقام الرجل عليها ليس معه ما يحملها عليه فمرَّ به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب فقال اثنان منهم لواحد: انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فذهب، فقال أحد الباقين: نقتل هذا إذا جاء ونقسم هذا بيننا، قال الآخر: نعم: وقال الذى ذهب يشترى الطعام: أجعل فى الطعام سُمًّا فأقتلهما وآخذ

الذهب وحدى، ففعل ما أملاه عليه شيطانه، فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضًا بجوار الذهب فمر سيدنا عيسى -عليه السلام- بعد ذلك وعندما رأى الأربعة صرعى عند الذهب أشار إليهم وإلى الذهب قائلاً لمن معه من الحواريين: هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحذروها.

* ولقد حذرنا النبى ﷺ: من أن تتعلق قلوبنا بالدنيا فقال ﷺ: **«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنى أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»**(١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: جلس رسول الله ﷺ على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: **«إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها»**(٢).

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»**(٣).

وعن أبى العباس سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على عمل إذا عملته أحبنى الله، وأحبنى الناس، فقال: **«ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»**(٤).

وعن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء»**(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٥٨) كتاب الجزية، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق، من حديث عمرو بن عوف الأنصارى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤٦٥) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٥٢) كتاب الزكاة، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٤) حسن: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) كتاب الزهد، من حديث سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٤).

(٥) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٦٨٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»(١).

وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حُيزت له الدنيا بحذافيرها»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح مَنْ أسلم وكان رزقه كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه»(٣).

النعم ثلاث

• **وتحت هذا العنوان يقول الإمام ابن القيم:**

النعم ثلاث: نعمة حاصلة يعلم بها العبد ونعمة منتظرة يرجوها ونعمة هو فيها لا يشعر بها فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرَّفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيدًا يقيدها به حتى لا تشرد فإنها تشرد بالمعصية وتُقيَّد بالشكر ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة وبصَّره بالطُّرق التي تسدها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه وعرَّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.

ويُحكى أن أعرابيًا دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين، ثبَّت الله عليك النِّعم التي أنت فيها بإدامة شُكرها وحقق لك النِّعم التي ترجوها بحُسن الظَّنِّ به ودوام طاعته وعرَّفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه(٤).

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧).

(٢) حسن: رواه الترمذي (٢٣٤٦) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٤١) كتاب الزهد، من حديث عبدالله ابن محصن ﷺ، وحسنه العلامة الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٢٣١٨).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٤) كتاب الزكاة، من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.

(٤) كتاب الفوائد للإمام ابن القيم (ص: ٢٤٨).

وقال عبد الله بن المبارك: «لأن أرد درهمًا من شُبهة أحبُّ إليَّ من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف . . . حتى عدَّ ستمائة ألف».

وقال وهيب بن الورد: «لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يقبل الله صلاة امرئ وفى جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه»

وقال عمر رضي الله عنه: «كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع فى الحرام».

* وتأمل معى كيف كان ورع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم «الصِّدِّيق» رضي الله عنه . . . فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبى بكر الصديق رضي الله عنه غلام يُخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خَراجه، فجاء يومًا بشىء، فأكل منه أبو بكر . . . فقال له الغلام: أتدرى ما هذا؟ . . . . فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية، وما أُحسن الكهانة إلا أنى خدعته، فلقينى فأعطانى لذلك. هذا الذى أكلت منه . . . فأدخل أبو بكر يده فَقاءَ كل شىء فى بطنه»[1].

* يقول الإمام ابن القيم:

- ما أخذ العبد ما حُرم عليه إلا من جهتين:

إحداهما: سوء ظنه بربِّه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيرًا منه حلالاً.

والثانية: أن يكون عالمًا بذلك، وأن من ترك لله شيئًا أعاضه خيرًا منه، ولكن تغلب شهوتُه صبره، وهواهُ عقلَهُ.

فالأول من ضعف علمه، والثانى من ضعف عقله وبصيرته[2].

نعمة لا يفطن لها كثير من الناس

ما أكثر نعم الله على الإنسان، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . . . يحسب كثير من الناس أن النِّعم لا تخرج عن الطعام والشراب والملبس

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٨٤٢)، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٢) الفوائد (ص: ٧٣).

والمسكن والمركب، وهذا خطأ عظيم، بل إن نعم الله تعالى أكثر من أن تُعدَّ أو تحصى، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾(١).

ومن هذه النعم التى لا يتفطن لها كثير من الناس نعمة النوم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾(٢).

فالنوم نعمة من نِعم الله على عباده وآية من آياته، أوجده فى الإنسان رحمةً به وفضلاً عليه.

فبالنوم يستريح الإنسان ويهدأ ويستعيد قواه ونشاطه، وذلك لأن المخّ يتمكن - أثناء النوم - من إراحة خلاياه من الإجهاد اليومى؛ ليحتفظ بقدراته الذهنية، فيكون أكثر تركيزًا وأدق تفكيرًا. كما أن هرمون النوم يفرز ليلاً أثناء النوم ليساعد على بناء خلايا المخ.

ونقص النوم يؤدى إلى الإجهاد والإحساس بالتعب والإصابة بالاكتئاب وغيره من الأمراض.

وليس الدماغ هو المستفيد الوحيد من النوم، بل إن فى النوم سكنًا وراحة للجسم كله. قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾(٤).

وبعض الناس - للأسف - يقلب ليله نهارًا ونهاره ليلاً، فيسهر الليل وينام النهار، والفرق كبير بين النوم ليلاً والنوم نهارًا.

فالنوم ليلاً له فوائد عظيمة، حيث تنال أعضاء الجسم من الراحة أضعاف

---

(١) سورة إبراهيم: آية (٣٤).

(٢) سورة الروم: آية (٢٣).

(٣) سورة النمل: آية (٨٦).

(٤) سورة النبأ: آية (٩، ١٠).

ما تنـاله خلال النهـار، بسبب مـا فى النهار من ضـوضاء وصـخب وضوء قوى، وكلها مؤثرات شديدة على الجهاز العصبى.

وقد اكـتشف العلمـاء أن الغدة الصُّنوبرية فى الدمـاغ تقوم بإفـراز مادة تسمى الميلاتونين، وهى تؤثر تأثيراً مبـاشراً فى عملية النوم، وقد وجدوا أن الظلام يزيد إفراز هذه المادة بعكس الضوء الذى يثبطها.

قال تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

وهكذا كانت نعمة النوم رحمةً من الله - عز وجلَّ- وجب الشكر عليها ذلك لأن فى النوم فوائد:

منها: انعكاس الحرارة إلى الباطن، فينهضم الطعام.

ومنها: استرخاء الأعضاء التى قد كلَّت بالأعمال.

وقد أكد العلماء أن أهنأ نوم هو مـا كان فى أوائل الليل، وأن ساعة نوم قبل منتـصف الليل تعدل سـاعات من النوم المتـأخر(٢). ولذلك فإن النبى ﷺ : «كان يكره النوم قبل العِشاء والحديث بعدها»(٣).

كيف تحول الخسائر إلى أرباح؟

الذكى الأريب يحوّل الخسائر إلى أرباح، والجاهل الرعديد يجعل المصيبة مصيبتين.

طُرِدَ الرسـول ﷺ من مكة فأقام فى المدينـة دولة ملأت سمع التاريخ وبصره.

---

(١) سورة القصص: آية (٧٣).

(٢) انظر: سبيلك للسعادة لأشرف هميسة ص (٢٢٥، ٢٢٦) ووصايا طبيب للدكتور حسان شمسى باشا ص (١٠٢-١٠٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٥٦٨) كـتاب مواقيت الصـلاة، ومسلم (٦٤٧) كتاب المسـاجد ومواضع الصلاة، من حديث أبى برزة رضي الله عنه.

سُجن أحمد بن حنبل وجُلد، فصار إمام أهل السُّنة، وحُبس ابن تيمية، فأخرج من حبسه علمًا جمًّا، ووضع السرخسى فى قعر بئر معطلة، فأخرج عشرين مجلدًا فى الفقه، وأُقعد ابن الأثير فصنَّف جامع الأُصول والنهاية من أشهر وأنفع كتب الحديث، ونُفى ابن الجوزى من بغداد، فجوَّد القراءات السبع، وأصابت حُمَّى الموت مالك بن الريب، فأرسل للعالمين قصيدته الرائعة الذائعة التى تعدل دواوين شعراء الدولة العباسية، ومات أبناء أبى ذُؤيب الهذلى فرثاهم بإلياذة أنصت لها الدهر، وذُهل منها الجمهور، وصفَّق لها التاريخ.

إذا داهمتك داهيةٌ فانظر فى الجانب المشرق منها، وإذا ناولك أحدهم كوب ليمون فأضف إليه حفنة من سُكَّر، وإذا أهدى لك ثعبانًا فخذ جلده الثمين واترك باقيه، وإذا لدغتك عقرب فاعلم أنه مصل واقٍ ومناعة حصينة ضد سُمِّ الحيات.

تكيف فى ظرفك القاسى؛ لتُخرج لنا منه زهرًا وودًا وياسمينًا، وعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا.

سجنت فرنسا قبل ثورتها العارمة شاعرين مجيدين متفائلاً مُتشائمًا فأخرجا رؤوسهما من نافذة السجن. فأما المتفائل فنظر نظرة فى النجوم فضحك. وأما المتشائم فنظر إلى الطين فى الشارع المجاور فبكى. انظر إلى الوجه الآخر للمأساة؛ لأن الشر المحض ليس موجودًا بل هناك خير ومكسب وفتح وأجر(١).

قصة أغرب من الخيال

إن المؤمن الذى لامس الإيمان شغاف قلبه يغمره الشعور بنعمة الله عليه

(١) ثلاثون سببًا للسعادة ص (٣١، ٣٢).

فى كل حين وفى كل حال، لا يفقد هذا الشعور وإن أصابته البأساء والضراء، وهزته زلازل الحياة.

إنه راضٍ بما قضى الله له، وما قدَّر عليه، إيمانًا بأن الله تعالى لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا يقضى أمرًا يريد به عُسرًا لعباده، وأنه - سبحانه - أرحم بهم من الوالدة بولدها، وأن الخير المطوى فى جوف ما نظنه كارثة وشرًا، وما نكرهه بطبيعتنا البشرية، ﴿ **فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾[1] [2].

ذكر ابن حبان من طريق عبد الله بن محمد قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا، وكان رباطنا يومئذ عريش مصر. قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة[3]، وفى البطيحة خيمة فيها رجلٌ قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول:

اللَّهُمَّ أوزعنى أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التى أنعمت بها علىَّ، وفضلتنى على كثير ممن خلقت تفضيلاً.

قلت: والله لآتين هذا الرجل، ولأسألنَّه أنَّى له هذا الكلام: فهمٌ، أم علمٌ، أم إلهامٌ ألهمه؟

فأتيت الرجل، فسلّمت عليه، فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللَّهُمَّ أوزعنى أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التى أنعمت بها علىَّ، وفضَّلتنى على كثيرٍ ممن خلقت تفضيلاً . . .

فأىُّ نعمة من نِعم الله عليك تحمده عليها؟

وأى فضيلة تفضَّل بها عليك تشكره عليها؟

---

(١) سورة النساء: آية (١٩).

(٢) الإيمان والحياة (ص: ١٣٥، ١٣٦).

(٣) البطيحة: الأبطح وهو المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار.

قال: وما ترى ما صنع ربى؟

والله لو أرسل السماء علىَّ نارًا فأحرقتنى. . .

وأمر الجبال فدمّرتنى.

وأمر البحار فأغرقتنى.

وأمر الأرض فـبلعتنى . . . مـا ازددت لربِّى إلا شكرًا لما أنعم علىَّ من لسانى هذا.

قال: ولكن يا عبـد الله، إذ أتيتنى لى إليك حاجـة، قد ترانى على أى حالة أنا، أنا لست أقـدر لنفسى على ضر ولا نفع، ولقد كـان معى ابنٌ لى يتعاهدنى فى وقت صلاتى، فيـوضينى، وإذا جُعت أطعمنى، وإذا عطشتُ سقانى، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام، فتحسسه لى - رحمك الله-.

فقلت: والله ما مشى خلقٌ فى حاجة خلقٍ كان أعظم عند الله أجرًا ممن مشى فى حاجة مثلك.

فمضيت فى طلب الغلام، فما مضيت غـير بعيد حتى صرت بين كثبان الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبعٌ وأكل لحمه.

فاسترجعت، وقلت: أنَّى لى وجه رقيق آتى به الرجل؟

فبينما أنا مقـبلٌ نحوه، إذ خطر على قلبى ذكر أيوب النبى ﷺ، فلما أتيته سلّمت عليه، فرد علىَّ السلام.

فقال: ألست بصاحبى؟

قلت: بلى.

قال: ما فعلت فى حاجتى؟

فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبى؟

قال: بل أيوب النبى.

قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله، وآله، وولده؟

قال: بلى.

قلت: فكيف وجده؟

قال: وجده صابراً شاكراً حامداً.

قلت: لم يرض منه ذلك حتى أُوحش من أقربائه وأحبابه.

قال: نعم.

قلت: فكيف وجده ربه؟

قال: وجده صابراً شاكراً حامداً.

قلت: فلم يرض منه ذلك حتى صيره غرضًا لمارّ الطريق هل علمت؟

قال: نعم.

قلت: فكيف وجده ربّه؟

قال: صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله!

قلت له: إن الغلام الذى أرسلتنى فى طلبه، وجدته بين كثبان الرمل، وقد افترسه سبع، فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر.

فقال المبتلى: الحمد لله الذى لم يخلق من ذُريتى خلقًا يعصيه، فيعذبه بالنار. ثم استرجع وشهق شهقة فمات.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عظُمت مصيبتى؛ رجلٌ مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت لم أقدر على ضرٍّ ولا نفع، فسجيته بشملةٍ كانت عليه وقعدتُ عند رأسه باكيا.

فبينما أنا قاعد إذ تهجَّم علىَّ أربعة رجال فقالوا: يا عبد اللهَ ما حالك؟ وما قصتك؟

فقصصت عليهم قصتى وقصته.

قالوا لى: اكشف لنا عن وجهه، فعسى أن نعرفه..

فكشفت عن وجهه، فانكبَّ القوم عليه يقبلون عينيه مرةً، ويديه

أخرى، ويقولون: بأبى عينٌ طالما غضّت عن محارم الله، وبأبى جسم طالما كان ساجدًا والناس نيام.

فقلت: مَنْ هذا يرحمكم الله؟

فقالوا: هذا أبو قُلابة الجُرمىُّ، صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبى ﷺ.

فغسلناه، وكفَّناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه.

فانصرف القوم، وانصرفت إلى رباطى، فلما أن جنَّ علىَّ الليل وضعت رأسى، فرأيته فيما يرى النائم فى روضة من رياض الجنة، وعليه حُلّتان من حُلل الجنة، وهو يتلو الوحى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١].

فقلت: ألست بصاحبى؟

قال: بلى!

قلت: أنَّى لك هذا؟

قال: إن لله درجات، لا تنال إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله - عزَّ وجلَّ- فى السر والعلانية[٢].

كلمات المحبين

* قلوب المحبين مملوءة بذكر الحبيب.

إن نطقوا فبذكره، وإن تحركوا فبأمره، وإن فرحوا فلقربه، وإن ترحوا فلعتبه.

والله ما طلعت شمس ولا غربت

إلا وحبك مقرون بأنفاسى

(١) سورة الرعد: آية (٢٤).

(٢) الثقات لابن حبان (٥/٣-٥).

ولا جلست إلى قـوم أحـدثهم
إلا وأنت حـديثى بين جُـلاسى

* **هذا أريج كلمات متفرقة للمحبين... عن محبة الله - عزَّ وجلَّ-:**

- **قال أحدهم:** «إلهى أتيت أطباء عبادك ليداووا لى خطيئتى فكلهم عليك يدلنى».

- **وقال آخر:** ما أضيق الطريق على من لم تكن دليله، وما أوحش الطريق على من لم تكن أنيسه.

* **وقال خليد العَصَرى:** يا إخوتاه هل منكم من أحد لا يحب أن يلقى حبيبه؟ ألا فأحبوا ربكم وسيروا إليه سيرًا كريمًا.

* من فاته الله فلو حصلت له الجنة بحذافيرها لكان مغبونًا، فكيف إذا لم يحصل له إلا نذر حقير يسير من دار كلها لا تساوى جناح بعوضة.

* **وكان يحيى بن معاذ يقول:**

اللَّهُمَّ لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان، ويهرب منك بالقلوب، يا أكرم الأشياء علينا لا تجعلنا أهون الأشياء عليك.

* **وكان -رحمه الله- يقول:** يا من ربَّانى فى الطريق بنعمه، وأشار لى فى الورود إلى كرمه، معرفتى بك دليلى عليك، وحُبِّى لك شفيعى إليك.

وكان -رحمه الله- يقول: «هذا سرورى بك خائفًا، فكيف سرورى بك آمنًا؟! هذا سرورى بك فى المجالس، فكيف سرورى بك فى تلك المجالس؟ هذا سرورى بك فى دار الفناء، فكيف يكون سرورى بك فى دار البقاء؟!»

وكان أحسن العُبَّاد يقول:

يا مَنْ هو عند ألسن الناطقين . . . . يا مَنْ هو عند قلوب الذاكرين.
خسر مَنْ أتعب لغيرك بدنه، وألجأ إلى سواك همَّهُ.

يا من لا تراه العيون ولا يصفه الواصفون.

يا عالمًا بمثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرف عليه النهار، ولا توارى منه سماءٌ سماءً، ولا أرض أرضًا، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره.

عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك.

* كان مسلم بن يسار: لا يلتفت في صلاته، ولقد انهدمت ناحية من المسجد فزع لها أهل السوق فما التفت، وكان إذا دخل منزله سكت أهل بيته، فإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا، عِلمًا منهم أن قلبه مشغول، وكان يقول في مناجاته:

إلهي متى ألقاك وأنت عني راضٍ!!

إذا اشتغل اللاهون عنك بشُغلهم

جعلت اشتغالي فيك يا منتهى شغلي

كان الفضيل يقول: أفرح بالليل لمناجاة ربي وأكره النهار للقاء الخلْق.

* ونختم بكلمات شيخ الإسلام ابن القيم - رحمه الله -:

ليس العجب من مملوك يتذلل لله ولا يتعبد له ولا يملُّ من خدمته مع حاجته وفقره إليه، إنما العجب من مالك يتحبب إلى مملوك بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.

ويقول - رحمه الله -:

* سبحان الله تزينت الجنة للخُطَّاب فجدُّوا في تحصيل المهر، وتعرّف رب العزة إلى المحبين بأسمائه وصفاته فعملوا على اللقاء وأنت مشغول بالجيف!!

* المحب يهرب إلى العزلة والخلوة بمحبوبه والأنس بذكره، كهرب الحوت إلى الماء، والطفل إلى أمه.

* ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة «طوبى» ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد. اشتغل به فى الحياة يكفك ما بعد الموت.

* يا منفقًا بضاعة العمر فى مخالفة حبيبه والبعد عنه، ليس فى أعدائك أضر عليك منك!

* تالله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تولى عنك الولى، فلا تظن أن الشيطان غلب، ولكن الحافظ أعرض.

* ليس العجب من قوله: «يحبونه» إنما العجب من قوله: «يحبهم».

* إذا سافر المحب للقاء محبوبه ركبت جنوده معه، فكان الحب فى مقدمة العسكر، والرجاء يحدو بالمطى، والشوق يسوقها، والخوف يجمعها على الطريق، فإذا شارف قدوم بلد الحب خرجت تقادم الحبيب باللقاء.

* اعرف قدر ما ضاع منك، وابكِ بكاءً من يدرى مقدار الفائت، لو تخيلت قرب الأحباب لأقمت المأتم على بُعدك(١).

أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه

يا له من رب رحيم ودود لطيف شكور . . . يتودد إلى عباده وهو الغنى عنهم . . . يأمرك بأن تدعوه وهو الغنى عن دعائك.

إنه الملك - جل وعلا - الذى يَفزع إليه المكروب ويستغيث به المنكوب وتلجأ إليه كل المخلوقات.

فإذا نزلت بك النوازل وأحاطت بك المصائب وألَّمت بك الخطوب فما عليك إلا أن ترفع أكُفَّ الضراعة لتطلب منه العون والمدد وتمرغ الجبين لتبل الحصى بدموع التوبة والندم وتنخلع من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته وتقول بلسان الحال والمقال: اللُهَّمُ إنى أبرأ من الشقة إلا بك ومن الأمل إلا

(١) بتصرف من موارد الظمآن فى محبة الرحمن.

فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك ومن الأمل إلا فيك ومن الصبر إلا على بابك، ومن الذل إلا فى طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما فى يديك الكريمتين.

* إذا نزلت بك المصائب فقل: يا الله.
* إذا خانك الصديق والرفيق فقل: يا الله.
* إذا ضاع المال والعيال فقل: يا الله.
* إذا اجتمع عليك أهل الأرض فقل: يا الله.
* إلزم بابه ... وتبتل إليه.... وترقب فتحه ونصره ... وارفع إليه أَكُف الضَّراعة ... وأحسن الظن فيه ... واطلب منه العون والمدد.

فهو الذى يشفى المريض ويُعافى المبتلى ويسد الدَّين عن المديون وينصر كل مظلوم ويهدى كل ضالٍّ ومحروم ويرد الغائب ويفكُّ أسر المسجون.

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1].

يا صاحب الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ
أبشر بخيرٍ فإن الفارج اللهُ

اليأس يقطع أحيانًا بصاحبه
لا تيأسنَّ فإن الكافى اللهُ

إذا بُليت فثقْ بالله وارضَ به
فإن الذى يكشف البلوى هو اللهُ

الله يُحدث بعد العسر ميسرة
لا تجزعنَّ فإن الصانع اللهُ

والله ما لك غير الله من أحد
فحسبك الله فى كلٍّ لك اللهُ

---

(١) سورة النمل: آية (٦٢).

تدبير الله لك خير من تدبيرك لنفسك

من العجب إلحاحك فى طلب أغراضك وكلما زاد تعويقها زاد إلحاحك، وتنسى أنها قد تُمنع لأحد أمرين: إما لمصلحتك فربما معجَّل أذى، وإما لذنوبك فإن صاحب الذنوب بعيد من الإجابة، فنظِّف طُرق الإجابة من أوساخ المعاصى، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك، أو لمجرد هواك؟

فإن كان للهوى المجرد، فاعلم أن من اللطف بك والرحمة لك تعويقه، وأنت فى إلحاحك بمثابة الطفل يطلب ما يؤذيه، فيُمنع رفقًا به.

وإن كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره، أو كان صلاح الدِّين بعدمه.

وفى الجملة تدبير الحق -عزَّ وجلَّ- لك خير من تدبيرك، وقد يمنعك ما تهوى ابتلاءً ليبلو صبرك فأَرِه الصبر الجميل ترى عن قُربٍ ما يسر.

ومتى نظفت طرق الإجابة من أدران الذنوب، وصبرت على ما يقضيه لك، فكلٌّ ما يجرى أصلح لك، عطاءً كان أو منعًا(١).

كلمات على فراش الموت

قيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(٢) ثم مات.

ولما حضرت معاذًا رضي الله عنه الوفاةُ قال: اللهُمَّ إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهُمَّ إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى

(١) صيد الخاطر (ص: ٢٠٥).

(٢) سورة الأنعام: آية (٩٤).

الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكَب عند حلق الذكر.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: وا حزناه، فقال: بل وا طرباه، غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

وحكى أن هارون الرشيد انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾(١).

هكذا كانوا يرون الحقيقة الكبرى «الموت» واضحةً جليةً جلاء الشمس فى رابعة النهار.

بل هذا الإمام ابن الجوزى يبكى عند الموت فيقول له تلاميذه: يا إمام، ألست قد فعلت كذا وكذا؟! فقال: والله إننى أخشى أن أكون فرطت ونافقت فيحق علىَّ قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾(٢).

ثم قال: ولقد تاب على يدىَّ فى مجالس الذكر أكثر من مائتى ألف. وأسلم على يدىَّ أكثر من مائتى نفس.

وكم سالت عين متجبر بوعظى لم تكن تسيل. ويحق لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظرى إلى تقصيرى وزللى.

ولقد جلست يومًا فرأيت حولى أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رقَّ قلبه، أو دمعت عينه، فقلت لنفسى: كيف بك إن نجوا وهلكت: فصحت بلسان وجدى: إلهى وسيدى إن قضيت علىَّ بالعذاب غدًا فلا تُعلمهم بعذابى، صيانةً لكرمك لا لأجلى؛ لئلا يقولوا: عذب الله مَنْ دلَّ عليه.

---

(١) سورة الحاقة: آية (٢٨، ٢٩).

(٢) سورة الزمر: آية (٤٧، ٤٨).

بادر بكتابة وصيتك

أخي الحبيب: إذا كان عليك حقوق للناس، أو لك حقوق عندهم، أو ترغب في الوصية بشيء من مالك فبادر بكتابة الوصية؛ فإن السُّنَّة المبادرة بها. وكتابتك لها لا تدنى من أجلك، وعدم كتابتك لها لا تباعدك منه والمرء لا يدرى متى يفجؤه الموت.

قال ﷺ - كما في الصحيحين -: **«ما حقُّ امرئ مسلم له شيء يريد أن يُوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده»**.

قال ابن عمر: «ما مرت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك، إلا وعندى وصيتى»(١).

ويستحب عدم تأخير الوصية إلى حضور أمارات الموت، لقوله عليه الصلاة والسلام لما سُئل: أى الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: **«أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»**(٢).

ولا توص بأكثر من الثُّلث... لحديث سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه حيث سأل رسول الله ﷺ عن الوصية بماله كله؟ فقال: **«لا»** وبالثلثين؟ فقال: **«لا»** ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: **«الثلث، والثلث كثير»**(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع، فإن رسول الله ﷺ قال: **«الثُّلث، والثُّلث كثير»**(٤)(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٣٨) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٧) كتاب الوصية، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٤١٩) كتاب الزكاة، ومسلم (١٠٣٢) كتاب الزكاة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٤٣) كتاب الوصايا، ومسلم (١٦٢٩) كتاب الوصية، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٦٢٩) كتاب الوصية، ومعنى غضُّوا: أى: نقصوا أو حطُّوا.

(٥) رسالة إلى مريض/ للمصنِّف (ص: ٥٦، ٥٧).

أيها الفقير لا تحزن...
ستنسى كل شقاء مع أول غمسة فى الجنة

أيها المهموم بسبب الفقر وقلة ذات اليد.. لا تحزن..

وانظر ماذا فاتك من الدنيا..

ألست تأكل كما يأكل الأغنياء؟!

وتشرب كما يشرب الأغنياء؟!

أما يستحيل طعامك وطعامهم وشرابك وشرابهم إلى ما قد علمت؛ غائط وبول؟!

فأى مزيَّة - إذن - لطعامهم على طعامك، أو لشرابهم على شرابك.. فلماذا تحزن؟

ألست تنام كما ينامون، وتستيقظ كما يستيقظون، فأى فرق بين أن تنام على حصير وينام الأغنياء على فُرُش وثيرة؟! وقد تكون الحصير أنفع وأصح من الفراش الناعم الوثير. فلماذا تحزن؟.

إذا مرضت أخذت قرصًا بفلس فشفاك الله بسبب فقرك وحاجتك وانكسارك بين يديه..

ويدفع الأغنياء الآلاف ومئات الآلاف ويستمر بهم المرض، ولا تنقطع عنهم العلل..

فلماذا تحزن؟

تأكل ما شئت من الطعام، وتشرب ما شئت من الشراب، ويتحمل جسمك أقسى الأطعمة والأشربة، بينما كثير من الأغنياء لا يأكل إلا ما تعافه نفسك أن تأكله؛ لأن أجسامهم لا تقوى إلا على ذلك، فلماذا تحزن..؟!![1].

---

(١) لا تحزن وكن مطمئنًا (ص: ١٩، ٢٠).

* ويوم القيامة تتبدل الأحوال.. سينسى المؤمن الفقير كل ما كان يعانيه من البؤس والشدة والجوع والحرمان والابتلاءات مع أول غمسة في جنة الرحمن -جلَّ وعلا-.

*وفي المقابل سينسى الغني - إن لم يكن طائعًا لله - كل ما كان فيه من الثراء والغنى والقصور والسيارات والخدم والشهوات مع أول غمسة في نار جهنم.... فلماذا تحزن؟!.

- **روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «يؤتَى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبغ في الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»**(١).

* وتأمل معي هذا المشهد الجليل... عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟»**. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء والمهاجرون الذين تُسد بهم الثغور ويتُقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: ائتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة: نحن سكان سمائك وخيرتك من خلقك أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟!! قال: إنهم كانوا عبادًا يعبدوني لا يشركون بي شيئًا وتُسد بهم الثغور ويتُقى بهم المكاره ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاءً .... قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار»**(٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
(٢) صحيح: رواه أحمد (٦٥٣٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٨٣).

فأبشروا أيها الفقراء فإن الله - عزَّ وجل- سيجبر كسركم فى الجنة، ويسبغ عليكم من ألوان النعيم ما لا يخطر على قلب بشر.

* بل وفوق ذلك كله فإن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنياء المؤمنين بخمسمائة عام.

قال ﷺ: **«يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»**(١).

وقال ﷺ: **«إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا»**(٢).

* قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - معلقًا على هذين الحديثين:

فإما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظًا وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، كما يتأخر مُكث العصاة من الموحدين فى النار بحسب أحوالهم والله أعلم، ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم - أى: سبقهم للأغنياء- فى الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة، وإن سبقه غيره فى الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفًا وقد يكون بعض من يُحَاسب أفضل من أكثرهم، والغنى إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر الله تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذى سبقه فى الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغنى فى أعماله وزاد عليه فيها والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. فالمزية مزيَّتان مزيَّة سبق ومزيَّة رفعة، وقد يجتمعان وينفردان

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٥٤) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١٢٢) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٨٦)، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٨٠٧٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٩) كتاب الزهد والرقائق، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق(١)، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وبالله التوفيق(٢).

* فلا تحزن أيها الفقير فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

لا تحزن فلو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء.

لا تحزن فإن الدنيا قنطرة وممر وليست بدار إقامة ومقر.

لا تحزن فإن الدنيا ظل زائل وعارية مُستردة.

لا تحزن فإن الدنيا متاع الغرور وليست دار إكرام وحبور وسوف تجد السعادة كلها فى دار السرور والحبور عند الملك الكريم الودود الغفور.

لا تحزن فإن ربك غافر الذنب وقابل التوب

يا من أسرفت على نفسك بالذنوب والمعاصى تُب إلى ربك ولا تحزن فإن ربك غافر الذنب وقابل التوب.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣).

إنها الرحمة الواسعة التى تسع كل معصية. كائنة ما كانت وإنها الدعوة للأوبة. دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين فى تيه الضلال. دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله. إن الله رحيم بعباده. وهو يعلم ضعفهم وعجزهم. ويعلم العوامل المسلَّطة عليهم من داخل كيانهم ومن

(١) أى: بالتباديل والتوافيق.

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص:١٢٥، ١٢٦).

(٣) سورة الزمر: آية (٥٣).

خارجه. ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد. ويأخذ عليهم كل طريق. ويجلب عليهم بخيله ورَجله. وأنه جاد كل الجد فى عمله الخبيث! ويعلم أن بناء هذا المخلوق الإنسانى بناء واهٍ. وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا أفلت من يده الحبل الذى يربطه والعروة التى تشده. وأن ما رُكِّب فى كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك؛ ويوقعه فى المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم..

يعلم الله - سبحانه - عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له فى العون؛ ويوسع له فى الرحمة؛ ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خُطاه على الصراط. وبعد أن يلج فى المعصية، ويسرف فى الذنب، ويحسب أنه قد طُرد وانتهى أمره، ولم يعد يُقبل ولا يُستقبل. فى هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندى اللطيف: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(١)..

وليس بينه - وقد أسرف فى المعصية، ولج فى الذنب، وأبق عن الحمى، وشرد عن الطريق - ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية. ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة. التوبة وحدها. الأوبة إلى الباب المفتوح الذى ليس عليه بواب يمنع، والذى لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان.

* * *

(١) سورة الزمر آية (٥٣).

الله يدعو الكون كله للتوبة

إن الله - عزَّ وجل - دعا الناس جميعًا إلى التوبة الصادقة. فلقد دعا المشركين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ودعا إليها أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(٢). والذين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾(٣) فقال - عزَّ وجل-: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).... ودعا المنافقين إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٥).

ودعا إليها المسرفين على أنفسهم بالمعاصي من أمة الحبيب ﷺ فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٦) كما دعا إليها المؤمنين الصادقين. فأمر الله -عز وجل- أصحاب النبي ﷺ بالتوبة بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم، فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٧).

بل فتح الله باب التوبة لأصحاب الكبائر ليتوبوا، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا

(١) سورة التوبة آية (١١).
(٢) سورة آل عمران: آية (١٨١).
(٣) سورة المائدة: آية (٦٤).
(٤) سورة المائدة: آية (٧٤).
(٥) سورة النساء: آية (١٤٦).
(٦) سورة الزمر: آية (٥٣).
(٧) سورة النور: آية (٣١).

جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

وعلى الرغم من تلك الجرائم والكبائر إلا أن الله -جلَّ وعلا- فتح لهم باب التوبة، فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وها هم أصحاب الأخدود الذى حرَّقوا المؤمنين والمؤمنات، وظلموهم بلا ذنب اقترفوه سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، .. هؤلاء الذى فرقوا بين الأم وولدها، وقذفوا ولدها أمام عينيها فى النار، وجلسوا يتلذذون بمشاهدة المؤمنين، وهم يموتون فى النيران، وعلى الرغم من ذلك يفتح الله لهم باب التوبة ليتوبوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾(٣).

فقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يفيد أنهم لو تابوا لتاب الله عليهم.

وها هم أهل الشرك والقتل والزنا يفتح الله أمامهم باب التوبة، فيقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، ثم بعد ذلك يفتح الله لهم باب التوبة، ويقول: ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة: آية (٣٣).

(٢) سورة المائدة: آية (٣٤).

(٣) سورة البروج: آية (١٠).

(٤) سورة الفرقان: آية (٦٨ - ٧١).

وهؤلاء الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يفتح الله أمامهم باب التوبة لكى يتوبوا ويقيموا الصلاة ويتركوا الشهوات ويُقبلوا على فعل الطاعات، .... قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (١).

ومع كل هذه الأمثلة التى تثلج الصدور لسعة رحمة الله -جلَّ وعلا- إلا أننا لا ينبغى أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصى، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم، فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب، فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ....﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾(٤).

فقد يستصغر الإنسان ذنبًا وهو عند الله عظيم، .... قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٥).

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التُّقى

واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة.. إن الجبال من الحصى

---

(١) سورة مريم: آية (٥٩، ٦٠).

(٢) سورة المائدة: آية (٩٨).

(٣) سورة غافر: آية (٣).

(٤) سورة الحجر: آية (٤٩، ٥٠).

(٥) سورة النور: آية (١٥).

قال الله تعالى: «يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى.. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى.. يا ابن آدم لو أنك أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة»(١).

وقال ﷺ: «إن الله يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى سماء الدنيا فنادى هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر»(٢).

انظر إلى كرمه: أبواب العباد مُغلقة ومفاتيح الأبوب بيديه وبابه مفتوح لمن دعاه. ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(٣).

من ذا الذى أمَّله لنائبة فقطع به دونها.... أم من ذا الذى رجاه لعظيم جُرمه فلم يغفر له. قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(٤).

يا ابن آدم: إنك إذا آمنت به ولم تشرك به شيئًا أقام حملة عرشه ومَن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لك وأنت على فراشك.

«إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(٥).

يا ابن آدم: أنين المذنبين أحب إليه من تسبيح المُدلِّين.

يا أخى: أى إحسان أعظم من إحسان من يبارزه العبد بالمعاصى وهو

---

(١) حسن: رواه الترمذى (٣٥٤٠) كتاب الدعوات، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، من حديث أبى هريرة ﷺ.

(٣) سورة النمل: آية (٦٢).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٣٥٣٧) كتاب الدعوات، وابن ماجه (٤٢٥٣) كتاب الزهد، من حديث ابن عمر ﷺ، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٩) كتاب التوبة، من حديث أبى موسى ﷺ.

يمده بنعمه ويعامله بألطافه، ويُسبل عليه ستره، ويحفظه من خطفات أعدائه يحول بينهم وبينه؟ وهو فى ذلك كله بعينه يراه ويطلع عليه. فالسماء تستأذن ربها أن تحصبه، والأرض تستأذن أن تخسف به والبحر يستأذن أن يُغرقه كما ورد فى الأثر:

«ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم، والملائكة تستأذن أن تعاجله وتهلكه، والرب تعالى يقول: دعوا عبدى فأنا أعلم به، إذ أنشأته من الأرض إن كان عبدكم فشأنكم به.... لو خلقتموه لرحمتموه... وعزتى وجلالى إن أتانى ليلاً قبلته وإن أتانى نهاراً قبلته إن تقرب إلىَّ شبراً.. » الأثر.

لا تحزن.. فرحمته وسعت كل شىء

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[(١)].

يقول رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع فى الجنة أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من الجنة أحد»[(٢)].

تخيل معى أيها الأخ الحبيب.. وتخيلى معى أيتها الأخت الفاضلة. عندما يجمع الله الناس يوم القيامة حُفاة عُراة غُرلاً للوقوف فى أرض المحشر خمسين ألف سنة[(٣)].. وقد دنت الشمس فوق الرءوس حتى كانت

---

(١) سورة الأعراف آية (١٥٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٥) كتاب التوبة، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) وفترة الوقوف فى أرض المحشر يوم القيامة تختلف من واحد إلى آخر فقد قال ﷺ كما فى الحديث الذى رواه الحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨١٩٣): **«يوم القيامة على المؤمنين كقدر ما بين الظهر والعصر»**.. فهى فترة يسيرة جداً على أهل الإيمان ثم تتفاوت الأزمنة بين الناس على حسب اختلاف إيمانهم وطاعتهم لله. فمنهم من يقف مائة سنة.. ومنهم من يقف ألف سنة.. ومنهم من يقف عشرة آلاف سنة... ومنهم من يقف اليوم كله خمسين ألف سنة.. فنسأل الله العفو والعافية.

كمقدار ميل وقد غرق الناس فى عرقهم فمنهم من يصل العرق إلى كعبيه ومنهم من يصل إلى ركبتيه.. ومنهم من يصل إلى حقويه ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا.. وقد جيء بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها فتزفر جهنم زفرة شديدة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مُرسل إلا جثا على ركبتيه وقال: يا رب سلم سلم.

* وفى تلك اللحظة يبدأ الناس فى البحث عن أى مَخرج من هذا الموقف العصيب فيذهبون إلى آدم -عليه السلام- ليشفع لهم عند الله فى أن يبدأ الحساب.. فالموقف عصيب جدًّا وإذا بآدم -عليه السلام- يقول: «.. **إن ربى قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة، فعصيته،... نفسى نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى نوح..**».

فيذهبون إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى ثم إلى محمد -عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام- فيذهب النبى ﷺ ليشفع للناس فى بدء الحساب(١).

* فالشاهد أن الله - عز وجل - على الرغم من أنه فى ذلك اليوم يغضب غضبًا شديدًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله... إلا أنه قال: كما فى الصحيحين - «**إن رحمتى سبقت غضبى**»(٢) وفى رواية: «**إن رحمتى تغلب غضبى**».. فرحمته سبقت غضبه بل وتغلب غضبه.

* وقد جعل الله لهذا اليوم تسعًا وتسعين رحمة.

ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: «**إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض. فجعل**

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٤٠) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (١٩٤) كتاب الإيمان.
(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٢٢) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٧٥١) كتاب التوبة.

منها فى الأرض رحمة، فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة»[(١)] .

وفى رواية أنه ﷺ قال: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين. وأنزل فى الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق. حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[(٢)] .

* فالشاهد أنه -جلَّ وعلا- فى ذلك اليوم الذى لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله. . . فإنه يأذن للنبى ﷺ بثمان شفاعات[(٣)] .

ويأذن للأنبياء بالشفاعة. . ويأذن للملائكة بالشفاعة. . ويأذن للمؤمنين بالشفاعة ثم يقول الحق - جلَّ وعلا - كما فى الصحيحين -: «... شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط، قد عادوا حممًا، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له: نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فيخرجون كاللؤلؤ، فى رقابهم الخواتيم، يعرفهم أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الله من النار، الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون. ربنا أعطيتنا ما لم تُعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندى أفضل من هذا؟ فيقولون: يا ربنا أى شىء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»[(٤)] .

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٣) كتاب التوبة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٠٠٠) كتاب الأدب، ومسلم (٢٧٥٢) كتاب التوبة.

(٣) من أراد معرفة تلك الشفاعات فليرجع إلى كتابى (رحلة إلى الدار الآخرة).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (١٨٣) كتاب الإيمان.

قلوب تشتاق إلى الجنة

قال رجاء بن حيوة -وزير عمر بن عبد العزيز-: كنت مع عمر بن عبدالعزيز، لما كان واليًا على المدينة، فأرسلنى لأشترى له ثوبًا. فاشتريت له ثوبًا بخمسمائة درهم. فلما نظر فيه قال: هو جيد، لولا أنه رخيص الثمن!

فلما صار خليفة للمسلمين. بعثنى لأشترى له ثوبًا، فاشتريت له ثوبًا بخمسة دراهم! فلما نظر فيه قال: هو جيد، لولا أنه غالى الثمن!

قال رجاء: فلما سمعت كلامه بكيت.

فقال لى عمر: ما يبكيك يا رجاء؟ قلت: تذكرت ثوبك قبل سنوات، وما قلت عنه،... فكشف عمر لرجاء بن حيوة سر هذا الموقف، وقال يا رجاء: إن لى نفسًا تواقة، وما حققت شيئًا إلا تاقت لما هو أعلى منه، تاقت نفسى إلى الزواج من ابنة عمى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسى إلى الإمارة فوليتها، وتاقت نفسى إلى الخلافة فنلتها، والآن يا رجاء تاقت نفسى إلى الجنة. فأرجو أن أكون من أهلها.

أخى الحبيب: أما تاقت نفسك إلى جنة الرحمن -جلَّ وعلا- التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال ﷺ : «من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»(١).

أسأل الله -عز وجل- أن يرزقنى وإياكم الجنة وأن يجعل خير أيامنا يوم أن نلقاه وهو راضٍ عنا.

* * *

(١) **صحيح:** رواه الترمذى (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائى (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٤٣٤٠) كتاب الزهد، وأحمد (١١٧٦٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

لا تحزن..
فالجنة تشتاق إليك

يا من تعلق قلبه بهـذه الدنيا الفانية وظن أنهـا هى دار الخلد وهى جنته الباقيـة. . فإذاً فقد شـيئًا من متـاعها الزائل حزن عليه حـزنًا شديدًا. . هل نسيت الجنة التى أعدها الله لـعباده المؤمنين وجعل فيهـا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟!!!

* أيها الفقير. . لا تحزن فالملك الكبير فى انتظارك فى جنة الرحمن.

– أما علمـت أن أدنى أهل الجنة منزلة سيـعطيه الله -جلَّ وعـلا- مثل مُلك خمسين مَلك من ملوك الدنيا.

– ففى الحـديث الذى رواه مسلم أن الله -عـز وجل- يقول لأدنى أهل الجنة: **«أترضى أن يكون لك مـثل مُلك مَلك من ملوك الدنيا؟ فـيقـول: رضيت رب، فيقـول له: لك ذلك ومثله ومثله ومـثله ومثله، فقال فى الخامـسة: رضيت رب، فيـقول له: هذا لك وعشـرة أمثاله، ولك مـا اشتهت نفـسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب»**(١).

وفى رواية الإمام أحمد عـن أبى سعيد: «... قال: فيـدخله الله الجنة. قال: فإذا دخل الجنة قال: هذا لى. قـال: فيقول الله عز وجل له: تمن. فيـتمنى ويذكره الله: سل من كذا وكـذا حتى إذا انقطعت به الأمانى قـال الله عز وجل: هو لك وعـشرة أمـثالـه. قال ثم يدخل الجنة... يـدخل عليه زوجـتـاه من الحور العـين، فيقولان له: الحمد لله الذى أحياك لنا وأحيانا لك، فيقول: ما أُعطى أحد مثل ما أُعطيت... ».

* وآخر من يدخل الجنة يعطيه الله - عز وجل- الدنيا وعشرة أمثالها.

(١) **متفق عليه**: رواه البخارى (٨٠٦) كتاب الأذان، ومسلم (١٨٢) كتاب الإيمان، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن الله -جلَّ وعلا- يقول لآخر من يدخل الجنة: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا.

* ويا من مرضت أو حزنت أو ظُلمت أبشر بالخير كله فى الجنة.

- أما علمت أنك ستنسى كل شقاء وعذاب وحرمان مع أول غمسة فى جنة الرحمن -جلَّ وعلا-.

- ففى الحديث الذى رواه مسلم أن النبى ﷺ قال: **«... ويؤتَى بأشد الناس بؤسًا فى الدنيا من أهل الجنة فيُصبغ فى الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بى بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»**[1].

* أما علمت أيها الأخ الحبيب أن النبى ﷺ أخبر بعض أصحابه بأن الجنة تشتاق إليهم فقال ﷺ : **«إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان»**[2].

- فلماذا لا تشتاق الجنة إليك؟

- أما علمت أنك إذا اشتقت إلى الجنة وسألت الله الجنة فإن الجنة تشتاق إليك وتطلبك من الله -جلَّ وعلا-.

قال ﷺ : **«من سأل الله الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار»**[3].

* أما علمت أنك ستجد فى الجنة نعيمًا لا يخطر على قلب بشر.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧) كتاب صفة القيامة والجنة والنار، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حسن: رواه الترمذى (٣٧٩٧) كتاب المناقب، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٥٧٢) كتاب صفة الجنة، والنسائى (٥٥٢١) كتاب الاستعاذة، وابن ماجه (٤٣٤٠) كتاب الزهد، وأحمد (١١٧٦٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٦٢٧٥).

قال رسول الله ﷺ : «قال الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، واقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١] »[٢] .

* وأنت على باب الجنة ستسمع هذه النداءات الأربعة.

قال ﷺ : «إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد: إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا»[٣] .

* وتأمل معى كيف حال أول زمرة يدخلون الجنة.

قال رسول الله ﷺ : «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرى فى السماء إضاءة: لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومَجامرهم الألوة -عود الطيب- أزواجهم الحور العين، على خَلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء»[٤] .

وفى رواية للبخارى ومسلم: «آنيتهم فيها الذهب، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم،ولا تباغض: قلوبهم قلب رجل واحد، يُسبحون اللهَ بكرةً وعشيًّا»[٥] .

---

(١) سورة السجدة: آية (١٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٤) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٢٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضي الله عنهما .

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٣٣٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

(٥) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٥) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه .

* بل تأمل معى هذا النعيم.

قال ﷺ: «إن للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا»(١).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المُضمَّر السريع مائة سنة ما يقطعها»(٢).

* **وقال ﷺ: «لقاب قوسٍ فى الجنة خير مما تطلع عليه الشمس أو تغرب»**(٣).

وقال ﷺ: «إن فى الجنة سوقًا يأتونها كل جمعة. فتهب ريح الشمال، فتحثو فى وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجمالاً. فيرجعون إلى أهليهم، وقد ازدادوا حسنًا وجمالاً، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم حسنًا وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالاً»(٤).

* وحسبك من الجنة أنك ستفوز فيها برضوان الله -جلَّ وعلا- وبالنظر إلى وجهه الكريم.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير فى يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون:

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٣) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٨٣٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٥٣) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٥٢) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير، من حديث أبى هريرة رضي الله عنه، «وقاب قوس»: قدر ما بين المقبض والسية من القوس.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٣٣) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأى شىء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى، فلا أسخط عليكم بعده أبدًا»(١).

* وعن جرير بن عـبد الله رضي الله عنه قال: كنا عنـد رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا القمر، لا تُضامون فى رؤيته»(٢).

* وعن صهـيب رضي الله عنه أن رسول اللـه ﷺ، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقـول الله تبـارك وتعـالى: تريدون شيـئًـا أزيدكم؟ فـيقـولون: ألم تبـيض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتُنجنّا من النار؟ فـيُكشف الحجاب، فما أُعطوا شـيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم»(٣).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤).

*فهل بعد كل هذا النعيم تحزن على فوات الدنيا؟!!!

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله- فى كتابه القيم «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح»: «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرًّا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم ومُلكها بالملك الكبير، وأودعهـا جميع الخير بحذافيـره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتـها فهى المسك والزعفران، وإن سألت

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، ومسلم (٢٨٢٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٥٥٤) كـتاب مواقيت الصـلاة، ومسلم (٦٣٣) كتاب المساجد ومواضع الصلاة، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه «لا تضامون»: لا يحصل لكم ضيم ولا مشقة.. والمراد نفى الازدحام... أى أن كل مؤمن يرى ربه بكل وضوح لا يحجبه شىء عن رؤيته.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨١) كتاب الإيمان، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٤) سورة يونس آية (٩، ١٠).

عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب.

وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة، لا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحُلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة فى صفاء القوارير.

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها، فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المُجدّ السريع فى ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير فى ملكه وسُرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفى عام وإن سألت عن خيامها وقبابها، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة، طولها ستون ميلا فى السماء، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهى غُرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب فى الأفق الذى لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فراشها فبطائنها من إستبرق مفروشة فى أعلى الرتب، وإن سألت عن

أرائكها فهى الأَسرَّة عليها البشخانات -وهى الحجال مزررة بأزرار الذهب- فما لها من فروج ولا خلال.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبى البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين.

وإن سألت عن مطاياهم التى يتزاورون عليها، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم، وحيث شاءوا من الجنان. وإن سألت عن حُليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مُخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم، فهن الكواعب الأتراب، اللائى جرى فى أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، وللرمان ما تضمنته النهود، وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجرى الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضىء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء فى تقابل النيرين - الشمس والقمر- وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، ويرى وجهه فى صحن خدها، كما يرى فى المرآة التى جلاها صقيلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حُللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحًا. وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيرًا وتسبيحًا، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالله الحى القيوم،

ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنًا وجمالاً، ولا يزداد لها على طول المدى إلا محبة ووصالاً، مُـبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائظ وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها، فلا تطمح لأحد سواه وقصر طرفه عليها فى غاية أمنيته وهواه، وإن نظر إليـها سـرته وإن أمرها بطاعـته أطاعـته، وإن غاب عـنها حفظته، فهو منها فى غاية الأمانى. . . هذا ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر إليـها ملأت قلبـه سرورًا، وكلمـا حدثته ملأت أذنـه لؤلؤًا منظومًا ومنثورًا، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نورًا.

وإن سألت عن السن فـأتراب فى أعدل سن الشبـاب، وإن سألت عن الحسن، فهل رأيت الشـمس والقمر، وإن سألت عن الحدق فـأحسن سواد فى أصفى بياض فى أحسن حَور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب، ونهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخـيِّرات الحسان، اللاتى جُـمع لهن بين الحسن والإحسـان، فأُعطين جمـال الباطن والظاهـر فهن أفراح النفـوس وقرة النواظر وإن سـألت عن حسن العـشرة ولذة ما هنالك فـهن العُرُب المتـحببـات إلى الأزواج بلطافة التبعل التى تمتزج بالروح أى امتزاج.

فـمـا ظنك بامـرأة إذا ضـحكت فى وجـه زوجـهـا أضـاءت الجنة من ضحكهـا. وإذا انتقلت من قصـر إلى قصر قلت: هذه الشـمس متنقلة فى بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها، فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة المعانقة والمخاصرة.

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع. وإن قبَّلت فلا شيء أشهى إليه من التقبيل، وإن نوَّلت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. فاستمع يوم ينادى المنادى: يا أهل الجنة، إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحى على زيارته، فيقولون: سمعًا وطاعة، وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أُعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، وحتى إذا انتهوا إلى الوادى الأفيح الذى جعل لهم موعدًا. وجُمعوا هناك فلم يغادر الداعى منهم أحدًا، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنُصب هناك، ثم نُصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنى على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسى فوقهم فى العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادى: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويُثقل موازيننا. ويُدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه: وقد أشرف عليهم من فوقهم. وقال: يا أهل الجنة، سلام عليكم، فلا تُرد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ويضحك إليهم، ويقول: يا أهل الجنة، فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادى الذين أطاعونى بالغيب، ولم يرونى، فهذا يوم المزيد، فيجتمعون

على كلمة واحدة: قد رضينا فارض عنا، فيقول: يا أهل الجنة إنى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتى. هذا يوم المزيد فاسألونى، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب -جل جلاله- الحُجُب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه يقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يُذكره ببعض غدراته فى الدنيا، فيقول: يا رب ألم تغفر لى؟ فيقول: بمغفرتى بلغت منزلتك هذه.

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم فى الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[1].

فحى على جنات عدن فإنها
منازلنا الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبى العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونَسلمُ[2]

* * *

(١) سورة القيامة: آية (٢٢-٢٥).

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح للإمام ابن القيم (ص: ٢٦٢ - ٢٦٥).

ابدأ صفحة جديدة

أخي الحبيب:

أريدك وأنت تقرأ فى صفحات هذا الكتاب أن تحول كل حروفه وكلماته إلى واقع ملموس فى حياتك. . . فتطرد الحزن من حياتك وتبدأ صفحة جديدة تكتب حروفها من السعادة وتملأ سطورها بالرجاء فيما عند الله وحسن الظن به -سبحانه وتعالى- فإن ذلك سينفعك كثيرًا فى دنياك وآخرتك. . . فهيا تخلَّص من أحزانك وابدأ صفحة جديدة مكتوب عليها: لا تحزن وابتسم للحياة.

* * *

دعوة مستجابة

أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتيب المتواضع سائلاً ربى - عز وجل - أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتيب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهو أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل علىَّ بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُرر متقابلين.

* **روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثله».**

* جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلمه لمن حوله.

* كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت حتى تذهب الآلام والأحزان وتعود الفرحة والبسمة مرة أخرى إلى قلوب المسلمين بعد أن غابت زمانًا طويلا.

* هيا لندخل سويًا جنة الإيمان فنحيا فى ظل منهج الرحمن وسنة سيد الأنام ﷺ.. هيا لننشر البسمة والفرحة لنسعد فى الدنيا فى ظل الإيمان ولنسعد فى الآخرة فى جنة الرحمن التى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

* سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك... وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار

محمود المصرى

(أبو عمار)

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

* *